اللُّمَع

مُحَقَّق



تأليف

أبي نصرٍ السَّرَّاج الطُّوسيّ

(٠٠٠ – ٣٧٨هـ)

تحقيق

مُحَمَّد أديب الجادِر



دار الفتح

للدراسات والنشر



بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

كتب إلينا أبو القاسم عليّ بن الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد بن الجوزي، وأبو [محمد][1] إسماعيل بن علي بن باتكين الجوهريّ، وأبو عبد الله محمد بنُ عبد الواحد بن أحمد ابن المتوكل على الله، وأبو المُنَجَّى عبد الله بن عمر بن علي بن زيد بن اللَّتي[2]، وغيرهم من بغداد، وكتبت إلينا أمُّ الفضل كريمة بنةُ عبد الوهاب بن علي بن الخضر القُرشيّة من دمشق، كلُّهم عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إسحاق السِّجزيّ الصوفيّ الهرويّ المالينيّ، قال: أنبأنا أبو نصر أحمد بن أبي نصر الكوفاني قراءةً عليه في شهور سنة خمس وستّين وأربعمئة، قال: أنبأنا أبو محمد الحسن بن محمد الخَبُوشاني[3] قراءةً عليه، قال: أنبأنا أبو نصر عبد الله بن عليٍّ الطُّوسي السرّاج، قال:

الحمد لله الذي خلقَ الخلق بقدرته، ودلَّهم على معرفته بآثار صنعتِهِ وشواهد ربوبيته، واختار منهم صفوةً من عباده وخيرةً من خلقه، خصّ منهم من شاء بما شاء كيف شاء، وقَسَمَ لهم من العلم به والفهم عنه بما قسم، وحكم لهم في ذلك بما حكم، وجعلهم فيما منح لهم من الهداية والتوفيق مُتفاوتين كتفاوتهم في الأخلاق والأرزاق والآجال والأعمال، فلا علمٌ معلوم، ولا شيءٌ مفهوم إلاّ وذلك موجودٌ في كتاب الله عزَّ وجلَّ، أو مأثورٌ

---

(١) في الأصل بياض، وما بين معقوفين مستدرك من سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٥٦.

(٢) في (ع)، والمثبت من (ن): (الليثي) قال المنذري في التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٤٧٧: اللّتي: بفتح اللام وتشديدها وتاء ثالث الحروف مكسورة، وياء النسب. وانظر ترجمته مع ذكر مصادرها في سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٥.

(٣) في (ع) الحنبوشاني.

عن رسول الله ﷺ، أو فيما فتح على قلوب أولياء الله، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

والصلاة على المقدّمِ المعظّم، النبيِّ المكرّم من أنبيائه، شمس الأولياء، وقمر الأصفياء محمدٍ عبدِهِ ورسولِهِ وعلى آله وسلم كثيرًا.

أمّا بعد: فإنيّ استخرتُ الله تعالى، وجمعتُ أبوابًا في معنى ما ذهبَ إليه أهلُ التصوّف، وتكلّم مشايخُهم المتقدّمون في معاني علومهم وعمدةِ أُصولهم وأساس مذهبهم، وأخبارهم وأشعارهم، ومسائلهم وأجوبتهم، ومقاماتهم وأحوالهم، وما انفردوا بها من الإشارات اللطيفة والعبارات الفصيحة، والألفاظ المُشكلة الصحيحة على أصولهم، وحقائقهم ومواجيدهم وفصولهم.

وذكرتُ من كلِّ فصلٍ طَرَفًا، ومن كلِّ أصل طُرفًا ونتفًا، ومن كلِّ بابٍ لمُعًا، على حسب ما سنح به الحال، ومكّنَ منه الوقت، وجادَ به الحقُّ جلَّ ذكره؛ مُقتديًا بالأُسوة والقدوةِ والبيانِ الحُجّة.

ينظر[1] الناظرُ فيه عند تيقُّظٍ وتنبّهٍ وحضورِ قلبٍ وفراغِ نفسٍ، بحسن التوقّف والتفكّر والتأمّل والتدبّر، بخلوص النيّة، وطهارةِ القلب، وصحة القصد، مُتقرّبًا إلى الله تعالى ذكره، وشاكرًا له على ما منحَهُ من تسديدِهِ وتوفيقه وهدايته إلى موالاةِ هذه العصابة، ومناوأة من بسط لسانه فيها بالوقيعة فيهم، والإنكار عليهم، وعلى سلفهم الماضين، رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين؛ لأنَّهم العصابة القليلةُ عددُها، العظيم عندالله قَدَرُها وخطرَها.

وينبغي للعاقل في عصرنا هذا أن يعرفَ شيئًا من أصول هذه العصابة وقصودهم، وطريقة أهل الصحة والفضل والصدق منهم، حتى يميّز بينهم وبين المُتشبّهين بهم، والمُلتبسين[2] بلبسهم، والمُتسمِّين باسمهم، حتى

---

(١) في (ن) و(غ): فينظر.

(٢) في (ن) و(ع): المتلبسين.

لا يغلطَ ولا يأثم؛ لأن هذه العصابة أعني الصوفية هم أمناءُ الله، جل وعزَّ، في أرضه، وخزنةُ أسراره وعلمه، وصفوتُهُ من خلقه، فهم عبادُهُ المُخلصون، وأولياؤه المتّقون، ونُجباؤه الصادقون[(١)] الصالحون، منهم الأخيار والسابقون، والأبرارُ والمُقرّبون، والبُدلاء والصدّيقون. هم الذين أحيا الله بمعرفتِهِ قلوبَهم، وزيّنَ بخدمته جوارحَهم، وألهجَ بذكرِهِ ألسنتهم، وطهّر بمُراقبته أسرارهم، سبقَ لهم منه الحسنى بحُسنِ الرعاية ودوام العناية، فتوَّجَهُم بتاج الولاية، وألبسَهُمْ حُلل الهداية، وأقبلَ بقلوبهم عليه تعطُّفًا، وجمعهم بين يديه تلطُّفًا، فاستغنوا به عمَّا سواه، وآثروه على ما دونه[(٢)]، وانقطعوا إليه، وتوكّلوا عليه، وعكفوا ببابه، ورضوا بقضائه، وصبروا على بلائه، وفارقوا فيه الأوطان، وهَجروا له الإخوان، وتركوا من أجله الأنساب والأسباب[(٣)] / وقطعوا فيه العلائق، وهربوا من الخلائق، مُستأنسين به، [٤] مستوحشين ممّا سواه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤] ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ...﴾ الآية [فاطر: ٣٢] ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ...﴾ الآية [النمل: ٥٩].

واعلم أنّ في زماننا هذا قد كثُرَ الخائضون في علوم هذه الطائفة، وقد كَثُرَ أيضًا المتشَبِّهون بأهلِ التصوف، والمُشيرون إليها والمجيبون عنها وعن مسائلها، وكلُّ واحدٍ منهم يُضيفُ إلى نفسه كتابًا قد زخرفه، وكلامًا قد قطَفهُ، وجوابًا قد ألَّفهُ[(٤)]، وليس بمستحسنٍ منهم ذلك؛ لأنَّ الأوائل والمشايخ الذين تكلَّموا في هذه المسائل، وأشاروا إلى هذه الإشارات، ونطقوا بهذه الحِكَم، إنَّما تكلَّموا بعد قطع العلائق، وإماتةِ النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق، والمبادرة

---

(١) في هامش الأصل: في نسخة: (وأحبّاؤه الصادقون).
(٢) في هامش الأصل: في نسخة: (على من دونه).
(٣) كلمة: «والأسباب» ليست في (ع).
(٤) في (ن) زخرفه وكلامًا [قد لفَّه وجوابًا قد] ألفه. وفي (ع): زخرفه، وكلامًا ألفه.

والاستباق[١] إلى قطع كلِّ علاقةٍ قطعتهم عن الله عزَّ وجلَّ طرفةَ عينٍ، وقاموا بشرطِ العلم، ثم عملوا به، ثم تحقَّقوا في العمل، فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل.

قال أبو نصر رحمه الله: وقد حذفْتُ الأسانيد عن كثيرٍ ممّا ذكرت في هذا الكتاب، واقتصرتُ على مُتونِ الأخبار، والحكاياتِ والآثار للاختصار، فما أَصبتُ من ذلك فبعنايةِ الله عزَّ وجلَّ، والحمد لله على ذلك، وما أخطأتُ في ذلك ووقعَ فيه شيءٌ من الزيادة والنقصان فهو لازمٌ لي، وأنا أستغفرُ الله من ذلك.

وإنَّما ذكرتُ في كتابي هذا أجوبةَ هؤلاء المتقدِّمين وألفاظهم لأنَّ لي فيها غنيةً عن تكلّفي كتكلفِ المتأخِّرين في زماننا هذا، إذا تكلّموا في هذه المعاني بكلامٍ، أو أجابوا عنها بجوابٍ، أو أضافوا ذلك إلى أنفسهم، وهم مُتعرُون عن حقائقهم وأحوالهم.

وكلُّ مَنْ أخذَ من كلام المتقدِّمين الذين وصفناهم معنىً من معانيهم التي هي أحوالهم ووجدهم ومستنبطاتهم، وحلاّها من عنده بحلية غير ذلك، أو كساها عبارةً أُخرى، أو أضافها إلى نفسه حتى يُشارَ إليه بذلك، أو يطلب بذلك جاهًا عند العامّة، أو يُريدُ أن يصرف بذلك وجوه الناس إليه لجرّ منفعةٍ، أو لدفع مضرّةٍ، فالله[٢] عزَّ وجلَّ خصمُهُ في ذلك وهو حسيبه، لأنّه قد ترك الأمانةَ وعمل بالخيانة، وهذه أعظمُ وأكبرُ من الخيانة التي في أسباب الدنيا، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[٣] [يوسف: ٥٢]. وبالله التوفيق.

* * *

(١) المثبت في (ن) و(ع): والمبادرة والاشتياق.
(٢) في (ع) فإنه عز وجل.
(٣) في الأصل: والله لا يهدي.

باب البيان عن علم التصوف ومذهب الصوفية ومنزلتهم من أولي العلم القائمين بالقسط

قال الشيخ أبو نصر: سألني سائلٌ عن البيان عن علم التصوف، ومذهب الصوفية، وزعم أنَّ الناسَ اختلفوا في ذلك: فمنهم من يغلو في تفضيله ورفعه فوق مرتبته، ومنهم من يُخرجه عن حدّ المعقول والتحصيل، ومنهم من يرى أن ذلك ضربٌ من اللهو واللعب وقلّة المبالاة بالجهل، ومنهم من ينسبُ ذلك إلى التقوى والتقشّف ولبس الصوف والتكلفُ في تنوّق الكلام واللباس وغير ذلك، ومنهم من يُسرف في الطعن وقبح المقال فيهم حتى يَنسبَهُم إلى الزندقة والضلالة؛ فسألني أن أشرحَ له من ذلك ما صحَّ عندي من أصول مذهبهم المؤيّد المنوط بمتابعة كتاب الله عزَّ وجلَّ، والاقتداءِ برسول الله ﷺ، والتخلُّقِ بأخلاق الصحابة والتابعين، والتأدّب بآداب عباد الله الصالحين، وأقيّد ذلك بالكتاب والأثر بالحجّة، ليحقَّ الحقّ ويُبطل الباطل، ويُعرفَ الجدُّ من الهزل، والصَّحيحُ من السقيم، ويرتّب كلّ نوعٍ منه في موضعه[1] إذ كان ذلك علمًا من علوم الدين، فأقول وبالله التوفيق:

إنَّ الله تبارك وتعالى أحكمَ أساسَ الدين، وأزالَ الشُّبهةَ عن قلوب المؤمنين بما أمرهم به من الاعتصام بكتابه، والتمسُّك بما وصل إليهم من خطابه، إذ يقول جلّ جلاله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ . . .﴾ الآية [آل عمران: ١٠٣]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] ثم ذكر الله تعالى/ أفضلَ المؤمنين درجةً وأعلاهم في الدين رتبةً، فذكرهم بعد ملائكته، وشهد على شهادتهم له بالوحدانية بعدما بدأ بنفسه وثنّى بملائكته، [٥]

(١) في هامش الأصل: في منزلته ومراتبه.

فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨] ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «العلماء ورثة الأنبياء»(١).

وعندي، واللهُ أعلم، أنَّ أُولي العلم القائمين بالقسط الذين هم ورثة الأنبياء، هم المُعتصمون بكتاب الله تعالى، المجتهدون في متابعة رسول الله ﷺ، المقتدون بالصحابة والتابعين، السالكون سبيلَ أوليائه المُتَّقين وعباده الصالحين، هم ثلاثةُ أصناف: أصحابُ الحديث، والفقهاء، والصوفية، فهؤلاء الثلاثة الأصناف(٢) الثلاثة من أُولي العلم القائمين بالقسط الذين هم ورثةُ الأنبياء.

وكذلك أنواعُ العلوم كثيرة: فعلمُ الدين من ذلك ثلاثٌ(٣): علمُ القرآن، وعلم السُّنن والبيان، وعلم حقائق الإيمان، وهي العلومُ المُتداولةُ بين هؤلاء الأصناف الثلاثة، وجملةُ علوم الدين لا تخرج عن ثلاثٍ: آيةٍ(٤) من كتاب الله عزَّ وجلَّ، أو خبرٍ عن رسول الله ﷺ، أو حكمة مستنبطةٍ خطرتْ على قلبِ وليٍّ من أولياء الله تعالى.

وأصل ذلك حديثُ الإيمان، حيث سأل جبريلُ عليه السلام النبيَّ ﷺ عن أصول ثلاثٍ: عن الإسلامِ والإيمان، والإحسانِ الظاهر والباطن، والحقيقة، فالإسلامُ ظاهرٌ، والإيمانُ ظاهرٌ وباطن، والإحسان حقيقة الظاهر والباطن، وهو قولُ النبيِّ ﷺ: «الإحسان أن تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراه، فإنْ لم تكنْ تراه فإنّه يراك»(٥)، وصدَّقه على ذلك جبريل.

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١، ٣٦٤٢) والترمذي (٢٦٨٢) وأحمد في المسند ٥/١٩٦، وابن ماجه (٢٢٣) والدارمي (٣٤٢) وابن حبان (٨٨)، وهو حديث صحيح.

(٢) في (ع): فهؤلاء هم الأصناف من أولي.

(٣) في هامش الأصل، والمثبت في (ن) و(ع): من ذلك ثلاثة علوم.

(٤) في (ع): ثلاث: آيات.

(٥) أخرجه البخاري (٥٠) و(٤٧٧٧)، ومسلم (٩) و(١٠)، وأبو داود (٤٦٩٨) والنسائي (٤٩٩١)، وابن ماجه (٦٤) و(٤٠٤٤)، والإمام أحمد في المسند ٢/٤٢٦. وهو جزء من حديث جبريل عليه السلام المشهور الذي سأل فيه رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان.

والعلمُ مقرونٌ بالعمل، والعملُ مقرونٌ بالإخلاص، والإخلاصُ أن يُريدَ العبدُ بعلمه وجهَ الله تعالى.

وهؤلاء الثلاثة الأصناف في العلم والعمل مُتفاوتون، وفي مَقاصدهم ودرجاتهم مُتفاضلون، وقد ذكر الله تعالى تفاضلهم ودرجاتهم، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجادلة: ١١] وقال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾ [الأنعام: ١٣٢] وقال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [الإسراء: ٢١]، وقال النبي ﷺ: «الناس أكفاء مُتساوون كأسنان المشط، لا فضلَ لأحدٍ على أحد إلاَّ بالعلم والتقى»[١].

فكلُّ من أشكل عليه أصلٌ من أصول الدين وفروعه وحقوقه وحقائقه وحدوده وأحكامه ظاهرًا وباطنًا فلا بدَّ له من الرُّجوع إلى هؤلاء الأصناف الثلاثة: أصحابِ الحديث، والفقهاءِ، والصوفية؛ وكلُّ صنفٍ من هؤلاء مترسِّمٌ بنوع من العلم والعمل، والحقيقة والحال، ولكلِّ صنفٍ منهم في معناه علم وعمل، ومقام ومقال، وفهم ومكان، وفقه وبيان؛ علمَهُ من علمه وجهلَهُ من جهله، ولا يبلغ أحدٌ إلى كمالٍ يحوي جميع العلوم والأعمال والأحوال، وكلُّ واحدٍ فمقامُهُ حيثُ أوقفه[٢] الله تعالى، ومحلُّه حيث حبسه الله عزَّ وجلَّ، وأنا أبيِّن لك من ذلك إن شاء الله تعالى على حسب الطاقة أنَّ كلَّ صنفٍ من هؤلاء بأيِّ نوعٍ من العلم والعملِ ترسَّموا، وبأيِّ حالٍ تفاضلوا، وأيُّهم أعلى طبقةً بما لا يدفعه عقلك ويحيطُ به فهمك إن شاء الله تعالى.

* * *

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا ٢/ ٤٥١ (٢٨٤٧)، وقال: أخرجه الديلمي عن سهل بن سعد، وله عن أنس: الناس مستوون كأسنان المشط، ليس لأحد على أحدٍ فضل إلاَّ بتقوى الله.

(٢) في (ع): حيث وقفه.

باب في نعت طبقات أصحاب الحديث ورَسْمهم في النقل ومعرفة الحديث، وتخصيصهم بعلمه

قال الشيخ رحمه الله: فأمّا أصحابُ الحديث فإنّهم تعلّقوا بظاهر حديث رسول الله ﷺ، وقالوا: هذا أساس الدين؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] فلمّا خُوطبوا بذلك جوّلوا البلاد، وطلبوا رواة الحديث، فلزموهم حتى نقلوا عنهم أخبارَ رسول الله ﷺ، وجمعوا ما رُوي عن الصحابة والتابعين، وضَبطوا ما وصلَ إليهم من سيرهم وآثارهم ومذاهبهم، واختلافهم في أحكامهم وأقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم وأحوالهم، وصحّحوا رواياتهم بسماع الأُذن وحفظِ/ [٦] القلب، والضبط من أصول الثقات العدول عن العدول، فأتقنوا ذلك، وعرفوا أماكن الرُّواة في النقل والضبط، ودوّنوا أسماءهم وكُناهم ومواليدهم ووفاتهم، وأرّخوا ذلك حتى عرفوا أنَّ كلَّ رجلٍ مِنْ هؤلاء: كم من حديثٍ رواه، وعمّن رواه، وعمَّن نُقل إليه ذلك، ومَنْ أخطأ منهم في النقل، ومن غلِطَ منهم في زيادةِ حرفٍ أو نقصانِ لفظةٍ، ومَنْ تعمّد منهم في ذلك، ومَنْ سُومح له بغلطةٍ أو هفوةٍ، حتى عرفوا أسماءَ المُتَّهمين منهم بالكذب على رسول الله ﷺ، وعرفوا مَنْ تصحُّ عنه الرواية ومَنْ لا تصحُّ، ومَن اِنفردَ منهم بحديثٍ لا يرويه غيرُهُ، أو انفردَ بلفظةٍ ليست عند غيره، فحفظوا أنَّ كلَّ حديثٍ من ذلك كم من نَفْسٍ رواه، وما العلّةُ في ناقِلِهِ؟[١] حتى جمعوا الأبواب، وبوَّبوا السُّنن، وميّزوا ما يدخلُ في الصحيح، وما يُختلفُ في صحّتِهِ، وما كان في روايتِهِ رجلٌ ضعيف، ووقفوا على رواية المقلّين والمُكثرين، وفهموا أحاديثَ أئمةِ الأمصار، وطبقات الرّواة: التابع من

---

(١) في الأصل فوق كلمة (ناقلة) كتب: ناقلها.

المتبوع، والكبير من الصغير، وأحاط علمُهم بعلل اختلاف الرواة، وزياداتهم ونقصانهم، وأماكنهم، في رواية السُّنن والآثار، إذ كان ذلك أساسَ الدين.

وهم في ذلك مُتفاضلون حتى يستحقَّ أحدُهم بزيادةِ علمه وإتقانه، وحفظه قبولَ الشهادة على العلماء في العدل والتجريح، والردَّ والقبول؛ وتكون شهادتُهُ مقبولةً على رسول الله ﷺ فيما قال وفعل، وأَمَرَ ونهى، وندب ودعا؛ قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي عدولاً ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ يُقال: إنهم أصحابُ الحديث، يشهدونَ على رسول الله ﷺ وعلى الصحابة والتابعين فيما قالوا وفعلوا ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣] فيما شهدوا عليه من أفعاله وأقواله وأحواله وأخلاقه، قال النبيُّ ﷺ «من كذبَ عليَّ مُتعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النار»[1].

وقال النبيُّ ﷺ: «نضَّرَ اللهُ وجهَ امرىءٍ سمعَ منّي حديثًا فبلّغه...»[2] الحديث. يُقال: إنّه لا يكون واحدٌ من أصحاب الحديث إلاَّ وفي وجهه نضرةٌ؛ لموضع دعاء رسول الله ﷺ.

ولأصحابِ الحديثِ في معاني علومهم ورسومهم مصنَّفاتٌ، ولهم أئمة مشهورون كلٌّ منهم قد أَجمعَ أهلُ عصره على إمامته، لفضل علمه وزيادة عقله وفهمه ودينه وأمانته. وشرحُ ذلك يطول، وفيما ذكرتُ كفايةٌ لمن عَلِمَ، وبالله التوفيق.

* * *

(١) أخرجه البخاري (١١٠) و(٣٤٦١) ومسلم (٣) والترمذي (٢٦٦٩) والحديث له طرق عدة.

(٢) رواه أحمد ٥/١٨٣، والترمذي (٢٦٥٦)، وأبو داود (٣٦٦٠)، وابن ماجه (٢٣٠) و(٤١٠٥)، بسندٍ صحيح.

باب ذكر طبقات الفقهاء وتخصيصهم بما ترسّموا به من أنواع العلوم

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله: وأمّا طبقات الفقهاء فإنّهم فُضّلوا على أصحاب الحديث بقبولِ علوم أصحاب الحديث، والاتّفاق معهم في معاني علومهم ورسومهم.

ثم خُصّوا بالفهم والاستنباط في فقه الحديث، والتعمُّق بدقيق النظر في ترتيب الأحكام، وحدود الدين، وأُصول الشرع، فبيّنوا ذلك، وميّزوا الناسخ من المنسوخ، والأُصولَ من الفروع، والخصوصَ من العموم بالكتاب والسنّة، والإجماع والقياس.

وبيّنوا للخلقِ في أحكام دينهم من القرآن والأثر ما نُسِخَ حكمُهُ وبقي كتابتُهُ، وما نُسِخَ كتابتُهُ وبقي حكمُهُ؛ وما كان لفظُهُ عامًّا المراد به خاصٌّ، أو كان لفظُهُ خاصًّا المرادُ به عامٌّ، أو كان خطابَ جماعةٍ المرادُ به واحد، أو خطاب واحدٍ المراد به جماعةٌ، وتكلّموا بالاحتجاجات العقلية على المخالفين، واستدلُّوا بالبراهين البيّنةِ على أهلِ الضلالة نصرةً للدين، وتمسَّكوا بنصِّ الكتاب، أو نصِّ السُّنة، أو قياسٍ على النصِّ، أو إجماع الأمة، وناظروا مَنْ خالفهم برسم النظر، وجادلوا من جادلهم بأدبِ الجدل، وعارضوا خصمَهُم بالمعارضات، واعترضوا عليهم بردِّ الاعتراضات[1]، واطِّراد العلل في المعلومات، فوضعوا كلَّ شيءٍ في مواضعه، ورتَّبوا كلَّ حدٍ في مراتبه[2]، وفرّقوا بين المقايسة والمشاكلة/ والمجانسة والمقارنة، [٧]
وميّزوا في الأوامر والنواهي ما كان منه حتمًا، وما كان منه ندبًا، وما كان منه

---

(١) في هامش الأصل، وفي نسخة: عليهم بضروب الاعتراضات.

(٢) في الأصل: وفي نسخة: كل شيءٍ في مراتبه.

ترغيبًا وترهيبًا، وما كان منه محثوثًا عليه ومدعوًّا إليه، فبيّنوا المشكل، وحلّوا العقد، وأَوضحوا الطرق، وأَزالوا الشُّبهات، وفرّعوا على الأصول، وشرحوا المُجمل، وبسطوا المجموع، وأخذوا حدودَ الدين بالاحتياط، حتى لا يقلّد العالمُ عالمًا، ولا الجاهلُ جاهلاً، ولا الخاصُّ خاصًّا، ولا العام عامًّا في ظاهر الأحكام، وحدود الشريعة. بهم يُحفظُ على المسلمين حدودهم، وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقال النبيُّ ﷺ: «من يُردِ اللهُ به خيرًا يُفقِّهْهُ في الدِّين»(١).

وللفقهاء في معاني علومهم ورسومهم أيضًا مُصنفاتٌ، ولهم أئمَّةٌ مشهورون، قد أجمعَ أهلُ عصرهم على إمامتهم، لزيادة علمهم وفهمهم(٢) ودينهم وأمانتهم. وشرحُ ذلك يطول، والعاقلُ يستدلُّ بالقليل على الكثير، وبالله التوفيق.

* * *



---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٩٣/٤، والبخاري (٧١) و(٣١١٦) و(٧٣١٢)، ومسلم (١٠٣٧)، وابن ماجه(٢٢١).

(٢) في الأصل: وفي نسخة: علمهم وفقههم ودينهم.

باب ذكر الصوفية وطبقاتهم وما ترسّموا به من العلم والعمل وما خُصّوا به من الفضائل وحسن الشمائل

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله: ثم إنَّ طبقات الصوفية أيضًا اتَّفقوا مع الفقهاء وأصحاب الحديث في معتقداتهم، وقبلوا علومهم، ولم يُخالفوهم في معانيهم ورسومهم، إذا كان ذلك مُجانبًا من البدع واتّباع الهوى، ومنوطًا بالأُسوة والاقتداء، وشاركوهم بالقبول والموافقة في جميع علومهم، ولم يُخالفوهم.

ومن لم يبلغ من الصوفيةِ مراتبَ الفقهاءِ وأصحاب الحديث في الدراية والفهم، ولم يُحطْ بما أحاطوا به علمًا، فإنّهم راجعون إليهم في الوقت الذي يُشْكِلُ عليهم حكمٌ من الأحكام الشرعية، أو حدٌّ من حدود الدين، فإذا اجتمعوا فهم في جملتهم فيما اجتمعوا عليه، فإذا اختلفوا فاستحبابُ الصوفية في مذهبهم الأخذُ بالأحسنِ والأولى، والأتمّ احتياطًا للدين، وتعظيمًا لما أمر الله به عبادة، واجتنابًا لما نهاهم الله عنه.

وليس من مذهبهم النزولُ على الرُخص وطلبُ التأويلات، والميلُ إلى الترفّه والتّوسّعات[1]، وركوب الشبهات، لأنَّ ذلك تهاونٌ بالدين، وتخلّفٌ عن الاحتياط؛ وإنّما مذهبُهم التمسُّكُ بالأولى والأتمّ في أمر الدين، فهذا الذي عرفنا من مذاهب الصوفية ورسومِهم في استعمال العلوم الظاهرة المبذولة المتداولة بين طبقات الفقهاء وأصحاب الحديث.

ثم إنَّهم من بعد ذلك ارتقوا إلى درجاتٍ عالية، وتعلَّقوا بأحوالٍ شريفةٍ، ومنازلَ رفيعةٍ من أنواع العبادات، وحقائق الطاعات والأخلاق الجميلة،

---

(١) في (ن) و(ع): الترفه والسّعات.

ولهم في معاني ذلك تخصيصٌ ليسَ لغيرهم من العلماء والفقهاء وأصحاب الحديث. وشرحُ ذلك يطولُ، غير أنّي أُبيّنُ لك من كلِّ شيءٍ طرفًا حتى تستدلَّ بما أذكره على ما لا أذكره إن شاء الله تعالى.

* * *



باب ذكر تخصيص الصوفية بالمعاني التي قد ترسّموا بها من الآداب والأحوال والعلوم التي تفرّدوا بها من جملة العلماء

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله: فأوّلُ شيءٍ من التخصُّصات للصوفية، وما تفرّدوا بها عن جملةِ هؤلاء الذين ذكرتُهم من بعد أداء الفرائض، واجتناب المحارم: تركُ ما لا يعنيهم، وقطعُ كلِّ علاقةٍ تحولُ بينهم وبين مطلوبهم ومقصودهم؛ إذ ليس لهم مطلوبٌ ولا مقصودٌ غيرَ الله تبارك تعالى؛ ثم لهم آدابٌ وأحوالٌ شتى، فمن ذلك:

القناعةُ بقليلِ الدنيا من كثيرها، والاكتفاءُ بالقوت الذي لا بدَّ منه، والاختصارُ على ما لا بدّ منه من مهنةِ الدنيا: من الملبوسِ، والمفروش، والمأكول، وغير ذلك؛ واختيارُ الفقر على الغنى اختيارًا، ومعانقة القلّة، ومُجانبة الكثرة، وإيثارُ الجوع على الشّبع، والقليلِ على الكثير، وترك العلوّ والترفُّع، وبذل الجاه، والشفقةُ على الخلق، والتواضعُ للصغير والكبير، والإيثارُ في وقت الحاجة إليه، وألاَّ يُبالي مَنْ أكلَ الدُّنيا، وحسنُ الظنِّ بالله، [٨] والإخلاصُ/ في المسابقة إلى الطاعات، والمسارعةُ إلى جميع الخيرات، والتوجُّه إلى الله تعالى، والانقطاعُ إليه، ودوام الإقبال عليه، والعكوفُ على بابه، والصبرُ على بلائه، والرضا بحرِّ قضائه[١]، والصبر على دوامِ المُجاهدة[٢] ومخالفة الهوى، ومجانبةُ حظوظ النفس، والمخالفة لها؛ إذ وصفها الله تعالى بأنها: ﴿لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣]، والنظر إليها بأنها

---

(١) في الأصل: وفي نسخة: بمرّ القضاء.

(٢) في (ع): والانقطاع إليه والعكوف على بلائه، والرضا عن قضائه، والصبر على دوام المجاهدة. وفي (ن) تحرفت أيضًا كلمة (بابه) إلى (بلائه).

«أعَدى عدوِّك التي بين جنبيك»(١)، كما رُوي عن رسول الله ﷺ.

فصل آخر

ثم من آدابهم وشمائلهم أيضًا: مُراعاةُ الأسرار، ومُراقبةُ الملكِ الجبّار، ومُداومةُ المحافظة(٢) على القلوب بنفي الخواطر المذمومة، ومساكنةُ الأفكار الشاغلة(٣) التي لا يعلمُها غيرُ الله عزَّ وجلَّ، حتى يعبدوا الله تعالى بقلوبٍ حاضرة، وهمومٍ جامعة، ونيّاتٍ صادقة، وقصودٍ خالصة؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يقبلُ من عبادهِ مِن أعمالهم إلاّ ما كان لوجهِهِ خالصًا، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

فصل آخر

ومن آدابهم وشمائلهم وتخصيصهم أيضًا: الاعتراضُ لسلوك سُبُلِ أوليائه، والنزولُ في منازل أصفيائه، ومباشرةُ حقيقة الحقوق ببذل الروح وتلف النفس، واختيار الموت على الحياة، وإيثارُ الذُّلِّ على العزِّ، واستحبابُ الشدّةِ على الرخاء طمعًا في الوصول إلى المُراد، وألاّ يريدَ إلاّ ما يُريدُ.

وهذا في أول بادٍ من بوادي ركوب الحقائق(٤) وحقيقة الحقوق، أما ترى أن النبيَّ ﷺ حيث سأل حارثة، فقال: «لكلِّ حقٍّ حقيقةٌ، فما حقيقة

---

(١) أخرجه البيهقي في الزهد (٣٤٣) ص١٥٧ عن ابن عباس، قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٣/ ٤: وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين، وأخرجه العسكري في الأمثال من حديث طويل عن سعيد بن أبي هلال مرسلاً. كما ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ٤/ ٤٣١.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: ودوام المحافظة.

(٣) في هامش الأصل: الأفكار المشغلة.

(٤) في (ع) و(ن): من بوادي الحقائق.

إيمانك؟» بأيِّ شيءٍ أجابه، فقال: عزفتْ نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكأنيّ أنظرُ إلى عرشِ ربّي بارزًا، وكأنّي أنظرُ إلى أهل الجنة كيف يتزاورون، وإلى أهل النار في النار كيف يَتعاوونَ. فقال النبي ﷺ: «عرفت فالزم»[1] أو كما رُوي في الحديث، والله أعلم.

* * *



(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٣١٤)، وعبد الرزاق في المصنف (٢٠١١٤) والبيهقي في الشعب ٧/ ٣٦٣، والطبراني في المعجم الكبير ٣/ ٣٣٦٧، وابن أبي شيبة في المصنف ١٥/ (٣١٠٦٤). قال البيهقي في الشعب: هذه القصة في الحارث بن مالك، ويقال حارثة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٨٩، وفيه ابن لهيعة، وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه.

باب في تخصيص الصوفية من طبقات أهل العلم في معانٍ أخر من العلم

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله: وللصوفية أيضًا تخصيصٌ من طبقات أهل العلم باستعمال آياتٍ من كتاب الله تعالى متلوَّةٍ[١]، وأخبارٍ عن رسول الله ﷺ مروية، ما نسخَتْها آيةٌ، وما رَفَعَ حكمَها خبرٌ ولا أثر، يدعو ذلك إلى مكارمِ الأخلاق، ويحثُّ على معالي[٢] الأحوال وفضائل الأعمال، وينبىء عن مقامات عاليةٍ في الدين، ومنازلَ رفيعةٍ خُصَّ بذلك طائفةٌ من المؤمنين، وتعلّق بذلك جماعةٌ من الصحابة والتابعين، وذلك أدبٌ من آداب الرسول ﷺ، وخُلقٌ من أخلاقه، إذ يقول ﷺ: «إنَّ الله أدَّبني فأحسنَ أدبي»[٣]، وإذ يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وذلك موجودٌ في دواوين العلماء والفقهاء، وليس لهم في ذلك تَفَقُّهٌ واستنباط[٤] كتفقُّهِهِم في سائر العلوم، وليس لغير الصوفية من أُولي العلم القائمين بالقسط في ذلك نصيبٌ غيرَ الإقرار به والإيمان بأنه حقٌّ، وذلك مثل حقائق التوبة وصفاتهاومقامها[٥]، ودرجات التائبين وحقائقهم، ودقائق الورع وأحوال الورعين، وطبقات المتوكّلين، ومقامات الراضين، ودرجات

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: كتاب الله تعالى بيّنة.

(٢) في (ع): ويبحث عن المعالي.

(٣) رواه العسكري عن علي رضي الله عنه بسند ضعيف جدًا، واقتصر ابن حجر على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه، ولكن معناه صحيح. وأخرجه ابن السمعاني في أدب الإملاء بسند منقطع عن ابن مسعود، وذكره ابن الجوزي في الأحاديث الواهية وقال: لا يصح، ففي إسناده ضعفاء لا مجاهيل. وقال ابن تيمية: وبالجملة لا يعرف له سند ثابت. انظر فيض القدير ١/ ٢٢٤، كشف الخفا ١/ ٧٢ (١٦٤).

(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: ومستنبطات.

(٥) قوله (ومقامها) ليس في (ع).

الصابرين، وكذلك في باب الخشيةِ والخضوع، والمحبّةِ والخوف، والرجاء والشوق، والمشاهدة والإنابة، والطمأنينة واليقين(١) والقناعة.

وهذه أحوالٌ أكثر من أن يُحصى عددُها؛ ولكلِّ حالٍ من ذلك أهلٌ وطبقات، ولهم في ذلك حقائقُ ومشاهداتٌ، وأحوالٌ ومراقبات، وأسرار واجتهادات، ومقاماتٌ ودرجاتٌ مُتباينات، وإراداتٌ متفاوتة، وتفاضلٌ في قوة الإرادة، واعتراض الفترة، وغلبات الوجد؛ ولكلِّ واحدٍ من ذلك حدٌّ ومقام، وعلمٌ وبيان، على مقدار ما قُسم له من الله عزَّ وجلَّ(٢).

فصل

وللصوفية أيضًا تخصيصٌ في معرفة الحرص والأمل ودقائقهما، ومعرفة النفس وأماراتها وخواطرها، ودقائق الرياء والشهوة الخفية، والشرك [٩] الخفي، وكيف الخلاص من ذلك، وكيف وجه الإنابة/ إلى الله عزَّ وجلَّ، وصدق الالتجاء، ودوام الافتقار، والتسليم والتفويض، والتبرّي من الحول والقوة.

فصل آخر

وللصوفية أيضًا مُستنبطاتٌ في علوم مُشكلةٍ على فهوم الفقهاء والعلماء، لأنَّ ذلك لطائفُ مُودعةٌ في إشاراتٍ لهم تخفى في العبارة من دقّتها ولطافتها؛ وذلك في معنى العوارضِ والعوائق، والعلائقِ والحُجبِ، وخبايا السرِّ، ومقاماتِ الإخلاص، وأحوالِ المعارف، وحقائق الأذكار، ودرجات

(١) في (ع): والطمأنينة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] واليقين والقناعة ومدة أحوال.

(٢) في (ع) زيادة هي: ومن أعظم النعم التي اختصوا بها دوام المراقبة، وهي التحقق بمقام الإحسان.

القُرب، وتجريد التوحيد، ومنازل التفريد، وحقائق[1] العبودية، ومحو الكون بالأزل، وتلاشي المُحْدَثِ إذا قُورن بالقديم، وفناء رؤية الأعواض[2]، وبقاء رؤية المعطي بفناء رؤية العطاء، وعبور الأحوال والمقامات، وجمع المتفرّقات، وفناء رؤية القصد ببقاء رؤية المقصود، والإعراض عن رؤية الأعواض، وترك الاعتراض، والهجوم على سلوك سُبُلٍ مُنطمسة، وعبور مفاوزَ مهلكةٍ.

فالصوفية مخصوصون من أُولي العلم القائمين بالقسط بحلّ هذه العُقَدِ، والوقوفِ على المُشكل مِن ذلك، والممارسة لها بالمنازلة والمباشرة، والهجوم عليها ببذل المُهج، حتى أنهم يُخبروا عن طعمها وذوقها ونقصانِها وزيادتها، ويطالبون من يدّعي حالاً منها بدلائلها، ويتكلّمون في صحيحها وسقيمها، وهذا أكثر من أن يتهيّأ لأحدٍ أن يذكر قليله؛ إذ لا سبيل إلى كثيره.

وجميع ذلك موجودٌ علمُهُ في كتاب اللهِ عزَّ وجلَّ، وفي أخبارِ رسول الله ﷺ، مفهومٌ عند أهله، ولا يُنكِرُهُ العلماء إذا استبحثوا عن ذلك.

وإنّما أنكرَ علمَ التصوّف جماعةٌ من المترسّمين بعلمِ الظاهر؛ لأنّهم لم يعرفوا من كتاب الله تعالى، ولا من أخبار رسول الله ﷺ إلاّ ما كان في الأحكام الظاهرة، وما يصلحُ للاحتجاج على المُخالفين، والناسُ في زماننا هذا إلى مثلِ ذلك أميلُ؛ لأنّه أقربُ إلى طلب الرياسة، واتّخاذ الجاه عند العامة، والوصول إلى الدنيا.

وقلَّ مَنْ تراه يشتغل بهذا العلم الذي ذكرنا؛ لأنّ هذا علمُ الخصوصِ، ممزوجٌ بالمرارة والغُصص، وسماعُهُ يُضعف الرُّكبتَيْنِ، ويُحزن القلب، ويُدمع العين، ويُصغّرُ العظيم، ويعظّمُ الصغير، فكيف استعمالُهُ ومباشرته،

(١) في (ع): وأحوال المعارف وحقائق العبودية. وما بينهما ساقط.
(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: رؤية الأشخاص.

وذوقُهُ ومنازلته؟ وليس للنفس[١] في مُنازلته حظٌّ؛ لأنها منوطة بإماتة[٢] النفوس، وفقدِ الحُسوس، ومُجانبة المراد، فمن أجل ذلك تركَ العلماءُ هذا العلم، واشتغلوا باستعمال علمٍ يُخففُ عليهم المؤن، ويَحثُّهم على التوسيع والرُّخص والتأويلات، و يكون أَقربَ إلى حظوظ البشرية، وأخفَّ تحمُّلاً على النفوس[٣] التي جُبلتْ على مُتابعة الحظوظ، والمنُافرة عن الحقوق، والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *



(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: وليس للنفوس.

(٢) في(ع) و(ن): منوطة بأمانة.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: وأخفُّ محملة على النفوس.

باب الردّ على من زعم أنّ الصوفية قومٌ جَهَلة وليس لعلم التصوف دلالةٌ من الكتاب والأثر

قال الشيخ الإمام أبو نصر رحمه الله: لا خلافَ بين الأمة أنّ الله[١] تبارك وتعالى ذكر في كتابه: الصادقين والصادقات، والقانتين والقانتات، والخاشعين، والمُوقنين، والمُخلصين، والمحسنين[٢]، والخائفين، والراجين، والوجلين[٣]، والعابدين، والسائحين، والصابرين، والراضين، والمتوكّلين، والمُخبتين، والأولياء، والمُتّقين، والمصطفين، والمجتبين، والأبرار، والمقرّبين.

وقد ذكر الله تعالى المشاهدين فقال: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

وذكر الله المُطمئنّين فقال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

وذكر الله تعالى السابقين، والمقتصدين، والمسارعين إلى الخيرات.

وقال النبيُّ ﷺ: «إنّ من أُمّتي مُكلّمين ومحدَّثين[٤]، وإن عُمرَ منهم»[٥]

وقال النبيُّ ﷺ: «رُبَّ أشعثَ أغبر ذي طمرَيْنِ، لو أقسمَ على الله لأبرَّهُ، وإنَّ البراء منهم»[٦].

---

(١) في (ن): بين الأئمة. وفي (ع): بين الأئمة في أنّ الله.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: والمحبّين.

(٣) في (ع): والواجلين.

(٤) رواه البخاري (٣٦٨٩) مسندًا ومعلقًا، و(٣٤٦٩)، ومسلم (٢٣٩٨)، وأحمد في المسند ٢/٣٣٩. قال ابن الأثير في جامع الأصول، شرح غريب الحديث رقم (٦٤٣٤): محدَّثون: أقوام يُصيبون إذا ظَنُّوا وحَدَسوا، فكأنّهم قد حُدِّثوا بما قالوا، والمحدَّث: الملهم.

(٥) في هامش الأصل: وفي نسخة: وليس للنفوس.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٢٢) و(٢٨٥٤) والترمذي في سننه(٣٨٥٤). والطمر: =

وقال ﷺ لوابصة: «استفت قلبك»(١) ولم يقلْ لأحدٍ غيره ذلك.

وقال النبيُّ ﷺ: «يدخلُ بشفاعة رجلٍ من أُمّتي الجنَّةَ مثلُ ربيعةَ ومُضرَ، يقال له أُويس القرني»(٢).

وفي الحديث: «إنَّ في أمّتي من إذا قرأَ أُريتُ أنَّه(٣) يخشى اللهَ تعالى، وإنَّ طَلْقَ بنَ حبيب منهم»(٤).

[١٠] وقول النبيِّ ﷺ/: «يدخلُ من أمّتي الجنّةَ سبعون ألفًا بلا حساب» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يَكْتوون ولا يَسْترقون، وعلى ربهم يتوكَّلون»(٥) والآيات والآثار والأخبار في مثل هذا تكثر.

ولا خلافَ أنَّ هؤلاء كلَّهم في أمّة محمد ﷺ، ولو لم يكونوا في الأُمّة

= الثوب الخلق، وذو الطمرين: الذي عليه ثوبان خلقان.

(١) جاء وابصة بن معبد إلى رسول الله ﷺ سائلاً، فقال له ﷺ: «يا وابصة، أُخبرك ما جئتَ تسألني عنه، أو تسألني؟» فقلت: يا رسول الله، فأخبرني. قال: «جئت تسألني عن البر والإثم» قلت: نعم. فجمع أصابعه الثلاث، فجعل ينكت بها في صدري، ويقول: «يا وابصة، استفت نفسك، البر ما اطمأنَّ إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في القلب، وتردَّد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك» حديث إسناده ضعيف جدًا، أخرجه البخاري في التاريخ ١/ ١٤٤، والبيهقي في الدلائل ٦/ ٢٩٢، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٢٤، ٦/ ٢٥٥، والدارمي (٢٥٣٣)، وأبو يعلى (١٥٨٦، ١٥٨٧) والطبراني في الكبير ٢٢/ (٤٠٣)، وأحمد في المسند ٤/ ٢٨٨.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٤٠٥، ٤٠٨ وقال عنه صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وانظر الحلية ٢/ ٨٢، والمصنف لابن أبي شيبة ٦/ ٣٩٧، ومسند الشاميين للطبراني ٢/ ١٤٧، والمعجم الكبير ٨/ ١٤٣، ٢٣٥.

(٣) في (ع): قرأ ريت أنه.

(٤) كذا في الأصل، وكأنه حديث، والخبر في حلة الأولياء ٣/ ٦٤، وتهذيب الكمال ١٣/ ٤٥٢، وطبقات المناوي ٤/ ٣٥٥: عن عبد الكريم أبي أمية عن طلق قال: أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله عز وجلّ. قال عبد الكريم: وكان طلق كذلك.

(٥) رواه البخاري (٦٥٤١) ومسلم (٢٢٠).

موجودين، واستحال كونهم في كلِّ وقتٍ، لم يذكرْهُم الله تعالى في كتابه، ولم يَصفْهم رسول الله ﷺ.

ولمّا رأينا أنَّ اسمَ الإيمان قد شمل جميع المؤمنين، وأُفردوا هؤلاء بأسماء مختصّةٍ من ذلك، دلَّ ذلك على تخصيصهم من عامّة المؤمنين الذين شملهم اسم الإيمان، ولا يختلفُ أحدٌ من الأئمة أنَّ الأنبياء عليهم السلام الذين هم أَعلى درجةً من هؤلاء، وأقربُ منزلةً عند الله تعالى منهم، أنَّهم كانوا بشرًا، يجري عليهم ما يَجري على سائر البشر من الأكلِ والنوم والحوادث.

وإنَّما وقع التخصيص للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، ولسائر هؤلاء الذين ذكرتهم لسرٍّ بينهم وبين معبودِهِم، ولزيادة يقينهم وإيمانهم بما خاطبهم الله تعالى به، وندبهم إليه، إلاّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنّهم يَنفردون عن هؤلاء بتخصيصِ الوحي والرسالة ودلائل النبوّة، فلا يجوز لأحدٍ أن يُزاحمهم في ذلك، والله أعلم بالصواب.

* * *

باب في ذكر اعتراض الصوفية على المُتفقّهة وبيان الفقه في الدين، ووجه ذلك بالحجّة

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله: رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ يُرِدِ الله به خيرًا يُفقهْهُ في الدين»(١).

وبلغني عن الحسن البصري رحمه الله أنه قيل له: فلانٌ فقيه. فقال الحسن: وهل رأيت فقيهًا قط!؟ إنّما الفقيهُ الزاهد في الدنيا، الراغبُ في الآخرة، البصيرُ بأمر دينه.

وقول الله تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فالدين اسمٌ يشتملُ على جميع الأحكام ظاهرًا وباطنًا.

وليس التفقّه في أحكام هذه الأحوال، ومعاني هذه المقامات التي تقدّم ذكرها بأقلّ فائدةً من التفقُّه في أحكام الطلاق والعتاق والظهار، والقِصاص والقسامة والحدود، لأنّ تلك أحكامٌ ربّما لا تقع في العمر حادثةٌ تحتاج إلى علم ذلك، فإذا وقعتْ تلك الحادثة، فمن سأل عنها قيل في ذلك(٢)، وأخذ بقول بعضِ الفقهاء، فقد سقطَ عنه فرضُ ذلك إلى أن تقع به حادثةٌ أخرى.

وهذه الأحوال والمقامات والمجاهدات التي يتفقّهون فيها الصوفية(٣)، ويتكلّمون في حقائقها، فالمؤمنون مندوبون إلى ذلك(٤)، ومعرفة ذلك واجبٌ عليهم(٥)، وليس لذلك وقتٌ مخصوصٌ دون وقت، وذلك مثلُ

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٣).
(٢) المثبت في (ن): سأل عنها قَلَّدَ في ذلك.
(٣) (يتفقهون فيها الصوفية) على لغة: أكلوني البراغيث. وفي (ع): التي يتفقه.
(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: فالمؤمنون مفتقرون.
(٥) في (ع): واجبة عليهم.

الصدق والإخلاص والذكر، ومُجانبة الغفلة وغير ذلك ليس لها وقتٌ معلوم، بل يجبُ على العبد في كلِّ لحظةٍ وخطرةٍ أن يعلمَ أيشٍ قصده وإرادته وخاطره، فإن كان حقًّا من الحقوق فواجبٌ عليه أن يلزمه، وإنْ كان حظًّا من الحظوظ فواجبٌ عليه مُجانبته؛ قال الله تعالى لنبيّه وصفيّه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

فمن ترك حالاً من هذه الأحوال ما تركها إلاّ من غلبة الغفلةِ على قلبه.

واعلم أن مُستنبطاتِ الصوفية في معاني هذه العلوم، ومعرفة دقائقها وحقائقها ينبغي أن تكونَ أكثرَ من مُستنبطات الفقهاء في معاني أحكام الظاهر، لأنَّ هذا العلم ليس له نهاية، لأنَّه إشاراتٌ وبوادٍ وخواطرُ وعطايا وهباتٌ يغرفُها أهلُها من بحرِ العطاء، وسائرُ العلوم لها حدٌّ محدود، وجميعُ العلوم يؤدّي إلى علم التصوف، وعلمُ التصوف لا يُؤدّي إلاّ إلى نوعٍ من علم التصوف، وليس له نهاية؛ لأنَّ المقصودَ ليس له غاية، وهو علمُ الفتوح، يفتحُ اللهُ تعالى على قلوبِ أوليائه في فهم كلامه، ومستنبطات أحكامه[1] ما شاء، كيف شاء، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]/ والزيادةُ من الله تعالى لا نهاية لها، [١١]
والشكرُ نعمةٌ تستوجبُ شكرًا مُستوجبًا لمزيدٍ لا نهاية له، وبالله التوفيق. والله أعلم.

* * *

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: ومستنبطات خطابه.

باب ذكر جواز التخصيص في علوم الدين وتخصيص كلِّ علمٍ بأهله، والرد على من أنكر علمًا برأيه ولم يدفع ذلك إلى أهله وإلى من يكون ذلك من شأنه

قال الشيخ الإمام أبو نصر رحمه الله: أنكرتْ جماعةٌ من العلماء أن يكونَ في علم الشريعة تخصيصٌ، ولا خلاف بين هذه الأمة أنَّ الله تعالى أمرَ رسولَهُ ﷺ بإبلاغ ما أنزلَ عليه فقال: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا»[١] فلو كانَ الذي عَلِمَ ممّا لا يعلمون من العلوم التي أمره بالإبلاغ، لأبلغ، ولو جازَ لأصحابه أن يسألوه عن ذلك العلم لسألوه.

ولا خلافَ بين أهل العلم أن في أصحاب رسول الله ﷺ من كان مَخصوصًا بنوعٍ من العلم، كما كان حُذيفة مخصوصًا بعلم أسماء المنافقين، كان قد أسرّه إليه رسول الله ﷺ، حتى كان يسألُهُ عمرُ رضي الله عنه فيقول: هل أنا منهم؟[٢].

ورُوي عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: علّمَني رسول الله ﷺ سبعين بابًا من العلم، لم يُعلّمْ ذلك أحدًا غيري[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٦٢، والبخاري (٦٤٨٥) و(٦٦٣٧) والترمذي (٢٣١٣) عن أبي هريرة.

(٢) قال البيهقي في مجمع الزوائد ٣/ ٤٢: رواه البزار، ورجاله ثقات، ونسبه في الكنز ١٣/ ٣٤٤ إلى رسته. وانظر صحيح مسلم (١٤٤)، والترمذي (٢٢٥٩).

(٣) لم أجده في المصادر التي بين يدي، وهو مخالفٌ لما رُوي في صحيح البخاري (٦٩٠٣ و٦٩١٥) والترمذي (١٤١٢) والنسائي ٨/ ٢٣ (٤٧٤٤) عن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي: يا أمير المؤمنين، هل عندكم سوداء في بيضاء ليس في كتاب الله؟ قال: لا والذي=

وقد ذُكر هذا الباب بتمامه في آخر الكتاب[١]، والمرادُ من تكراره ههنا أنَّ العلمَ المثبوتَ[٢] بين أصحاب الحديث، والفقهاء، والصوفية هو علمُ الدين.

ولكلِّ صنفٍ[٣] من أهل العلم في علمه دواوينُ ومصنَّفاتٌ وكتبٌ، وأقاويل، ولكلِّ صنفٍ منهم أئمةٌ مشهورون، قد أجمعَ أهلُ عصرهم على أمانتهم[٤]، لزيادة علمهم وفهمهم.

ولا خلاف أنَّ أصحابَ الحديث إذا أشكلَ عليهم علمٌ من علوم الحديث، وعللِ الأخبار، ومعرفةِ الرجال لا يرجعون في ذلك إلى الفقهاء، كما أنَّ الفقهاءَ لو أشكل عليهم مسألةٌ في الخليّةِ[٥] والبريّة[٦] والدورِ[٧] والوصايا[٨] لا يَرجعون في ذلك إلى أصحاب الحديث؛ لذلك من أشكلَ[٩] عليه علمٌ من علوم هؤلاء الذين تكلَّموا في مَواجيد القلوب، ومَواريث الأسرار[١٠]، ومعاملات القلوب، ووصفوا العلوم، واستنبطوا في ذلك

= خلق الحبة وبرأ النسمة ما علمته إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن.

وجاء في صحيح مسلم (١٣٧٠) عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: خطبنا علي بن أبي طالب فقال: من زعم أن عندنا شيء نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة فقد كذب.

(١) انظر الصفحة (٥٠٩).
(٢) في (ع): أن العلم الثابت.
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: ولكلّ طبقة.
(٤) في (ع) و(ن): على إمامتهم.
(٥) قوله: أنت خلية من ألفاظ كنايات الطلاق، والخلية هي المرأة خلت من موانع النكاح.
(٦) من كنايات الطلاق. انظر روضة الطالبين ٨/ ٢٦.
(٧) قال السيوطي في الأشباه والنظائر: مسائل الدور هي التي يدور تصحيح القول فيها إلى فساده، وإثباته إلى نفيه، وأكثر ما يقع الدور في مسائل الوصايا والعتق ونحوهما..
(٨) الوصايا: جمع وصية، وهي في الاصطلاح الفقهي تبرع بحق ولو تقديرًا لما بعد الموت. المعتمد للزحيلي ٤/ ٥٣٤.
(٩) في (ع) و(ن): وكذلك من أشكال.
(١٠) في هامش الأصل: وفي نسخة: ومواريث الخواطر.

بإشارات لطيفةٍ، ومعانٍ جليلة، فليس له أن يرجعَ في ذلك إلاّ إلى عالمٍ ممن يكونُ هذا شأنه، ويكون ممّن قد مارسَ هذه الأحوال ونازلها، واستبحث عن علومها ودقائقها[١]، فمن فعلَ غيرَ ذلك فقد أخطأ، وليس لأحدٍ أن يبسطَ لسانه بالوقيعة في قومٍ لا يعرفُ حالَهم، ولم يعلم علمهم، ولم يقفْ على مقاصدهم ومراتبهم، فيهلك ويظنُّ أنه من الناصحين، أعاذنا الله تعالى وإياكم.

* * *



(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: علومها وحقائقها.

باب الكشف عن اسم الصوفية ولِمَ سُمّوا بهذا الاسم، ولِمَ نسبوا إلى هذه اللبسة

قال الشيخ رحمه الله: إن سأل[١] سائلٌ، فقال: قد نسبتَ أصحابَ الحديث إلى الحديثِ، ونسبتَ الفقهاءَ إلى الفقه، فلِمَ قلتَ: الصوفية، ولم تَنسبهم إلى حالٍ، ولا إلى علمٍ، ولم تُضف إليهم حالاً كما أضفتَ الزُّهدَ إلى الزهّاد، والتوكُّل إلى المتوكّلين، والصَّبرَ إلى الصابرين؟

فيقال له: لأن الصوفية لم ينفردوا بنوعٍ من العلم دون نوعٍ، ولم يترسَّموا برسمٍ من الأحوال والمقامات دون رسمٍ، وذلك لأنَّهم معدنُ جميعِ العلوم، ومحلُّ جميعِ الأحوالِ المحمودة، والأخلاق الشريفة، سالفًا ومستأنفًا، وهم مع الله تعالى في الانتقالِ من حالٍ إلى حال، مستجلبين للزيادة؛ فلمّا كانوا في الحقيقةِ كذلك لم يكونوا مُستحقّين اسمًا دون اسم، فلأجل ذلك ما أَضفْتُ إليهم حالاً دون حال، ولا أضفتهم إلى علم دون علمٍ، لأنّي لو أَضفتُ إليهم في كلِّ وقتٍ حالاً ما وجدتُ الأغلبَ عليهم من الأحوال والأخلاقِ، والعلوم والأعمال وسمّيتهُم بذلك، لكان يلزمُ أَنْ أُسمّيهم في كلِّ وقتٍ باسمٍ آخر، وكنتُ أضيفُ إليهم في كلِّ وقتٍ حالاً/ دون حال على [١٢] حسب ما يكونُ الأغلب عليهم، فلمّا لم يكن ذلك نسبتُهم إلى ظاهر اللبسة، لأنَّ لبسةَ الصوف دأبُ الأنبياء عليهم السلام، وشعارُ الأولياء والأصفياء، ويكثر في ذلك الروايات والأخبار، فلمّا أَضفتُهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسمًا مجملاً عامًّا مخبرًا عن جميع العلوم والأعمال، والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة.

ألا ترى أنَّ اللهَ تعالى ذكر طائفةً من خواصِّ أصحاب عيسى عليه السلام،

---

(١) في الأصل: إن سائل سائل.

فنسبهم إلى ظاهرِ اللبسة، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾ [المائدة: ١١٢] وكانوا قومًا يلبسون البياض، فنسَبهم الله تعالى إلى ذلك، ولم ينسبهم إلى نوعٍ من العلوم والأعمال والأحوال التي كانوا بها مترسّمين. فكذلك الصوفية عندي والله أعلم نُسبوا إلى ظاهر اللباسِ، ولم يُنسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها مُترسّمون؛ لأن لبس الصوف كان دأبَ الأنبياء عليهم السلام والصدّيقين، وشعارَ المساكين المتنسّكين.

* * *



باب الردّ على من قال: لم نسمع بذكر(١) الصوفية في القديم وهو اسم محدث

إن سأل سائلٌ فقال: لم نسمعْ بذكر الصوفية في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم أجمعين، ولا فيمن كان بعدَهم، ولا نعرفُ إلاّ العُبّاد والزهّاد والسيّاحين والفقراء؛ وما قيل لأحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ صوفيٌّ.

فنقول وبالله التوفيق: الصّحبةُ مع رسول الله ﷺ لها حرمةٌ، وتخصيصُ مَنْ شمله ذلك، فلا يجوزُ أن يُعلّق عليه اسمٌ على أنه أشرفُ من الصحبة، وذلك لشرف رسول الله ﷺ وحرمته، ألاَ ترى أنهم أئمةُ الزهّاد والعبّاد، والمتوكّلين والفقراء، والراضين والصابرين والمخبتين، وغير ذلك، وما نالوا جميعَ ما نالوا إلاّ ببركة الصُّحبة مع رسول الله ﷺ، فلمّا نسبوا(٢) إلى الصُّحبة التي هي أجلُّ الأحوال استحالَ أن يُفضَّلوا بفضيلةٍ غيرِ الصحبة التي هي أجلُّ الأحوال، وبالله التوفيق.

وأمّا قولُ القائل: إنه اسمٌ مُحدثٌ، أحدثه البغداديون، فمحالٌ، لأنَّ في وقت الحسن البصري رحمه الله كان يُعرفُ هذا الاسم، وكان الحسنُ قد أدركَ جماعةً من أصحاب رسولِ الله ﷺ ورضي عنهم، وقد رُوي عنه أنه قال: رأيتُ صوفيًا في الطواف، فأعطيته شيئًا، فلم يأخذْهُ، وقال: معي أربعةُ دوانيق(٣)، فيكفيني ما معي.

ورُوي عن سفيان الثوري رحمه الله أنّه قال: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفتُ دقيقَ الرياء.

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: نسمع باسم.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: فلذلك نسبوا.

(٣) الدَّانِق: سدس الدينار والدرهم. التاج.

وقد ذُكِرَ في الكتابِ الذي جُمِعَ فيه «أخبارُ مكّة» عن محمد بن إسحاق بن يسار، وعن غيره يذكرُ فيه: حُدِّثنا[١] أنّه قبل الإسلام قد خَلَتْ مكّةُ في وقتٍ من الأوقات، حتى كان لا يطوفُ بالبيتِ أحدٌ، وكان يَجيءُ من بلدٍ بعيدٍ رجلٌ صوفيٌّ[٢] فيطوف بالبيت وينصرفُ. فإن صحّ ذلك يدلُّ[٣] على أنّه قبلَ الإسلامِ كان يُعرفُ هذا الاسم، وكان يُنسب إليه أهل الفضل والصلاح، والله أعلم.

* * *



(١) في (ن) و(ع): يذكر فيه حديثًا.
(٢) في الأصل: بعيد رجلٌ معه رجل صوفي، فيطوف.
(٣) في (ع): صحَّ ذلك فإنه يدلُّ.

باب إثبات علم الباطن والبيان عن صحّة ذلك بالحجة

قال الشيخ رحمه الله: أنكرتْ طائفةٌ من أهل الظاهر، وقالوا: لا نعرفُ إلاّ علم الشريعة الظاهرة التي جاء بها الكتابُ والسنة. وقالوا: لا معنىً لقولكم علم الباطن وعلم التصوف.

فنقول، وبالله التوفيق: إنَّ علم الشريعة علمٌ واحد، وهو اسمٌ واحدٌ يجمع معنيين: الرواية والدراية؛ فإذا جمعتَهما فهو علم الشريعةِ الداعية إلى الأعمال الظاهرة والباطنة، ولا يجوزُ أن يجرّدَ القولُ في العلم: إنّه ظاهر أو باطن؛ لأنَّ العلم متى ما كان في القلبِ فهو باطنٌ فيه إلى أن يجري ويظهرَ على اللسان؛ فإذا جرى على اللسان فهو ظاهر.

[١٣] غير أنّا نقول: إن العلم ظاهرٌ وباطن، وهو علم/ الشريعة الذي يدلُّ ويدعو إلى الأعمال الظاهرة والباطنة.

والأعمال الظاهرة كأعمال الجوارح الظاهرة، وهي العباداتُ والأحكام، مثل: الطهارة والصلاة، والزكاة والصوم، والحجّ والجهاد، وغير ذلك؛ فهذه العبادات. وأمّا الأحكام فالحدود والطلاق، والعتاق والبيوع، والفرائض والقصاص وغيرها، فهذا كلُّه على الجوارح الظاهرة التي هي الأعضاء، وهي الجوارح.

وأمّا الأعمال الباطنة فكأعمال القلوب، وهي المقاماتُ والأحوال، مثلُ: التصديق والإيمان واليقين، والصدق والإخلاص، والمعرفة والتوكّل، والمحبة والرضا، والذِّكر والشكر، والإنابة والخشية، والتقوى والمراقبة، والفكرة والاعتبار، والخوف والرجاء، والصبر والقناعة، والتسليم والتفويض، والقرب والشوق، والوجد والوجل، والحزن والندم، والحياء

والخجل، والتعظيم والإجلال والهيبة.

ولكلِّ عملٍ من هذه الأعمال الظاهرة والباطنة علمٌ وفقه وبيان، ومعرفة وفهم وحقيقة ووجد، ويدلُّ على صحة كلِّ عملٍ منها من الظاهر والباطن آياتٌ من القرآن، وأخبارٌ عن الرسول ﷺ عَلِمَهُ من عَلِمَهُ، وجهلَهُ من جهله؛ فإذا قلنا: (علم الباطن) أردنا بذلك علمَ أعمال الباطن التي هي على الجارحة الباطنة، وهي القلب، كما أنّا إذا قلنا: (علم الظاهر) أشرنا إلى علم الأعمال الظاهرة التي هي على الجوارح الظاهرة، وهي الأعضاء.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] فالنعمةُ الظاهرة ما أنعمَ الله تعالى بها على الجوارح الظاهرة من فعلِ الطاعات، والنعمةُ الباطنةُ ما أنعمَ الله تعالى بها على القلب من هذه الحالات.

ولا يستغني الظاهرُ عن الباطن، ولا الباطنُ عن الظاهر، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، فالعلمُ المستنبطُ هو العلمُ الباطن، وهو علمُ أهل التصوف، لأنَّ لهم مُستنبطاتٍ من القرآن والحديث وغير ذلك، ونحن نذكر إن شاء الله طرفًا من ذلك.

فالعلمُ ظاهرٌ وباطن، والقرآنُ ظاهرٌ وباطن، وحديث رسول الله ﷺ ظاهر وباطن، والإسلامُ ظاهرٌ وباطن، ولأصحابنا في معنى ذلك استدلالاتٌ واحتجاجات من الكتاب والسنة والعقل، وشرحُهُ يطول، ويخرجُ على حدِّ الاختصار إلى حدِّ الإكثار، وفيما قلنا كفاية، وبالله التوفيق.

* * *

باب التصوف
ما هو نعته وماهيته

قال الشيخ رحمه الله: فأمَّا التصوف ونعتُه وماهيته، فقد سُئل محمد بنُ علي القصاب وهو أستاذ الجنيد رحمه الله عن التصوف: ما هو؟ قال: أخلاقٌ كريمةٌ ظهرتْ في زمانٍ كريمٍ من رجلٍ كريمٍ مع قومٍ كرام.

وسُئل الجنيد رحمه الله عن التصوف، فقال: أن تكونَ مع اللهِ تعالى بلا علاقةٍ.

وسُئل رويم بن أحمد رحمه الله عن التصوف، فقال: استرسالُ النفْس مع الله تعالى على ما يُريده.

وسئل سمنون رحمه الله عن التصوف، فقال: ألاّ تملكَ شيئًا، ولا يَملكُكَ شيءٌ.

وسُئل أبو محمد الجريري رحمه الله عن التصوف، قال: الدخول في كلِّ خُلُقٍ سنيٍّ، والخروجُ من كلِّ خُلُقٍ دنيٍّ.

وسئل عَمرو بن عثمان المكّي رحمه الله عن التصوف، فقال: أن يكونَ العبدُ في كلِّ وقتٍ بما هو أولى في الوقت.

وسئل عليُّ بنُ عبد الرحيم القنَّاد رحمه الله عن التصوف، فقال: نشرُ مقامٍ، واتِّصالٌ بدوام.

* * *

باب صفة الصوفية، ومن هم

قال الشيخ رحمه الله: وأمّا صفةُ الصوفية، ومن هم، فقد قيل لعبد الواحد بن زيد كما بلغني، وكان ممّن يصحبُ الحسنَ رحمه الله، وكان من أجلّةِ أصحابه: من الصُّوفية عندك؟ فقال: القائمون بعقولهم على
[١٤] همومهم[١]، والعاكفون عليها بقلوبهم، المُعتصمون بسيّدهم/ من شرِّ نفوسهم، هم الصوفية.

وسُئل ذو النون المصري رحمه الله عن الصوفيِّ، فقال: هو الذي لا يُتعبُهُ طلبٌ، ولا يُزعجه سلبٌ.

وقال أيضًا: هم قومٌ آثروا الله تعالى على كلِّ شيءٍ، فآثرهم اللهُ على كلِّ شيء.

وقيل لبعضهم: من أصحبُ؟ فقال: اصحبِ الصوفية، فإنَّ للقبيحِ عندهم وجوهًا من المعاذير، وليس للكثيرِ عندهم موقعٌ، فيرفعوك به، فتُعجبَ بنفسك[٢].

وسُئل الجنيد بن محمد رحمه الله عن الصوفية: من هم؟ فقال: أثرةُ الله من خلقه[٣]، يُخفيها إذا أحبَّ، ويُظهرها إذا أحب.

وقيل لأبي الحسين أحمد بن محمد النُّوري رحمه الله: من الصوفيُّ؟ فقال: مَنْ سمعَ السماع، وآثرَ الأسباب[٤].

وأهلُ الشام يُسمّون الصوفية فقراء، ويقولون: قد سمّاهم اللهُ تعالى

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: على هممهم.
(٢) في (ن) و(ع): فتعجب نفسك.
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: في خلقه.
(٤) في (ن) و(ع): وآثر بالأسباب.

فقراء، فقال: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ... ﴾ الآية [الحشر: ٨] وقوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ... ﴾ الآية [البقرة: ٢٧٣].

وقيل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى الجلاء رحمه الله: ما معنى الصوفي؟ قال: ليس نعرفُهُ في شرط العلم، ولكن نعرفُ فقيرًا مجرَّدًا من الأسباب، كان مع الله عزَّ وجلَّ بلا مكان، ولا يَمنعُهُ الحقُّ من علم كلِّ مكان، سُمّي صوفيًا.

وقد قيل: كان في الأصل صَفَويّ، فاستُثقلَ ذلك، فقيل: صوفي.

وسُئل أبو الحسن القنَّاد رحمه الله عن معنى الصوفي، فقال: مأخوذٌ من الصفاء، وهو القيام لله عزَّ وجلَّ في كلِّ وقتٍ[1] بشرط الوفاء.

وقال بعضهم: الصوفيُّ[2] من إذا استقبلَهُ حالان أو خُلُقان حسنان، فيكون مع الأحسن والأعلى.

وسُئل آخر عن معنى الصوفي، فقال: معناه أنَّ العبدَ إذا تحقَّقَ بالعبودية، وصافاه الحقُّ حتَّى صفا من كَدَرِ البشرية، نزلَ منازل الحقيقة، وفارقَ[3] أحكام الشريعة، فإذا فعلَ ذلك فهو صوفيٌّ لأنَّه قد صُوفيَ.

قال الشيخ رحمه الله: فإذا قيل لك: الصوفيةُ من هم في الحقيقة؟ صِفْهُمْ لنا. فقل: هم العلماء بالله وبأحكام الله، العاملون بما علّمهم الله تعالى، المتُحقِّقون بما استعملهم الله عزَّ وجلَّ، الواجدون بما تحقَّقوا، الفانون بما وجدوا، لأنَّ كلَّ واجدٍ منهم قد فني بما وجد.

وقال القنَّاد رحمه الله: التصوفُ اسمٌ قد وقعَ على ظاهر اللبسة، وهم متفاوتون في معانيهم وأحوالهم.

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: في خلقه.
(٢) كلمة (الصوفي) ليست في (ن) ولا (ع).
(٣) في (ن) و(ع): وقارن أحكام.

وسُئل الشِّبلي رحمه الله: لِمَ سُمِّيتِ الصوفية بهذا الاسم؟ فقال: لبُقيا[١] بقيت عليهم من نفوسهم، ولولا ذلك لما لاقَتْ بهمُ الأسماء، ولا تعلّقت بهم.

وقد قيل أيضًا: إنَّ الصوفيةَ هم بقيّةُ بقايا من أهل الصفّة.

وأما من قال: إنّه اسمٌ واقعٌ على ظاهر اللبسة، فقد رُوي في ذلك أخبارٌ في ذكر من لبس الصوف، واختار لبسه من الأنبياء والصالحين، وذكرُهُ يطول.

وقد أجابَ عن التصوّف ما هو؟ جماعةٌ بأجوبةٍ مُختلفة، منهم إبراهيم بن المولد الرَّقي، قد أجاب عنها بأكثر من مئة جواب[٢].

وقد قال علي بن عبد الرحيم القنّاد رحمه الله في التصوف واندراس أهله شعرًا[٣]:

أهلُ التّصوّفِ قد مَضَوْا ... صارَ التّصوّفُ مَخْرَقَهْ
صارَ التّصوّفُ صيحةً ... وتَواجُدًا ومُطبَقَهْ
مضتِ العلومُ فلا علو ... م ولا قُلوبٌ مُشْرِقَهْ
كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ ليس ذا ... سُنَنَ الطّريقِ المُخْلَقَهْ[٤]
حتّى تكونَ بعينِ مَنْ ... عنه العُيونُ المُحْدِقَهْ[٥]
تجري عليك صُروفُهُ ... وهمومُ سرِّكَ مُطرِقَهْ[٦]

ولبعض المشايخ في التصوف ثلاثة أجوبة:

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: لبقايا.
(٢) في (ن) و(ع): مئة جواب، وفيما ذكرناه كفاية.
(٣) ذكرت الأبيات في كتاب الطيوريات (٦٤٠) من غير عزو.
(٤) في الطيوريات، و(ن): وفي نسخة: الملحقة.
(٥) في هامش الأصل: وفي نسخة: بعين ما عنه العيون مُحدِّقَةْ. وفي الطيوريات: منه العيون.
(٦) في هامش الأصل: وفي نسخة: وهموم نفسك مُشفقةْ.

جوابٌ بشرط العلم: وهو تصفيةُ القلوب من الأكدار، واستعمال الخُلُق مع الخليقة[١]، واتِّباعُ الرَّسولِ في الشريعة،

وجوابٌ بلسان الحقيقة: وهو عدم الأملاك[٢] والخروج من رِقِّ الصفات، والاستغناء بخالق السموات.

وجواب بلسان الحقِّ: أَصفاهم بالصفاءِ عن صفاتهم، وصفَّاهمُ من صفاتهم، فسُمُّوا صوفية/ . [١٥]

وقلت للحُصْري رحمه الله: مَن الصوفيُّ عندك؟ قال: الذي لا تقلُّهُ الأرض، ولا تُظلُّه السماء، معناه: أنّه، وإن كانَ على الأرضِ وتحت السماء فالله عزَّ وجلَّ الذي يقلّه بالأرض ويُظلّه بالسماء، لا السماء ولا الأرض.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنَّه كان يقول: أيُّ أَرضٍ تُقلّني؛ وأَيُّ سماءٍ تُظلُّني إذا قلتُ في كتابِ الله عزَّ وجلَّ برأيي[٣].

* * *



(١) في (ع): مع الخليفة.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: الأمد. بلغ مقابلة.

(٣) رواه سعيد بن منصور في سننه ١/ ١٦٨ (٣٩)، وأبو نعيم في الحلية ٩/ ١٠٦، وابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٣٦ (٣٠١٠٣). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٤٠. رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

باب التوحيد، وصفة الموحد، وحقيقته وكلامهم في معنى ذلك

قال الشيخ رحمه الله: بلغني عن يُوسفَ بنِ الحسين الرازي رحمه الله أنَّه قال: قامَ رجلٌ بين يدي ذي النون المصريِ رحمه الله، فقال: خبِّرني عن التوحيد، ما هو؟ قال: هو أن تعلمَ أن قدرةَ الله تعالى في الأشياء بلا مزاج، وصنعَتَه[١] للأشياء بلا علاج، وعلّةُ كلِّ شيءٍ صُنعه، ولا علّة لصُنعِهِ، وليس في السموات العُلا، ولا في الأرضين السُّفلى مُدبِّرٌ غير الله تعالى، ومهما تصوَّرَ في وهمك شيءٌ، فاللهُ تعالى بخلافِ[٢] ذلك، أو قال: غير ذلك.

وقال الجُنيد رحمه الله، وقد سُئل عن التوحيد، فقال: إفرادُ المُوحِّدِ بتحقيق وحدانيته بكمال أَحديته أنه الواحدُ[٣] الذي لم يلد ولم يولد بنفي الأضداد والأنداد والأشباه، وما عُبِدَ من دونه، بلا تشبيهٍ ولا تكييفٍ ولا تصويرٍ ولا تمثيلٍ، إلهًا واحدًا، صمدًا فردًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وسُئل جُنيد رحمه الله عن التوحيد مرَّةً أخرى، فقال: تضمحلُّ فيه الرُّسومُ، وتندرجُ فيه العلوم، ويكون اللهُ تعالى كما لم يزل.

قال أبو نصر رحمه الله: فالجوابان اللذان لذي النون والجنيد رحمهما الله في التوحيد هما ظاهران، أجابا عن توحيد العامة، وهذا الجواب الأخير الذي للجُنيد الذي ذكرناه أشارَ إلى توحيدِ الخاصَّة.

---

(١) في (ن) و(ع): وصنعه للأشياء.

(٢) في (ع): ومهما تصور وهمك، فالله تعالى بخلاف.

(٣) في (ع): بأنه الواحد.

وقد سُئل الجُنيد رحمه الله عن توحيدِ الخاصِّ(١)، فقال: أن يكونَ العبدُ شبحًا بين يدي الله عزَّ وجلَّ تجري عليه تَصاريفُ تدبيره في مجاري أحكامِ قدرته في لُججِ بحارِ توحيده، بالفناء عن نفسه، وعن دعوة الخلقِ له، وعن استجابته لحقائق(٢) وجود وحدانيته في حقيقة قربه، بذهاب حسّه وحركته، لقيام الحقِّ له فيما أراد منه، وهو أن يرجعَ آخرُ العبد إلى أوله، فيكون كما كان قبل أن يكون.

وقال أيضًا في التوحيد: هو الخروجُ من ضيقِ رسومِ الزَّمانية(٣) إلى سعةِ فناءِ السرمدية.

فإن قال قائل: ما معنى قوله: (يرجع آخر العبد إلى أوله، فيكون كما كان قبل أن يكون). فنقول: بيانُ ذلك فيما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قال الجنيد رحمه الله في معنى ذلك: فمن كان؟ وكيف كان قبل أَنْ يكونَ؟ وهل أجابت إلاّ الأرواح الطاهرة(٤) بإقامة القدرة، وإنفاذ المشيئة؟ فهو الآن في الحقيقة كما كان قبل أن يكون، وهذا غايةُ حقيقة التوحيد للواحد: أن يكون العبد كما لم يكن، ويبقى الله الحقُّ تعالى كما لم يزلْ.

قال رجل للشِّبلي رحمه الله، واسمه دُلَف بن جَحْدَر: يا أبا بكر، أخبرني عن توحيدٍ مجرَّدٍ بلسانِ حقٍّ مفرَّد. فقال: ويحك! مَنْ أجابَ عن التوحيد بالعبارة فهو ملحدٌ، ومَنْ أشار إليه فهو ثَنَويٌّ، ومن سكتَ عنه فهو جاهل، ومن أوهمَ(٥) أنه واصلٌ فليس له حاصلٌ، ومن أَومأ إليه فهو عابدُ وثنٍ، ومن

---

(١) في (ع): توحيد الخاصّة.

(٢) في (ن) و(ع): استجابته بحقائق.

(٣) في الأصل: وفي نسخة: رسوم الربّانيّة.

(٤) في (ن) و(ع): الأرواح الظاهرة.

(٥) في (ن) و(ع): ومن وهم.

نطقَ فيه فهو غافل، ومن ظنَّ أنه قريب[١] فهو بعيد، ومَنْ تواجدَ فهو فاقد، وكلُّ ما ميَّزتموه بأوهامكم، وأدركتموه بعقولكم في أتمِّ معانيكم فهو مصروفٌ مردود إليكم، مُحْدَثٌ مصنوعٌ مثلُكم.

وإن أخذنا في شرح ما قال الشبلي رحمه الله كما يجب يطولُ ذلك؛ ولكنْ على الإيجاز والاختصار: كأنَّه يُريدُ بما أجابَ عن التوحيد: إفرادَ القديم عن المُحْدَث، وأنْ ليس للخلق طريقٌ إلاّ إلى ذكره[٢] ووصفه ونعته، على مقدارِ ما أبدى إليهم ورسم لهم.

قال الشيخُ رحمه الله: ووجدتُ ليوسفَ بن الحسين الرازي في التوحيد ثلاثة أجوبة:

جواب منها في توحيدِ العامة؛ وهو الانفرادُ بالوحدانية بذهاب رؤية الأضداد والأنداد والأشباه والأشكال مع السكون إلى معارضة الرغبة والرهبة بذهاب حقيقة التصديق يبقى الإنفراد[٣]، والمعنى في قوله بذهاب حقيقة التصديق، لأنّ بنفي حقيقة التصديق لا يسكن[٤] إلى معارضة الرغبة/ [١٦]
والرهبة.

والجواب الثاني: توحيدُ أهل الحقائق على الظاهر، وهو الإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأضداد والأشباه[٥] بإقامة الأمر والنهي في الظاهر والباطن، بإزالة معارضة الرهبة والرغبة ممّا سواه بقيامِ شواهد الحقِّ مع قيام شواهد الدعوة والاستجابة.

فإن قيل: ما معنى قوله: (إزالة معارضة الرهبة والرغبة وهما حقّان)؟

---

(١) في هامش الأصل: في نسخة: ومن رأى أنه.
(٢) في (ع): طريق إلا ذكره.
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: يبقى الإقرار.
(٤) في (ن) و(ع): والرهبة بذهاب حقيقة التصديق ببقاء الإقرار، والمعنى في قوله بذهاب حقيقة التصديق لأنّ ببقاء حقيقة التصديق لا يسكن.
(٥) في هامش الأصل: وفي نسخة: رؤية الأسباب.

فيقال: هما حقّان، وهما في موضعهما كما هما، ولكن قهرهما سلطان الوحدانية، كما قهر سلطانُ ضوء الشمس ضوءَ الكواكب وهي في مواضعها.

والجواب الثالث: توحيد الخاصة، وهو أن يكونَ العبدُ بسرِّه ووجده وروحِهِ[١] وقلبه كأنَّه قائمٌ بين يدي الله عزَّ وجلَّ تجري عليه تصاريفُ تدبيره، وتجري عليه أحكام قدرته في بحار توحيده بالفناء عن نفسه، وذهاب حسّه لقيام الحقِّ له في مراده منه، فيكون كما كان قبلَ أن يكونَ، يعني في جريان أحكام الله عليه، وإنفاذ مشيئته فيه.

وبيان ذلك كما قال الجُنيد رحمه الله في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ...﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢] وقد ذكرناه[٢].

قال الشيخ رحمه الله: ولهم في حقيقة التوحيد لسانٌ آخر، وهو لسانُ الواجدين؛ وإشارتُهم في ذلك تبعدُ عن الفهم، ونحن نذكرُ من ذلك طرفًا، كما يُمكنُ شرحه، وهذا العلمُ أكثرُهُ إشارةٌ لا تخفى على من يكون من أهله، فإذا صار إلى الشرح والعبارة يخفى ويذهبُ رونقُهُ، وإنَّما دعاني إلى شرحِهِ لأنّي وضعتُهُ في الكتاب، والكتابُ ربَّما ينظرُ فيه مَنْ يفهمُ ومن لا يفهم، فيهلك فيها من لا يَفهمُها[٣]، وهو مثلُ قول رُوَيم بن أحمد بن يزيد البغدادي رحمه الله، حين سُئل عن التوحيد فقال: محوُ آثارِ البشرية، وتجرّدُ الألوهية. وإنما يريد بقوله: (محو آثار البشرية): تبديلَ أخلاق النفس؛ لأنَّها تدّعي الربوبية بنظرها إلى أفعالها، كقول العبد: أنا، أنا، والقول: (أنا)، لا يستحقُّه إلاَّ الله، إذ الأنيَّةُ ليست إلا لله عزَّ وجلَّ[٤]، فهذا معنى (محو آثار البشرية) ومعنى قوله: (تجرد الألوهية) يعني إفرادَ القديم عن المحدثاتِ.

---

(١) كلمة (وروحه) ليست في (ن) ولا في (ع).

(٢) تقدم صفحة (٤٣).

(٣) قوله: (فيها من لا يفهمها) ليس في (ع).

(٤) في (ن) و(ع): كقول العبد أنا، وأنا لا يقول إلا الله إذا الأنيّة لله.

وقال آخر: التوحيدُ نسيان ما سوى التوحيد بالتوحيد، يعني: فيما يُوجب حكم الحقيقة.

وقال: الوحدانية بقاءُ الحقّ بفناء كلّ ما دونه، يعني: فناءً يُوجبُ حكم الحقيقة.

وقيل: الوحدانية بقاءُ الحقّ وفناءُ كلّ ما دونه[١]، يعني: فناء العبد عن ذكر نفسه وقلبه بدوامِ ذكر الله تعالى وتعظيمه.

وقال آخر: ليس في التوحيد خلقٌ، وما وحدَّ اللهَ غيرُ الله، والتوحيد للحقّ، والخلقُ طفيليٌّ[٢].

قلنا: وبيان ذلك وما أشارَ إليه هؤلاء والله أعلم في قول الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨] فقد شهد لنفسه بالوحدانية قبل الخلق[٣]، فحقيقةُ التوحيد من حيث الحقّ ما شهدَ اللهُ تعالى لنفسه بالوحدانية قبل الخلق، ومن حيثُ الخلق فقد وحّدوه حقيقةً ووجدًا على مقدار[٤] ما قُسم لهم وأرادهم بذلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ وأمّا من طريق الإقرار فأهلُ القبلة مُتساوون فيها[٥]، والمعوّل على ما في القلب لا على ما في اللسان.

وقد قال الشِّبليُّ رحمه الله: ما شمَّ روائحَ التوحيد مَنْ تصوّرَ عنده التوحيد وشاهد المعاني، وأثبت الأسامي، وأضاف الصفات، وألزم النعوت. ومَنْ أثبتَ هذا كلَّه، ونفى هذا كلَّه فهو موحّدٌ حكمًا ورسمًا لا حقيقةً ووجدًا.

---

(١) في (ع): بفناء كل ما دون.
(٢) في (ن) و(ع): والتوحيد للحقّ من الخلق طفيلي.
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: قبل خلقه.
(٤) في الأصل: حقيقة، وحّدوا على مقدار. وانظر تتمّة الخبر.
(٥) في الأصل: وفي نسخة: متفاوتون.

قال الشيخ رحمه الله: معناه والله أعلم: أنّه يُثبتُ الصفات والنعوت على رسم ما رُسم له من ذلك، ولا يُثبتها من حيث الإدراك والإحاطة والتوهّم.

وقال غيرُهُ من العارفين(١): أمّا التوحيد: فهو الذي يعمي البصير، ويحيِّرُ العاقل، ويُدهشُ الثابت.

قلتُ: لأنّه من تحقَّقَ بذلك وجدَ في قلبه من عظمةِ الله تعالى وهيبته ما يُدهشُهُ ويُحيِّرُ عقله إلاّ من يُثبِّتُهُ الله تعالى.

وقال أبو سعيد أحمد بن عيسى الخرّاز رحمه الله: أوّل مُقامٍ لمن وجدَ علمَ التوحيد وتحقّق بذلك: فناءُ ذكر الأشياء(٢) عن قلبه، وانفراده بالله عزَّ وجلَّ.

وقال أيضًا: أوّلُ علامةِ التوحيد: خروجُ العبدِ عن كلّ شيء دونه(٣)، وردُّ جميع الأشياء إلى متولّيها، حتى يكون المتولِّى بالمتولِّي ناظرًا إلى الأشياء قائمًا بها متمكّنًا فيها، ثم يخفيهم في أنفسهم من أنفسهم، ويُميت أنفسَهم في أنفسهم، ويصطنعهم لنفسه، فهذا أوّلُ دخولٍ في التوحيد من حيث ظهور التوحيد/ بالديمومية. [١٧]

قال: وبيان ذلك والله أعلم (فناء ذكر الأشياء عن قلبه) وأن يغلبَ على قلبه ذكرُ الله تعالى، فيذهب عن قلبه ذكر الأشياء(٤) بذكر الله تعالى فيفنيه.

ومعنى (خروجه عن كلِّ شيءٍ) يعني لا يضيفُ إلى نفسه واستطاعته شيئًا، ويرى قوامَ الأشياء بالله في الحقيقةِ لا بهم.

ومعنى قوله: (حتى يكون المتولِّى بالمتولِّي ناظرًا إلى الأشياء، قائمًا بها)

---

(١) في الأصل: وفي نسخة: من العراقيين.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: فناء كل الأشياء.

(٣) قوله (دونه) ليس في (ن) ولا في (ع).

(٤) من قوله: عن قلبه، وأن.. إلى ذكر، الأشياء: ليس في(ع).

يُشيرُ إلى تولية الحقِّ له، وما يستولي عليه من حقائق التوحيد، حتى يرى قوامَ الأشياء بالله عزَّ وجلَّ لا بذواتها، ألا ترى إلى قول القائل[١]:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ[٢] يَدلُّ على أنَّهُ واحدُ

وأما قوله: (متمكّنًا فيها) يُريدُ بذلك إلى أن التلوين لا يجري عليه التولّي[٣] في نظره إلى الأشياء؛ فإنَّ قوامَها بالله عزَّ وجلَّ، ثم قال: (يُخفيهم في أنفسهم [من أنفسهم]، ويُميتُ أنفسَهم في أنفسهم) يعني: لا يحسّون حسًّا، ولا يُلاحظون حركةً من حركاتهم الظاهرة والباطنة يُومأ إليها في الحقيقة إلاّ وهي مُنطمسةٌ تحت سلطان القدرة وإنفاذ المشيئة، وإنْ أُضيفَتْ إلى المُضاف إليه.

وقال الشبلي رحمه الله لرجل: تدري لِمَ لا يصحُّ لك التوحيد؟ قال: لا. قال: لأنك تطلبُهُ بإيَّاك.

وقال أيضًا: لا يصحُّ التوحيدُ إلاّ لمن كان جحدُهُ إثباتَهُ. فسئل عن الإثبات، فقال: إسقاطُ الياءات.

معناه والله أعلم أنَّ الموحّدَ في الحقيقة يجحدُ إثباته إياه. يعني إثبات نفسه في جميع الأشياء بسرِّهِ، كقوله: بي، ولي، ومنّي، وإليّ، وعليّ، وفيّ، وعنّي، فيسقطُ هذه الياءات ويجحدُها بسرِّه، وإن كانت جاريةً، من حيث الرسم على لسانه.

وقال الشبلي رحمه الله لرجلٍ أيضًا: توحّدُ توحيدَ البشرية أو توحيدَ الإلهية؟ فقال: بينهما فرقٌ؟ فقال: نعم. توحيدُ البشرية خوفُ العقوبات، وتوحيدُ الإلهية توحيدُ التعظيم.

---

(١) ينسب البيت لمحمود الوراق، الديوان (٢٧٣)، ولأبي العتاهية الديوان (١٠٤)، وسيذكر البيت ثانية صفحة (٤٦٠).

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: له شاهد.

(٣) كلمة: (التولي) ليست في (ن) ولا في (ع).

قال الشيخ رحمه الله: قلت: إنَّ معناه أنَّ من صفةِ البشرية طلبَ العِوضَ، ورؤية الفعل، والطمعِ في غير الله عزَّ وجلَّ؛ وليس مَنْ وحَّدَ الله تعالى إجلالاً لله كمن وحَّدَهُ خوفًا من عقوبته، وإن كان الخوف من عذاب الله عزَّ وجلَّ حالةً شريفة(١).

وقال الشِّبليُّ رحمه الله: مَنِ اطَّلعَ على ذرَّةٍ من علم التوحيد ضعفَ عن حمل بقَّةٍ؛ لثقلِ ما حمل.

وقال مرَّةً أُخرى: من اطَّلعَ على ذرَّةٍ من علم التوحيد حملَ السموات والأرض على شعرةٍ من جفن عينيه.

قال: معناه والله أعلم أن السمواتِ والأرضَ وجميعَ ما خلقَ الله عزَّ وجل يَتصاغرُ في عينه، عندما يُشاهد بقلبه بأنوار التوحيد من عظمة الله عزَّ وجلَّ.

وقد رُوي: أنَّ لجبريل عليه السلام ستمئة جناحٍ، جناحين منهما إذا نشرَهُما غطّى بهما المشرق والمغرب(٢).

وقد رُوي أيضًا في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه: أنَّ صورةَ جبريل عليه السلام في قائمة الكرسيِّ مثل الزردة في الجوشن(٣).

ويقال: إنَّ جبريل عليه السلام والعرشَ والكرسيَّ، كلُّ هذا مع الملكوت الذي ظهرَ لأهلِ العلم بالله عزَّ وجلَّ، فإنَّما هي كرملةٍ فيما وراء الملكوت؛ بل أقلّ من ذلك.

وقال أبو العباس أحمد بن العطاء البغدادي رحمه الله في بعض كلامه: علامةُ حقيقة التوحيد نسيانُ التوحيد، وصدقُ التوحيد أنْ يكونَ القائمُ به

---

(١) في الأصل: وفي نسخة: عز وجل شريفة.
(٢) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي، وسيذكره المؤلف مطولاً صفحه (٥٣٥).
(٣) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي. والجوشن الدِّرع.

واحدًا. يُريد بذلك: أن ينسى العبدُ رؤيةَ توحيدهِ في توحيده برؤيةِ قيامِ الله عزَّ وجلَّ له بذلك قبل خلقه؛ لأنَّه لو لم يرذْهم بذلك ما أَرادوه ولاَ وحَّدوه.

ولمشايخنا في التوحيد مُصنفاتٌ، وقد قصدنا إلى القليلِ المُشكلِ من ألفاظهم ليستدرك بذلك ما لم أذكره إن شاء الله.

* * *



باب ما قالوا في المعرفة وصفة العارف، وحقيقة ذلك ببيانها

سُئل أبو سعيد الخَراز رحمه الله عن المعرفة، فقال: المعرفةُ تأتي من وجهين: من عين الجودِ، وبذلِ المجهود.

وسُئل أبو تُراب النَّخْشبي رحمه الله عن صفة العارف، فقال: هو الذي لا يُكدِّرُهُ شيءٌ، ويصفو به كلُّ شيءٍ.

[١٨] وقال أحمد بن عطاء رحمه الله: المعرفة/ معرفتان: معرفة حقٍّ، ومعرفة حقيقة، فمعرفة الحقِّ: معرفةُ وحدانيته على ما أبرزَ للخلق من الأسامي والصفات، ومعرفة الحقيقة على ألاَّ سبيل إليها؛ لامتناع الصمدية وتحقيق الربوبية؛ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

قال أبو نصر رحمه الله: معنى قوله: (لا سبيل إليها): يعني إلى المعرفة على الحقيقة؛ لأنَّ الله تعالى أبرزَ لخلقه من أسمائه وصفاته ما علمَ أنَّهم يطيقون؛ ذلك لأنَّ حقيقة معرفته لا يُطيقُها الخلق، ولا ذرة منها؛ لأنَّ الكون بما فيه يتلاشى عند ذرةٍ من أول بادٍ يبدو من بوادي سطوات عظمته، فمن يطيقُ معرفةَ من يكون هذا صفةً من صفاته؟ فلذلك قال القائل: ما عرفه غيرُه، ولا أحبَّه سواه؛ لأنَّ الصمديةَ ممتنعةٌ عن الإحاطة والإدراك، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقد حُكي في هذا المعنى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: سبحان من لم يجعل للخلق طريقًا إلى معرفته إلاَّ بالعجز عن معرفته.

وسُئل الشبليُّ رحمه الله: متى يكونُ العارفُ بمشهدٍ من الحقِّ؟ قال: إذا بدا الشاهدُ، وفني الشواهد، وذهبتِ الحواسُّ، واضمحلَّ الإحساس.

وسُئل أيضًا: ما بدءُ هذا الشأن، وما انتهاؤه؟ قال: بدؤه معرفتُهُ، وانتهاؤه توحيدُه.

وقال: من علامة المعرفة أن يرى نفسَهُ في قبضةِ العزَّة، ويجري عليه تصاريفُ القدرة، ومن علامة المعرفة المحبّةُ، لأنَّ من عرفَهُ أحبّه.

وبلغني عن أبي يزيد طيفور بن عيسى البِسطامي رحمه الله أنَّه سُئل عن صفة العارف، فقال: لونُ الماءِ لونُ إنائه، إنْ صببْتَه في إناءٍ أبيض خلتَهُ أبيضَ، وإنْ صببْتَه في إناءٍ أسودَ خلتَهُ أسود؛ وكذلك الأصفر والأحمر، وكذلك سائرالألوان، يتداوله الأحوال، ووليُّ الأحوال وليُّه[1].

وقال الشيخ رحمه الله: معناه والله أعلم أنَّ الماءَ على قدر صفائه بصفة لون إنائه، ولا يغيِّرُه لون إنائه عن صفائه وحاله، ويخالُ الناظرُ إليه أبيض أو أسود، وهو في الإناء بمعنىً واحدٍ، وكذلك العارف وصفته مع الله عزَّ وجلَّ فيما يتداوله الأحوال يكون سرُّه مع الله تعالى بمعنىً واحد.

وسئل الجنيد رحمه الله عن معقول العارفين، فقال: ذهبوا عن وصف الواصفين.

وسُئل بعضُهم عن المعرفة، فقال: مطالعةُ القلوب لإفراده على لطائف تعريفه.

وسئل الجُنيد رحمه الله، فقيل له: يا أبا القاسم، ما حاجةُ العارفين إلى الله تعالى؟ قال: حاجتهم إليه كلاءَته ورعايته لهم.

وقال محمد بنُ الفضل السمرقندي رحمه الله: بل لا حاجةَ لهم ولا اختيار؛ إذ بغيرِ الحاجة والاختيار نالوا ما نالوا؛ لأنَّ قيامَ العارفين بواجدهم، وبقاءهم بواجدهم وفناءهم بواجدهم.

وقيل لمحمد بن الفضل رحمه الله: حاجةُ العارفين إلى ماذا؟ قال:

(١) في هامش الأصل: بلغ مقابلة.

حاجتُهم إلى الخصلة التي كملت بها المحاسنُ كلُّها، وبفقدها قبحتِ المفاتح[١] كلُّها وهي الاستقامة.

وسُئل يحيى بن معاذ رحمه الله عن صفة العارف، فقال: داخلٌ معهم، بائنٌ منهم.

وسُئل مرّةً أُخرى عن العارف، فقال: عبدٌ كانَ فبان.

وقيل لأبي الحُسين النُّوري رحمه الله: كيف لا تُدركُهُ العقولُ، ولا يُعرفُ إلاّ بالعقول؟ فقال: كيف يَدركُ ذو أمدٍ من لا أمدَ له؟ أم كيف يَدركُ ذو عاهةٍ من لا عاهةَ له ولا آفة؟ أم كيف يكونُ مُكيِّفًا من كيَّفَ الكيف؟ أم كيف يكون محيِّثًا من حيَّثَ الحيثَ فسمّاه حيثًا؟ وكذلك أوّلَ الأوّلَ، وآخَرَ الآخرَ، فسمّاه أولاً وآخرًا؛ فلولا أنَّه أوّل الأوّلَ، وآخَّرَ الآخرَ ما عَرفَ ما الأولية وما الآخرية.

ثم قال: وما الأزليّةُ في الحقيقة إلاّ الأبدية، ليس بينهما حاجزٌ، كما أنَّ الأوّلية هي الآخرية، والآخريةُ هي الأولية، وكذلك الظاهرية والباطنية، إلا أنّه يفقدك وقتًا ويشهدك وقتًا لتجديدِ اللذة ورؤية العبودية، لأنَّ من عرفه بالخلقة لم يعرفْهُ بالمباشرة؛ لأن الخلقة على معنى قوله: ﴿ كُن ﴾ [البقرة: ١١٧] والمباشرة إظهار حرمةٍ لا استهانةَ فيه.

قلتُ: معنى قوله: (مباشرة) يعني مباشرة يقينٍ، ومشاهدة القلب بحقائق الإيمان بالغيب. / [١٩]

قال الشيخ رحمه الله: والمعنى فيما أشار إليه، والله أعلم، أنَّ التوقيتَ والتغيير لا يجوزُ على الله تعالى، فهو فيما كان كهو فيما يكون، وهو فيما قالَ كهو فيما يقول، والأدنى عنده كالأقصى، والأقصى عنده كالأدنى، وإنما يقع التفارقُ[٢] للخلقِ من حيث الخلق والتلوين في القُرب والبُعد،

---

(١) في (ع)، والمثبت في (ن): قبحت المقابح.

(٢) في (ن) و(ع): يقع التعارف، وفي هامش الأصل: وفي نسخة: يقع التفاوت.

والسخط والرضا صفةٌ للخلق وليس ذلك من صفات الحقّ، والله أعلم.

وقال أحمد بن عطاء رحمه الله في كلامٍ له في معنى المعرفة ويُحكى أيضًا عن أبي بكر الواسطي رحمه الله، والصحيحُ لابنِ عطاء رحمه الله قال: إنّما قبحتِ المُستقبحاتُ باستتاره، وحسنتِ المُستحسنات بتجلّيه؛ فإنّهما نعتان يَجريان على الأبد بما جريا في الأزل، يُظْهِرُ الوسمَيْن على المقبولين والمطرودين، فقد بان شواهدُ تجلّيه على المقبولين بضيائها، كما بانَ شواهدُ استتاره على المطرودين بظلمها[١]، فما ينفعُ بعد ذلك الألوانُ المُصفَّرة، ولا الأكمامُ المقصَّرة، ولا التدرّع بالمطبقة والمرقعة.

قلت: وهذا الذي قال ابنُ عطاء، رحمه الله، معناه قريبٌ من قولِ أبي سليمان عبد الرحمن بنِ أحمد الداراني، رحمه الله، حيث يقول: ليسَ أعمالُ الخلق بالذي يُسخطُهُ، ولا بالذي يُرضيه، وإنّما رضي عن قومٍ فاستعملهم بعملِ أهل الرِّضا، وسخطَ على قومٍ فاستعملهم بعملِ أهل السخط.

ومعنى قولِ ابن عطاء رحمه الله: (قبحت المُستقبحات باستتاره) يعني بإعراضه عنها (وحسنت المُستحسنات بتجلّيه) يعني بإقباله عليها وقبوله لها، ومعنى ذلك كما جاء في الحديث: خرج رسولُ الله ﷺ وبيده كتابان: كتابٌ بيمينه، وكتابٌ بشماله، فقال: «هذا كتابُ أهل الجنة بأسمائهم، وأسماءِ آبائهم، وهذا كتابُ أهلِ النارِ بأسمائهم وأسماءِ آبائهم...» فذكر الحديث. ثم قال: «هؤلاء في الجنة ولا أُبالي، وهؤلاء في النار ولا أُبالي» وقوله عليه السلام: «فرغ ربُّكم...»[٢].

---

(١) في (ن) و(ع): بظلمتها.

(٢) قوله: «فرغ ربّكم...» هو إتمام للحديث. وتمامه: «فرغ ربّكم من العباد، ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]». رواه أحمد في المسند ٢/ ١٦٧، والترمذي (٢١٤١)، والنسائي في الكبرى (١١٤٧٣)، وأبو نعيم في الحلية ٥/ ١٦٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢١٢. قال: وفيه عبدالله بن ميمون القداح، وهو ضعيف جدًا. قال الذهبي في=

وقال أبو بكر الواسطي رحمه الله: لمّا تعرَّفَ بنفسه إلى خاصَّتِهِ امتحقتْ نفوسُهم عن نفوسِهم، فلم يشهدوا وحشةً بشواهد الأوّلِ ممّا يبدو لهم من شواهدِ الحظوظ، وكذلك كلٌّ من أُعقبَ بمعنى، وهذا معناه، والله أعلم: أنَّ شاهد الأولية، فيما عرف بما تعرف إليه معبوده لم يشهد وحشةً مع معرفته بذلك فيما سواه، ولا أُنسًا بهم.

* * *



= ميزان الاعتدال٢/ ٦٨٤: هو حديث منكر جدًا. ويقضي أن يكون زنة الكتابين عدة قناطير. ومن قوله: (فذكر الحديث) إلى قوله: (فرغ ربكم) ليس في (ن) ولا في (ع).

باب في صفة العارف وما قالوا فيه[١]

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: ما دامَ العبدُ يتعرَّفُ، فيُقال: لا تخترْ شيئًا، ولا تكنْ مع اختيارك حتَّى تعرف، فإذا عرفَ، وصار عارفًا، فيقال له: إنْ شئتَ اخترْ، وإنْ شئت لا تخترْ، لأنّك إنِ اخترتَ فباختيارنا اخترْتَ، وإنْ تركتَ الاختيار فباختيارنا تركتَ الاختيار، فإنَّك بنا في الاختيار، وفي ترك الاختيار.

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: الدنيا عروس، ومَنْ يطلُبها ماشطتُها، والزَّاهدُ فيها يُسخِّمُ وجهَها، وينتِفُ شعرَها، ويخرُقُ ثوبَها، والعارف بالله مُشتغلٌ بسيِّدِهِ، لا يلتفتُ إليها.

وقال: إذا ترك العارف أدبَهُ عند معرفته فقد هلَكَ مع الهالكين.

وقال ذو النون رحمه الله: علامةُ العارف ثلاثة أشياء: لا يُطْفِيء نورُ معرفته نورَ ورعه، ولا يعتقدُ باطنًا من العلم ما ينقُضُ عليه ظاهرًا من الحكم، ولا يحملُهُ كثرةُ نعمِ الله تعالى عليه وكرامتُه على هتك أستار محارم الله تعالى.

وقال بعضُهم: ليس بعارفٍ من وصفَ المعرفةَ عند أبناء الآخرة، فكيف عند أبناء الدنيا؟!

وقال: إنِ التفتَ العارفُ إلى الخلق عن معروفهِ بِغيرِ إذنه[٢]، فهو مخذولٌ بين خلقه.

---

(١) في هامش الأصل: بلغ مقابلة.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: بلا إذنه.

وقال: كيف تعرفُهُ وليس في قلبك سلطانُ هيبته؟ وكيف تذكرُهُ وتحبُّه وليس في قلبك وجودُ ألطافه، وأنت غافلٌ عمّا ذكرك به قبل خلقه؟

قال: وسمعت محمد بن أحمد بن حمدون الفرّاء يقول: سمعتُ عبد الرحمن الفارسي، وقد سُئل عن كمال المعرفة، فقال: إذا اجتمعتِ المُتفرّقات، واستوتِ الأحوال والأماكن، وسقطتْ رؤيةُ التمييز.

وقال أبو نصر رحمه الله: معنى ذلك أنْ يكونَ وقتُ العبد وقتًا واحدًا بلا تغيير، ويكونَ العبدُ في جميع أحواله بالله ولله، مأخوذًا عمّا سوى الله، فعند ذلك يكون هذا حاله.

* * *



باب في قول القائل: بمَ عرفتَ الله؟ والفرقُ بين المؤمن والعارف

قيل لأبي الحسين النُّوري رحمه الله: بم عرفتَ اللهَ تعالى؟ فقال: بالله. قيل: فما بالُ العقل؟ قال: العقلُ عاجزٌ لا يدلُّ إلاّ على عاجزٍ مثله: «لمّا خلقَ اللهُ العقلَ قال له: من أنا؟ فسكتَ، فكحّلَهُ بنور الوحدانية، فقال: أنت الله»(١). فلم يكن للعقلِ أن يعرفَ اللهَ إلاّ بالله.

وسُئل عن أوّلِ فرضٍ افترضَ الله تعالى على عباده ما هو؟ فقال: المعرفة؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (ليعرفون).

وسُئل بعضُهم: ما المعرفة؟ فقال: تحقيقُ القلب بإثبات وحدانيته بكمال صفاته وأسمائه؛ فإنّه المُتفرِّدُ بالعزِّ والقدرة، والسُّلطان والعظمة، الحيُّ الدائم الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] بلا كيفٍ ولا شبه، ولا مثلٍ، بنفي الأضداد والأنداد والأسباب عن القلوب.

وقد قيل أيضًا: إنَّ أصلَ المعرفة موهبةٌ، والمعرفةُ نارٌ، والإيمانُ نور، والمعرفةُ وجدٌ، والإيمان عطاء.

والفرق بين المؤمن والعارف: المؤمنُ ينظرُ بنور الله، والعارفُ ينظرُ بالله عزَّ وجلَّ؛ للمؤمن قلبٌ، وليس للعارف قلب، وقلبُ المؤمن يَطمئنُّ بالذكر، ولا يطمئنُّ العارف بسواه.

والمعرفة على ثلاثة أوجه: معرفةُ إقرارٍ، ومعرفة حقيقةٍ، ومعرفةُ

(١) لم أجده بنصه. انظر كشف الخفا ١/ ٢٧٥ (٧٢٣).

مشاهدةٍ؛ وفي معرفةِ المُشاهدة يندرجُ الفهمُ والعلم، والعبادةُ والكلام[١]؛ والإشاراتُ في المعرفة ووصفها كثير[٢]، وفي القليلِ كفايةٌ وغنيةٌ للمستدلِّ والمسترشد، وبالله التوفيق.

وعن الحسن بن عليٍّ بن حيويه الدَّامغاني قال: سُئل أبو بكر الزاهد الإيادي[٣] عن المعرفة، فقال: المعرفةُ اسمٌ، ومعناه ثبوتُ تعظيمٍ[٤] في القلب يمنعُكَ عن التشبيه والتعطيل. / [٢٠]

* * *



(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: والعبارة والكلام.
(٢) في (ع): ووصفها كثير.
(٣) في (ن) و(ع): الزاهراباذي.
(٤) في (ن) و(ع): وجود تعظيم.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كتاب الأحوال والمقامات

باب في المقامات وحقائقها

قال الشيخ رحمه الله: فإنْ قيل: ما معنى المقامات؟ يُقال: معناه مقامُ العبد بين يدي الله عزَّ وجلَّ، فيما يُقام فيه من العبادات والمجاهدات، والرِّياضات والانقطاع إلى الله عزَّ وجلَّ، وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]، وقال: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤].

وقال: سُئل أبو بكر الواسطي رحمه الله عن قول النبي ﷺ: «الأرواحُ جُنودٌ مُجنَّدةٌ»(١). قال: «مُجنَّدةٌ» على قدرِ المقامات، والفرقُ بين المقام والحال أنّ الحال ينزلُ بالقلوب فلا يدومُ، والمقامُ مقامُ الرجل بظاهرِهِ وباطنِهِ في حقائقِ الطاعات. فالمقامات(٢) مثلُ التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والقناعة والرضا والتوكّل وغير ذلك.

* * *

(١) رواه البخاري (٣٣٣٦) تعليقًا، ومسلم (٢٦٣٨)، وأحمد في المسند ٢/ ٢٩٥، وأبوداود (٤٨٣٤).

(٢) في (ع)، والمثبت في (ن): قدر المقامات، والمقامات مثل.

باب في معنى الأحوال

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله: وأمّا معنى الأحوال فهو ما يحلُّ بالقلوب، أو تحلُّ به القلوب من صفاءِ الأذكار.

وقد حُكي عن الجُنيد رحمه الله أنه قال: الحالُ نازلةٌ تنزلُ بالقلوب فلا تدوم[(١)].

وقد قيل أيضًا: إنَّ الحالَ هو الذِّكرُ الخفيّ.

وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «خيرُ الذِّكرِ الخفيّ»[(٢)].

وليس الحالُ من طريقِ المجاهدات والعبادات والرياضات كالمقامات التي ذكرناها، وهي مثل المُراقبة والقرب، والمحبّةِ والخوف، والرجاء والشوق، والأُنس والاطمأنينة[(٣)]، والمشاهدة واليقين، وغير ذلك.

وقد حُكي عن أبي سُليمان الدّاراني رحمه الله أنّه قال: إذا صارتِ المعاملةُ إلى القلوبِ استراحتِ الجوارح.

وهذا الذي قال أبو سُليمان يَحتملُ معنيين:

أحدُهما[(٤)]: أنّه أرادَ بذلك: استراحتِ الجوارحُ من المُجاهدات، والمُكابدات من الأعمال؛ إذا اشتغلَ بحفظِ قلبه، ومُراعاة سرّه من الخواطر المُشغلة، والعوارضِ المذمومة التي/ تُشغل قلبَه عن ذكرِ الله تعالى. [٢١]

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: فلا تُدفع.

(٢) رواه أحمد في المسند ١/١٧٦، ١٨٠، ١٨٧، وابن أبي شيبة ١٠/٣٧٥، ١٣/٢٤٠، وأبو يعلى (٧٣١)، والبيهقي في الشعب ١/٤٠٦. وإسناده ضعيف.

(٣) في (ع): الطمأنينة.

(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: يحتمل معانٍ، أحدها.

ويحتمل أيضًا[1]: أنّه أراد بذلك: أن يتمكَّنَ من المُجاهدات والأعمال والعبادات، وتصير وطنَهُ حتى يستلذَها بقلبه، ويجد حلاوتها، ويسقط عنه التعبُ، ووجودُ الألم الذي كان يجدُ قبل ذلك.

كما قال بعضهم وأظنُه محمد بن واسع رحمه الله قال: كابدتُ الليلَ عشرين سنة، فتنعَّمْتُ به عشرين سنة.

وقال آخرُ وأظنُّه مالك بن دينار رحمه الله: مضغت القرآنَ عشرين سنة، ثم تنعَّمْتُ بتلاوته عشرين سنة.

وقال الجُنيد رحمه الله: لا يُوصلُ إلى رعاية الحقوقِ إلاّ بحراسة القلوب، ومن لم يكنْ له سرٌّ فهو مُصِرٌّ، والمصرّ لا تصفو له حَسَنَةٌ.

وأجوبة الشيوخ في المقامات تكثر، وكذلك في الأحوال، وقد ذكرتُهُ على الاختصار، والله الموفق.

* * *



(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: والثاني.

باب مقام التوبة

قال أبو يعقوب يوسف بن حمدان السوسي رحمه الله: أوّلُ مقامٍ من مقامات المنقطعين إلى الله تعالى التوبة.

وسُئل السوسي عن التوبة، فقال: التوبة الرجوع من كلّ شيءٍ ذمَّهُ العلم إلى ما مدحَهُ العلم.

وسُئل سهل بن عبد الله عن التوبة، فقال: ألاّ تنسى ذنبَكَ.

وسُئل الجُنيد رحمه الله عن التوبة، فقال: هي نسيانُ ذنبك.

قال الشيخ رحمه الله: فالذي أجابَ السوسي رحمه الله عن التوبةِ، أجابَ عن توبة المُريدين والمتعرّضين، والطالبين، والقاصدين، وهم الذين تارةً لهم، وتارةً عليهم.

والذي قال سهل بن عبد الله أيضًا فكذلك.

وأمّا ما أجابَ الجُنيد رحمه الله عن التوبة: (أن ينسى ذنبه) أجاب عن توبةِ المتحقِّقين؛ لأنّهم لا يذكرون ذنوبهم؛ لما غلبَ على قلوبهم من عظمةِ الله تعالى من دوامِ[1] ذكره.

وهو مثلُ ما سُئل رُويم بن أحمد البغدادي رحمه الله عن التوبة، فقال: التوبةُ من التوبة.

وكذلك أيضًا سُئل ذو النون رحمه الله عن التوبة، فقال: توبةُ العوام من الذنوب، وتوبةُ الخواصّ من الغفلة.

فأمّا لسانُ أهلِ المعرفة والواجدين وخُصوص الخصوص في معنى التوبة فهو ما قالَهُ أبو الحسين أحمد بن محمد النُّوري رحمه الله، حين سُئل عن

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: ودوام ذكره.

التوبة، فقال: التوبةُ أن تتوبَ من كلِّ شيءٍ سوى الله تعالى.

وإلى هذا أشار الذي أشارَ بقولِهِ: ذنوبُ المقرَّبين حسناتُ الأبرار(١). وهو ذو النون.

والذي قال أيضًا: رياءُ العارفين إخلاصُ المريدين؛ لأنَّ الذي كان يتقرَّبُ به العارف إلى الله عزَّ وجلَّ في وقتِ قصدِهِ وابتدائه، وتعرُّضه من القربات والطاعات، فلمّا تمكَّن وتحقَّقَ بذلك، وشملتْهُ أنوارُ الهداية، وأتته العنايةُ، وحوته الرعاية، وشاهد ما شاهدَهُ بقلبه من عظمة سيِّده، والتَّفكُّرُ في صنع صانعه، وقديم إحسانه، تابَ عن المُلاحظة والسُّكون، والالتفات إلى ما كان من طاعاته وأعماله وقرباته في حين إرادته وبداياته، فشتَّان بين تائبٍ وتائب: فتائبٌ يتوبُ من الذنوب والسَّيئات، وتائبٌ يتوبُ من الزَّلل والغفلات، وتائبٌ يتوبُ من رُؤية الحسنات والطاعات.

والتوبة تقتضي الورع.



* * *

---

(١) قال العجلوني في كشف الخفا ١/٤٢٨(١١٣٧) هومن كلام أبي سعيد الخراز كمارواه ابن عساكر في ترجمته، وعزاه الزركشي في لقطته الى الجنيد، وعدّه بعضهم حديثًا.

باب مقام الورع

قال الشيخ رحمه الله: ومقامُ الورعِ مقامٌ شريف، قال النبي ﷺ: «ملاك دينِكُم الورعُ»(١).

وأهلُ الورعِ على ثلاث طبقات:

فمنهم من تورَّعَ عن الشُّبهات التي اشتبهتْ عليه، وهي ما بين الحرام البيِّن والحلالِ البيّن، وما لا يقعُ عليه اسمُ حلالٍ مُطلقٍ، ولا اسم حرامٍ مُطلقٍ، فيكون بين ذلك، فيتورَّعُ عنهما، وهو كما قال ابن سيرين رحمه الله: ليس شيءٌ أهونَ عليَّ من الورع؛ إذا رابني شيءٌ تركته.

ومنهم من يتورَّعُ عمَّا يقف عنه قلبُهُ، ويحيكُ في صدره عند تناولها، وهذا لا يعرفُهُ إلاَّ أربابُ القلوب والمحقِّقون(٢)، وهو كما رُوِي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الإثمُ ما حاكَ في صدرِك»(٣).

[٢٢] وقال أبو سعيد الخراز/ رحمه الله: الورع أن تتبرَّأَ من مظالم الخلقِ من مثاقيل الذرِّ، حتى لا يكونَ لأحدِهِم قِبَلَكَ مظلمةٌ ولا دعوىً ولا طلبة.

وكما حُكي عن الحارث المحاسبي رحمه الله أنَّه كان لا يمدُّ يدَهُ إلى طعامٍ فيه شبهة.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٥/ ٢٨٤(٢٦١١٥) و٧/ ٨٨ (٣٤٤٠٥) عن عمرو بن قيس الملائي، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد١/ ١٢٠عن حذيفة بن اليمان بلفظ «. . .وخيردينكم الورع»وقال: رواه الطبراني في الأوسط ٤/ ٣٧٣ (٣٩٦٠)، والبزار ٧/ ٣٧١ (٢٩٦٩)، ورواه أيضًا بلفظ: «خير دينكم» أبونعيم في الحلية ٢/ ٢١١، والحاكم في المستدرك ١/ ٩٢.

(٢) في (ن) و(ع): القلوب المتحققون.

(٣) رواه أحمد في المسند ٤/ ١٨٢، ٢٢٧، ٢٥٢، ومسلم (٢٥٥٣)، والترمذي (٢٣٨٩)، والدارمي (٢٧٨٩) عن النواس بن سمعان.

وقال جعفر الخُلدي رحمه الله: كان على طَرَفِ أُصبعه الوسطى عرقٌ، إذا مدَّ يده إلى طعامٍ فيه شبهةٌ ضَرَبَ عليه ذلك العرقُ.

وكما حُكي عن بشر الحافي رحمه الله: أنَّه دُعي إلى دعوةٍ[١]، فوضعَ بين يديه طعامٌ، فجهدَ أن يمدَّ يده إليه، فلم تمتدَّ، ثم جهد، فلم تمتدَّ ثلاث مرات، فقال رجلٌ ممّن كان يعرفُهُ: إنَّ يدَهُ لا تمتدُّ إلى طعامٍ حرامٍ أو فيه شبهةٌ، ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة أن يدعوَ هذا الرجل إلى بيته!

وتقوّي هذا حكايةُ سهل بن عبد الله: سمعتُ أحمد بنَ محمد بن سالم بالبصرة يقول: سُئل سهلُ بنُ عبد الله عن الحلال، فقال: الحلالُ الذي لا يُعصى اللهُ فيه.

قال أبو نصر رحمه الله: والذي لا يُعصى اللهُ فيه لا يتهيّأُ لأحدٍ الوقوفُ عليه إلاّ بإشارة القلب.

فإن قالَ قائلٌ: هل تجدُ لذلك أصلاً يتعلَّقُ به من العلم؟ فيُقال: نعم، قولُ النبي ﷺ لوابصة: «استفتِ قلبَك، وإن أفتاك المُفتون»[٢] والذي قال أيضًا: «الإثمُ ما حاكَ في صدرك»[٣] ألا ترى أنَّه قد ردَّه إلى ما يُشير به عليه قلبه؟

وأمّا الطبقةُ الثالثة في الورع فهم: العارفون والواجدون، وهو كما قال أبو سُليمان الدّاراني رحمه الله: كلُّ ما شغلَكَ عن الله فهو مَشؤومٌ عليك.

وكما قال سهل بنُ عبد الله حين سُئل عن الحلال الصافي، فقال: الحلالُ الصافي الذي لا يُعصى الله فيه، والحلال الصافي الذي لا يُنسى الله فيه.

فالورعُ فيما لا يُنسى اللهُ فيه هو الورع الذي سُئل عنه مرةً الشبلي

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: أنه حُمل إلى دعوة.

(٢) تقدم صفحة (٢٤) مع تخريجه.

(٣) تقدم قبل صفحة.

رحمه الله، فقيل له: يا أبا بكر، ما الورعُ؟ فقال: أن تتورّعَ حتّى يغيبَ قلبُك، أو[١] ألاّ يتشتت قلبك عن الله عزَّ وجلَّ طرفةَ عينٍ.

فالأولُ ورعُ العموم، والثاني ورعُ الخصوص، والثالثُ ورعُ خصوصِ الخصوص.

والورع يَقتضي الزُّهد.

* * *



(١) قوله: (حتى يغيب قلبك، أو) ليست في (ن) ولا في (ع).

باب مقام الزهد

قال الشيخ رحمه الله: والزُّهدُ مقامٌ شريف، وهو أساسُ الأحوال المرضية[١] والمراتب السنية؛ وهو أوّلُ قدم القاصدين إلى الله عزَّ وجلَّ، والمُنقطعين إلى الله، والرَّاضين عن الله، والمتوكّلين على الله تعالى، فمن لم يُحكمْ أساسَهُ في الزُّهد، لم يصحَّ له شيءٌ ممّا بعده، لأنَّ حبَّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ، والزُّهدُ في الدنيا رأسُ كلِّ خيرٍ وطاعة.

ويقال: إن من سُمّي باسم الزُّهد في الدنيا فقد سُمّي بألفِ اسمٍ محمود، ومن سُمّي باسم الرغبة في الدنيا فقد سُمّي بألف اسمٍ مذموم، وهو ما اختارَ رسولُ الله لنفسه باختيار الله له، والزُّهد في الحلال الموجود. وأما الحرام والشُّبهةُ فتركُهُ واجب، والزهّاد على ثلاث طبقات[٢]:

١ فمنهم المبتدئون، وهم الذين خلتْ أَيديهم من الأملاك، وخلتْ قلوبُهم ممّا تخلّت منه أيديهم[٣]، كما سُئل الجُنيد رحمه الله عن الزهد، فقال: تخلّي الأيدي من الأملاك، وتخلّي القلوب من الطمع.

وسُئل سريٌّ السَّقطي رحمه الله عن الزهد، فقال: أن يخلوَ قلبُهُ مّما خلَتْ منه يداه.

٢ وفرقة محقّقون في الزهد، ووصفهم ما أجاب رويم بنُ أحمد رحمه الله، حين سُئل عن الزهد، فقال: تركُ حظوظِ النفسِ من جميعِ ما في الدنيا، فهذا زهدُ المتحقّقين، لأنَّ في الزهد في الدنيا حظًّا للنفس، لَما في الزُّهد من الراحة والثناء والمحمدة، واتّخاذ الجاه عند الناس؛ فمن زهد

(١) في (ع) والمثبت في (ن): الأحوال الرضية.
(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: ثلاث فرق.
(٣) في(ن) و(ع): بما خلت منه أيديهم.

بقلبه في هذه الحظوظ فهو متحقِّقٌ في زهده.

٣ـ **والفرقة الثالثة**: علموا وتيقّنوا أنْ لو كانت الدُّنيا كلُّها لهم مُلكًا حلالاً، ولا يُحاسبون عليها في الآخرة، ولا يُنقِصُ ذلك ممّا لهم عند الله شيئًا، ثم زهدوا فيها لله عزَّ وجلَّ، لكان زهدُهم في شيءٍ[١] منذ خلقها الله تعالى ما نظرَ إليها[٢]، و«لو كانتِ الدُّنيا تزنُ عند الله جناحَ بعوضةٍ ما سقى الكافرَ منها شربةَ من ماء»[٣]، فعند ذلك زهدوا في زُهدِهم/، وتابوا من [٢٣] زهدهم.

كما سُئل الشِّبلي رحمه الله عن الزهد، فقال: الزهد غفلةٌ، لأنَّ الدُّنيا لا شيء، والزهدُ في لا شيءٍ غفلة.

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: الدُّنيا كالعروس، ومَنْ يطلبُها ماشطتُها، والزَّاهدُ فيها يسخّم وجهها، وينتفُ شعرَها، ويخرِقُ ثوبها، والعارفُ مُشتغلٌ بالله، لا يلتفتُ إليها[٤].

والزهدُ يقتضي معانقةَ الفقر واختياره.



(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: لزهدوا عن زهدهم في شيء.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: نظر إليه.

(٣) حديث حسن رواه الترمذي (٢٣٢٠) وابن ماجه (٤١١٠) عن سهل بن سعد.

(٤) تقدم القول صفحة (٥٦).

باب مقام الفقر، وصفة الفقراء

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله: والفقر مقامٌ شريف، وقد وصف الله تعالى الفقراء وذكرهم في كتابه فقال: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ . . . ﴾ الآية [البقرة: ٢٧٣].

وقال ﷺ: «الفقرُ أزينُ بالعبد المؤمن من العذارِ الجيّد على خدِّ الفرس»(١).

وقال إبراهيم بن أحمد الخواص رحمه الله: الفقرُ رداءُ الشرف، ولباسُ المُرسلين، وجلبابُ الصَّالحين، وتاجُ المُتَّقين وزينُ المؤمنين، وغنيمةُ العارفين، ومُنيةُ المريدين، وحصنُ المُطيعين، وسجن المذنبين، ومكفِّرٌ للسيئات، ومعظِّمٌ للحسنات، ورافعٌ للدرجات، ومبلِّغٌ إلى الغايات ورضا الجبار، وكرامةٌ لأهل ولايته من الأبرار؛ والفقر هو شعار الصالحين، ودأبُ المتقين.

والفقراءُ على ثلاث طبقات:

فمنهم: من لا يملكُ شيئًا، ولا يطلبُ بظاهره ولا بباطنه من أحدٍ شيئًا، ولا ينتظرُ من أحدٍ شيئًا، وإن أُعطي شيئًا لم يأخذ، فهذا مقامُهُ مقامُ المُقرّبين.

كما حُكي عن علي بن سهل الأصبهاني(٢): أنَّه كان يقولُ: حرامٌ على كلِّ

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١٩٩)، والطبراني في الكبير ٧/ ٢٩٥ (٧١٨١) عن شدّاد بن أوس، وهو عند ابن عدي في الكامل١/ ٣٣٨ (ترجمة إسحاق بن إبراهيم بن عباد) من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٤٠. قال المناوي في فيض القدير ٤/ ٤٤٦: قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف.

(٢) في (ن) و(ع): سهل بن علي بن سهل. وسيأتي الخبر مصححًا (٢٢٤).

من يُسمّي أصحابنا الفقراء؛ لأنَّهم أغنى خلقِ الله عزَّ وجلَّ.

وكما سُئل أبو عبد الله بن الجلاء عن حقيقةِ الفقر، فقال: اضرب بكمّيك على الحائط، وقل: ربي الله.

وكما قال أبو علي الرُّوزباري: سألني أبو بكر الزقاق، فقال: يا أبا علي، لِم تَركَ الفقراءُ أخذَ البُلغةِ في وقت الحاجة؟ قال: فقلتُ: لأنَّهم مُستغنون بالمعطي عن العطاء. فقال: نعم، ولكن وقع لي شيءٌ آخرُ. فقلت: هات، أفدني ما وقع لك. فقال: لأنَّهم قومٌ لا ينفعهم الوجود؛ إذِ اللهُ فاقتُهُم، ولا تضرُّهم الفاقةُ، إذِ الله وجودهم.

قال: وسمعتُ أبا بكر الوجيهي يقول: سمعتُ أبا علي يقول هذا.

وسمعت أبا بكر الطُّوسيَّ يقول: كنتُ مدَّةً طويلةً أسألُ عن معنى اختيارِ أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء، فلم يُجبني منهم أحدٌ بجوابٍ يُقنعني، حتى سألتُ نصر بن الحمامي، فقال لي: لأنَّه أوّلُ منزلةٍ من منازل التوحيد. فقنعتُ بذلك.

ومنهم: من لا يملك شيئًا، ولا يسألُ أحدًا شيئًا، ولا يطلب، ولا يعرّض، وإنْ أُعطي شيئًا من غير مسألةٍ[1] أخذ.

وقد حُكي عن الجُنيد رحمه الله، أنه قال: علامةُ الفقير الصادقِ ألاّ يسألَ، ولا يُعارضَ، وإن عُورض سكت.

هذا وكما حُكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله، أنَّهُ سُئلَ عن الفقير الصادق، فقال: لا يسألُ ولا يردُّ، ولا يحبسُ.

وكما سُئل أبو عبد الله بن الجلاء رحمه الله عن حقيقةِ الفقر، فقال: هو ألاَّ يكونَ لك، فإذا كان لك لا يكونُ لك، ومن حيث لم يكن لك لم يكن لك.

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: من غير طلب.

وكما سُئل إبراهيمُ الخوّاص رحمه الله عن علامة الفقير الصادق، فقال: تركُ الشكوى، وإخفاءُ أثر البلوى، ولهذا قد قيل: إنَّ هذا مقامه مقام الصدّيقين.

ومنهم: من لا يملك شيئًا، وإذا احتاجَ انبسطَ إلى بعض إخوانه ممّن يعلمُ أنَّه يفرحُ بانبساطه إليه، فكفارة مسألته صدقه.

وهذا كما سُئل الجريري رحمه الله عن حقيقة الفقر، فقال: لا يطلبُ المعدوم حتّى يفقدَ الموجود.

وكما سُئل رُويم رحمه الله عن الفقر، فقال: عدمُ كلِّ موجود، ويكون دخولُهُ في الأشياء لغيرِهِ لا له، وهذا مقامه مقام الصدّيقين[1] في الفقر.

والفقرُ يقتضي مقامَ الصبر[2].

* * *



(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: مقام الصادقين.

(٢) في هامش الأصل: وفي الأصل ما مثاله: سَمع من أول الكتاب إلى هنا من أبي بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني بقراءة أبي حفص عمر الفراوي: أبو الفتح بن سمكويه، والبحتري، ومنصور المروزي، وعبد الواحد الطبيب، وعبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي وجماعة في رمضان سنة خمسي وستين وأربع مئة. وصح وثبت. نقلته كما. . . . بخط ابن يحيى. وكتب أحمد بن محمد الظاهري. أقول: جاء اثبات السماع في الصفحات: ١٤٣، ٢٠٦، ٢٦٧، ٣٣٦، ٣٩٥، ٤٥٢، ٤٩٧، ٥٣٩، ٥٧٩.

باب مقام الصبر

قال الشيخ رحمه الله: والصبرُ مقامٌ شريف، وقد مدحَ اللهُ تعالى الصابرين، وذكرهم في كتابه فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقد سُئل الجُنيد عن الصبر، فقال: حمل المؤن لله تعالى حتى تنقضي أوقات/ المكروه. [٢٤]

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله: هربَ أكثرُ الخلق من حمل أثقال الصبر، فالتجؤوا[1] إلى الطلب والأسباب، واعتمدوا عليها كأنها لهم أرباب.

قال: ووقف رجلٌ على الشِّبلي رحمه الله، فقال له: أيُّ صبرٍ أشدُّ على الصابرين؟ فقال الشلبي: الصبرُ في الله تعالى. فقال: لا. فقال: الصبر لله. فقال الرجل: لا. فقال الشبلي: الصبر مع الله. فقال: لا. قال: فغضب الشبلي رحمه الله، وقال: ويحك فأيش؟ فقال الرجل: الصبر عن الله عزَّ وجلَّ. قال: فصرخ الشبلي رحمه الله صرخةً كاد أن يتلفَ روحه.

قال: وسألت ابنَ سالم بالبصرة عن الصبر، فقال: على ثلاثةِ أوجهٍ: متصبّرٌ، وصابر، وصبَّار:

فالمتصبرُ: من صبر في الله تعالى، فمرَّةً يصبرُ على المكاره، ومرَّةً يعجِزُ، وهذا كما سُئل القنَّاد رحمه الله عن الصبر، فقال: ملازمةُ الواجب في الإعراض عن المنهيِّ عنه، والمواظبةُ على المأمور به.

والصابرُ: من يصبرُ في الله، ولله، ولا يجزعُ، ولا يتمكَّنُ منه الجزع،

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: فألجئوا إلى الطلب.

ويتوقع منه الشكوى، كما حُكي عن ذي النون رحمه الله، أنه قال: دخلتُ على مريضٍ أَعودُهُ، فبينما كانَ يُكلّمني أنَّ أنَّةً، فقلت له: ليس بصادقٍ في حبِّه من لم يصبرْ على ضربه. قال: فقال المريض: بل ليس بصادقٍ في حبِّه من لم يتلذَّذْ بضربه.

وكما قال الشبلي رحمه الله؛ لما أُدخل المارستان وقُيِّدَ، فدخل عليه بعضُ أصدقائه[1]، فقال لهم: أيشٍ أنتم؟ فقالوا: نحن قومٌ نحبُّك. فأخذَ يرميهم بالآجرّ، فهربوا كلُّهم، فقال: يا كذّابون[2]، تدّعون محبّتي ولم تصبروا على ضربي وبلائي!.

وأمّا الصَّبَّار: فذاك الذي صبْرُهُ في الله، ولله، وبالله، فهذا لو وقع عليه جميعُ البلايا لا يعجِزُ ولا يتغيَّرُ من جهة الوجوب والحقيقة، لا من جهةِ الرسمِ والخِلقة.

وكان يتَّمثلُ الشِّبليُّ رحمه الله، بهذه الأبيات إذا سُئل عن الصبر[3]:

عبراتٌ خَطَطْنَ في الخدِّ سطرا ... قد قراها مَنْ ليسَ [يُحسن] يقرا
إنَّ صوتَ المُحبِّ من ألَمِ الشّو ... قِ وخوفِ الفِراقِ يُورث ضرّا[4]
صابرَ الصبرَ فاستغاثَ به الصَّبْـ ... ـرُ فصاحَ المُحبُّ بالصبر: صبرا[5]

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: فدخل عليه جماعة.

(٢) في الأصل: يا كذابين.

(٣) ذكرالأبيات ابن عساكر في تاريخ دمشق مرتين الأول١٧/ ٤٣٤ ترجمة (ذي نون) قال ذوالنون: كان لي عصًا مكتوب عليها. والثانية ٥٦/ ٤٣٣ (ترجمة مالك بن دينار) قال صدقة: قرأت على عكازة مالك بن دينار.

(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: إن الموت.. وحسن العزاء يورث ضيرا. وفي ابن عساكر٥٦/ ٤٣٣: وحسن البلاء يورث عذرا.

(٥) في هامش الأصل: وفي نسخة: للصبر صبرا.

وفي ابن عساكر ٥٦/ ٤٣٣: صبّر الصبر.

وحجَّةُ هذا في العلم ما رُوي في الخبر: أنَّ زكريا عليه السلام لّما وُضعَ على رأسه المنشار أَنَّ أنَةَ واحدةً، فأوحى الله تعالى إليه: إنْ صعدتْ منك إليّ أنّةٌ واحدةٌ لأقلبنَّ السماواتِ والأرضين بعضَها على بعض[(١)].

والصبر يقتضي التوكُّل.

* * *



---

(١) أثر رواه الدينوري في المجالسة ١/ ٣٣٣عن وهب بن منبه، وابن العديم في بغية الطلب ٨/ ٣٨١٢، وابن عساكر في التاريخ ١٩/ ٥٥ في ترجمة زكريا بن حنا.

باب مقام التوكل

قال الشيخ رحمه الله: والتوكُّلُ مقامٌ شريف، وقد أمرَ اللهُ تعالى بالتوكُّلِ، وجعلَهُ مَقروناً بالإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وقال في موضع آخر: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

فخصّ توكّل المتوكّلين من توكّل المؤمنين، ثم ذكر توكّل خصوص الخصوص، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] لم يردَّهم إلى شيءٍ سواه، كما قال لسيد المُرسلين وإمامِ المتوكّلين: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٨] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ...﴾ الآية [الشعراء: ٢١٧-٢١٨].

فهم على ثلاث طبقات:

فأمّا توكُّلُ المؤمنين: فشرطه ما قال أبو تُراب النَّخْشَبي رحمه الله، حين سُئل عن التوكُّلِ، فقال: التوكُّلُ: طرحُ البدن في العبودية، وتعلّقُ القلب بالربوبية، والانقطاع إلى الله بالكلّية[١]، والطمأنينة إلى الكفاية، فإنْ أُعطي شكر، وإن مُنعَ صبر راضيًا موافقًا للقدر.

وكما سُئل ذو النون رحمه الله عن التوكُّل، فقال: التوكُّلُ تركُ تدبير النفس، والانخلاعُ من الحول والقوة.

وكما قال أبو بكر الزقّاق رحمه الله: التوكُّلُ ردُّ العيش إلى يومٍ واحدٍ، وإسقاطُ همّ غدٍ[٢].

---

(١) قوله: (والانقطاع إلى الله بالكلية) ليست في (ع).

(٢) في الأصل: وفي نسخة: هم الغد.

وسئل رُويم رحمه الله، عن التوكُّل، فقال: الثقةُ بالوعد.

وسُئل سهل بن عبد الله رحمه الله عن التوكل، فقال: الاسترسالُ مع الله تعالى على ما يُريد.

[٢٥] **وأما توكُّلُ أهل الخصوص فكما/** قال أبو العباس أحمد بن عطاء رحمه الله: مَنْ توكَّلَ على الله لغير الله لم يتوكّلْ على الله في توكُّلِهِ حتى يتوكّلَ على الله بالله لله، ويكون متوكّلاً على الله في توكّله لا لسببٍ آخر.

أو كما قال أبو يعقوب النَّهْرَجوري رحمه الله، وقد سُئل عن التوكّل، فقال: موتُ النفسِ عند ذهابِ حظوظها من أسبابِ الدنيا والآخرة.

وقد قال أيضًا أبو بكر الواسطي: أصلُ التوكُّلِ الفاقةُ والافتقار، وألاّ يفارقَ التوكّل في أمانيه، ولا يلتفت بسرِّهِ إلى توكّله لحظةً في عمره.

وسُئل سهلُ بن عبد الله رحمه الله أيضًا عن التوكُّل، فقال: التوكُّل وجهٌ كلّه، وليس له قفًا، ولا يصحُّ إلاّ لأهل المقابر[١].

فهؤلاء أشاروا إلى حقيقة توكُّلِ المتوكّلين، وهم الخصوص.

وأما توكّلُ خصوص الخصوص: فعلى ما قال الشِّبلي رحمه الله حين سُئل عن التوكل، فقال: أن تكونَ لله كما لم تكنْ، ويكونَ اللهُ تعالى لك كما لم يزل.

وكما قال بعضُهُم: حقيقةُ التوكّلِ لا يقومُ له أحدٌ من خلقه على الكمال؛ لأنَّ الكمالَ بالكمال لا يكونُ إلاّ لله جلَّ جلاله.

وسئل أبو عبد الله بن الجلاء عن التوكّل، فقال: الإيواءُ إلى الله وحده.

وسُئل الجُنيد رحمه الله عن التوكّل، فقال: اعتمادُ القلب على الله تعالى في جميع الأحوال.

وقد حُكي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله أنّه قال لأحمد بنِ

---

(١) في الأصل: وفي نسخة: لأهل المقادير.

أبي الحواري رحمه الله: يا أحمد، إنَّ طُرُقَ الآخرة كثيرةٌ، وشيخُك عارفٌ بكثيرٍ منها إلاّ هذا التوكّل المبارك؛ فإنّي ما شممتُ منه رائحةً، وليس منه مشام الريح.

وقال بعضهم: من أرادَ أن يقومَ بحقِّ التوكُّل فليحفرْ لنفسه قبرًا ويدفنها فيه، وينسى الدُّنيا وأهلها؛ لأنَّ حقيقة التوكّلِ لا يقومُ له أحدٌ من الخلقِ على كماله.

والتوكُّلُ يقتضي الرِّضا.

* * *



باب مقام الرضا وصفة أهله

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله: الرِّضا مقامٌ شريف، وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ الرِّضا في كتابه فقال: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] فذكر أنَّ رضا الله عزَّ وجلَّ عن عبادِهِ أكبرُ وأقدمُ من رضاهم عنه.

والرِّضا باب الله الأعظم، وجنَّةُ الدنيا، وهو أن يكونَ قلبُ العبد ساكنًا تحت حكم الله عزَّ وجلَّ.

وسئل الجُنيد رحمه الله عن الرِّضا، فقال: الرِّضا رفعُ الاختيار.

وسئل القنّاد[1] رحمه الله عن الرضا، فقال: سكون القلب[2] بمرِّ القضاء.

وسئل ذو النون عن الرِّضا، فقال: سرورُ القلب بمرِّ القضاء.

وقال ابنُ عطاء رحمه الله: الرِّضا نظرُ القلب إلى قديمِ اختيار الله تعالى للعبد؛ لأنَّه يعلمُ أنَّه اختارَ له الأفضل، فيرضى به ويترك السخط.

وقال أبو بكر الواسطي رحمه الله: استعملِ الرِّضا جهدك، ولا تدعِ الرضا يستعملك، فتكون محجوبًا بلذَّته ورؤية حقيقته.

غير أنَّ أهل الرضا في الرِّضا على ثلاثةِ أحوال:

فمنهم: من عملَ في إسقاط الجزع حتى يكون قلبُهُ مستويًا لله عزَّ وجلَّ فيما يجري عليه من حكم الله من المكاره والشدائد، والرَّاحات والمنع والعطاء.

---

(١) في الأصل: وفي نسخة: وسئل النُّوري.

(٢) في الأصل: وفي نسخة: سرور القلب.

ومنهم: من ذهب عن رؤية رضائه عن الله عزَّ وجلَّ برؤية رضا الله عنه؛ لقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩]، فلا يثبتُ لنفسه قدمٌ في الرضا، وإن استوى عنده الشدّةُ والرخاء، والمنعُ والعطاء.

ومنهم: من جاوز هذا، وذهبَ عن رؤية رضا الله عنه ورضاه عن الله لِمَا سبقَ من الله تعالى لخلقه من الرضا، كما قال أبو سُليمان الدّاراني رحمه الله: ليس أعمالُ الخلقِ بالذي يُرضيه ولا بالذي يُسخطه؛ ولكنّه رضيَ عن قومٍ فاستعملهم بعملِ أهل الرضا، وسخطَ على قومٍ فاستعملهم بعمل أهل السخط[1].

والرِّضا آخرُ المقامات، ثم يقتضي من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب، ومطالعة الغيوب، وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقائق الأحوال.

فأوّل حالٍ من أحوال أرباب القلوب حال المراقبة.

* * *



(١) تقدم هذا القول صفحة (٥٤).

باب مراقبة الأحوال وحقائقها وصفة أهلها

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله: والمراقبة حالٌ شريفٌ، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]/ . [٢٦]

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقال: ﴿يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾[١] [التوبة: ٧٨].

[وقال]: ﴿يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩] ومثله في القرآن كثير.

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: «اعبدِ الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه[٢] يراك»[٣].

والمراقبة لعبدٍ قد علم وتيقَّنَ أنَّ الله تعالى مُطَّلعٌ على ما في قلبه وضميره، وعالمٌ بذلك، فهو يُراقبُ الخواطر المذمومة المُشغلة للقلب[٤] عن ذكر سيده.

كما قال أبو سُليمان الداراني رحمه الله: كيف يَخفى عليه ما في القلوب! ولا يكونُ في القلوبِ إلاّ ما يُلقي فيها، أفيخفى عليه ما هو منه؟

وقال الجُنيد رحمه الله: قال لي إبراهيمُ الآجرّيُّ رحمه الله: يا غلام، لأن تَرُدَّ من همِّك إلى الله تعالى ذرَّةً خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس.

---

(١) في الأصل: وفي نسخة: يعلم سركم ونجواكم.

(٢) في الأصل: وفي نسخة: تراه فاعلم أنه يراك.

(٣) جزء من حديث جبريل عليه السلام المشهور الذي سأل رسول الله ﷺ به عن الإسلام والإيمان والإحسان، تقدم صفحة (٨).

(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: المشغلة لقلب العبد.

وقال الحسنُ بنُ[(١)] عليِّ الدَّامَغاني رحمه الله: عليكم بحفظِ السرائر؛ فإنّه مُطَّلعٌ على الضمائر.

وأهلُ المراقبة على ثلاثة أحوالٍ في مراقبتهم:

فأمَّا ما قال الحسنُ بن علي: **فهذا حالُ الابتداء في المراقبة.**

وأما **الحال الثاني** في المراقبة: فكما حُكي عن أحمد بن عطاء رحمه الله: أنَّه قال: خيرُكُم من راقبَ الحقَّ بالحقِّ في فناءِ ما دون الحقِّ، وتابع المصطفى في أفعاله وأخلاقه وسيرته وآدابه.

وأما **الحال الثالث**: فحالُ الكبراء من أهل المراقبة، فإنّهم يُراقبون الله تعالى، ويَسألونه أن يرعاهم فيها، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد خصَّ نجباءه وخاصَّتَهُ بألاَّ يكلَهُم في جميعِ أحوالهم إلى نفوسهم ولا إلى أحدٍ[(٢)]، وهو الذي يتولَّى أمرَهم، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وقال ابن عطاء رحمه الله لبعضِ حُكماء خُراسان ممّن قد ولعَ بالجهل، وقارن التقشف: أو ما علمتَ أنَّ ما تقارن ببدنك أقذارٌ في جنب ما تُطالع بقلبك؟ وما تطالعه بقلبك هباءٌ في جنب ما تُراقب في سرِّك! فراقبِ الله تعالى في سرِّك وعلانيتك؛ فإنَّه خيرٌ ممّا تُقارن من عملك وعبادتك.

والمراقبة تقضي حالَ القرب.



---

(١) في الأصل: أبو الحسن بن علي.

(٢) في (ع): جميع أحوالهم إلى أحدٍ.

باب حال القرب

قال الشيخ رحمه الله: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥].

ثم قال في صفة ملائكته: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، الوسيلة تعني القرب.

وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥]، فذكر الله تعالى قربهم منه، ثم ذكر قربهم بمعنى توسُّلهم إلى الله تعالى بالقرب ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وحال القرب لعبدٍ شاهدَ بقلبه قُربَ الله منه، فتقرَّبَ إلى الله تعالى بطاعته، وجمع[(١)] همَّه بين يدي الله تعالى بدوام[(٢)] ذكره في علانيته وسرِّه.

وهم على ثلاثة أحوال:

فمنهم: المتقرّبون إليه بأنواعِ الطاعات، لعلمهم بعلمِ الله تعالى بهم، وقربه منهم، وقدرته عليهم.

ومنهم: من تحقَّق بذلك، كما قال عامرُ بنُ عبد القيس رحمه الله: ما نظرتُ إلى شيءٍ إلاّ رأيتُ اللهَ تعالى أقرب إليه[(٣)] مني.

---

(١) في (ع): وجميع همّه.

(٢) جاء في الأصل: بين يدي الله تعالى ذكره بدوام ذكره.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: أقرب إليَّ منه.

وهو كما قال القائل[١]:

وتَحَقَّقْتُكَ في السِّـ ـرِ فناجاك لساني[٢]
فاجتمعنا لمعانٍ وافترقنا لمعاني
إنْ يكنْ غيَّبك التَّعـ ـظيمُ عن لحظ عياني
فلقد صيَّركَ الوجـ ـدُ من الأحشاء داني

وقال الجُنيد رحمه الله: واعلم أنَّه يقرَبُ من قلوبِ عباده على حسب ما يَرى من قُرب قلوبِ عباده منه، فانظرْ ماذا يقرَبُ من قلبك؟

وقال آخر: إنَّ لله تعالى عبادًا قرَّبَهم الله عزَّ وجلَّ بما هو به[٣] قريبٌ منهم، وكانوا قريبين منه بما هو به قريبٌ إليهم؛ وهذه الدرجة الثانية من حال القرب.

فأما حال الكبراء وأهل النهايات: فهو على ما قال أبو الحسين النُّوري رحمه الله لرجلٍ دخلَ عليه، فقال: من أين أنت[٤]؟ قال: من بغداد. قال: مَنْ صحبتَ بها؟ قال: أبا حمزة. قال: إذا رجعت إلى بغداد فقل لأبي حمزة: قُرْبُ القُربِ في معنى ما نحن نُشير إليه بعدُ البعد.

[٢٧] وكما قال أبو يعقوب السوسي رحمه الله: ما دام العبد يكون/ بالقرب لم يكن قربٌ حتى يغيبَ عن القربِ بالقرب، فإذا ذهب عن رؤيةِ القُرب بالقُرب فذلك قرب. يعني عن رؤية قربه من الله عزَّ وجلَّ بقربِ الله منه.

وحال القرب يقتضي حالَ المحبة، وحال الخوف[٥].

* * *

(١) الأبيات تنسب للحلاج، الديوان (١٠١) وتنسب للجنيد.
(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: في سرِّي.
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: بما هو إليه قريب.
(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: من أين أقبلت.
(٥) في هامش الأصل: بلغ مقابلة.

باب حال المحبة

قال الشيخ رحمه الله: فأمّا حال المحبّةِ فقد ذكرَ الله تعالى المحبةَ في مواضع من كتابه، فقال في موضعٍ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال في آيةٍ آخرى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال في موضع آخر: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فذكر في الآية الأولى محبّتَهُ قبلَ محبّتهم، وفي الآية الثانية ذكرَ محبّتهم له ومحبّتِهِ لهم، وفي الآية الثالثة ذكر محبتهم له.

وحال المحبة لعبدٍ نظرَ بعينه إلى ما أنعمَ الله به عليه، ونظر بقلبهِ إلى قُربِ الله تعالى منه، وعنايته به، وحفظه وكلاءته له، فنظرَ بإيمانه وحقيقةِ يقينه إلى ما سبقَ له من الله تعالى من العنايةِ والهداية وقديم حبِّ الله له، فأحبَّ الله عزَّ وجلَّ.

وأهلُ المحبّة على ثلاثة أحوال:

فالحال الأول من المحبة: محبّةُ العامة، يتولّدُ ذلك من إحسانِ الله تعالى إليهم وعطفِهِ عليهم.

وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: «جُبلت القلوبُ على حبِّ من أَحسنَ إليها، وبُغضِ من أساءَ إليها...» الحديث[1].

---

(١) حديث رواه أبو نعيم في الحلية ٤/١٢١، وابن عدي في الكامل٢/٢٨٧ (في ترجمة الحسن بن عمارة) والخطيب في تاريخ بغداد ١١/ ٩٤، والبيهقي في شعب الإيمان =

وهذا الحال من المحبّةِ شرطُها ما سُئل سمنون رحمه الله عن المحبّة، فقال: صفاءُ الودِّ مع دوام الذِّكر؛ لأنَّ من أحبَّ شيئًا أكثرَ من ذكره.

وكما سُئل سهل بن عبد الله رحمه الله عن المحبّة، فقال: مُوافقةُ القلوبِ لله والتزامُ الموافقة لله، واتّباعُ الرسول ﷺ، مع دوامِ الاستهتار[(١)] بذكرِ الله تعالى، ووجودُ حلاوة المُناجاة لله عزَّ وجلَّ.

وسُئل الحسن بن علي الدَّامَغاني رضي الله عنه عن المحبّة، فقال: بذلُ المجهود، والحبيبُ يفعلُ ما يشاء.

وكما سُئل بعضُ المشايخ عن المحبة، فقال: استهتارُ القلوب بالثناء على المحبوب، وإيثارُ طاعته، والموافقةُ له.

كما قال القائل:

لو كان حبُّكَ صادقًا لأَطَعْتَهُ إنَّ المُحبَّ لمن يُحبُّ مُطيعُ[(٢)]

والحال الثاني من المحبة: وهو يتولَّدُ من نظرِ القلب إلى غنى الله وجلاله وعظمته، وعلمه وقدرته، وهو حبُّ الصادقين[(٣)] والمتحقِّقين.

وشرطُها ووصفُها كما حُكي عن أبي الحسين النُّوري رحمه الله: أنَّه سُئل عن المحبَّةِ، فقال: هتكُ الأستار وكشفُ الأسرار.

وسُئل أيضًا إبراهيمُ الخوّاص عن المحبّة، فقال: مَحوُ الإرادات،

= ١/ ٣٨١، ٦/ ٤٨١عن ابن مسعود، وصحح البيهقي وقفه، وذكر المناوي في فيض القدير ٣/ ٣٤٥: عن أحمد، ويحيى بن معين: أنه ليس له أصل، وهو موضوع.

(١) الاستهتار بالشيء: الفتن به ولزومه، وعدم المبالاة بنقد ولا بموعظة. المعجم الوسيط (هتر).

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة:

لو كنت تؤثر حبّه لأطعتَهُ إن المحبَّ لمن أحبَّ مُطيع

والبيت من المتنازع عليه، فهو في ديوان أبي العتاهية ٥٧٥، وديوان الشافعي ٨٧، وديوان محمود الوراق ١٣٩.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: حب الصديقين.

واحتراقُ جميعِ الصفات والحاجات.

وقد سُئل أبو سعيد الخرّاز رحمه الله عن المحبَّةِ، فقال: طُوبى لمن شربَ كأسًا من محبته، وذاقَ نعيمًا من مُناجاة الجليلِ وقربه بما وجد من اللَّذات بحبِّه، فَملأَ قلبه[١] حبًّا، وطار بالله طربًا، وهامَ إليه اشتياقًا؛ فيا لَهُ من وامقٍ! أَسِفٌ بربِّه، كلفٌ دنفٌ، ليس له سكنٌ غيره، ولا مألوفٌ سواه.

وأما الحال الثالث من المحبة: فهو محبَّة الصدّيقين والعارفين، تولَّدت من نظرهم ومعرفتهم بقديم حبِّ الله تعالى بلا علَّةٍ، فكذلك أحبُّوه بلا علّة.

وصفةُ هذه المحبَّة ما سئل ذو النون المصري، فقيل له: ما المحبَّةُ الصافية التي لا كُدرَة فيها؟ قال: حبُّ الله الصافي الذي لا كُدرةَ فيه[٢]: سقوطُ المحبَّةِ عن القلب والجوارح، حتى لا يكونَ فيها المحبَّة، وتكون الأشياء بالله ولله، فذلك المحبُّ لله[٣].

وقال أبو يعقوب السُّوسي رحمه الله: لا تصحُّ المحبَّةُ حتّى يخرجَ المحبُّ من رُؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب في الغيب، ولم يكن هو بالمحبة، فإذا خرج المحبُّ إلى هذه النسبة كان محبًّا من غير محبَّةٍ.

وسئل الجنيد رحمه الله عن المحبة، فقال: دخولُ صفاتِ المحبوب على البدل من صفات المحبّ، فهذا على معنى قوله: «حتّى أُحبّه، فإذا أحبَبْتُهُ كنتُ عينه التي يُبصر بها، وسمعه الذي يسمع به/، ويده التي[٤] يبطش بها»[٥]. [٢٨]

* * *

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: فمُلِىءَ قلبه.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: لا كدر فيه.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: فتلك المحبة

(٤) في الأصل: عينه الذي.. ويده الذي.

(٥) رواه البخاري (٦٥٠٢) والحديث هو الأشرف في صفة الأولياء.

باب حال الخوف

قال الشيخ رحمه الله: فأما حال الخوف فإنما ذكرنا الخوفَ والمحبّة، لأنَّ حالَ القُرب يقتضي حالين:

فمنهم: من يغلبُ على قلبه الخوف من نظره إلى قرب الله منه.

ومنهم: من تغلب على قلبه المحبّة[١]، وذلك على حسب ما قسم اللهُ للقلوب من التصديق وحقيقةِ اليقين والخشية، وذلك من كشف الغيوب؛ فإن شاهدَ قلبُهُ في قربه من سيِّده عظمته وهيبته وقدرتَهُ، فيؤدّيه ذلك إلى الخوف والحياء والوجل، وإن شاهد قلبُه في قربه لطف سيده، وقديم عطفه وإحسانه له ومحبته أدّاه ذلك إلى المحبة والشوق والقلق والحرق، والتّبرُّم بالبقاء؛ وذلك بعلمه ومشيئته وقدرته، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

والخوف على ثلاثة أوجه:

وقد ذَكَرَ الله تعالى الخوفَ وقَرَنَهُ بالإيمان بقوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، **فهذا خوف الأجلّة**[٢].

وقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرّحمن: ٤٦]، **فهذا خوف الأوساط**.

وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور: ٣٧]، **فهذا خوف العامة**.

فمنهم من خافَ من سخطِهِ وعقابه، كما ذكر الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ وهُم العامة، فخوفُهم اضطرابُ قلوبهم ممَّا علموا[٣] من سطوة معبودهم.

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: يغلب عليه.
(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: خوف الجلّة.
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: بما عملوا.

وأما الأوساط: فخوفُهم من القطعيةِ واعتراضِ الكُدورة في صفاء المعرفة.

وسُئل الشبلي رحمه الله عن الخوف، فقال: تخاف ألاّ يُسلمك إليك.

كما قال أبو سعيد الخرَّاز رحمه الله في كلام له، قال: شكوتُ إلى بعضِ العارفين الخوفَ، فقال لي: إنّي أشتهي أن أرى رجلاً يدري أيشِ الخوف من الله. ثم قال: إنَّ أكثرَ الخائفين خافوا على أنفسهم من الله شفقةً منهم على أنفسهم، وعملاً في خلاصها من أمرِ الله عزَّ وجلَّ.

وقال ابنُ خُبَيْق رحمه الله: الخائفُ عندي أن يكونَ بحكم الوقت، فوقتٌ يَخافُهُ المخلوق، ووقتٌ يأمنه.

وقال القنَّاد رحمه الله: علامةُ الخوف ألاّ يُعلِّلَ نفسَه بعسى وسوف.

وقال بعضُهم: علامةُ خوف الله تعالى هيجانُ القلوب، وشدَّةُ الذعر من الترهيب.

وقال ابن خُبَيْق رحمه الله: الخائفُ عندي من يَخافُ من نفسه أكثرَ ممّا يخافُ من الشيطان.

وأما أهل الخصوص من الخائفين فخوفُهم على ما قال سهل بنُ عبد الله رحمه الله: لو قسمَ ذرَّةً من خوفِ الخائفين على أهل الأرض لَسَعدوا بذلك أجمعين. فقيل له: فكم يكون مع الخائفين من هذا الخوف؟ قال: مثل الجبل.

وقال ابن الجلاء: الخائفُ عندي الذي لا يَخافُ غير الله تعالى.

وقال الواسطي رحمه الله: الأكابرُ يَخافون القطع، والأصاغرُ يَخافون العقوبة، وخوفُ الأكابر أقطع، لأن ما دامَ للنفسِ في النفس من رعوناتها بقيّةٌ فليس بمُحسنٍ، وإنْ أتى بكلٍّ تفويضٍ وتسليمٍ.

قال الشيخُ رحمه الله: معنى رعوناتها: تدبيرُها ودعواها ونظرها إلى طاعاتها.

والرجاءُ مقرونٌ بالخوف(١).

---

(١) في هامش الأصل: بلغ مقابلة.

باب حال الرجاء

قال الشيخ رحمه الله: والرجاءُ حالٌ شريف، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقال في آيةٍ أُخرى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] قالوا في التفسير: ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: ثواب ربه.

وقال ﷺ: «لو وُزنَ خوفُ المؤمن ورجاؤه لاعتدلا»(١).

وقال بعضهم: الخوف والرجاء جناحا العمل، ولا يطير إلاّ بهما.

وقال أبو بكر الورّاق: الرجاءُ ترويحٌ من الله تعالى لقلوبِ الخائفين، ولولا ذلك لتلفتْ نفوسُهم وذهلت عقولهم.

والرجاء على ثلاثة أقسام: رجاء في الله، ورجاء في سعة رحمة الله، ورجاء في ثواب الله.

[٢٩] **فالراجي(٢) في ثواب الله وفي سعة رحمته:** لعبد مُريدٍ قد سمعَ/ من الله ذكر المننِ فرجاه، وعلمَ أنَّ الكرم والفضل والجود من صفات الله فارتاحَ قلبُهُ إلى المرجوّ من كرمه وفضله.

وكما حُكي عن ذي النون المصري رحمه الله: أنَّه كان يدعو ويقول:

---

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية ٢/٢٠٨ من قول مطرف، و٣/٧٦ من قول مطر الوراق. والبيهقي في شعب الإيمان ٢/١٢ عن مطرف، وعن شعبة. قال العجلوني في كشف الخفا ٢/٢١٦ (٢١٣١): هذا مأثور عن بعض السلف، وهو كلام صحيح، ولا أصل له في المرفوع.

(٢) في (ع): فالرجاء.

اللهم، إنَّ سعةَ رحمتك أرجأُ لنا من أعمالنا عندنا، واعتمادُنا على عفوك أرجأُ عندنا من عقابك لنا.

وكما قال بعضُهم: إلهي، أنت لطيفٌ لمن قصدك في إرادته، ورجاك في مُلمّاته، فيا مُنتهى آمال الراجين أرحنا راحةً[١] عاجلةً توردنا مناهلِ مسرَّتك، وتؤدّينا إلى قربك.

والراجي في الله تعالى: هو عبدٌ تحقّقَ في الرجاء، فلا يرجو من الله شيئًا سوى الله.

كماقال الشبلي حين سئل رحمه الله عن الرجاء، فقال: الرجاء أن ترجوه ألاّ يقطعَ بك دونه.

وقال ذو النون، رحمه الله: بينا أنا أسيرُ في بعض البوادي إذ لقيتني امرأةٌ، فقالت لي: من أين[٢]؟ قلتُ: رجل غريب. فقالت: وهل يوجد مع الله تعالى أحزان الغربة؟! إنما الغريب من يكون عنه غريبًا.

فصل في معنى[٣] الخوف والرجاء

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله: وأمّا لسان أهلِ النهايات والمتحقّقين في الخوف والرجاء: فالذي يقول أحمد بن عطاء، رحمه الله حين سُئل عن الخوف والرجاء، فقال: إنَّ الخلقَ بالرجاء والخوف مُؤذنون[٤]، وما دام لم يَترقَّ العبد في طرقهما، ولم يترقَّ من بينهما، لم يصل إلى حقيقةِ حقِّهما؛ ويكون مرتبطًا بما لا حاصل له فيهما عند الحقيقة. قيل: فما هما؟ يعني الخوف والرجاء، قال: هما زِمامان للنفس حتى لا تخرجَ إلى رُعوناتها من الإدلال والأمن، والإياس والقطع.

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: تفضّل علينا براحة. وفي (ن) و(ع): أَرْجِنا راحةً.

(٢) في (ع) والمثبت في (ن): من أنت.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: فصل في معرفة.

(٤) في الأصل: مؤذنين.

وقال أبو بكر الواسطي رحمه الله: الخوفُ له ظلمٌ يتحيَّرُ صاحبُهُ تحته، يطلبُ أبدًا المخرجَ منه، فإذا جاء الرجاءُ بضيائه خرجَ إلى مواضع الراحة، فغلب عليه التمنّي، ولا ينفعُ حسنُ النهار إلاّ بظلمة الليل، وفيهما صلاح الكون، فكذلك القلب؛ مرةً في ظُلَمِ الخوف أَسير، فإذا طرقَ طوارق الرجاء فهو أمير.

والمحبةُ والخوف والرجاء مقرون بعضها ببعض.

وقال بعضُهم: كلُّ محبَّةٍ لا خوفَ معها فهي مأووفةٌ[1]، وكلُّ خوفٍ لا رجاء معه فهو مأووفٌ، وكلُّ رجاء لا خوفَ معه كذلك.

والرجاءُ والمحبة يقتضيان الشوق.

* * *



(١) الآفة: العاهة.

باب حال الشوق

قال الشيخ أبونصر رحمه الله: وحالُ الشوق حالٌ شريف.

رُوي عن النبيِّ ﷺ: أنه قال: «ألا هل مشتاق إلى الجنة؟ هي وربِّ الكعبة ريحانةٌ تهتزُّ، ونهرٌ مُطَّرد، وزوجةٌ حسناء»(١). ولم يتشوّقِ النبيُّ ﷺ إلى الجنة(٢).

ورُوي عنه ﷺ أنّه كان يقول في دُعائه: «أسألُكَ النَّظرَ إلى وجهك، والشَّوقَ إلى لقائك»(٣). ولذَّةُ النظرِ إلى وجهِ الله تعالى في الآخرة، والشَّوق إلى لقائه في الدنيا.

وقد رُوي في الخبر أيضًا: «من اشتاقَ إلى الجنَّةِ سارعَ إلى الخيرات»(٤).

وقد روي أيضًا في الخبر: «اشتاقتِ الجنَّةِ إلى ثلاثة: إلى عليٍّ وعمّار وسلمان»(٥) رضي الله عنهم أجمعين.

والشوق هو لعبدٍ قد تبرَّم بِبقائه شوقًا منه إلى لقاء محبوبه.

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداده/٤١٦(ط بشار)، وأبونعيم في صفة الجنة (٢٦) والحديث ضعيف.

(٢) قوله: (ولم يتشوقِ النبيُّ ﷺ إلى الجنة) ليس في (ع) ولاهومثبت في (ن)

(٣) أخرجه النسائي ٣/ ٥٤٠(١٣٠٦،١٣٠٥) وإسناده جيد، وللحافظ ابن رجب رسالة في شرح هذا الحديث.

(٤) رواه الشهاب في مسنده ١/ ٢٢٦(٣٤٨)، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٧١، وأبونعيم في الحلية ٥/ ١٠، والخطيب في تاريخ بغداد ٦/ ٣٠١ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٥) رواه الترمذي(٣٧٩٧) عن سلمان، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلامن حديث الحسن بن صالح. قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله في جامع الأصول ٦/ (٦٣٧٤): وفي سنده أبو ربيعة الإيادي. قال أبو حاتم: منكر الحديث، والحسن البصري رواه بالعنعنة.

وسُئل بعضُهم عن الشوق، فقال: هيمانُ القلبِ[١] عند ذكر المحبوب.

وقال آخر: الشوق نارُ الله تعالى، أَشعلَها في قلوب أوليائه حتى يحرقَ بها ما في قلوبهم من الخواطر والإرادات، والعوارض والحاجات.

وقال الجريري رحمه الله: لولا أنَّ في الشوق متعةً ما حُمِلَ الضُّرُّ والحاجات.

وقال أبو سعيد الخرّاز رحمه الله: مُلئت قلوبُهم من المحبة، فطاروا بالله عزَّ وجلَّ طربًا، وهاموا إليه اشتياقًا؛ فيا لهم من قلقٍ مشتاق أَسِفٌ بربِّه، كلفٌ دنفٌ، ليس لهم سكن غيره، ولا مألوف سواه[٢]

وأهل الشوق في الشوق على ثلاثة أحوال:

فمنهم: من اشتاقَ إلى ما وعد الله تعالى لأوليائه من الثوابِ والكرامة، والفضل والرضوان.

ومنهم: من اشتاقَ إلى محبوبِهِ مِن شدَّةِ محبَّته وتبرُّمِهِ ببقائه شوقًا إلى لقائه[٣].

ومنهم: من شاهد قربَ سيِّده، وأنَّه حاضرٌ لا يغيب، فتنعَّمَ قلبه بذكره
[٣٠] وقال: إنَّما/ يُشتاقُ إلى غائبٍ، وهو حاضرٌ لا يغيب، فذهبَ بالشوق عن رُؤية الشوق، فهو مشتاق بلا شوق، ودلائل الشوق تصفُهُ عند أهلِهِ بالشوق، وهو لا يصفُ نفسه بالشوق.

والشوق يتقضي الأنس.

* * *

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: هيجان القلب.

(٢) تقدم هذا القول بنحوه صفحة (٨٨).

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: شوقًا إلى لقاء محبوبه.

باب حال الأنس

قال الشيخ رحمه الله: ومعنى الأُنس بالله تعالى الاعتمادُ عليه، والسكونُ إليه، والاستعانة به، ولا يتهيَّأ أن يُعبَّرَ عنه بأكثر من هذا.

وقد رُوي في الخبر: أنَّ مُطرِّف بن عبد الله بن الشخِّير رحمه الله كتبَ إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ليكن أنسُكَ بالله، وانقطاعُكَ إليه؛ فإنَّ لله تعالى عبادًا استأنسوا بالله فكانوا في وحدتهم أشدَّ استئناسًا من الناس في كثرتهم، وأوحشُ ما يكونُ الناسُ آنسَ ما يكونون، وآنسُ ما يكونُ الناسُ أَوحشَ ما يكونون.

ومُطرِّفُ بن عبد الله من كبار التابعين، وكذلك عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من الأئمة الراشدين.

وذُكر عن بعض العارفين أنَّه قال: إنَّ لله عزَّ وجلَّ عبادًا أرادهم بحقِّ حقائق الأنس به، فأخذهم به عن وجد طعم الخوف ممّا سواه[١].

والأُنس بالله لعبدٍ قد كملتْ طهارتُهُ، وصفا ذكره، واستوحشَ عن كلِّ ما يَشغلُهُ عن الله تعالى، فعند ذلك آنسه الله تعالى به.

وأهلُ الأُنس في الأُنس على ثلاثة أحوال:

فمنهم: من أَنِسَ بالذكر، واستوحشَ من الغفلة، وأنسَ بالطاعة، واستوحش من الذنب[٢].

كما حُكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنَّه قال: أوّلُ الأنس من العبد أن تأنسَ النَّفسُ والجوارح بالعقل، ويأنسَ العقلُ والنفس بعلم الشرع،

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: لما سواه.
(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: واستوحش من المعصية.

ويأنسَ العقل والنفس والجوارح بالعمل لله خالصًا، فيأنس العبد بالله. أي يسكنُ إليه.

والحال الثاني من الأنس: فهو لعبدٍ قد استأنسَ بالله، واستوحشَ ممّا سواه من العوارض والخواطر المشغلة.

كما ذُكر عن ذي النون، رحمه الله، أنه قيل له: ما علامةُ الأنس بالله؟ قال: إذا رأيتَهُ يؤنسك بخلقه، فإنه هو ذا يوحشُكَ من نفسِهِ، وإذا رأيته يوحشك من خلقه، فهو ذا يؤنسك من نفسه.

وسُئل الجُنيد رحمه الله عن الأنس بالله، فقال: ارتفاعُ الحشمة مع وجود الهيبة.

وقال إبراهيمُ المارستاني رحمه الله، وسئل عن الأنس، قال: فرح القلب بالمحبوب.

والحال الثالث من الأنس: هو الذهاب عن رؤية الأنس بوجود الهيبة والقرب والتعظيم مع الأنس.

كما ذُكر عن بعض أهلِ المعرفة[١] أنّه قال: إنَّ لله عبادًا أوجدهم من الهيبة له ما أخذهم به عن الأُنس بغيره.

وهذا كما ذُكر عن ذي النون رحمه الله: أنَّ رجلاً كتبَ إليه: آنسَكَ الله بقُربه. فكتب إليه ذو النون: أَوحشَكَ الله من قربه؛ فإنَّه إذا آنسك بقُربِهِ فهو قدرُك، وإذا أَوحشَكَ من قربه فهو قَدَرُهُ.

معنى قوله: (أوحشك الله من قربه) يعني: بأن يُوجدك هيبةَ قُربه.

وسُئل الشِّبلي رحمه الله عن الأنس، فقال: وحشتُكَ منك ومن نفسك ومن الكون.

والأنس بالله اقتضى الطمأنينة[٢].

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: بعض العارفين

(٢) في الأصل: الاطمأنينة.

باب حال الطمأنينة

قال الشيخ رحمه الله: وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧] وفي التفسير: المطمئنة بالإيمان.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨].

وقال في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

[٣١] وقال سهل بن/ عبد الله رحمه الله: إذا سكنَ قلبُ العبد إلى مولاه، واطمأنَّ إليه، قويتْ حالُ العبد، فإذا قويت أَنِسَ بالعبدِ كلُّ شيء.

وسُئل الحسنُ بن عليّ الدَّامَغاني رحمه الله عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ . . .﴾ الآية [الرّعد: ٢٨] فقال: إنَّ القلوبَ هشَّتْ[1] وبشَّت وسكنت واستأنست. ثم كُشف عنه، فقال: هشَّت من معرفة جلال الله تعالى وعظمته، وبشَّت من معرفة رحمة الله وفضله، وسكنت من معرفة كفاية الله وصدقه، واستأنست من معرفة إحسان الله ولطفه.

قال: وسُئل الشِّبليّ رحمه الله عن معنى قول أبي سُليمان الدَّاراني رحمه الله: النفسُ إذا أحرزَتْ قوتها اطمأنَّت؛ فقال: إذا عرفَتْ مَنْ يقوتُها اطمأنَّت.

والطمأنينة: حالٌ رفيع، وهي لعبدٍ رجحَ عقلُه، وقوي إيمانُهُ، ورسخ علمُهُ، وصفا ذكره، وثبَتَتْ حقيقته.

وهي على ثلاثة ضروب:

فضرب منها للعامة: لأنَّهم إذا ذكروه اطمأنوا إلى ذكرِهم له، فحظُّهم منه

---

(١) هشت: فرحت، وانشرحت سرورًا، وبشت: ضحكت واستبشرت.

الإجابة للدعوات باتِّساع الرزق ودفع الآفات، وهو ما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:٢٧] يعني بالإيمان، بأن لا دافعَ ولا مانعَ إلاَّ الله.

قال: والضرب الثاني للخصوص: لأنَّهم رضوا بقضائه، وصبروا على بلائه، وأخلصوا، واتقوا[1]، وسكنوا، واطمأنّوا إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨] و﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣] فاطمأنّوا وسكنوا إلى قوله: ﴿مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فكانتْ طمأنينتُهم ممزوجةً برؤية طاعتهم.

والضرب الثالث لخصوص الخصوص: علموا أنَّ سرائرهم لا تقدرُ أنْ تطمئنَّ إليه، ولا تسكنُ معه هيبةً وتعظيمًا؛ لأنه ليس له غاية تدرك، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤] فمن كانت الأشياءُ في سرِّه كذلك فإلى ماذا يَطمئنُّ أو يسكنُ قلبه؟ ومَنْ وقعَ في عطشِ التمنّي في طلب الزيادة وقع في البحر الذي لا تجري فيه الأوهام، وهذا كلام قد اختصرتُهُ من كلام الواسطي.

والطمأنينة تقتضي حال المشاهدة.

* * *

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: وأخلصوا وأيقنوا.

باب حال المشاهدة

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله: وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[ق: ٣٧] يعني: حاضر القلب.

وقال أيضًا: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [البروج: ٣].

وقال أبو بكر الواسطي رحمه الله: فالشاهدُ الربُّ، والمشهودُ الكون؛ أعدمَهُم ثم أوجدَهم.

وقال أبو سعيد الخرّاز رحمه الله: فمن شاهدَ اللهَ بقلبِهِ خنسَ عنه ما دونه، وتلاشى كلُّ شيءٍ، وغاب عند وجودِ عظمة الله تعالى، ولم يبقَ في القلبِ إلاَّ الله عزَّ وجلَّ.

وقال عمرو بن عثمان المكّي رحمه الله: المشاهدةُ ما لاقتِ القلوبُ من الغيب بالغيب ولا يجعلها عيانًا، ولا يجعلها وجدًا.

وقال أيضًا: المشاهدةُ وصلٌ بين رؤية القلوب ورؤية العيان، لأنَّ رؤية القلوب عند كشف اليقين في زيادةِ توهُّمٍ(١).

وهو قولُ النبيِّ ﷺ لعبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما: «اعبدِ اللهَ كأنَّك تراه...»(٢) الحديث.

وأمّا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾(٣)[ق: ٣٧].

فقالوا: هو مشاهدةُ الأشياء بعين العبر، ومعاينتُها بأَعينِ الفكر.

وقال عمرو المكي رحمه الله: المشاهدةُ يعني المحاضرة، يعني المُداناة، كما ذكر الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: في زيادته.
(٢) انظر الحديث مع تخريجه صفحة (٨).
(٣) في (ع): ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سبأ: ٤٧]

﴿ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] يعني قريبةً من البحر شاهدة البحر.

وقال عمرو المكي رحمه الله: المشاهدةُ زوائدُ اليقين، سطعتْ بكواشف الحضور، غيرُ خارجةٍ من تغطية القلب.

وقال أيضًا: المُشاهدة حضورٌ بمعنى قرب مقرون بعلم اليقين[1] وحقائقها.

وأهلُ المشاهدة على ثلاثة أحوال:

فالأول منها: الأصاغرُ، وهم المُريدون، وهو ما قال أبو بكر الواسطي رحمه الله: يُشاهدونَ الأشياء بعينِ العبر، ويُشاهدونها بأعين الفكر.

والحال الثاني من المشاهدة: الأوساط، وهو الذي أشارَ إليه أبو سعيد الخراز رحمه الله، حيث يقول: الخلقُ في قبضةالحقِّ وفي مُلكه، فإذا وقعتِ المُشاهدة فيما بين الله وبين العبد لا يَبقى في سرِّه ولا في وهمِهِ غيرُ الله تعالى.

والحال الثالث من المشاهدة: ما أشارَ إليه عمرو بن عثمان المكي رحمه الله، في كتاب «المُشاهدة»، فقال: إن قلوبَ العارفين شاهدتِ الله مشاهدةَ تثبيت، فشاهدوه/ بكلِّ شيءٍ، وشاهدوا كلَّ الكائنات به[2]، فكانتْ [٣٢]
مشاهدتُهم لديه ولهم به، فكانوا غائبين حاضرين، وحاضرين غائبين، على انفراد[3] الحقِّ في الغيبة والحضور، فشاهدوه ظاهرًا وباطنًا، وباطنًا وظاهرًا، وآخرًا أولاً، وأولاً آخرًا، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

والمشاهدة: حالٌ رفيع، وهي من لوائحِ زياداتِ حقائق اليقين.

وتقتضي حال اليقين.

* * *

(١) في الأصل: بعمل اليقين.
(٢) في الأصل: كل الكليات.
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: بانفراد الحق.

باب حال اليقين

قال الشيخ رحمه الله: وقد ذكر الله تعالى اليقين في مواضعَ من كتابِهِ على ثلاثة أوجهٍ: ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾[التكاثر: ٥]، و﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾[التكاثر: ٧]، و﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥].

وقال النبيُّ ﷺ: «سلوا الله تعالى العفو والعافية، واليقينَ في الدُّنيا والآخرة»[١].

وقال ﷺ: «رحمَ الله أَخي عيسى عليه السلام، لو ازدادَ يقينًا لمشى في الهواء»[٢].

وقال عامرُ بن عبد قيس رحمه الله: لو كُشفَ الغطاءُ ما ازددتُ يقينًا[٣]. يعني عند مُعاينتي لِما آمنتُ به من الغيب. وهذا كلامُ غلباتٍ ووجدٍ وتحقق.

وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الخلقُ يُبعثون على ما يَموتون عليه»[٤].

ولا يكونُ الخبرُ كالمعاينة في جميعِ معانيها، ويجوزُ أن يكونَ له وجهٌ آخر، وهو أن يعني: ما ازددتُ يقينًا إلى علمِ[٥] يقين.

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ٣، والحاكم في المستدرك ١/ ٧١١(٢٠٥)، والبزار في المسند ١/ ٩٢، ١٩٠، وأبو يعلى في المسند ١/ ٤٩، ٨٧.

(٢) رواه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٨٠٩، وذكره الغزالي في الإحياء ٤/ ٩٧، قال الحافظ العراقي: هذا حديث منكر لا يعرف هكذا...

(٣) سيذكره المؤلف ثانية في قول أحد التابعين صفحة (٦٠٣).

(٤) رواه أحمد في المسند ٣/ ٣٣١، ومسلم في صحيحه (٢٨٧٨) عن جابر بلفظ: «يبعث كل عبد على ما مات عليه».

(٥) في (ن) و(ع): ما ازددت علم يقين.

وقال أبو يعقوب النَّهْرَجُوري رحمه الله: إذا استكملَ العبدُ حقائقَ اليقين صارَ البلاءُ عنده نعمةً؛ والرخاءُ مُصيبةً.

والیقینُ هو المكاشفة، والمكاشفة على ثلاثة أوجه:

مكاشفة العيان: بالأبصار يوم القيامة.

ومكاشفة القلوب: بحقائقِ الإيمان بمباشرة اليقين بلا كيفٍ ولا حدٍّ.

والحالة الثالثة: مكاشفةُ الآيات بإظهارِ القدرةِ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات، ولغيرهم بالكرامات والإجابات.

واليقينُ حالٌ رفيع، وأهلُ اليقين على ثلاثة أحوال:

فالأول: الأصاغر، وهم المُريدون، والعموم وهو كما قال بعضهم: أوّلُ مقامِ اليقين الثقةُ بما في يد الله تعالى، والإياس عمّا في أيدي الناس، وهو ما قال الجُنيد رحمه الله، حيث سُئل عن اليقين، فقال: اليقينُ ارتفاعُ الشكِّ.

وقال أبو يعقوب: إذا وجدَ العبدُ الرِّضا بما قسَمَ اللهُ له، فقد تكاملَ فيه اليقين.

وسُئل رُويم بن أحمد رحمه الله عن اليقين، فقال: تحقيقُ القلبِ بالمعنى على ما هو به.

والثاني: الأوساط، وهم الخصوص، وهو ما سُئل ابنُ عطاء عن اليقين، فقال: ما زالتْ فيه المعارضاتُ على دوام الأوقات.

وكما قال أبو يعقوب النَّهْرَجُوري رحمه الله: العبدُ إذا تحقَّقَ باليقين ترحَّلَ من يقينٍ إلى اليقين حتى يصيرَ اليقينُ له وطنًا.

وقد سُئل أبو الحسين النوري رحمه الله عن اليقين، فقال: اليقينُ المشاهدة. ومعنى المشاهدة قد ذكرناه[1].

والثالث: الأكابر، وهم خصوص الخصوص، وهو ما قال عَمرو بن

---

(١) في صفحة (١٠٠).

عثمان المكي رحمه الله: اليقينُ في جملته تحقيقُ الإثبات لله عزَّ وجلَّ بكلِّ صفاته.

وقال: حدُّ اليقين دوامُ انتصابِ القلوب لله عزَّ وجلَّ بما أوردَ عليها اليقينُ من حركات ما لاقى به الإلهام.

وقال أبو يعقوب: لا يستحقُّ العبدُ اليقينَ حتى يقطعَ كلَّ سببٍ بينه[1] وبين الله تعالى، من العرش إلى الثرى، حتى يكونَ مرادُهُ اللهَ لا غيرُهُ، ويُؤثر اللهَ تعالى على كلِّ شيءٍ سواه، وليس لزياداتِ اليقين نهايةٌ؛ كلَّما تفهَّموا وتفقَّهوا في الدِّين ازدادوا يقينًا على يقين.

واليقين أصلُ جميع الأحوال، وإليه تنتهي جميعُ الأحوال، وهو آخرُ الأحوال[2]، وباطنُ جميع الأحوال، وجميعُ الأحوال ظاهر اليقين، ونهايةُ اليقين تحقيقُ التصديق بالغيب بإزالة كلِّ شكٍّ وريبٍ، ونهايةُ اليقين الاستبشارُ، وحلاوةُ المناجاة، وصفاءُ النظر إلى الله تعالى، بمشاهدة القلوب بحقائق اليقين بإزالة العلل ومعارضة التُّهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] و: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

[٢٣] وقال الواسطي رحمه الله: إذا أيقن/ بالمعنى وقعَ له مشاهدةُ الأحوال[3]، وإذا انكشف له حقائقُ المعنى خرجَ من أشجان الخلق، خاطبهم بالتقريب، وهو الكشف من الصدِّيقية، وخاطبهم اللهُ تعالى بالمشاهدة، فقال: ﴿وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] الشهداء باعوه نفوسهم، والصالحون ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[4] [المؤمنون: ٨].

* * *

---

(١) في (ع): حتى يقطع عن كلِّ سبب حال بينه وبين الله.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: وهو أجلُّ الأحوال.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: مشاهدة الأضداد.

(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: بلغ مقابلة بأصلٍ معتمد.

كتاب أهل الصفوة
في الفهم والاتّباع لكتاب الله عزّ وجلّ

باب الموافقة لكتاب الله تعالى

قال الشيخ رحمه الله: قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

وقال ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال: ﴿يسٓ * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١-٢].

وقال: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر: ٥].

وقال النبيُّ ﷺ: «القرآنُ حبلُ الله المتين، لا تنقضي عجائبُهُ، ولا يَخْلُقُ عن كثرةِ الردِّ، من قالَ به صَدَقَ، ومَنْ عَمِلَ به رشدَ، ومَنْ حكم به عدل، ومن اعتصمَ به هُدِيَ إلى صراطٍ مُستقيم»(١).

ورُوي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّه قال: مَنْ أرادَ العلم فليثَوِّرِ القرآن؛ فإنَّ فيه علمَ الأولين والآخرين، وقد قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾(٢) [البقرة: ١-٣].

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ٩١، والترمذي (٢٩٠٦)، والدارمي ٢/ ٤٣٥ (٢٣٣١) عن الحارث الأعور. قال الترمذي: هذا حديث لانعرفه إلامن هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. والحبل: الأمان، والنور. جامع الأصول غريب الحديث (٦٢٣١).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٣٢، والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٣٦، ١٣٥، قال الهيثمي في مجمع الزوائد٧/ ١٦٥: رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح. قال ابن الأثير في النهاية: (فليثوِّر): أي لينقِّر عنه ويفكِّر في معانيه وتفسيره وقراءته.

فعلم أهلُ العلمِ بهذا الخطاب أنَّ في كتاب الله الذي أنزلَ على رسولِهِ ﷺ وهو القرآنُ الذي لا شَكَّ فيه لأحدٍ من المؤمنين أنَّه من عند الله أن فيه هدىً وبيانًا لهم في جميع ما أَشْكَلَ عليهم من أحكامِ الدين، بعد إيمانهم بالغيب، وهو التصديق بما أخبرَهم اللهُ به عمّا غاب عن أعينهم[1].

ثم قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

فأفادتْ هذه الآيةُ لأهل الفهمِ من أهل العلم، بعد إيمانهم بالغيب أيضًا، أنَّ تحت كلِّ حرفٍ من كتاب الله تعالى كثيرًا من الفهم مَذخورًا لأهلِهِ على مقدار ما قسم لهم من ذلك، واستدلُّوا على ذلك بآياتٍ من القرآن، مثل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

وقالوا في معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِن شَىْءٍ﴾ إنَّ معناه: من شيءٍ من علمِ الدِّين، وعلمِ الأحوال التي بين الخلقِ وبين الله تعالى، وغير ذلك.

وقال عزَّ وجلَّ في آيةٍ أُخرى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] يعني يدلُّ إلى الذي هو أصوب، فعلمَ أهلُ الفهمِ من أهل العلم ألاّ سبيلَ إلى التعلُّقِ بالأصوب ممّا يهدي إليه القرآن إلاّ بالتدبُّر والتفكّر، والتيقّظ والتذكّر، وحضور القلب عند تلاوته، وعلموا ذلك أيضًا بقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

ثم استفادَ أهلُ الفهم مِن هذه الآية أيضًا أنَّ التدبُّر، والتفكّر لا وصولَ إليه إلا بحضور القلب، لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] يعني حاضر القلب.

ثم لم يتركْ على ذلك حتى ذكرَ القلبَ في آيةٍ أُخرى، فقال: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: أعين رؤيتهم.

مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

ثم لم يتركْ على ذلك حتى أقامَ إمامًا للخلقِ في القلب السليم، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ * إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ٨٣ ـ ٨٤] قال أهل الفهم: القلب السليم الذي ليس فيه غيرُ الله عزَّ وجلَّ.

وقال سهل بنُ عبد الله رحمه الله: لو أُعطي العبدُ لكلِّ حرفٍ من القرآن ألفَ فهمٍ لما بلغ نهايةَ ما جعل الله تعالى في آيةٍ من كتاب الله تعالى من الفهم، لأنَّه كلامُ الله تعالى، وكلامُهُ صفتُهُ.

وكما أنه ليس لله نهايةٌ، فكذلك لا نهايةَ لفهمِ كلامه، وإنَّما يَفهمون على مقدار ما يفتحُ الله تعالى على قلوب أوليائه من فهمِ كلامه، وكلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، فلا/ تبلغُ إلى نهاية الفهم فيه فهوم الخلق، لأنَّ فهومَ الخلق مُحدثةٌ [٣٤]
مخلوقةٌ. فلا يجوزُ أن يفهمَ المُحدَث جميعَ معاني أحكامِ كلام المُحدِثِ[١].

وقد ذكر الله تعالى الهداية في القرآن بقوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢].

* * *

---

(١) في (ع) والمثبت في (ن): لأنها محدثة مخلوقة وقد ذكر.

باب في تخصيص الدعوة ووجه الاصطفاء

قال سهلُ بنُ عبد الله، رحمه الله: الدَّعوةُ عامَّةٌ، والهداية خاصَّةٌ، وأشار إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]، لأنَّ الدعوةَ عامةٌ، والهدايةُ مختصَّةٌ على تفاضلها، لأنَّه ردَّ المشيئة في باب الهداية إليه، فكان الذين اختارَهُم وأحبَّهم واصطفاهم دون من دعاهم.

وقد ذكر اللهُ تعالى الاصطفاء أيضًا، في مواضع من كتابه، فقال في موضع: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

فأشار بالسلام إلى عبادٍ قد اصطفاهم واجتباهم، ولم يبيّن من هم، وكيف هم.

ثم لم يتركْ على ذلك، وقال في آيةٍ أُخرى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج: ٧٥].

قال المفسّرون: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ يعني به الأنبياء، فلو تركَ على هذا أيضًا لكان للقائل أن يقول: إنَّ الاصطفاء لا يجوز أن يكونَ إلاّ للأنبياء[١]، فقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢].

ففرّق الاصطفاء الذي ذكر للرُّسل عليهم السلام من الاصطفاء الذي[٢]

---

(١) جاء في هامش الأصل عند قوله (للأنبياء): فلو ترك أيضًا على هذا لكان للقائل أن يقول: إن الاصطفاء سعادة.

(٢) في (ن) و(ع): ففرّق بين الاصطفاء... عليهم السلام والاصطفاء الذي.

ذكر لعباده الذين أورثهم الكتاب، وهم المؤمنون، ثم بيّن أنهم متفاوتون أيضًا في أحوالهم التي بينهم وبين الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ...﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، فوقع الاصطفاء على وجهين: اصطفاء الأنبياء عليهم السلام بالعصمة والتأييد، والوحي وتبليغ الرسالة، ولسائرهم من المؤمنين: الاصطفاء بصفاء المعاملة وحسن المجاهدة، والتعلّق بالحقائق والمنازلة.

ثم قال عزّ وجلّ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المائدة: ٤٨].

فأمرهم الله تعالى بالاستباق، والمسارعة والمبادرة إلى الخيرات مجملاً، ولم يبين أيشِ الخيرات التي أمرهم بالاستباق إليها؛ ثم فصّلَ وبيَّنَ في مواضعَ كثيرة.

* * *



باب ذكر الآيات التي يتعلّق بها العام والخاص

بعد استعماله الآيات التي يستعملها الخاص والعام، هذه الآيات كثيرة وهي مثل قوله[١]: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢]، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٦٦]، ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة:٤١]، ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠]، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران:١٧٥]، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة:١٥٠]، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ [المائدة:٢٣]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة:٩٢]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [النمل:٤٠]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال:٧٢].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤] ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦]، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥].

وقال: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]، ثم ذكر: ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥].

وذكر في آياتٍ من القرآن: التوبة، والإنابة، والتفويض، والرضا، والتسليم، والقناعة، وترك الاختيار، ثم قال: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النساء:٧٧]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران:١٤]، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الأنعام:٣٢]، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، ثم قال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ

---

(١) في (ن) و(ع): وبيّن مواضع كثيرة كقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

ثم ذكر الشيطان فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، وقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا . . .﴾ الآية [النازعات: ٣٧_٣٨].

وما يشبه[1] ذلك من الآيات التي ندبَ اللهُ تعالى الخلقَ إلى المُسارعة والاستباق إلى التعلّق والتخلُّقِ بها، والصدق والإخلاص فيها كثيرة؛ والمؤمنون في قبول ذلك متساوون، وفي منازلتها وركوب حقائقها متفاوتون.

* * *



(١) في الأصل: باب ذكر تفاوت المتعلقين بهذه الآيات أما مايشبه.

باب ذكر تفاوت المستمعين خطاب الله تعالى ودرجاتهم في قبول الخطاب

[٣٥] قال الشيخ أبو نصر/ رحمه الله: والجميع مخاطبون، وهم على ثلاث درجات[١]:

فمنهم: من سمع الخطاب وقبله، وأقرّ به، وتعرَّضَ لما خُوطب به من هذه الآيات البيّنات التي ذكرناها، والتي لم نذكرها فيما يشبه ذلك، وحال بينه وبين العمل بها، والانتفاع بما وعدهم الله تعالى من الثواب عليها: الاشتغالُ بالدنيا، والغفلةُ ومتابعةُ النفس، واختيارُ الحظوظ على الحقوق، والإجابةُ لدواعي العدو، والميلُ إلى أمارات الهوى والشهوات[٢]؛ وهم الذين وصفَهم اللهُ تعالى في كتابه، وزجرَهُم ووبَّخهم، حيث يقول: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣] وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

ومنهم: من سمع الخطاب، فأجابَ، وتابَ، وأنابَ، وعمل في الطاعات، وتحقّق في الأحوال والمنازلات، وصدقَ في المعاملات،

---

(١) في (ن) و(ع) جاء قوله: (والجميع مخاطبون وهم على ثلاث درجات) قبل قوله باب ذكر تفاوت المستمعين.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: الهوى والشبهات.

وأخلصَ في المقامات؛ وهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه، وذكر ما أعدَّ الله لهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان: ٤] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥].

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

قالوا: الحياة الطيبة: هي الرضا والقناعة بالله عزَّ وجلَّ.

ثم قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. . .﴾ الآية [المؤمنون: ١-٣].

وقال عمرو المكي رحمه الله: فكلُّ شيءٍ غيرُ الله ممّا وقعَ في القلوب فهو لغوٌ، فأخبر أنَّ الموحِّدين عن كلِّ شيءٍ غير الله مُعرضون، ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠-١١].

وذِكرُهم في القرآن كثير، وقد فضَّلهم على غيرهم بذكرِهِ لهم ووعده إياهم بالثواب الجزيل.

والطبقة الثالثة من المخاطبين: هم الذين ذكرهم الله تعالى، وشرَّفهم بذكره لهم، ونسبهم إلى العلم والخشية فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

ثم خصَّ من هؤلاء قومًا أيضًا، فقال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] زاد في وصفهم الذي شرَّفهم به معنىً آخرَ.

قال أبو بكر الواسطي رحمه الله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾: هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب، وفي سرِّ السرِّ، فعرّفهم ما عرّفهم، وأراد منهم

من مُقتضى الآيات ما لم يُرِدْ من غيرِهم، وخاضوا أبحر العلم بالفهم، لطلب الزيادات، فانكشفَ لهم من مذخور الخزائن والمخزونِ تحت كلِّ حرفٍ وآيةٍ من الفهم وعجائب النصِّ، فاستخرجوا الدُّرر والجواهر، ونطقوا بالحكم.

ومنهم من كانت البحار عنده كتفلةٍ فيما شاهد من المُستأثرات يعني مستأثرات العلم الذي استأثر الله تعالى به أنبياءه، وخصَّ بذلك أولياءه وأصفياءه فغاصَ بسرِّه عند صفاء ذكره وحضورِ قلبه في بحار الفهم، فوقعَ على الجوهرِ العظيم، وهو الذي علم مصادرَ الكلام من أين، فوقعَ على العين، فأغناهم عن البحث والطلب والتفتيش.

وهذا مستخرجٌ من كلام الواسطي فيما ذكر، وبيان ما قالَ الواسطيُّ في ما ذكر أبو سعيد[١] الخراز في معنى ذلك.

قال أبو سعيد رحمه الله: أولُ الفهم لكلام[٢] الله عزَّ وجلَّ العملُ به، لأنَّ فيه العلم، والفهم، والاستنباط، وأولُ الفهمِ إلقاءُ السمع والمشاهدة، لقولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر:١٨].

والقرآن كلُّه حسنٌ، ومعنى اتِّباعِ الأحسن ما تكشفُ القلوب[٣] من
[٣٦] العجائب عند الاستماع وإلقاء السمع من طريق الفهم الاستنباط[٤] / .

* * *

(١) في (ع) والمثبت من (ن): وهذا شرح من كلام... قال الواسطي في كلام ذكر عن أبي سعيد.
(٢) في (ع) والمثبت من (ن): لكتاب الله.
(٣) في (ع) والمثبت من (ن): ما يُكشف للقلوب.
(٤) في هامش الأصل: بلغ مقابلة.

باب في شرح استنباطِ إلقاء السمع والحضور بالتدبر عند التلاوة وفهم الخطاب بما خوطب به العبد

قال الشيخ رحمه الله: واعلمْ أنَّ إلقاءَ السمع والحضور عند الاستماع على ثلاثة أوجه:

قال أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز رحمه الله فيما بلغني عنه: أوّلُ إلقاء السمع لاستماع القرآن هو أن تسمعَهُ كأنَّ النبيَّ ﷺ يقرؤهُ عليك، ثم تَرْقَى عن ذلك، فكأنَّكَ تسمعُهُ من جبريل عليه السلام، وقراءته على النبيِّ ﷺ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ...﴾ الآية [الشعراء: ١٩٢ـ ١٩٤] ثم تَرْقَى عن ذلك فكأنَّكَ تسمعُهُ من الحقِّ، وبيان ذلك قول[1] الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١] فكأنَّك تسمعُهُ من الله تعالى، وكذلك: ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر: ١ـ٢].

وتخرجُ من الفهمِ[2] في استماعك من الله تعالى عند حضور قلبك، وغيبتِكَ عن أشغال الدنيا وعن نفسك بقوة المشاهدة، وصفاءِ الذكر، وجمعِ الهمِّ، وحسنِ الأدب، وطهارةِ السرِّ، وصدقِ التحقيق، وقوةِ دعائم التصديق، والخروج إلى السعةِ من الضِّيق، وحضورِ المشاهدة لنفاذ الغيب، وسرعةِ الوصول إلى المذكورِ بالغيب بكلام اللطيف الخبير.

وشرحُ هذا كلِّه مفهومٌ ومُستنبط من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

---

(١) في (ع) و(ن): وذلك قول.

(٢) في (ع) والمثبت من (ن): ومخرج الفهم.

قال أبو سعيد بنُ الأعرابي: هم في غيبهِ مُغيَّبون، فبالغيبِ آمنوا بالغيب، وهو، وإن كان غيبًا، فإنه لا يلحقُهم في ذلك شكٌّ ولا ريب.

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ﴾ [يونس: ٣٥]؛ وقال: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢].

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله: كلُّ ما أدركَ الخلقُ من الله فإنَّما أدركوا غيبًا خارجًا عن نعوت الحقائق، وهو قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣] والغيبُ هو ما أشهد الله تعالى القلوبَ من إثباتِ صفات الله وأسمائه، وما وصف به نفسَه، وما أدّى إليهم الخبر، فأثبتوا الصفات، ولم يدعوا إدراكها على نهاية[1]، ألا تسمعُ إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ٢٧] فإذا كان وصفُ كلامه لا يُدرك، ولا يُوصل إلى نهاية فهمه، فكيفَ تُدركُ حقيقةُ وصفِه وهويته وكيفيته وكُنهه؟

فلذلك قُرِّرَ عند أهل الفهم من أهلِ العلم أنَّ كلَّ شيءٍ أشار إليه المتحقِّقون، والواجدون، والعارفون، والموحِّدون؛ وما عبَّروا عنه، وما لم تسعه العبارة، ولا يُومأُ إليه بالدِّلالة، ولا يشار إليه بالإشارة، من اختلاف المعارف، وتباين الأحوال والمقامات والأماكن، وغير ذلك ممّا شاهدوه ظاهرًا وباطنًا، هو الغيب الذي وصفَهُ اللهُ تعالى، بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣].

* * *

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: إلى نهاية.

باب وصف أرباب القلوب في فهم القرآن

قال الشيخ رحمه الله: وقد ذكرَ اللهُ تعالى ووصفَ جميعَ أربابِ القلوب وأهل الحقائق من المُريدين، والعارفين، والمتحقِّقين، والواجدين، وأهل المجاهدات والرياضات، والمتقرّبين إليه بأنواع الطاعات ظاهرًا وباطنًا، كما في كتابه، وهو قوله عزَّ وجلَّ فيما يصفُ به ملائكته: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] وقال للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

فكان في هذه الآيةِ شرحٌ وبيانٌ في صفة[1] الذين يؤمنون بالغيب بابتغاء الوسيلة. ثم زاد في البيان والتفصيل في آيةٍ أُخرى، يحثُّ[2] به المؤمنين على المسارعة إلى الخيرات، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

[٣٧] واستفاد أهلُ الفهم من هذه الآيةِ أنَّ أوّلَ المُسارعة إلى الخيرات هو/ التقلُّلُ من الدنيا، وتركُ الاهتمام للرزق، والتباعد والفرار من الجمع والمتع[3] باختيار القلَّةِ على الكثرة، والزهدِ في الدنيا على الرغبة فيها.

ثم ذكر الذين يُسارع لهم في الخيرات ووصفهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧] فوصفهم بالإشفاق من الخشيةِ؛ والخشيةُ والإشفاق اسمان باطنان، وهما عملان من أعمالِ القلب، فالخشيةُ سرٌّ في القلب خفي، والإشفاقُ من الخشية أخفى من الخشية. وهو الذي ذَكَرَ الله تعالى فقال: ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧]. وقد قيل: إنَّ الخشيةَ انكسارُ القلب

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: في معرفة.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: يحضُّ به.

(٣) في (ن) و(ع): من الجمع والمنع.

من دوام الانتصابِ بين يدي الله تعالى.

ثم من بعد هذه المرتبةِ الشريفة، والحالِ الرفيعة التي وصفهم الله تعالى بها من الخشية والإشفاق وغير ذلك فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:٥٨]، وكانوا قبلَ الخشية والإشفاق مؤمنين بآيات الله، فعلم أنَّه أرادَ بذلك زيادةَ الإيمان، ألا ترى أنَّه يصفُ رسوله بالإيمان به بعد الرسالة والنبوة، وذلك بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأعراف:١٥٨].

فاستنبطَ أهلُ الفهمِ، واستفادوا من هذه الآية أنَّ زيادة الإيمان لا نهايةَ لها، وأنَّ جميعَ ما وصل إليه أهلُ الحقائق من بدايتهم إلى نهايتهم أنَّ ذلك من حقائق الإيمان وزيادته، وبراهينه وأنواره، وأن لا نهاية لذلك.

ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٥٩]، فذكر أنَّهم لا يُشركون بربِّهم بعدما وصفهم بالخشية والإشفاق والإيمان.

فاستفاد أهلُ الفهم أيضًا من ذلك وعَلِمَ أنَّ مستنبط[1] هذه الآية، وذكر الشِّركِ هاهنا أنَّه من الشِّرك الخفي الذي يعارضُ القلوب من رؤيةِ الطاعات وطلب الأعواض، بعدما شهدَ شاهدُ صريحِ الإيمان ألاَّ ضارَّ ولا نافع، ولا مُعطي ولا مانع، إلاَّ الله؛ فعند ذلك شمَّروا وجدُّوا، وتضرَّعوا إلى الله تعالى، وطلبوا منه الخلاصَ لقلوبهم بصدقِ الإخلاص في الإخلاص، وعلموا أنَّهم على قدرِ إخلاصهم في إيمانهم ينظرون إلى دقائق شركهم وريائهم الذي هو أخفى من دبيبِ النملِ على الحجرِ الأسودِ في الليلة الظلماء[2].

---

(١) في (ع): وعلموا مستنبط.

(٢) هذه إشارة إلى قول عدد من الصحابة رضي الله عنهم الذي رواه أحمد في المسند٤/ ٤٠٣، وأبونعيم في الحلية ٩/ ٢٥٣، وابن عدي في الكامل٧/ ٢٤٠ (ترجمة يحيى بن عبد الحميد) والعقيلي في الضعفاء٣/ ٦٠، والطبراني في الأوسط ٤/ ١٠، وأبو يعلى ١/ ٦٢. وهو: إن الشرك أخفى من دبيب النمل على الصخرة السوداء في الليلة الظلماء.

وقد ذُكر عن سهلِ بنِ عبد الله رحمه الله أنه كان يقول: أهلُ لا إله إلا الله كثيرٌ، والمُخلصون منهم قليل.

وقال سهل أيضًا: الدنيا كلُّها جهلٌ إلاَّ ما كان منه العلم، والعلمُ كلُّه حجَّةٌ إلاَّ ما كان العمل به، والعملُ كلُّه هباءٌ إلاَّ موضع الإخلاص فيه، وأهلُ الإخلاص على خطرٍ عظيم.

ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، فاستنبط أهلُ الفهم من هذه الآية أيضًا أنَّ وَجَلَ قلوبهم مع ما آتوا من المسارعة والاستباق إلى هذه الأحوال التي ذكرنا، أنَّ ذلك الوجلَ هو الوجلُ الذي لا سبيلَ إلى الكشف عن علم ذلك، ولا وقوفَ عليه لأحدٍ من خلقه، وهو علمُ الخاتمة، وما سبقَ لهم من الله تعالى في علم الغيب من الشقاوة والسعادة؛ فعند ذلك تقطَّع نياطُ قلوبهم، وذهلتْ عقولهم، وذهبت علومُهم، وغابت فهومهم، وأقبلوا على الله تعالى، بصدق اللجأ، وإظهار الفاقة ودوام الافتقار.

وتصديق ذلك ما قد رُوي في ذلك عن عائشة رضي الله عنها: أنَّها سألتْ رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] هو الذي يزني ويسرق ويشرب؟ فقال النبيُّ ﷺ: «لا، ولكن هو الذي يُصلّي ويصومُ ويتصدَّق ويخافُ ألاَّ يُقبل منه»، ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[1] [المؤمنون: ٦١].

فدلّ ذلك على أن بالمسارعة إلى هذه الخيرات تُنال درجة السابقين، وتُبتغى منزلتهم.

* * *

---

(١) رواه أحمد في المسند٦/ ٢٠٥، والترمذي (٣١٧٥) والطبراني في الكبير ٢/ ١٧٥١، والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٤٧٧.

[٣٨]
باب ذكر السابقين، والمقرّبين/ والأبرار من طريق الفهم والاستنباط

قال الشيخ رحمه الله: قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١١]، ثم بيّن فضلَ المقرّبين على من دونهم من الأبرار والسابقين بعد ذلك فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين: ١٨ ـ ١٩]، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٣] ووصف الكرامات التي أُكرمَ بها الأبرار، وما خصَّهم به من النعيم والدرجات في علّيين، فقال: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]، يعني أنَّ أهلَ الجنة يُعرفون بالنضارة التي في وجوههم، يعني في وجوه الأبرارِ من النعيم الذي خُصُّوا به من بين أهل الجنة، ثم قال: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين: ٢٥].

ولم يصف لأهل الجنة أنّهم يُسقون من الرحيق المختوم إلى قوله: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٧ ـ ٢٨].

فخصَّ الأبرارَ في الجنة من بين أهل الجنة بالرَّحيق المختوم، ثم فضَّلَ شرابَ الأبرار وهو الرحيق المختوم على شراب أهل الجنة بمزاجه؛ لأنَّ مزاجَه من التَّسنيم، والتَّسنيمُ هو العين التي يشربُ بها المقرَّبون، فصار شرابُ الأبرار الذي فُضِّلُوا به على أهل الجنة مَعلولاً بمزاجه عند شراب المقرَّبين الذي ليس بممزوجٍ.

فانظرْ إلى هذه الإشارة، ما ألطفها في معنى المقرَّبين! لأنَّ الأبرارَ الذين خُصُّوا من أهل علّيين بالرَّحيقِ المختوم، ونضرةِ النعيم، والأرائك يُمزجُ لهم في شرابهم مزاجًا من شراب المقرَّبين، الذي يشرب به المقرَّبون على الدوام. واستنبط أهل الفهم منها معنيين: **أحدهما**: أنَّ شراب الأبرار

ممزوجٌ، وشرابُ المقرَّبين صرفٌ غيرُ ممزوج، كما قال الله عزَّ وجلَّ في آيةٍ أُخرى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] ثم وصف ما أعدَّ الله لهم، ثم قال: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧ ـ ١٨]، ثم أخذَ في صفةٍ أُخرى من نعيم أهل الجنة، فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]، أشار إلى نعيم لا صفةَ له بقوله: ﴿ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ ولم يصف النعيم، فلما بلغَ إلى آخرِ القصَّة قال: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، فكلَّما ذكرَ شربَهم ووصف في ذلك فعلهم بقوله: ﴿يَشْرَبُونَ﴾ [الإنسان: ٥] يذكر المزاج في شُربهم، فلمَّا قال: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ لم يذكر المزاج في شربهم.

والمعنى الآخر: أنَّ العينَ التي هي شرابُ المقرَّبين يُمزجُ منه بالعينِ التي هي شرابُ الأبرار، ففضِّلُوا على أهلِ الجنة بمزاجِ مُزجت به شرابُهم[١] من التسنيم، وهو العين التي يشربُ بها المقرَّبون.

فهذا فرقٌ بين الأبرار والمقرَّبين، والله أعلم.

ثم قال جلّ ذكره: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [المؤمنون: ٦٢]، فبيَّنَ أنَّ المؤمنين إنَّما أُعطوا[٢] الاستطاعةَ على قدرِ الطاقة في ركوبِ هذه الحقائق، ومنازلة هذه الأحوال، لأنَّ جميع ما أوتي به الأنبياء عليهم السلام، فمن دونهم من الحقائق هو داخلٌ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] لم يخرجْ أحدٌ من ذلك.

* * *

---

(١) في (ع): بمزاج مزج شرابهم.
(٢) في الأصل: أيضًا أعطوا.

باب بيان التشديد في القرآن ووجوه ذلك

قال الشيخ رحمه الله: اعلمْ أنَّ الله تعالى قد أوجبَ على عباده بقوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن:١٦] فرضًا، لو[١] أنهم أتوا بجميع أعمالِ الملائكة، والأنبياء والصدّيقين، ثم يُطالبهم بحقيقة ذلك كان الذي عليهم[٢] في ذلك من إثباتِ الحجّة أكثرَ من الذي لهم.

ألَا ترى أنَّ الملائكةَ مع ما جبلهم الله تعالى عليه من أنواع العبادات يقولون: «سبحانك ربَّنا، ما عبدناك حقَّ عبادتك» ويقولون: ﴿ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ ﴾[٣] [البقرة:٣٢] فقد تبرّؤوا من علمهم وعبادتهم عند مُشاهدة الحقيقة.

ومعنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران:١٠٢] راجع إلى قوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن:١٦]؛ لأن التقوى أصلُ جميع الأحوال في البداية والنهايةَ، وليس للتقوى غايةٌ[٤]؛ لأن المُتَّقي ليس له نهاية، لأجل ذلك قلنا: إنّ معنى قوله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ راجع قوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾[٥].

---

(١) من هنا يبدأ القسم (١) من نسخة (ب) المدشوتة والتي تنتهي صفحة (١٢٨).

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: فيكون الذي عليهم.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٤، ٢٢٣/ ٦٢٩والطبراني في الأوسط ٤/ ٤٤، والكبير ٢/ ١٨٤، والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ١٨٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٨: وفي الحديث عروة بن مروان، قال الدارقطني: ليس بقوي في الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) في الأصل: وفي نسخة: للتقوى نهاية.

(٥) من قوله: (لأن التقوى أصل... إلى قوله: ﴿... مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾) ليس في (ن) ولا في (ع).

والتَّشديدُ في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾/ لأنكَ لو صلَّيْتَ ألفَ ركعةٍ [٣٩]
واستطعتَ أن تُصلّي ركعةً أخرى، فأخَّرْتَ ذلك إلى وقتٍ آخر، فقد تركتَ استطاعتك(١)، ولو ذكرتَ الله تعالى ألفَ مَرّةٍ، واستطعتَ أن تذكرَهُ مَرّةً أُخرى، فتؤخِّرُ ذلك إلى وقتٍ ثانٍ، فقد تركتَ استطاعتك، وكذلك لو تصدَّقْتَ على سائلٍ بدرهم، واستطعت أن تُعطيَهُ درهمًا آخرَ، أو حبَّةً أُخرى فلم تفعل ذلك، فقد تركتَ استطاعتك. فمن أجل ذلك قلنا: التشديد في قوله: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

ومن الآيات التي فيها التشديد أيضًا قولهُ تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وموضعُ التشديد في هذه الآية: أن الله تعالى ذكرَ القسم أنهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حتى يُحكِّموا رسول الله ﷺ ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، ثم إنْ وجدوا في أنفسهم ﴿حَرَجًا﴾، يعني في قلوبهم وأسرارهم وباطنهم ضيقًا، أو كراهةً في حكمه، لو أنَّه حكمَ عليهم بالقتل، فقد خرجوا من الإيمان. وقد ذكرَ اللهُ القسمَ على خروجِهم من الإيمان(٢).

فلو قِسنا على ذلك ما أمرنا اللهُ تعالى به من الصبرِ على أحكامِ الله عزَّ وجلَّ، والرِّضا بما قسم الله لنا من الأخلاقِ والأرزاق، والآجال والأعمال لم نَجِدْ معنا، ومع كثيرٍ من الناس، ذرةً من الإيمان؛ ولولا رجاءُ الخلقِ في سعةِ رحمةِ الله تعالى لهلكوا بذلك.

* * *

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: فقد تركت الاستطاعة.
(٢) قوله: (وقد ذكر الله القسم... من الإيمان) ليس في الأصل.

باب ما قيل في فهم الحروف والأسماء

قال الشيخ رحمه الله: يُقال: إنَّ جميعَ ما أدركتْهُ العلوم، ولحقته الفهوم[١]، وما عُبِّر عنه وما أُشير إليه، مُستنبطٌ عن حرفَيْنِ من أوّلِ كتابِ الله تعالى، وهو قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ١ـ٢] لأنَّ معناه بالله ولله. والإشارةُ في ذلك أنَّ جميع ما أحاطَ به علومُ الخلق وأدركته فهومُهم فليست هي قائمةً بذواتها، إنَّما هي بالله ولله.

وقيل للشِّبلي رحمه الله كما بلغني: أيشٍ الإشارة في الباء من ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾؟ فقال: أي بالله قامتِ الأرواحُ والأجساد، والخطرات[٢] والحركات، لا بذواتها.

وقيل لأبي العباس بن عطاء رحمه الله: إلى ماذا سكنتْ قلوبُ العارفين؟ فقال: إلى أولِ حرفٍ من كتابه وهو الباء من: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فإنَّ معناه أي بالله ظهرتِ[٣] الأشياء، وبه فنيت، وبتجلّيه حسنتْ، وباستتاره قبحتْ وسمجت، لأنَّ في اسمه: ﴿ٱللَّهِ﴾ هيبَتُهُ وكبرياءه، وفي اسمه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ محبَّته ومودّته؛ وفي اسمه: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ عونه ونصرته.

فسبحان من فرّقَ بين هذه المعاني في لطائفها بهذه الأسماء في غوامضها!.

قال الشيخ رحمه الله: معنى قوله: (بتجلّيه حسنت) يعني بقبوله لها[٤]، وبذا سُمّيتِ الحسنة حسنة، لأنه قَبِلَها، ولو لم يَقْبَلْها ما سُمّيت الحسنةُ

---

(١) في (ع): وألحقته المفهوم.
(٢) كلمة: (والخطرات) ليست في (ب).
(٣) في (ن) و(ع): أن بالله ظهرت.
(٤) في (ن) و(ع): يعني بقوله لها.

حسنةً، ومعنى قوله: (باستتاره قبحت وسمجت) يعني بردِّه لها وإعراضه عنها، وبذلك سُمّيت السيئةُ سيئةً، ولولا ذلك لما سُمّيت السَّيئةُ سيئةً.

وقال أبو بكر الواسطي رحمه الله: كلُّ اسمٍ من أسماء الله تعالى يُتخلَّقُ به إلاّ اسمه: (الله) واسمه (الرحمن) لأنَّهما للتعلّق دون التخلّق، وكذلك الصمدية مُمتنعةٌ عن الإدراك والإحاطة، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وقد قيل أيضًا: إنَّ اسم الله الأعظم هو (الله) لأنَّه إذا ذهَب عنه الألف يبقى (لله) وإنْ ذهبَ عنه اللام يبقى (له) فلم تذهب الإشارة، وإن ذهب عنه اللام الآخرة فيبقى في الأصل (هاء)(هو)[١] وجميع الأسرار في الهاء؛ لأن معناها (هو) وجميعُ أسماء الله تعالى إذا ذهبَ عنه حرفٌ واحدٌ يذهبُ المعنى، ولم يبقَ فيه موضعُ الإشارة، ولا يحتمل العبارة، فمن أجلِ ذلك لا يُسمّى به غير الله تعالى.

وعن سهل بن عبد الله رحمه الله أنَّه قال: الألفُ أوَّلُ الحروف وأعظمُ الحروف، وهو الإشارة في الألف، أي (الله) الذي ألَّفَ بين الأشياء، وانفردَ عن الأشياء.

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله: إذا كان العبدُ مجموعًا على الله تعالى، لا تنصرفُ/ منه جارحةٌ إلى غيرِ الله عزَّ وجلَّ، فعندها تقعُ له حقائقُ الفهم [٤٠]
عند تلاوة كتاب الله عزَّ وجلَّ الذي ليس مع الخلق.

وقال أبو سعيد رحمه الله: كلَّما بدا حرفٌ من الأحرفِ من كتاب الله عزَّ وجلَّ على قدرِ قُربك وحضورك عنده، فله مشْربٌ وفهمٌ غيرُ مخرجِ الفهم الآخر إذا سمعتَ بقوله: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ١] فللألف[٢] علمٌ يظهرُ في

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: فيبقى (هو).
(٢) في الأصل: فالألف.

الفهم غير ما يَظهر للأمِ، وعلى قدرِ المحبّةِ وصفاءِ الذكر ووجود القرب يقعُ التفاوتُ في الفهم.

قال أبو سُليمان الدّاراني: ربّما أبقى في الآيةِ خمسَ ليالٍ، فلولا أنّي أتركُ الفكرَ فيها ما جزتُها أبدًا، وربّما جاءتِ الآيةُ من القرآن، فيطيرُ معها العقلُ، فسبحان الذي يردُّه بعد ذلك.

وقال وُهَيْبُ بن الورد رحمه الله: نظرنا في هذه الأحاديث والآداب فلم نجد شيئًا أرقَّ لهذه القلوب، ولا أشدَّ استجلابًا للحزن من تلاوة القرآن وتدبُّره.

* * *



باب في وصف من أصاب في الاستنباط والإشارة والفهم في القرآن ووصف من غلط وأخطأ في ذلك

قال الشيخ رحمه الله: وأمَّا ما قال الناسُ من طريق الاستنباط والفهم، فالصحيحُ من ذلك ألاَّ نُقدِّمَ ما أخَّرَ الله تعالى، ولا نُؤخِّرَ ما قدَّم الله، ولا ننازعَ الرُّبوبية، ولا نخرج[١] عن العبودية، ولا يكون فيه تحريفُ الكلم.

وهذا كما حُكي عن بعضِهم أنَّه سُئل عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣] فقال: معناه: ما ساءني الضر[٢].

وبلغني عن بعضهم أيضًا: أنَّه سُئل عن قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى:٦]، فقال: معنى اليتيم مأخوذٌ من الدُّرَّة اليتيمة التي لا يُوجدُ مثلُها[٣].

وكما سُئل آخرُ عن معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف:١١٠] فقال: معناه أنابشرٌ مثلكم عندكم.

فهذا وأشباه ذلك خطأٌ وبهتان، وجسارةٌ على الله[٤] تعالى وجهل، وقلّةُ المبالاة، وهو تحريفُ الكلم[٥] عن مواضعه، فهذا هو السقيم[٦].

وأمّا الصَّحيحُ من ذلك فكما سُئل أبو بكر الكتَّاني رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشّعراء:٨٩]، فقال: **القلبُ السليم على ثلاثةِ أوجه من طريق الفهم:**

---

(١) في (ب): ولا تنازع الربوبية، ولا تخرج.
(٢) في هامش (ب): وفي نسخة: ما أساءني الضرُّ.
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: لا ترى مثلها.
(٤) في (ن) و(ع): وخسارة على الله.
(٥) في (ن) و(ع): تحريف الكلام.
(٦) في هامش الأصل: وفي نسخة: فهذا هو التغيير.

أحدها: هو الذي يَلْقى الله عزَّ وجلَّ، وليسَ في قلبِهِ مع الله شريك.

والثاني: هو الذي يلقى الله تعالى، وليس في قلبه شغلٌ مع الله عزَّ وجلَّ، ولا يُريد غيرَ الله تعالى.

والثالث: الذي يلقى الله عزَّ وجلَّ، ولا يقومُ به غيرُ الله عزَّ وجلَّ، فني عن الأشياء بالله[1]، ثم فني عن الله بالله.

ومعنى قوله: (فني عن الله بالله) يعني يذهبُ عن رؤية طاعة الله عزَّ وجلَّ، ورؤية ذكر الله، ورؤية محبَّة الله، بذكر الله له، ومحبَّته قَبْل الخَلْقِ، لأنَّ الخَلْقَ بذكرِهِ لهم ذكرَوه، وبمحبَّته لهم أحبُّوه، وبقديم عنايته بهم أطاعوه[2].

وكما سُئل شاه الكَرْماني رحمه الله، عن معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ * وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ـ٨٢]، فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إليه لا غيره، وهو الذي يُطعمني الرضا، وَيَسْقيني المحبة، وإذا مَرضتُ بمشاهدةِ نفسي فَهوَ يَشْفيني بمشاهدته، والذي يُميتُني عن نفسي ثُم يُحيِيني به فأقوم به لا بنفسي، والذي أَطْمَعُ ألاَّ يُخجلني يوم ألقاه بنظري إلى طاعتي وأعمالي، ثم أفتقرُ إليه بكلّيتي. لمَّا علم أنَّه لم ينلْ ما نالَ إلاَّ به، ولا ينالُ ما يأمُلُ إلاَّ به، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣].

كما سُئل أبو بكر الواسطي رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨]، فقال: قلبُ المؤمنِ يَطمئنُّ بذكر الله تعالى، وقلب العارف لا يطمئنُّ بسواه.

---

(١) في (ع): عن الأشباه بالله.

(٢) هنا انقطعت نسخة (ب) التي بدأت صفحة (١٢٢).

وكما سُئل الشِّبلي رحمه الله عن قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] فقال: أبصارُ الرؤوس عن محارم الله تعالى، وأبصار القلوب عمَّا سوى الله تعالى(١).

٤١ وكما سُئل الشبلي رحمه الله/ عن قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] فقال: لمن كان اللهُ تعالى قلبَهُ، ثم أنشد(٢):

ليس منّي إليكَ قلبٌ مُعَنًّى   كلُّ عضوٍ منّي إليكَ قلوبُ

فهذا من طريق الفهم.

وأما طريق الإشارة فعلى ما قال أبو العباس بن عطاء رحمه الله: الحقُّ لا يوجدُ مع الزلل، وأشار إلى قوله: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

وكما كان يقول: المحبُّ يسقطُ عنه التعذيب؛ ووجودُ الألم بصفات البشرية. وكان يستدلُّ بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨].

وكما أشار أبو يزيد البسطاميُّ رحمه الله حين سُئل عن المعرفة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

أرادَ بذلك أنَّ عادة الملوك إذا نزلوا قريةً أن يَستعبدوا أهلها، ويجعلوهم أذلَّةً لهم، ولا يقدرون أن يعملوا شيئًا إلاَّ بأمر الملك؛ وكذلك المعرفة إذا دخلتِ القلبَ لا تتركُ فيه شيئًا إلا أخرجته، ولا يتحرَّكُ فيه شيءٌ إلاَّ أحرقته.

وكما كان يُشير الجُنيد رحمه الله، إذا سُئل عن سكونه وقلّةِ اضطرابِ

---

(١) قوله: (وأبصار القلوب عما سوى الله تعالى) ليس في (ع).

(٢) ديوان الشبلي صفحة (٨٨).

جوارحه عند السَّماع إلى قوله: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ ﴾ [النمل: ٨٨].

وكما كان يُشير أبو علي الرُّوذباري رحمه الله إذا رأى أصحابَهُ مُجتمعين، فيقرأ: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٩].

واحتجَّ أبو بكر الزقّاق رحمه الله على ما قيل للزّهري في تعريف الإنسان، فقال: إنْ تكلَّمَ ففي ساعةٍ، وإن سكتَ ففي يومٍ، لقوله الله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ ﴾ [محمّد: ٣٠].

فهذا وأشباهُ ذلك صحيحٌ والله أعلم، فقِسْ على ما بيَّنْتُ لك ما تسمعُ من إشاراتِ القوم ومستنبطاتهم، حتَّى تميّزَ بين الصحيح والسقيم، و العاقل يَستغني بالقليل عن الكثير، ويستدلُّ بالشاهد على الغائب، وبالله التوفيق.

* * *



كتاب الأسوة والاقتداء برسول الله ﷺ

باب وصف أهل الصفوة
في الفهم والموافقة والاتّباع للنبي ﷺ

قال الشيخ رحمه الله: قال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فأعلمنا بذلك أنّه بُعثَ للخلق كافّةً.

ثمّ قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣]. فقد شهد الله تعالى له بأنّه يهدي إلى صراط مستقيم.

ثم أوجبَ علينا نفي الهوى عن نطقه، لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣].

ثم وصفه الله تعالى فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة: ٢]، فأعلمنا أنه ﴿ يَتْلُوا۟ ﴾ علينا آياته، ويُعلّمنا ﴿ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ وهو القرآن، ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾، وهي الإصابة، والإصابةُ سنّتُهُ، وآدابه، وأخلاقه، وأفعاله، وأحواله، وحقائقه.

ثم بلّغ رسولُ الله ﷺ ما أُنزلَ إليه من ربّه، وما أمر بإبلاغه لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

ثم أمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ الخلقَ كافّةً بطاعة رسول الله ﷺ، كما أمرهم بطاعته؛ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]، وأمرهُم

بالقبول منه، بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، وأمرهم بالانتهاء عمَّا نهى عنه بقوله جلّ وعلا: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، ودلّهم على الاهتداء باتّباعه بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ووعدهم الهداية بطاعته بقوله عزَّ وجلَّ:
[٤٢] ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]، وحذرهم الفتنة، والعذاب/ الأليم إن خالفوا أمرَه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ثم عرّفنا الله تعالى، أن محبّةَ اللهِ للمؤمنين، ومحبّة المؤمنين لله في اتّباع رسولِه بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ثم ندبَ اللهُ المؤمنين إلى الأسوة الحسنة برسوله ﷺ، فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ثم رُوي عن رسول الله ﷺ أخبارٌ؛ فكلُّ خبرٍ ورد عن رسول الله ﷺ بنقلِ الثقةِ عن الثقة، حتى انتهى إلينا، فالأخذُ به لازمٌ لجميع المسلمين؛ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٦] وقوله: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

فصار الأسوةُ به، والاتباعُ له، والطاعةُ لأمره واجبًا على جميع خلقه ممَّن شهدَ أو غابَ إلى يوم القيامة، غير الثلاثةِ الذين رُفِعَ القلم عنهم(١).

فمن وافق القرآن، ولم يتبعْ سُنن رسول الله ﷺ، فهو مخالفٌ للقرآن، غيرُ مُتَّبعٍ له، والمتابعة والاقتداء هي الأسوةُ الحسنة برسول الله ﷺ في جميعِ ما صحَّ عنه من أخلاقه، وأفعاله، وأحواله، وأوامره، ونواهيه، وندبه،

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الغلام حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق» رواه أحمد في المسند٦/ ١٠٠، وأبو داود (٤٣٩٨) والنسائي ٦/ ١٥٦، وابن حبان ١/ ٣٥٥.

وترغيبه، وترهيبه، إلاَّ ما قامَ الدليلُ على خلافه، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب:٥٠]، وقول النبي ﷺ في الوصال: «لست كأحدكم»[١] وقوله في حديثِ الأُضحية لأبي بُردة بن نِيَار: «اذبحْ، ولا تُجزىءُ عن أحدٍ بعدك»[٢]؛ وما يُشبه ذلك مّما يقوم به الدليلُ من نصِّ الكتاب والآثار.

فأمّا ما رُوي عن رسول الله ﷺ، في الحدود، والأحكام، والعبادات من الفرائض والسنن، والأمر والنهي، والاستحباب والرخص والتوسع؛ فذلك من أُصول الدين، وهو مدوّنٌ عند العلماء والفقهاء، ومُستعملٌ فيما بينهم، ومشهورٌ عندهم؛ لأنّهم الأئمةُ الحافظون لحدود الله، المتمسّكون بسنن رسول الله ﷺ، الناصرون لدين الله عزَّ وجلَّ، يحفظونَ على الخلق دينَهم، ويبيّنون لهم الحلالَ من الحرام، والحقَّ والباطل؛ فهم حُججُ الله تعالى على خلقه، والدُّعاةُ له في دينه، فهؤلاء هم الخاصَّةُ من العامة.

فأمّا الخاصَّة من هؤلاء الخاصّة: لمّا أَحكموا الأصول، وحفظوا الحدود، وتمسّكوا بهذه السّنن، ولم يبقَ عليهم من ذلك بقيّةٌ، استبحثوا أخبار رسول الله ﷺ، التي وردتْ في أنواع الطاعات والآداب، والعبادات والأخلاق الشريفة، والأحوال الرضيّة؛ طالبوا أنفسَهم بمتابعة رسول الله ﷺ، والأُسوة به، واقتفاء أثره بما بلغهم من آدابه، وأخلاقه، وأفعاله، وأحواله؛ فعظّموا ما عظّم، وصغّروا ما صغّر، وقلّلوا ما قلّل، وكثّروا ما كثّر، وكرهوا ما كره، واختاروا ما اختار، وتركوا ما تركَ،

---

(١) روى أحمد في المسند ٢/ ١٢٨، والبخاري في صحيحه (١٩٢٢) و(١٩٦٢) ومسلم (١١٠٢) والموطأ ١/ ٣٠٠ (٦٧٠) وأبوداود (٢٣٦٠) عن عبد الله بن عمرأنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن الوصال، قالوا: إنك تواصل. قال: «إني لست كهيئتكم، إني أُطعم وأسقى». والمواصلة في الصوم: هو أن يصوم يومين أو ثلاثة لا يُفطر فيها.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٨١، والبخاري (٥٥٥٧)و(٥٥٦٣، ٥٥٦٠، ٥٥٤٥) ومسلم (١٩٦١) والترمذي(١٥٠٨) وأبو داود (٢٨٠٠) والنسائي٧/ ٢٢٢ عن البراء بن عازب.

وصبروا على ما صبر، وعادوا من عادى، ووالوا من والى، وفضّلوا من فضّل، ورغبوا فيما رغب، وحذّروا ما حذّر، ألا ترى عائشة[١] رضي الله عنها، سُئلت عن خُلُق رسول الله ﷺ. فقالت: كان خُلُقه القرآن[٢]. تعني موافقة القرآن.

ورُوي عن النبي ﷺ أنّه قال: «بُعثتُ بمكارمِ الأخلاق»[٣].

* * *



(١) في (ع) والمثبت في (ن): لأن عائشة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٧٤٦) وهو جزء من حديث طويل.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ١٩٢، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) ١/ ١٠٤ بلفظ: «إنما بعثت لأتمم صالحي الأخلاق» والبهيقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٣٠ بلفظ: «صالح الأخلاق».

باب ما رُوي عن رسول الله ﷺ في أخلاقه، وأفعاله وأحواله التي اختارها الله تعالى له

قال الشيخ رحمه الله: رُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ الله تعالى أدَّبني، فأحسنَ أدبي»(١).

وقد رُوي عنه ﷺ أنَّه قال: «أنا أَعلمُكُم بالله، وأخشاكُم لله»(٢).

وصحَّ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «خُيِّرتُ بينَ أَنْ أكونَ نبيًّا ملكًا أو أكونَ نبيًّا عبدًا، فأشار إليَّ جبريل عليه السلام أن تواضَعْ، فقلتُ: بل أكون نبيًّا عبدًا، أشبعُ يومًا وأجوعُ يومًا»(٣).

ورُوي عنه ﷺ أنَّه قال: «عُرِضت عليَّ الدنيا فأَبيتُها»(٤).

وقال ﷺ: «لو كان لي أُحدٌ ذهبًا لأنفقتُهُ في سبيل الله إلاَّ شيء أرصده لدينٍ عليَّ»(٥).

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه ص (١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠) وهو من غرائب الصحيح، لا يعرف إلاَّ من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. وهو في الموطأ ١/ ٢٨٩ (٦٤٥) وعند أحمد في المسند ٦/ ٦٧، وسنن أبي داود (٢٣٨٩) بلفظ: «والله، إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي» وللحديث قصة انظرها ثمة، وسيذكر الحديث ثانية ص (١٦١).

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٩٢، وقال: رواه البزار، والطبراني في الأوسط [٧/ ٨٨] ورجال البزار ثقات.

(٤) أخرجه أحمد في المسند٣/ ٩١، وأبويعلى (١١٥٥)، وابن حبان ١٤/ (٦٥٩٣)، والدارمي ١/ ٣٦، وإسناده صحيح.

(٥) رواه البخاري (٢٣٨٩و٦٤٤٥)، ومسلم (٩٤) بعد الحديث (٩٩١) وابن ماجه (٤١٣٢)، وأحمد في المسند في عدّة مواضع منها٢/ ٣٤٩. والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٤٠٦.

جاء في هامش الأصل: قال بعضهم: إن الله تعالى لم يُظهر مقام الجمع بالتصريح إلاّ على سيدنا محمد ﷺ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] وعلامة=

[٤٣] ورُوي عنه ﷺ: أنَّه لم يدّخرْ شيئًا/ لغدٍ[١]، وأنّه إنّما ادّخرَ مرّةً قوتَ سنةٍ لعياله ولمن يردُ عليه من الوفود[٢].

وقد رُوي عنه ﷺ: أنّه لم يكن له قميصان[٣]، ولم يُنخلْ له طعامٌ[٤].

وأنَّه خرج ﷺ من الدُّنيا ولم يشبعْ من خُبزِ بُرٍّ قطُّ[٥]، اختيارًا لا اضطرارًا؛ لأنَّه لو سألَ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يجعلَ له الجبالَ ذهبًا ـ ولم يُحاسب عليها ـ لفعل ذلك.

وقد رُويَ شبيهًا بذلك في الأخبار والروايات.

ورُوي عنه ﷺ أنَّه قال لبلال رضي الله عنه: «أنفقْ بلالُ، ولا تَخشَ من ذي العرشِ إقلالاً»[٦].

ووضعت بَرِيْرَةُ بين يديه ﷺ طعامًا، فأكلَ منه، فردَّتْهُ إليه الليلةَ الثانية؛ فقال لها: «أما خشيتِ أن يكونَ له بخارٌ من جهنم يوم القيامة[٧]! لا تدّخري شيئًا لغدٍ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يأتي برزقِ كلِّ غدٍ»، أو قال: «يومٍ».

= هذا الجمع ظهرت في مقام السدرة، قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦] وهذا تحقيق الجمع، وجمع الجمع، وعين الجمع.

(١) سنن الترمذي (٢٣٦٢) عن أنس، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٥٨، ٥٣٥٧) ومسلم (١٧٥٧) والترمذي (١٧١٩، ١٦١٠) وأبو داود (٢٩٦٣). في هامش الأصل: وفي نسخة: من المسلمين.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط ٦/ ٣١(٥٧٠٤) عن أبي الدرداء.

(٤) رواه أحمد في المسند ٥/ ٣٣٢، والبخاري (٥٤١٠، ٥٤١٣)، والترمذي (٢٣٦٤)، وابن ماجه (٣٣٣٥).

(٥) رواه البخاري (٥٤٣٨) ومسلم (٢٩٧٣ـ٢٩٧٣) والترمذي (٢٣٥٧).

(٦) رواه الطبراني في الكبير ١/ ٣٤٢و١٠/ ١٥٥، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ١١٨، وأبو يعلى ١٠/ ٤٣٠.

(٧) قوله ﷺ: «أما خشيت أن يكونَ له بخار من جهنم» جاء ضمن الحديث السابق «أنفق بلال...» فليراجع تخريجه. أما «لا تدخري...» فقد رواه أحمد في المسند ٣/ ١٩٨، وابو يعلى ٧/ ٢٢٤. وفي الأصل ضرب على كلمة (يوم القيامة).

وروي عنه ﷺ أنَّه لم يعبْ طعامًا قطُّ، إن اشتهاه أَكَلَهُ، وإن لم يشتهه تركَهُ[١]، ولا خُيِّرَ بين أمرَيْنِ إلاَّ اختارَ أيسرَهما[٢].

ولم يكن النبيُّ ﷺ زرَّاعًا، ولا تاجرًا، ولا حرّاثًا.

وكان من تواضعه ﷺ: يلبسُ الصوف، وينتعلُ المخصوف، ويركبُ الحمار، ويحلِبُ الشاة، ويَخصِفُ نعله، ويرقَعُ ثوبه، وكان لا يأنفُ أن يركبَ الحمار، ويُردِفَ خلفه.

وقد رُوي في الخبر: أنه ﷺ كان يكره الغنى، ولا يَخشى من الفقَر، وكان يمرُّ به وبأزواجه الشَّهرُ والشهران فلا يُوقدُ في بيته نارٌ للخبز، وأنَّه كان طعامهم الأسودين: التمر، والماء[٣].

ورُوي عنه ﷺ أنَّه خيَّرَ نساءَه، فاخترن اللهَ ورسولَه، وفيهن نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا...﴾ [الأحزاب:٢٨] الآيتان جميعًا[٤].

وكان من دعائه ﷺ: «اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين»[٥].

ومن دعائه ﷺ أيضًا: «اللهمّ ارزقْ آلَ محمدٍ قوتَ يومٍ بيوم»[٦].

وكان أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه يصفُ رسول الله ﷺ كما رُوي عنه: كان رسول الله ﷺ يعقِلُ البعير، ويعلِفَ الناضح، ويَقُمُّ البيتَ، ويخصِفُ النَّعلَ، ويرقَعُ الثوب، ويحلبُ الشاة، ويأكلُ مع الخادم، ويطحنُ معها إذا هي أَعيتْ، وكان لا يمنعُهُ الحياءُ أن يحملَ بضاعتهُ من السوق إلى

---

(١) رواه البخاري (٣٥٦٣)، ومسلم (٢٠٦٤).

(٢) رواه البخاري(٣٥٦٠)، ومسلم(٢٣٢٧).

(٣) انظر صحيح البخاري (٦٤٥٩) ومسلم (٢٩٧٢).

(٤) رواه البخاري (٤٧٨٦)، ومسلم (١٤٧٥)، والترمذي (٣٢٠٤).

(٥) رواه الترمذي (٢٣٥٣)، وابن ماجه (٤١٢٦).

(٦) رواه أحمد ٢/ ٤٤٦، والبخاري (٦٤٦٠) ومسلم (١٠٥٥) والترمذي (٢٣٦١).

أهله، وكان يُصافحُ الغنيَّ والفقير، ويُسلّمُ مُبتدئًا، وكان لا يردُّ من دعاهُ إلى منزله، ولا يَحقرُ ما دُعي إليه، ولو إلى حَشَفِ التمر، وكان ليِّن الخُلُق، كريمَ الطَّبعِ، جميلَ المُعاشرة، طلقَ الوجه، بسَّامًا من غير ضحك، مَحزونًا من غير عبوس، مُتواضعًا من غير ذلّةٍ، جوادًا من غير سرفٍ، رقيقَ القلب، دائمَ الإطراق، رحيمًا بكلِّ مُسلمٍ، لم يَتجشَّأْ قطُّ من شبعٍ، ولا مدّ يدَهُ إلى طمعٍ[١].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ أَجودَ من الرِّيح المُرسلة[٢].

ووهب النبيُّ ﷺ ما بين جبلين من الغنمِ لرجلٍ واحد، فرجعَ ذلك الرجلُ إلى قبيلته، وقال: إن محمدًا ﷺ يُعطي عطاءَ من لا يَخشى الفقر[٣].

ولم يكن رسول الله ﷺ سخّابًا[٤]، ولا لعّانًا، ولا شتّامًا[٥]، ولا فحّاشًا، ولا مُتفحِّشًا[٦].

وكان النبيُّ ﷺ يأكلُ على الأرض، ويجلسُ على الأرض، ويلبس العباء، ويُجالسُ المساكين، ويمشي في الأسواق، ويتوسَّدُ يده، ويقتصُّ من نفسه، ولم يُرَ ضاحكًا ملْءَ فيه، ولم يأكلْ وحدَهُ قطُّ، ولا ضربَ عبدَه قطُّ، ولا ضرب أحدًا بيده إلاَّ في سبيل الله عزَّ وجلَّ، وكان لا يجلسُ متربّعًا، ولا يأكلُ مُتكئًا، ويقول: «آكلُ كما يأكلُ العبدُ، وأَجلسُ كما يجلسُ العبد»[٧].

---

(١) انظر الإحياء ٢/ ٣٨٠ كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة، بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم.

(٢) رواه أحمد ١/ ٢٨٨، والبخاري (٦) و(٣٥٥٤)، ومسلم (٢٣٠٨)، والنسائي٤/ ١٢٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣١٢) من حديث أنس.

(٤) في (ع) صخّابًا. وكلاهما بمعنى.

(٥) قوله: (ولا لعانًا ولا شتّامًا) ليس في (ن) ولا في (ع).

(٦) حديث صحيح أخرجه التر مذي (٢٠١٦) من حديث عائشة.

(٧) قوله ﷺ «آكل كما. . » رواه أبو يعلى في المسند ٨/ ٣١٨عن عائشه رضي الله عنها.

وروي عنه ﷺ أنَّه شدَّ الحجرَ على بطنه من الجوع(١).

ولو سألَ ربَّه أن يجعلَ له أبا قُبَيْسٍ(٢) ذهبًا، لأجابه.

وحمل النبيُّ ﷺ أصحابَهُ إلى بيت أبي الهيثم بن التَّيِّهان من غيرِ أن دعاه، وأكل في بيتِهِ من طعامه، وشربَ من شرابه، وقال: «هذا من النعيم الذي تُسألون عنه»(٣).

ودعاه ﷺ رجلٌ آخرُ إلى بيته مع خمسةٍ من أصحابه؛ فلم يدخلْ معه السادسُ إلاّ بإذنه(٤).

[٤٤] ويروى/ في الحديث أن النبيَّ ﷺ لبس منديلاً(٥) له علمٌ، ثم رمى به، وقال: «كادتْ تُلهيني أعلامه»، وقال: «ائتوني بأَنْبجانية أبي جهم»(٦).

وسئل عن الصلاة في ثوب واحد، فقال: «أوكلُّكم يجدُ ثوبين؟»(٧).

وقال: «أنا ابنُ امرأةٍ [من قريش] كانت تأكلُ القَديد»(٨).

وقال: «لا تُفضِّلوني على يُونسَ بنِ متّى عليه السلام»(٩).

وقال مرّةً: «أنا سيِّدُ ولدِ آدم ولا فخر»(١٠).

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٧١) من حديث أبي طلحة.

(٢) أبو قُبَيس: جبل بمكّة.

(٣) حديث صحيح رواه الترمذي (٢٣٦٩) من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري(٥٤٦١)، ومسلم (٢٠٣٦). من حديث أبي مسعود.

(٥) كذا الأصل، وفي متن الحديث (انظر تخريجه): (خميصة) بدل: (منديلاً). والخميصة: ثوب أسود مُعْلَم من خزٍّ أو صوف. جامع الأصول (٣٦٥٠).

(٦) أخرجه البخاري (٣٧٣)، ومسلم(٥٥٦) من حديث عائشة. والأنبجانية: كساء له خمل، وقيل: الغليظ من الصوف. جامع الأصول (٣٦٥٠).

(٧) أخرجه البخاري (٣٦٥)، ومسلم(٥١٥) من حديث أبي هريرة.

(٨) أخرجه بن ماجه (٣٣١٢). والقديد: اللحم المملح اليابس.

(٩) أخرجه البخاري (٣٣٩٦)، ومسلم(٢٣٧٧).

(١٠) أخرجه مسلم (٢٢٧٨)، والترمذي (٣١٤٨، ٣٦١٦)، والدارمي (٤٧). وسيرد صفحة (١٦٢، ٥٣٢).

وقال ﷺ: «إنّي أُعطي أقوامًا وأَمنعُ آخرين، وليس الذي أُعطيه بأحبَّ إليَّ من الذي أَمنعُهُ»(١).

وقال: «أوّلُ من يدخلُ الجَّنةَ فقراءُ الأنصار، الشَّعِثَة رؤوسُهم، الدَّنسة ثيابُهم، الذين لا يَنكحون المتنعِّمات، ولا تُفتحُ لهم السُّدَد»(٢).

وقال ﷺ: «ما لي وللدنيا»(٣).

وقال: «لتكنْ بلغةُ أحدكم كزادِ الراكب»(٤).

وقال: «يدخلُ فقراءُ أُمّتي الجنةَ قبل أَغنيائهم بنصفِ يومٍ، وهو خمسُ مئةِ عامٍ»(٥).

وقال: «نحن معاشرَ الأنبياء أشدُّ الناس بلاءً، ثم الأَمثلُ فالأمثلُ، ويُبتلى الرَّجلُ على قدرِ دينه(٦)؛ فإنْ كان في دينِهِ صلابةٌ فهو أَشدُّ بلاءً»(٧).

وقال رجلٌ للنبيِّ ﷺ: إنّي أُحبُّكَ(٨). قال: «استعدَّ للبلاء جلبابًا»(٩).

وروي عن النبيِّ ﷺ قال: «حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاث»(١٠).

---

(١) أخرجه البخاري (٩٢٣).

(٢) رواه أحمد في المسند ٢/ ١٣٢، والترمذي (٢٤٤٤). والسُّدد: جمع سدة، وهي الباب. جامع الأصول (٧٩٩٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦١٣).

(٤) رواه أحمد في المسند ٥/ ٤٨٣

(٥) أخرجه الترمذي (٢٣٥٤، ٢٣٥٣)، وابن ماجه (٤١٢٢).

(٦) في هامش الأصل: وفي نسخة: حسب دينه.

(٧) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣).

(٨) في هامش الأصل: وفي نسخة: والله

(٩) أخرجه الترمذي (٢٣٥٠) بلفظ: «فأعدّ للفقر تجفافًا» والتجفاف بالكسر آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان للاتقاء.

(١٠) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٨٥، ١٩٩، ١٢٨، والنسائي (٣٩٣٩) دون قوله: (ثلاث). قال في كشف الخفا (١٠٨٩): وأما ما اشتهر من زيادة ثلاث، فلم أقف عليها إلا في موضعين من الإحياء، وفي تفسير آل عمران من الكشاف، وما رأيتها في شيء من طرق هذا الحديث.

وقال: «أنتم أَعلمُ بدنياكم»(١)، فأضاف الدُّنيا إليهم، وأخرجَ نفسَهُ منها.

ولم يضع رسول الله ﷺ لبنةً على لبنةٍ إلى أن خرجَ من الدنيا(٢).

وخرج ﷺ من الدنيا ودرعُهُ مرهونةٌ عند يهودي على آصعٍ من شعيرٍ(٣)، ولم يترك دينارًا ولا درهمًا، ولم يُقسمْ له ميراثٌ، ولم يوجد في بيته أثاث.

وقال: «نحن معاشرَ الأنبياء لا نُورِّثُ، ما تركنا صدقة»(٤).

وكان يقبلُ الهديةَ، والكرامةَ، والعطيةَ، وكان لا يأكلُ من الصدقة، ويأخذُها منهم(٥).

وروي عنه ﷺ: «ما أوحى اللهُ تعالى أنْ أجمعَ المال وأكونَ تاجرًا، ولكن أوحى إليّ أن: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾»(٦) [الحجر: ٩٨-٩٩].

ورُوي عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّها قالت: ذبحنا شاةً فتصدَّقنا بها، حتى لم يبقَ إلاّ كتفُها، قالت: فقلت: يا رسول الله، ذهبَ كلُّها إلاَّ كتفَها! فقال النبي ﷺ: «بقيتْ كلُّها إلاَّ كتفَها»(٧).

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١-٤].

وقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ يُحبُّ مكارمَ الأخلاق، ويكرَهُ سفسافَها»(٨).

---

(١) أخرجه مسلم(٢٣٦٣).

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء: كتاب الصبر والشكر مرسلاً ٣/ ٢١٥. وقال الحافظ العراقي: رواه ابن حبان في الثقات، والحديث رواه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٩٢ هكذا مرسلاً.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩١٦)، ومسلم(١٦٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم(١٥٧٩).

(٥) أخرجه البخاري (٢٥٧٦)، ومسلم (١٠٧٧).

(٦) أخرجه ابن عدي في الكامل ١٨٩٧ في ترجمة عيسى بن سليمان.

(٧) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٥٠، والترمذي (٢٤٧٠).

(٨) ذكره الغزالي في الإحياء في ذم البخل وحب المال ٣/ ٢٤٤ بلفظ: «إن الله جواد، يحبُّ=

وقال ﷺ: «بعثتُ لأُتمّ مكارمَ[١] الأخلاق»[٢].

وكان من خُلُقه، صلوات الله عليه الحياءُ، والسخاء، والتوكُّل والرضا، والذِّكرُ والشكر، والحلم والصبر، والعفو والصفح، والرأفة والرحمة، والمُداراة والنصيحة، والسكينة والوقار، والتواضع والافتقار، والجود والسماحة، والخضوع والقوة، والشجاعة والرفق، والإخلاص والصدق، والزهد والقناعة، والخشوع والخشية، والتعظيم والهيبة، والدعاء والبكاء، والخوف والرجاء، واللياذة واللجأ، والتهجُّد والعبادة، والجهاد والمجاهدة.

وكان كما رُوي عنه ﷺ أنَّه كان مُتواصلَ الأحزان، دائمَ الفكرة، وكان لصدرِهِ أَزيزٌ كأزيزِ المرجل[٣].

وأنّه صلّى حتى تورَّمَتْ قدماه، فقيل له: يا رسول الله، أليسَ قد غَفَرَ لك ما تقدَّم من ذنبِكَ وما تأخَّر! قال: «أفلا أكونُ عبدًا شكورًا»[٤].

وكان ﷺ يُعطي من حرمَهُ، ويصلُ من قطعَهُ، ويعفو عمّن ظلمَهُ؛ وما انتقم رسول الله ﷺ، لنفسِهِ قطُّ، ولا غضبَ لنفسِهِ قطُّ إلاّ أن تُنتهكَ محارمُ الله، فيغضب لله[٥].

وكان للأرملةِ كالزّوج الشفيق، ولليتيم كالأب الرحيم.

وقال ﷺ: «مَنْ تركَ مالاً فلورثته، ومَنْ تركَ كلاً أوَ ضياعًا فإليّ»[٦].

وقال: «اللهم، إنّي بشرٌ أغضبُ كما يغضبُ البشر، فأيّما امرىءٍ سببتُهُ أو

= الجود ويحب معالي الأمور ويكره سفاسفها». قال الحافظ العراقي: أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز.

(١) في (ن) و(ع): بعثت لآتي بمكارم.

(٢) تقدم مع تخريجه صفحة (١٣٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٥، وأبو داود (٩٠٤)، والنسائي ٣/ ١٣.

(٤) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٦) أخرجه البخاري (٢٣٩٩)، ومسلم (١٦١٩). والكَلُّ: العيال.

لعنتُهُ فاجعلْ ذلك كفارةً له ورحمةً»[١]، أو كما قال.

وقال أنسُ بنُ مالك: خدمتُ رسول الله ﷺ عشرَ سنين، فما ضربني ولا نهرني، ولا قال لي لشيءٍ/ فعلته: لم فعلتَ كذا؟ ولا لشيءٍ لم أفعله: [٤٥] لِمَ لم تفعلْ كذا؟[٢].

ولو لم يكن من كرمهِ وعفوه وحلمه إلاّ ما كان منه يومَ فتح مكة لكانَ من أكملِ الكمال.

وذلك أنَّه دخلَ مكَّة صُلحًا، وقد قتلوا أعمامه وأولياءهُ، بعد أن حصروه في الشعاب، وعذَّبوا أصحابَه بأنواع العذاب، وأَخرجوه، وأَدموه، وطرحوا عليه الرّوث، وآذوه في نفسِهِ وفي أصحابه، وسفهوا عليه، واجتمعوا على كيده؛ فلمَّا دخلَها بغير حمدِهم، وظهرَ عليهم، على صغرٍ منهم، قام خطيبًا، فحمدَ الله وأثنى عليه. ثم قال: «أقولُ كما قالَ أخي يوسف عليه السلام: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢] وقال: «من دخلَ دارَ أبي سفيان فهو آمن»[٣].

وما يُشبه ذلك ممّا يردُ من الأخبار الصحيحة في هذا المعنى أكثرُ مما يتهَّيأُ ذكره؛ وإنَّما ذكرنا طَرَفًا ليستدلَّ به على ما لم نذكره، والله أعلم بالصواب[٤].

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٣٦١)، ومسلم (٢٦٠٢، ٢٦٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩). والكهر: الزَّبر والنَّهْر.

(٣) انظر البيهقي في سننه الكبرى ٩/ ١١٨.

(٤) جاء في هامش الأصل: المختصر به، بلغ السَّماعُ من باب الصبر من أبي بكرالكوفاني بقراءة الغراوي الشافعي وابناه علي و.... وهب الله بن أبي عاصم.... وأبو منصور البحتري، والشيخ عبد الأول بن عيسى بن شعيب السِّجْزِي، ومحمد بن عدنان الأكاف، وعبد الواحد بن أحمد الهروي في رمضان سنة خمس وستين وأربع مئة. نقلته مختصرًا، نقله أحمد بن محمد الظاهري، كما شاهد في نسخة أحمد بن يحيى وبخطه. وانظر الحاشية (٢) صفحة (٧٣).

باب بيان ما رُوي عن النبيّ ﷺ في الرُّخص والتوسع[(١)] على الأُمّة فيما أباح الله تعالى لهم ووجه ذلك في حال الخصوص والعموم في الاقتداء برسول الله ﷺ

فأمّا ما رُوي عن النبيِّ ﷺ، ممّا جمعَ اللهُ عليه من أموالِ بني قُريظة، والنَّضير، وفدَك، وخيبر، وأشباه ذلك، والحلّة التي أُهديت إليه والمجمع، والسيف الذي في قِرابه فضّة، والسُّتور التي كانت في البيت، والراية التي كانت له، والفَرَس، والبغل، والناقة والحمار، والبُردة، والعِمامة، والخفّ الذي أَهدى إليه النجاشيُّ، وغير ذلك ممّا يكثُر ذكرُهُ، وأنّه كان يحبُّ الحلو البارد، وأنّه أكلَ الخبيص، والذي قال لأصحابه: «كُلوا واشبعوا» وما أشبه ذلك وما جانسَ ذلك من الأخبار المروية عنه ﷺ، فإنَّ جميع ذلك في الرُّخصة والتَّوسيعةِ على الأمة والإباحة لها، لأنه كان ﷺ إمامَ الخلق إلى يوم القيامة، وأنه قال ﷺ: «بُعثت بالحنفيّة السمحة»[(٢)]، وقال ﷺ: «إنَّما أُنسَّى لأُسِنَّ»[(٣)].

ولو لم يُوسّع اللهُ تعالى على الخلقِ التعلّقَ بالرُّخصِ، والأخذ بما أباح الله تعالى لهم في الطلب والجمع والإمساك والمكاسب بشرط العلم لهلكوا؛ لأنَّ الله تعالى لم يَدْعُ الخلقَ إلى جمعِ الأموال والصنائع والتجارات؛ ولكن أباحَ لهم ذلك، لعلمه بضعفهم.

وقد دعاهم الله تعالى إلى طاعته وعبادته، وندبَ كافَّةَ المؤمنين إلى ذكره وشكره، والتوكُّل عليه، والانقطاعِ إليه، بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) في (ن) و(ع): والتوسيع.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٦٦.
(٣) أخرجه مالك في الموطأ ١/ ٢٢٥ بلاغًا.

﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٤١] وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٩٢]، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠] ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة:٤١] وأشباهه.

وليس حالُ الناس في هذه المباحات والرُّخصِ كحالِ الأنبياء عليهم السلام؛ لأنَّ تعلُّقَ الناس أكثرهم بالرُّخص والمباحات من ضعف إيمانهم، وميلِ نفوسهم إلى الحظوظ، وعجزِهم عن حمل أثقالِ مرارةِ الصبر، والقناعة بما لا بدَّ لهم منها.

وربَّما يُؤدّيهم ذلك إلى اتّباع الشهوات، واكتسابِ السَّيئات، إن تخلَّفوا عن آداء حقوقها، ولم يقوموا بشرائطِ العلم في تناولها.

فأمَّا الأنبياء عليهم السلام، فقد هُذِّبوا بتأييد النبوَّة، وقوة الرسالة، وأنوارِ الوحي، لا تأخذ منهم الأشياءُ، ويكون كونهم فيها لغيرهم، وقيامهم فيها لحقوقهم، لا لحظوظِهم.

ألاَ ترى إلى قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر:٧]، فقد أخبرَ بأنَّ ما أفاءَ اللهُ عليهم فهو لله وللرَّسولِ ولذي القربى واليتامى.

قالوا: معنى ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾. يعني: وللرسول أن يضعَهُ في مواضعه، والذي قال: (خُمس الخُمس) فإنَّ ذلك كان يضعه حيث يشاء.

والناسُ في موافقة كتاب الله تعالى واتّباعِ رسول الله ﷺ، على ثلاثة أقسام:

فمنهم: من تعلّق بالرُّخص والمُباحات، والتأويل والسعة.

ومنهم: من تعلّق بعلم/ الفرائض والسّنن، والحُدودِ والأحكام. [٤٦]

ومنهم: من أحكمَ ذلك، وعَلِمَ من أحكامِ الدِّين ما لا يسعُهُ الجهل به، ثم تعلّق بالأحوال السنية، والأعمال الرضية، ومكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، وحقائقِ الحقوق، والتحقّق والصدق.

كما رُوي في الحديث: أنَّ النبيَّ ﷺ قال لحارثة: «لكلِّ حقٍّ حقيقةٌ، فما حقيقة إيمانك؟» قال: عزفتْ نفسي عن الدنيا، فأَسهرتُ ليلي، وأَظمأتُ نهاري، وكأني... كما جاء في الحديث. فقال النبيُّ ﷺ: «عرفتَ فالزمْ»، أو قال: «عبدٌ نوَّرَ اللهُ قلبه»(١).

ويقال: إنَّ أصلَ جميع ما تكلَّموا فيه من علم الباطن أربعةُ أحاديث.

١ حديثُ جبريل عليه السلام، حيث سأَلَ رسولَ الله ﷺ عن الإيمانِ والإحسان، فقال: «الإحسانُ أنْ تعبدَ الله كأنَّكَ تراه...»(٢) الحديث.

٢ وحديثُ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: أخذَ رسول الله ﷺ بيدي، وقال لي: «يا غلام، احفظِ اللهَ يحفظك...»(٣).

٣ وحديث وابصة: «الإثمُ ما حاكَ في صدرك، والبرُّ ما اطمأن إليه نفسك»(٤).

٤ وحديث النُّعمان بن بشير عن النبي ﷺ: «الحلال بيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ»(٥).

وقول النبي ﷺ: «لا ضررَ ولا ضرار في الإسلام(٦)».

* * *

(١) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٧، ١٨).
(٢) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (٨).
(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٩٣، والترمذي (٢٥١٦).
(٤) تقدم الحديث مع تخريجه، انظر صفحة (٦٦).
(٥) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩). وسيذكر صفحة (٥٩٥).
(٦) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١، ٢٣٤٠). وجاء في هامش الأصل: وفي نسخة: «لا ضرورة ولا إضرار في الإسلام». وفيه أيضًا: بلغ مقابلة

باب ما ذُكر عن المشايخ في اتّباعهم رسولَ الله ﷺ وتخصيصهم في ذلك

قال الشيخ رحمه الله: سمعتُ أبا عَمرو عبدَ الواحد بنَ علوان رحمه الله قال: سمعتُ الجُنيد رحمه الله، يقول: علمُنا هذا مُشتبك بحديث رسول الله ﷺ.

وسمعتُ أبا عمرو إسماعيل بن نُجَيْد يقولُ: سمعتُ أبا عثمان سعيدَ بنَ عثمان الحيري يقول: من أَمَّرَ السُّنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطقَ بالحكمة؛ ومَنْ أمَّرَ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً، نطقَ بالبدعة؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

وسمعت طَيفور البسطامي يقول: سمعتُ موسى بنَ عيسى المعروف بعُمَيّ يقول: سمعتُ أبا يزيد البسطامي رحمه الله، يقول: قمْ بنا حتّى ننظرَ إلى هذا الرجل الذي قد شهرَ نفسَه بالولاية، وكان الرَّجلُ في ناحيته مَقصودًا، مَشهورًا بالزُّهد والعبادة، وقد سمَّاهُ لنا طيفورُ ونسبته، قال: فمضينا، قال: فلمَّا خرجَ من بيته ودخلَ المسجد رمى ببزُاقةٍ تجاه القبلة، فقال أبو يزيد: قمْ بنا ننصرفْ. قال: فانصرفَ ولم يُسلّم عليه، وقال: هذا رجلٌ ليس بمأمونٍ على أدبٍ من آدابِ رسول الله ﷺ، فكيفَ يكونُ مأمونًا على ما يدّعيه من مقاماتِ الأولياء والصديقين؟!.

وسمعتُ طيفور يقول: سمعتُ موسى بن عيسى يقول: سمعتُ أبي يقول: سمعت أبا يزيد رحمه الله يقول: لقد هممتُ أَنْ أسألَ الله تعالى أن يَكفيني مُؤنةَ الأكل، ومُؤنةَ النساء؛ ثم قلتُ: كيف يجوز لي أن أسألَ الله عزَّ وجلَّ هذا، ولم يسألْهُ رسولُ الله ﷺ؟! فلم أسألْهُ، وكفاني الله تعالى مُؤونةَ النساء حتى لا أُبالي استقبلتني امرأةٌ أو حائطٌ، أو كما قال.

وسمعت أبا الطيب أحمدَ بنَ مُقاتِل العكّي البغدادي يقول: كنت عند جعفر الخُلدي رحمه الله يوم ماتَ الشِّبليُّ، فدخل عليه بُندار الدينوري، وكان خادمَ الشِّبلي رحمه الله، وكان قد حضرَ موتَه، فسألَهُ جعفر: أَيشٍ رأيتَ منه في وقت موته؟ فقال: لما أُمسِكَ لسانُهُ، وعرقَ جبينُهُ أشار إلي: وضِّئني للصلاة. فوضَّأتُهُ، فنسيتُ تخليلَ لحيته، فقبضَ على يدي، وأَدخل أَصابعي في لحيته يخلِّلُها. قال: فبكى جعفر، وقال: أَيشٍ يتهيَّأُ أن يُقالَ في رجلٍ لم يذهبْ عليه تخليلُ لحيته في الوضوء عند نزع روحه، وإمساك لسانه، وعرق جبينه؟! أو كما قال.

وسمعتُ أحمد بن علي الوجيهي يقول: سمعتُ أبا علي الرُّوذباري يقولُ: كان أُستاذي في علم التَّصوّفِ الجُنيدُ، وكان أُستاذي في الفقه أبو العباس ابن سُريج، وكان أُستاذي في النحو واللغة ثعلبُ، وكان/ [٤٧]
أستاذي في حديث رسول الله ﷺ إبراهيمُ الحربي.

وسُئل ذو النون رحمه الله: بماذا عرفتَ اللهَ تعالى؟ فقال: عرفتُ اللهَ بالله، وعرفتُ ما سوى الله برسول الله ﷺ.

وقال سهل بنُ عبد الله رحمه الله: كلُّ وجدٍ لا يشهدُ له الكتابُ والسُّنة فهو باطل.

وقال أبو سُليمان الدَّاراني رحمه الله: ربَّما تنكتُ الحقيقة[1] قلبي أربعين يومًا، فلا آذنُ لها أن تدخلَ قلبي إلاَّ بشاهدَيْنِ من الكتاب والسنة.

فهذا ما حضرني في الوقت ممّا ذهبَ إليه الصُّوفية في اتِّباعهم رسول الله ﷺ، وكرهت التطويل والتثقيل؛ واقتصرتُ على ما ذكرتُ للتخفيف، وبالله التوفيق.

* * *

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: ربما طرق.

كتاب المستنبطات

باب مذهب أهل الصفوة في المُستنبطات الصحيحة في فهم القرآن والحديث، وغير ذلك، وشرحها

قال الشيخ رحمه الله: إذا قالوا: ما معنى المُستنبطات؟ فيقال: المُستنبطات: ما استنبطَ أهلُ الفهم من المتحقِّقين بالموافقة لكتاب الله عزَّ وجلَّ ظاهرًا وباطنًا، والمتابعةِ لرسول الله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، والعملِ بها بظواهرهم وبواطنهم.

فلمَّا عملوا بما علموا من ذلك ورَّثهم اللهُ تعالى علم ما لم يعلموا، وهو علمُ الإشارة، وعلمُ مواريث الأعمال التي يكشفُ الله تعالى لقلوب أصفيائه من المعاني المذخورة واللطائف والأسرار المخزونة، وغرائب العلوم وطرائف الحكم في معاني القرآن، ومعاني أخبار[1] رسول الله ﷺ من حيث أحوالهم، وأوقاتهم، وصفاء أذكارهم.

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وقال النبيُّ ﷺ: «من عملَ بما علم ورَّثَهُ اللهُ تعالى علمَ ما لم يعلم»[2]، وهو العلم الذي ليس لغيرِهم ذلك من أهل العلم.

وأقفالُ القلوب ما يقعُ على القلوب من الصدأ بكثرة الذنوب، واتِّباع الهوى، ومحبَّة الدنيا، وطول الغفلة، وشدَّةِ الحرص، وحبِّ الراحة، وحبِّ الثناء والمحمدة؛ وغير ذلك من الغفلات والزَّلات، والمخالفة والخيانات.

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: ومعاني حديث.

(٢) قال العجلوني في كشف الخفا ٢/ ٣٦٥ (٢٥٤٢): رواه أبو نعيم عن أنس.

فإذا كشف الله تعالى ذلك عن القلوب بصدق التوبة والندمِ على الحوبة، فقد فتحَ الأقفالَ عن القلوب وأتتهُ الزوائدُ والفوائدُ من الغيوب، فيُعَبِّرُ عن زوائدِهِ وفوائده بترجمانه، وهو اللسان الذي ينطق بغرائبِ الحكم، وغرائب العلم.

فإذا شرحوا هذه التقطَ المريدون والقاصدون والطالبون من تلك الجواهر بآذانٍ واعيةٍ، وقلوب حاضرة، فعاشوا وانتفعوا بذلك، وأنعشوا.

وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. فدلَّ على أن بتدبُّرِهم في القرآن استنبطوا؛ إذ لو كان القرآنُ من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا.

ثم قال: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] يعني من أهل العلم[١]. وقالوا: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾ هاهنا أهلُ العلم.

فقد بيّن هاهنا خصوصيةً لأهل العلم، وخصوصيةً لأهل الاستنباط من أهل العلم.

وقد رُوي في الخبر: أنَّ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، علّمني من غرائب العلم. فقال: «وما عملتَ في أوّلِ العلمِ؟ أحكمْ أوّلَ العلمِ ثم تعالَ حتَّى أعلِّمَكَ غرائبَ العلم»[٢] أو كما قال.

ولفقهاء الأمصار وعلمائها في كلِّ وقتٍ مُستنبطاتٌ مشهورةٌ في آيات القرآن والأخبار الظاهرة مستعدّة للاحتجاج بها بعضهم على بعضٍ في المسائل الخلافية بينهم.

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: من أهل الصفوة.

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء في كتاب العلم١/ ٦٥. قال الحافظ العراقي: رواه ابن السني، وأبونعيم في كتاب «الرياضة»لهما، وابن عبد البر من حديث عبد الله بن المسور مرسلاً، وهو ضعيف جدًا.

وقد قال بعضُهم: إنَّ في هذا الحديث الذي قال رسول الله ﷺ: «الأعمالُ بالنيات، ولكلِّ امرئٍ ما نوى؛ فمن كانتْ هجرتُهُ إلى الله ورسوله»[1] على ما جاء في الحديث: أنه يدخلُ في ثلاثين بابًا من أبواب العلم.

وهذا لا يكون إلاّ من طريق الاستنباط.

وكذلك أهلُ الكلام والنظر احتجاجاتُهم العقلية كلُّها مُستنبطاتٌ، وكلُّ ذلك حسنٌ عند أهله ومقبولٌ؛ إذِ المقصود من ذلك النصرةُ للحقِّ والردُّ/ [٤٨]
للباطل.

وأحسنُ من ذلك مُستنبطاتُ أهلِ العلم بالعلم والتحقيق والإخلاص في العملِ من المُجاهدات، والرياضات، والمُعاملات؛ والمتقرّبين[2] إلى الله تعالى بأنواعِ الطاعات، وأهل الحقائق.



* * *

(١) هو أول حديث في صحيح البخاري، وعند مسلم (١٩٠٧).

(٢) في الأصل: والمتقرّبون.

باب في كيفية الاختلاف في مُستنبطاتِ أهل الحقيقة في معاني علومهم وأحوالهم

قال الشيخ رحمه الله: اعلم، أيَّدَكَ اللهُ بالفهم، وأزالَ عنك الوهم، أنَّ أبناءَ الأحوال، وأرباب القلوب[(١)]، أنَّ لهم أيضًا مستنبطاتٍ في معاني أحوالهم وعلومهم وحقائقهم؛ وقد استنبطوا من ظاهرِ القرآن، وظاهر الأخبار معانٍ لطيفةً باطنةً، وحكمًا مُستطرفةً، وأسرارًا مذخورة، ونحن نذكر طرفًا من ذلك إن شاء الله تعالى.

وهم أيضًا في مُستنبطاتهم مُختلفون كاختلافِ أهل الظاهر، غيرَ أنَّ اختلافَ أهل الظاهر يؤدّي إلى حكم الغلط والخطأ، والاختلافُ في علم الباطن لا يؤدِّي إلى ذلك؛ لأنَّها فضائلُ ومحاسنُ، ومكارم وأحوال، وأخلاقٌ ومقاماتٌ ودرجات.

وقيل: إنَّ اختلافَ العلماء رحمةٌ[(٢)]، وهذا له معنىً، أمّا الاختلافُ بين

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: وأرباب العلوم.

(٢) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» ٢٦: رواه البيهقي في «المدخل» من حديث سليمان بن أبي كريمة، عن جويبر، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ... وجويبر ضعيف جدًا، والضحاك عن ابن عباس منقطع.

قال الأستاذ الشيخ عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله في «جامع الأصول» ١/ ١٨٣: ولا شك أن اختلاف الأئمة المجتهدين في فهم نصوص الكتاب والسنة، وما تدل عليه ظاهرةٌ طبيعيةٌ في شريعة الإسلام، لأن أكثر نصوصه ظنية الدلالة، وهذا الاختلاف مما أراده الله تعالى ورضيه، فهو رحمة وتوسعةٌ، ومجال التنافس والإبداع، ولقد كان من أثره هذا التراث الضخم الذي تحفِلُ به المكاتبُ الإسلامية من المؤلفات المتنوعة، وقد كان اختلافُهم في القرآن في بعض ما استنبط من أحكام نتيجةً للخلاف في فهمه لخفاء في دلالته بسبب من الأسباب، كالاشتراك في لفظه، أو التخصيص في عامه، أو التقييد في مطلقه، أو ورود نسخ عليه، أو غير ذلك في الأسباب المبيّنة في مظانها واختلافهم في=

العلماء في علمِ[١] الظاهر رحمةٌ من الله تعالى، لأنَّ المُصيبَ يردُّ على المُخطىء، ويبيِّنُ للناس غلطَ المُخالف، وخلافُهُ للمُصيب في الدين حتى تجنَّبوا منه، ولولا ذلكَ لهلكَ الناسُ بذهاب دينهم.

وأمَّا الاختلافُ بين أهلِ الحقائق أيضًا رحمهم الله رحمةٌ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ يتكلَّمُ من حيث وقته، ويُجيبُ من حيث حاله، ويُشيرُ من حيث وجده؛ فتكون فيهم لكلِّ واحدٍ من أهل الطاعات، وأرباب القلوب، والمريدين، والمتحقِّقين، فائدةٌ من كلامهم. وذلك أيضًا على قدرِ تفاوتهم واختصاصهم ودرجاتهم.

وبيانُ ما قلنا في اختلافهم ما حُكي عن ذي النون رحمه الله، أنَّه سُئل عن الفقيرِ الصادق، فقال: هو الذي لا يَسكنُ إلى شيءٍ، وإليه يسكنُ كلُّ شيءٍ.

وسُئل أبو عبد الله المغربي عن الفقير الصادق، فقال: الفقيرُ الصادقُ الذي يملكُ كلَّ شيءٍ، ولا يملكُهُ شيءٌ.

وسُئل أبو الحارث الأُولاسي عن الفقير الصادق، فقال: هو الذي لا يأنسُ بشيءٍ ويأنسُ به كلُّ شيءٍ.

وسُئل يوسف بنُ الحسين عن الفقير الصادق، فقال: من آثرَ وقتَهُ، فإنْ كان فيه تطلُّعٌ إلى وقتٍ ثانٍ لم يستحقَّ اسمَ الفقر.

وسُئل الحسينُ بن منصور رحمه الله عن الفقير الصادق، فقال: الفقيرُ الصادق الذي يختارُ، بصحَّةِ الرضا ما يردُ عليه من الأسباب.

= السنة لا يقتصر على اختلافهم فيما تدلُّ عليه الأحاديث، وما يراد منها كما هو الحال في آي القرآن؛ بل يتجاوز ذلك، فيختلفون في الحكم على الحديث صحة وضعفًا، فيرى بعضهم صحيحًا ما يراه الآخرُ ضعيفًا، إلى غير ذلك من أسباب الاختلاف الكثيرة التي بيَّنها العلماء في مؤلفاتهم.

وأما الاستشهاد ببعض الآيات التي تذم الخلاف، وتنهى عنه، وتحذر منه على حرمة الخلاف في فهم النصوص فهو استشهاد في غير محله.

(١) في (ع): وقيل: إن اختلاف العلماء في علم الظاهر.

وسُئل النُّوريُّ رحمه الله عن الفقير الصادق، فقال: الفقير الصادق الذي لا يتَّهمُ اللهَ تعالى في الأسباب، ويسكنُ إليه في كلِّ حال.

وسُئل سمنون رحمه الله عن الفقير الصادق، فقال: الذي يأنسُ بالمفقود كما يأنسُ الجاهل بالموجود، ويستوحشُ بالموجود كما يستوحشُ الجاهلُ بالفقد.

وسُئل أبو حفص النيسابوري رحمه الله عن الفقير الصادق، فقال: الذي يكون مع كلِّ وقتٍ بحكمه، فإذا وردَ عليه واردٌ يخرجُهُ عن حكم وقته، ويستوحش منه.

وسُئل الجُنيد رحمه الله عن الفقير الصادق، فقال: هو ألاّ يستغني بشيء، ويَستغني به كلُّ شيء.

وكما سُئل المُرتعش النيسابوري رحمه الله عن الفقير، قال: الذي يأكلُهُ القمل، ولا يكون له ظفرٌ يحكُّ به نفسَهُ.

وقد اختلف هؤلاء في أَجوبتهم كاختلافِهم في أوقاتهم وأحوالهم؛ وكلُّ ذلك حسنٌ؛ ولكلِّ جوابٍ من أجوبتهم أهلٌ يليق بهم ما أجابوا، وهي فائدة ونعمةٌ وزيادة لهم ورحمة.

* * *

باب في مُستنبطات أهل الصفوة في تخصيص النبي ﷺ وشرفه، وفضله على إخوانه عليهم السلام من كتاب الله عزّ وجلّ من طريق الفهم.

قال الشيخ رحمه الله: فأمَّا المُستنبطاتُ التي في كتاب الله عزَّ وجلَّ؛ فقد ذكرنا طرفًا من ذلك في باب مذهب أهل الصفوة في موافقة كتاب الله عزَّ وجلَّ[١]، وهذا الذي نذكرُهُ إنَّما نذكرُهُ في معنى خصوصية رسول الله ﷺ، وفيما استنبطوا[٢] فيما نطق القرآنُ بشرفه، وما خصَّ به من بين سائر الرّسل عليهم السلام قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ / أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ [٤٩]
وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

قال أبو بكر الواسطي رحمه الله: ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ يعني: ألاّ أشهدَ لنفسي، يعني ألاّ أرى نفسي فأستقْطعهم بشواهدي، ومعنى آخر ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾: أيقنُ أنَّه ليس إليَّ شيءٌ، فيكون إلى نفسي من الهداية شيء، ومعنى آخر ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾: أنّه لا نملكُ ضرًّا ولا نفعًا إلاّ أن يتولّى الله تعالى تقريبهما[٣]. ومعنى قوله: ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ ﴾ على ذلك دعوتُهم ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ أن يكون أحدٌ يلحقُ ما يُهمُّه ويقصده إلاّ به ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أن أرى الهداية من نفسي أو منه بدعوتي.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف:٢٩] قالوا: معناه من طريق الفهم والاستنباط ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِۖ ﴾ فيما بيني وبين الخلق، وبيني وبين الله

---

(١) انظر صفحة (١٤٩).

(٢) في الأصل: وفي نسخة: وما استنبطوا.

(٣) في الأصل: تقريبهم.

تعالى، ﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾، يعني عند كلِّ قصدٍ تقصدونه ﴿ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾، يعني ادعوه بلا رياء ولا عجبٍ، ثم لا تعتمدوا على هذا؛ لأنه ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ عند العواقب.

وفي معنى قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصّلت:٥٣] معناه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ﴾ نعوتَنا وصفاتنا في الملكوت، ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ ﴾ لمن نبيّنُ لهم ﴿ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾، وما سواه باطل، لا جرم؛ فلذلك قال النبيُّ ﷺ: «أصدقُ كلمةٍ قالتِ العرب ما قال لبيد:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ»(١)

وممّا استنبطوا من خصوصية النبيِّ ﷺ أنَّ موسى عليه السلام سألَ ربَّه عزَّ وجلَّ، فقال: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۞ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾ [طه:٢٥ـ ٢٦] ونُوديَ محمَّدٌ ﷺ، بلا سؤال: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . . . ﴾ إلى آخر السورة [الشرح:١].

وكذلك سؤال إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ [الشعراء:٨٧] فضَّل الحبيبَ على الخليل. وقال لنبيِّنا ﷺ من غير سؤال: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ [التحريم:٨].

وقيل له ﷺ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۞ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۞ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۞ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح:٦١].

وممّا قيل في هذا المعنى أيضًا: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خاطب جميع الخلق، ودعاهم إليه، ودلّهم عليه بذكر الملك والملكوت، فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:٧٥] وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ﴾(٢) [النحل:٤٨] وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم ﴾ [الروم:٨] وقوله: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . . . ﴾ إلى آخر الآية [الغاشية:١٧]، فلمّا

---

(١) حديث أخرجه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦). والشعرصدر بيت للبيد بن ربيعة، عجزه: وكلُّ نعيم لامحالة زائل. وسيذكر الحديث ثانية صفحة (٥٢١).

(٢) في الأصل: أفلم ينظروا إلى ما خلق الله.

خاطبَ رسولَ الله ﷺ قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ يا محمد ﴿ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [الفرقان: ٤٥] فلمّا كان الخطابُ مع الحبيب بدأ بذكره، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ [الفرقان: ٤٥].

وفي معنى قوله: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥] قالوا: إن الخلَّةَ ما يخلِّل القلب، والمحبّة ما يكونُ في حَبَّةِ(١) القلب، يعني سويداء القلب، وسمَّى المحبَّةَ محبَّةً لأنّها تمحو بها ما سواها من القلب؛ فذلك فضل الحبيب على الخليل.

وقال: ﴿ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ [الصافات: ١٠٢] وقال لنبيِّنا ﷺ: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥] فدلَّ بذلك على فضلِ الحبيب على الخليل.

وما قالوا في هذا المعنى أيضًا: إنَّ آدم صلوات الله عليه، لمَّا ذكرَ اللهُ تعالى توبته، فقال: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١] فذكر جنايتَهُ قبل توبته ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: ١٢٢]، وذكر أيضًا خطيئةَ داود عليه السلام، ثم قال: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ﴾ [ص: ٢٥]، وموسى عليه السلام قال: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى ﴾ ثم قال: ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾(٢) [القصص: ١٦]، وكذلك خبَّرَ عن سليمان عليه السلام بقوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۞ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى ﴾ [ص: ٣٤ ـ ٣٥]، وقال للنبيِّ ﷺ: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣]. قال بعضهم: آنسهُ بذكر العفو حتى لا يُوحشَهُ ذكر العتاب.

وقال أيضًا: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢] فابتداء بذكر الغفران قبل الذنب، وغفر له الذنب قبل أن يذنب، وقبل العَتْب.

وقال أيضًا معنىً آخر: إنَّ جميع ما أعطى الأنبياء عليهم السلام من الكراماتِ قد أَعطى مثله محمدًا ﷺ، وزاد له عليهم: مثل انشقاقِ القمر،

---

(١) في الأصل: يكون في محبة القلب.
(٢) من قوله: (وموسى عليه السلام قال) إلى (فغفر له) ليس في (ن) ولا في (ع).

ونبعِ الماء من الأصابع، والمعراج، وغير ذلك.

ثم ذكر الأنبياء وذكر ما استخصَّهم به، وأضاف إلى إبراهيم عليه السلام الخلَّةَ، وإلى موسى عليه السلام الكلامَ، وإلى سُليمان عليه السلام المُلْكَ، وإلى أيوب عليه السلام الصبرَ، ولم يضف إلى محمد ﷺ شيئًا ممَّا أعطاه من الكرامات فقال: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الحجر: ٧٢] يا محمد ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...﴾ الآية [النساء: ٦٥]، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
[٥٠] يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ...﴾ الآية [الفتح: ١٠]،/ وقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال: ١٧] ولم يذكر لنبيِّه عليه الصلاة والسلام شيئًا غيره.

فلمّا أدَّبَهُ بذلك قال: «اللهم، بك أصولُ، وبك أحول، وبك أقاتل، وبك أحاول»(١).

وسُئل الشِّبلي رحمه الله عن معنى قوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨] قال: لو اطَّلعتَ على الكلّ ممّا سوانا، لولّيتَ منهم فرارًا إلينا يا محمد.

وقالوا في معنى قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]: إنه لو أسرى بروحه، كما قال المخالفون، لم يقل: أسرى بعبده؛ لأنَّ اسم العبد لا يقعُ إلاّ على الروح والجسد.

وقيل أيضًا في معنى قوله: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]: يعني باجتبائك واصطفائك، لأنَّ النبوة والرسالة لم تُقسم على الجزاء والاستحقاق، ولو كانتْ من جهة الجزاء والاستحقاق، لما فضَّل نبينا

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٩٠، والترمذي (٣٥٨٤)، وأبو داود (٢٦٣٢)، والبزار ٣/ ٤٩(٨٠٤)، والطبراني في الكبير ١١/ ٣٤٩. وسيذكر ثانية صفحة (٤٧٠).

محمد ﷺ على سائرِ الأنبياء عليهم السلام، لأنَّهم أكثرُ أعمالاً وأطول أعمارًا.

وقالوا في معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]: إنَّه خاطبه بأتمِّ الخطاب، وأخصِّ الفضيلة، إذ قال: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾. وقال لغيره: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران:٢٠٠] وقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

طالبهم بالصبر على المعاوضة، وطالبَ المُصطفى، عليه الصلاة والسلام بالصَّبرِ مع المراقبة.

وقال في موضع آخرَ: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧] لأنَّه عليه الصلاة والسلام أجلُّ عنده من أن يُطالبَهُ بمعاملةٍ يُقتضى عليها معاوضةٌ؛ لأنَّ محلَّه ﷺ، محلُّ الاختصاص.

فهذا طرفٌ من المسُتنبطات التي للقوم من القرآن ومعنى خصوصية النبيِّ ﷺ[١].

* * *

---

(١) جاء في هامش الأصل: بلغ مقابلة.

باب في مستنبطاتهم في خصوصية النبي ﷺ وفضله على إخوانه عليهم السلام من الأخبار المروية عن رسول الله ﷺ

قال الشيخ رحمه الله: فأمَّا مُستنبطاتُهم في أخبار رسول الله ﷺ، فكما قيل في معنى قول النبيِّ ﷺ: إنَّه كان يقولُ في سجوده: «أعوذُ برضاك من سخطك، وأعوذُ بمعافاتك من عُقوبتك، وأعوذ بكَ منك، لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك»[١].

قالوا: يقولُ الله: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب۩﴾ [العلق: ١٩] فوجدَ رسول الله ﷺ في سجودِهِ معنىً من القرب. فقال: «أعوذُ برضاك من سخطك، وأعوذُ بمعافاتك من عقوبتك» فاستعاذَ بصفاته من صفاته[٢]؛ ثم شاهدَ معنىً آخرَ من القُرب، ما اندرجَ فيه القُرب الذي شاهدَ به الصفات والنعوت. فقال: «أعوذُ بك منك» لأنّه وكان قد استعاذَ بصفاته من صفاته، فلمَّا استعاذَ به لم يكن المُستعاذُ به إلاَّ منه، ثم زيد في قربه[٣]؛ ووجد من المشاهدة معنىً أفناهُ عن الاستعاذة به. فقال: «لا أُحصي ثناءً عليك» فاحتشمَ من الاستعاذة به في محلِّ القرب، فالتجأَ إلى الثناء عليه، ومن لم يطق الاستعاذة التي هي حدُّ العبودية[٤]، فكيفَ يطيقُ الثناء، وهو صفةُ الرُّبوبية؟. فلذلك قال: «لا أُحصي ثناءً عليك» ثم احتشمَ أيضًا من الثناء عليه في محلِّ القرب، فأخرجَ نفسَهُ من الثناء عليه بما أثنى اللهُ تعالى به على نفسِه قبل الخلق، وحمدَ نفسه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٨٦) عن عائشة.

(٢) جاء في هامش الأصل: وفي نسخة: عن صفاته.

(٣) جاء في هامش الأصل: وفي نسخة: ثم زاد في قربه.

(٤) جاء في هامش الأصل: وفي نسخة: هي محلُّ العبودية.

قبل حمدهم له، وشهدَ لنفسِه بِالوحدانية، قبل شهادتهم له، فقال: «أنت كما أثنيتَ على نفسِك». وهذا حقيقةُ نهاية التقريب، وحقيقةُ التجريد: أن يتلاشى العبدُ[1] كما لم يكن، ويكونَ الله تعالى كما لم يزل، فلو جمعَ جميع إشارات الواجدين والعارفين والمتحقِّقين في التوحيد لم يبلغ عُشْر مِعشار ما أشارَ إليه رسولُ الله ﷺ، في هذا المعنى.

وقيل أيضًا في معنى قول النبيِّ ﷺ: «لو تعلمون ما أَعلمُ لضحكتُمْ قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، ولخرجتم إلى/ الصُّعُداتِ، ولَمَا تقاررْتُم على الفُرُشِ»[2]. [٥١]

قالوا: لو أنَّ الذي علم رسول الله ﷺ، كان من العلوم التي أنزلَ اللهُ تعالى عليه، وأُمرَ بإبلاغه لبلّغهم ذلك؛ ولو علموا ذلك[3] لم يقل: «لو تعلمون ما أعلم» ولو علم أنَّهم يطيقون ذلك لعلَّمهم كسائر العلوم، ولو كان من العلومِ المُتعارف بين الخلق أيضًا، لقالوا: علّمنا، بعدما قال: «لو تعلمون ما أعلم»؛ لأنّ حقائقَ رسالته وما خصَّه الله تعالى به من العلم، لو وضعتْ على الجبال لذابت إلاّ أنّه كان يُظهرُها لهم على مقاديرهم؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩] وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤].

وقال ﷺ: «أنا أعلمُكم بالله»[4]، و«لو تعلمون ما أعلم»[5].

وقد أشار رسول الله ﷺ، إلى معنىً من معاني تخصيصه إشارةً لا تدركُها العقولُ، ولا تصلُ إليها الفهوم، وتعجِزُ عنها علومُ جميع الخلق، وهو قول

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: أن يذهب العبد.
(٢) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (٢٨).
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: ولو علم أصحابه.
(٤) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (١٣٥).
(٥) تقدم قبل أسطرٍ.

النبيّ ﷺ: «لستُ كأحدِكم؛ إنّي أظلُّ عند ربّي يُطعمني ويسقيني»[١]؛ فلا يتهيأ لأحدٍ أن يُخبرَ عن الذي أطعمَهُ وسقاه؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ، في علوِّ مرتبته وما خُصَّ به من العلم بالله، لم يخبرْ عنه، ولم يصفه.

وقيل في معنى قولِ النبيِّ ﷺ في دعواته: «اللهم اكفلني كفالةَ الوليد، لا تكلني إلى نفسي طرفةَ عينٍ»، «وجَّهتُ وجهي إليك، وألجأتُ ظهري إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلاّ إليك»[٢] وما يُشبه ذلك من دعواته أنه ﷺ أظهرَ من نفسِهِ صدقَ اللجأ[٣]، وأظهرَ الفاقة إليه، والاستكانة بين يديه، بلا مُشاهدة حركةٍ من حركاته، ولا إضافةِ فعلٍ إلى نفسه.

قال أبو بكر الواسطي رحمه الله: وبصدق اللجأ، وإظهارِ الفقر، وصدق الفاقة، تزيَّنَتِ السرائر.

وقيل في معنى قول النبيِّ ﷺ عند موته: «واكرباه»[٤] قالوا: يُسِّرتِ المنيّةُ عليه لمبادرته إلى ما لاحظَ عند الموت من المراتب الرفيعة، فقال: «واكرباه» من البقاءِ فيما بينكم شوقًا منّي إلى اللقاء.

وسمعتُ محمد بن داود الدِّينوري المعروف بالدّقي، يقول: سمعتُ الجريري يقول: قيل للجُنيد رحمه الله: ما معنى قول النبيِّ ﷺ: «أنا سيِّدُ ولدِ آدم، ولا فخر»[٥] فقال لي: هات، أيشٍ وقع لك في ذلك؟ فقلت: معنى قوله «أنا سيِّدُ ولد آدم ولا فخر» وهذا عطاؤه وأنا لا أفتخر بالعطاء؛ لأنَّ فخري بالمُعطي، فقال لي: أحسنتَ يا أبا محمد، أو كما قال.

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٣٣).
(٢) لم أجد طرف الحديث الأول في المصادر التي بين يدي، أما طرفه الأخير فقد أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).
(٣) في (ع): أظهر من نفسه اللجأ.
(٤) أخرجه أحمد في المسند٣/ ١٤١، وابن حبان ١٤/ ٥٩٢، وأبو يعلى ٥/ ١٥٦، والطبراني في الكبير ٣/ ٦٤.
(٥) تقدم، انظر صفحة (١٣٩) حاشية رقم (١٠).

وسُئل الجُنيد عن معنى قول النبيِّ ﷺ في زينبَ امرأةِ[(١)] زيد، ووجهِ الحكمة في ذلك. فقال الجُنيد رحمه الله: كان زيد يُدعا[(٢)] ابنَ النبيِّ ﷺ؛ وكان ابنَ الدعاية لا ابن الولادة؛ فأرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يتزوَّجَ بحليلته حتى يكون فرقًا بين أبناءِ الولادة وأبناء الدعاية.

وقال الجُنيد رحمه الله، في معنى قول النبيِّ ﷺ: «استغفروا الله وتوبوا إليه، فإنِّي أستغفرُ الله وأتوب إليه في اليوم مئة مرة»[(٣)] أو كما قال. قالوا: كان حالُ النبيِّ ﷺ مع الله تعالى زيادةً في كلِّ نَفَسٍ وطرفة عين، فكان إذا رقي به إلى زيادةِ حالٍ أشرف من زيادته على حالته في النَّفَسِ الماضي، استغفرَ اللهَ من ذلك، وتابَ إليه.

وسُئل الجنيد رحمه الله أيضًا ـ كما بلغني ـ عن معنى قول النبيِّ ﷺ: «رحم الله أخي عيسى، عليه السلام لو ازدادَ يقينًا لمشى في الهواء»[(٤)] فقال: معناه والله أعلم: أنَّ عيسى عليه السلام مشى على الماء بيقينِهِ، والنبيُّ ﷺ مشى في الهواء ليلةَ المعراج بزيادةِ يقينه على يقين عيسى عليه السلام، فقال: «لو ازداد يقينًا» يعني: لو أُعطي من زيادة اليقين مثلَ ما أُعطيتُ لمشى في الهواء، يخبرُ رسول الله ﷺ عن حالته.

وسمعت الحصْري رحمه الله يقول في معنى قولِ النبيِّ ﷺ: «لي مع الله وقتٌ لا يَسعُني فيه شيءٌ معه غير الله عزَّ وجلَّ»[(٥)] فقال: إنْ صحَّ ذلك عن النبيِّ ﷺ، أنَّه قال ذلك، أو لم يصح، فإنَّ جميعَ أوقاتِ رسول الله ﷺ/ [٥٢]

---

(١) قول النبيِّ ﷺ هو ما جاء في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وقد جاء في هامش الأصل: وفي نسخة: لزينب امرأة.

(٢) في (ع): زينب امرأة زيد يدعا ابن النبي ﷺ. وما بينهما ساقط.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١/ ٣٠١.

(٤) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٠٢) الحاشية رقم (٢).

(٥) قال الهروي في «المصنوع»١٤/ ١٥١: من كلام بعض الصوفية، وليس بحديث. وذكره المناوي في فيض القدير ٤/ ٦.

كانت وقتًا لا يسعُهُ فيه معه غير الله بسرّه وقلبه، ولكن كان يُرَدُّ بصفاته إلى الخلق، حتى يؤدِّبهم ويعلِّمه، ويجري على صفاته تلوينُ الأحكام[1]، لينتفعَ به الخلقُ؛ فإذا بدا على صفاته من أنوار سرّه، أخذه عن الخلقِ كما قالت عائشةُ رضي الله عنها: انتبهتُ ليلةً، فلم أجدْ رسولَ الله ﷺ في فراشه، فقمتُ أطلبُهُ، فوقعت يدي على قدميه، وهما منتصبتان، ساجدًا يذكر الله عزَّ وجلَّ، وسمعتُهُ وهو يقول: «أعوذُ برضاك من سخطك...»[2] الحديث؛ فهذا هو الوقتُ الذي كان يبدو على سرّه، والأنوار على صفاته، وإذا ردَّتِ الأنوارُ إلى سرّه[3]، ردَّ بصفاته إلى الخلق، لينتفعوا به، ويقتدوا به.

معنى صفاته أي ظاهره، ومعنى سرّه أي باطنه.

* * *



(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: تكوين الأحكام.

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٦٠).

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: عن سرّه.

باب في مُستنبطاتهم في معاني أخبار مروية عن رسول الله ﷺ من طريقِ الاستنباط والفهم

قال الشيخ رحمه الله: سمعت أبا الحسن أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة، وقد سُئل عن معنى قول النبيِّ ﷺ: «أطيبُ ما أكلَ الرَّجلُ من كسب يده»[١]، فقال له السائل: نحن مستعبدون بالاكتساب إذًا؟! فقال الشيخ ابن سالم رحمه الله: الكسب سنّةُ الرسول ﷺ، والتوكُّلُ حالُ الرسول ﷺ، وإنَّما استنّ لهم الكسبَ لعلمه بضعفهم[٢]، حتى إذا عجزوا عن التوكّل الذي هو حاله، وسقطوا عن مرتبتِهِ في التوكّل ودرجته، وقعوا في الاكتساب الذي[٣] هي سنته، ولولا ذلك لهلكوا.

وقيل في معنى ذلك: إنْ رفعَ العبد يده إلى الله تعالى، فيدعو الله تعالى، فيجيبه، يكون ذلك كسبَ يده.

وسُئل الشِّبلي رحمه الله: عن معنى قول النبيِّ ﷺ: «جُعل رزقي تحت ظلِّ رمحي»[٤] فقال: كان سيفُهُ التوكُّلَ[٥] على الله تعالى، وأمّا ذو الفقار[٦]، فهو قطعةٌ من حديد.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٢)، وابن ماجه (٢١٣٨).

(٢) من هنا يبدأ القسم الثاني من نسخة (ب) حتى الصفحة (١٨٩).

(٣) في (ن) و(ع): الاكتساب التي.

(٤) أخرجه البخاري تعليقًا (قبل ٢٩١٤)، وأحمد في المسند ٢/ ٥٠، والخبر في الأصل، وفي (ن) و(ع): تحت ظلِّ سيفي. والمثبت من (ب).

(٥) في (ب): كان سيفه الله تعالى.

(٦) روى ابن عدي في كتابه الكامل للضعفاء ٥/ ١٨٩٩ (ترجمة عيسى بن مهران) أن راية رسول الله ﷺ يوم أحد كانت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وراية المشركين مع طلحة بن أبي طلحة، فكان عليٌّ كرم الله وجهه يحمل على كل من رفع رايةً للمشركين فيقتله حتى قتل سبعة أنفس، وقتل جماعة من أئمة الكفر، فنادى صائح من السماء: =

ومثلُ ذلك في مُستنبطاتهم كثير، إن ذكرناه[١] يطول الكتاب.

وأمّا ما كان من مُستنبطاتهم في غيرِ هذا المعنى من الحديث، فهو كما سمعتُ أبا عمرو عبد الواحد[٢] بن علوان برحبة مالك بن طوق[٣]، قال: سألَ رجلٌ الجنيد رحمه الله، وأنا عنده جالسٌ عن معنى قول النبيِّ ﷺ: «لو توكَّلْتُم على الله حقَّ توكُّله لغذاكم كما يغذو الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[٤] وهو ذا ترى أنَّ الطيرَ يطيرُ في طلب الرزق، من موضعٍ إلى موضع، ويتحرّكُ، ويطلب ويتعب[٥]. فقال الجُنيد رحمه الله: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً﴾ [الكهف:٧] وإنَّما طيرانُ الطير وحركتُهُ من موضعٍ إلى موضع، ونقلتُهُ من مكانٍ إلى مكان من أجل الزينة التي ذكر الله تعالى؛ فقد

= لا سيــــف إلاّ ذو الفقــــا ر، ولا فتـــى إلاّ علـــي

وذو الفقار سيف رسول الله ﷺ أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة، قيل فيه سبع فِقَرٍ. قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/ ٣٢٤ عن عيسى بن مهران: قال ابن عدي: حدَّث بأحاديث موضوعة، محترق الرفض. وقال أبو حاتم: كذاب، وقال الدارقطني: رجل سوء. قال الخطيب البغدادي: كان من شياطين الرافضة ومردتهم، وقع إليَّ كتاب من تصنيفه في الطعن على الصحابة وتكفيرهم، فلقد قفَّ شعري، وعظم تعجبي مما فيه من الموضوعات والبلايا.

قال العجلوني في كشف الخفا ٢/ ٥٠٦: قال في المقاصد: هو أثر واهٍ عن الحسن بن عرفة في جزئه الشهير عن محمد بن علي الباقر.

وفي السيرة النبوية ٣/ ١٠٠: عن بعض أهل العلم، أن ابن أبي نجيح قال: نادى منادٍ يوم أحد:

لا سيــــف إلاّ ذو الفقــــا ر، ولا فتـــى إلاّ علـــي

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: إن حكيناه.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: إن عبد الله.

(٣) رحبة ملك: بين الرقة وبغداد، على شاطىء الفرات، أسفل من قرقيسيا، أحدثها مالك بن طوق التغلبي في خلافة المأمون.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه (٤١٦٤).

(٥) في هامش (ب): وفي نسخة: ويبحث. أما في الأصل وفي (ن) و(ع): وينبعث.

جعلَ الله تعالى طيرانَهم للزينة التي ذكر الله تعالى، لا لطلب الرزق.

ووجدتُ في كتاب عمرو بن عثمان المكي رحمه الله في معنى قول النبيِّ ﷺ، لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «يا عبد الله بن عمر، اعبدِ اللهَ كأنَّكَ تراه، فإنْ لم تكنْ تراه فإنَّه يراك»(١). وكذلك إجابة جبريل عليه السلام حين سألَ(٢) عن الإحسان، فقال: «أن تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك»(٣). فقال عمرو بن عثمان رحمه الله: معنى قولِهِ: «كأنَّك تراه» شيءٌ بين شيئين: بين رؤيةٍ ويقين، فلم يخرجْها ﷺ إلى رؤيةِ عيان، ولم يردَّها إلى صفة يقين، وإنَّما مُثِّلَ له مَثَلٌ يدلُّ(٤) على نهايةٍ من نهايات حقائق الإيمان؛ وبذلك طالبَ حارثةَ(٥)، إن صحَّ الخبر، وما كان(٦) (كأنَّ) بمعنى (أنَّ) وليس هو (أن) ولكنّه قد قرب من معنى الرؤية، وفي تغليب المشاهدة عند حضور القلب، ومداناتها إلى ما وارته الغيوب(٧)، فهذا أصلُ الحجَّةِ على مشاهدة القلوب.

وسُئل أبو بكر الواسطي رحمه الله عن معنى قول النبيِّ: «جُبلَ وليُّ الله تعالى على السَّخاء وحُسْنِ الخلق»(٨) فقال: أمَّا السَّخاوةُ من ولي الله تعالى

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٦/ ١١٥، وقد تقدم صفحة (١٠٠). وسيأتي صفحة (٤٧٤، ٥٦٦).

(٢) في (ب): وكذلك أجاب جبريل حين سأله.

(٣) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (٨).

(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: مثل له مثلاً. وفي (ب): مثل له مثيلاً بدليلٍ.

(٥) حديث حارثة تقدم صفحة (١٧، ١٨). وفي هامش الأصل: وفي نسخة: طالب الحديث.

(٦) في (ب): وما قال (كأن).

(٧) في هامش الأصل: وفي نسخة: ما وارته الغيور.

(٨) ذكره الغزالي في الإحياء، في ذم البخل وحب المال ٣/ ٢٤٤، وقال الحافظ العراقي: أخرجه الدارقطني في المستجاد، دون قوله «وحسن الخلق» بسند ضعيف، ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات، وذكره بهذه الزيادة ابن عدي في رواية بقية عن يوسف بن أبي السفر عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة، ويوسف ضعيف جدًا.

أن يهبَ نفسَه وقلبَه لله عزَّ وجلَّ. وحسن خُلقِهِ أن يوافق خلقُهُ اختلافَ تدبير[١] الله عزَّ وجلَّ.

[٥٣] وسُئل الشِّبلي رحمه الله عن معنى/ ما رُوي في الحديث: «إنَّ النفسَ إذا أحرزَتْ قوتَها اطمأنَّتْ»[٢] فقال: إذ عرفتْ مَنْ يقوتُها اطمأنَّتْ، ثم قرأ قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥].

وسُئل الجُنيد رحمه الله عن معنى قول النبيِّ ﷺ: «حبُّكَ الشيءَ يُعمي ويُصمُّ»[٣] فقال: حبُّك للدُّنيا يُعمي ويصمُّ عن الآخرة.

وسُئل الشبلي رحمه الله، عن معنى ما رُوي عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «إذا رأيتم أهلَ البلاءِ فسلوا الله ربَّكم العافية»[٤]، فقال: أهلُ البلاء أهلُ الغفلة عن الله تعالى.

وسئل أيضًا عن معنى حديث النبيِّ ﷺ الذي رُوي عنه، أنه قال: «حرامٌ على قلبٍ عليه زبانيةٌ[٥] من الدنيا أن يجدَ حلاوةَ الآخرة»[٦] فقال: صدقَ ﷺ إنْ قال ذلك، وأنا هو ذا أقول: حرامٌ على قلبٍ عليه زبانية[٧] من الآخرة أن يجدَ حلاوةَ التوحيد.

وسُئل محمد بن موسى الفرغاني رحمه الله، عن معنى قول النبيِّ ﷺ: لأبي جُحَيْفَةَ: «يا أبا جُحَيْفَةَ، سائلِ العلماء، وخالِلِ الحُكماء وجالسِ

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: خلقه أخلاق تدبير.

(٢) رواه أحمد في كتاب العلل ومعرفة الرجال ٣/ ٤٠٢ من قول سلمان. وكذلك ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ١/ ٥٥٠، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١/ ١٠٩، ١٠٤ من قول سلمان ايضًا.

(٣) رواه أحمد في المسند٥/ ١٩٤و٦/ ٤٥٠، وأبو داود (٥١٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٣٨، عن أبي الدرداء مرفوعًا.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٣١)، وابن ماجه(٣٨٩٢).

(٥) في (ب): عليه ربانية.

(٦) لم أجده في المصادر التي بين يدي.

(٧) في (ب): عليه ربانية.

الكُبراء»[١]. فقال: «سائل العلماء» بالحلالِ والحرام، «وخالل الحكماء» الذين يسلكون بها على طريقِ الصِّدق والصفاء والإخلاص، «وجالس الكبراء» الذين عن الله ينطقون، وإلى رُبوبيته يُشيرون، وبنور قُرْبِهِ[٢] ينظرون.

وسُئل سهل بن عبد الله رحمه الله، عن معنى قول النبيِّ ﷺ: «المؤمنُ من تسرُّهُ حسنتُهُ وتَسوءُهُ سيِّئته»[٣]. قال: «حسنته» نعم الله وفضله، و«سيئته» نفسُهُ إنْ وُكِّلَ إليها.

وسُئل سهلٌ أيضًا عن معنى قوله النبيّ ﷺ: «الدُّنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها إلاّ ذكر الله تعالى»[٤]. قال: «ذكر الله» في هذا الموضعِ الزُّهدُ في الحرام، وهو أن يكونَ إذا استقبلَهُ حرامٌ يذكرُ الله تعالى[٥]، ويعلمُ أنَّ اللهَ مُطَّلعٌ عليه، فيجتنبُ ذلك الحرام.

ومثل هذا كثيرٌ من مُستنبطاتهم في معنى حديث رسول الله ﷺ وذكرنا طرفًا منه، وفيه كفايةٌ إن شاء الله تعالى.

فإن قالَ قائلٌ: هل تجدُ للاستنباط في القرآنِ والحديث وغيرِ ذلك أصلاً في العلم؟ فيقال: نعم، قول النبيِّ ﷺ لأصحابه، وهم عنده مجتمعون، وفيهم عبدُ الله بن عمر رضي الله عنهما، وهو أَحدثُهم سنًّا، فقال النبيُّ ﷺ: «أيّما شجرةٍ تُشْبهُ ابنَ آدم؟»[٦] قال: فوقعَ الناسُ في أشجارِ البادية، ووقع في

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٢/ الأحاديث: ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٥٤. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٢٥: رواه الطبراني في الكبير من طريقين: إحداهما هذه، والأخرى موقوفة، وفيه عبد الملك بن حسين أبو مالك النخعي، وهو منكر. والموقوف صحيح الإسناد. وفي (ب): «سائل العلماء بالحلال والحرام، وخالل...» الحديث.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: وبنور قدرته.

(٣) ذكره أبو نعيم في الحلية ٤/ ١٨٤، وقال: هذا حديث غريب من حديث زر عن عمر.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١٢٢) من حديث أبي هريرة.

(٥) في (ن) و(ع): بذكر الله تعالى.

(٦) جاء في هامش الأصل: وفي نسخة: شبيه ابن آدم.

قلبي أنَّها النخلة، واستحييْتُ أن أُجيبَ رسول الله ﷺ، فسكتُّ، حتى قال رسولُ الله ﷺ: «هي النخلة» قال ابن عمر رضي الله عنه: فقلتُ لعمر رضي الله عنه: لقد كدْتُ أنَّ أقولَ إنها النخلة. فقال عمر رضي الله عنه: لئن قلتَ ذلك كان أحبَّ إليَّ من حُمر النعم[1]. أو كما في الخبر.

والحجَّةُ في ذلك أنَّ أحدًا لم يستنبطْ من أصحابِ رسول الله ﷺ معنى ما سأَلهُم عنه رسول الله ﷺ إلاّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وهو أصغرُهم سنًّا، وكذلك الاستنباط في هذه المعاني على مِقدارِ ما يفتحُ الله تعالى للقلوب من غيبه، وبالله التوفيق.

* * *



(١) أخرجه البخاري (١٣١)، ومسلم (٢٨١١).

كتاب الصحابة رضوان الله عليهم

باب في ذكر أصحاب رسول الله ﷺ ومعانيهم رضوان الله عليهم

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠] فقد وقع اسمُ (السابقينِ) على الجميع بظاهرِ الآية مع رضا الله تعالى عنهم، وشهد لهم بأنَّهم راضون عنه، ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ هم المقرّبون بنصِّ الآية، وقد ذكرنا تخصيص المقرّبين من الأبرار وتخصيص الأبرار من أهل الجنة في باب الموافقة لكتاب الله عزَّ وجلَّ[١].

فأمّا قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فقد قال الله تعالى في آيةٍ أُخرى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢] قال ذو النون، رحمه الله: يعني أكبر وأقدم حين قال: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ في سابق علمه، فلذلك استرضاهم له وأرضاهم حتّى رضوا عنه.

وقال النبيُّ ﷺ «أَصحابي كالنُّجوم، بأيِّهم اقتديتُم اهتديتم»[٢].

[٥٤] وقد ذكر/ الله تعالى القَسَمَ بالنجوم من الكواكب، والنجوم ما يُهتدى به في البرِّ والبحر لكبره وكثرة ضوئه ونوره، فلذلك شبَّههم بالنُّجوم، ولم يُشبِّههم بالكواكبِ، لأنَّ الكواكبَ هي الصغار الذي لا يُهتدى بها، ثم دلَّ

(١) انظر الصفحة. (١٢٠). وفي (ب): باب المراقبة.

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٣٨١) وقال: رواه البيهقي، وأسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ: «أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، بأيهم.....».

على الاهتداء بالاقتداء[١] بهم، ولم يخصَّ الاقتداء بمعنىً دون الآخر، فعلمنا أنَّ الاهتداء بهم في الاقتداء بهم في جميع معانيهم الظاهرة والباطنة.

فأمَّا الظاهر فمشهورٌ عند العلماء والفقهاء في علم الحدود والأحكام، والحلالِ والحرام، وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أرحمُ أُمَّتي بأُمَّتي أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأقواهم في دينِ الله عمر رضي الله عنه، وأصدقُهم حياءً عثمان رضي الله عنه، وأفرضهم زيدٌ رضي الله عنه، وأعلمُهم بالحلال والحرام معاذُ بن جبل رضي الله عنه، وأقرؤهم أُبيُّ بنُ كعب رضي الله عنه، وأقضاهُم عليٌّ رضي الله عنه، وما أظلَّتِ الخضراءُ ولا أقلَّتِ الغبراءُ على ذي لهجةٍ أصدق من أبي ذر رضي الله عنه»[٢].

وأما الباطن فنبدأ بما بدأ به رسول الله ﷺ بقوله: «اقتدوا باللذَيْنِ من بعدي أبي بكر وعمر» رضي الله عنهما[٣]، فنبدأُ بأبي بكر، ثم من بعد أبي بكر بعمر.

وبلغني عن أبي عُتبة الخولاني[٤] رحمه الله أنه قال: ألاَ أُخبرُكم عن حالٍ كان عليها أصحابُ رسولِ الله ﷺ؟:

أوّلها: لقاءُ الله تعالى كان أحبَّ إليهم من الحياة.

والثانية: كانوا لا يخافون عدوًّا قلُّوا أو كثروا.

والثالثة: لم يكونوا يخافون عوزًا من الدنيا، وكانوا واثقين برزق الله تعالى.

والرابعة: إنْ بدأ بهم الطّاعون لم يَبرحوا حتى يقضيَ الله فيهم[٥].

---

(١) في (ب): والاقتداء بهم.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٩١، و٣٨٠٢، ٣٨٠١).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٦٢).

(٤) في الأصول: وفي نسخة: أبي عتبة الحلواني.

(٥) في (ب): يقضيَ الله وقيهم.

وكانوا أخوفَ ما يكونون من الموت أصحّ ما يكونون.

ويُحكى عن محمد بن علي الكتاني رحمه الله أنه قال: كان الناسُ في ابتداءِ الإسلام يتعاملون بالدِّين حتى رقَّ الدِّينُ، ثم تعاملَ القرنُ الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء، ثم تعاملَ القرنُ الثالث بالمروءة حتى ذهبتِ المروءة، ثم تعاملَ القرنُ الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة.

* * *



باب ذكر أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتخصيصه مِن بين أصحابِ رسول الله ﷺ بالأحوال التي تعلّق بها أهلُ الصفوة من هذه الأمة وتخلّق بذلك واقتدى به

رُوِي عن مُطرّف بن عبد الله رحمه الله أنَّه قال: قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: لو نادى منادٍ من السماءِ أنَّه لن يلجَ الجنّةَ إلاَّ رجلٌ واحدٌ لرجوتُ أَنْ أكونَ أنا هو، ولو نادى منادٍ من السماء أنَّه لا يدخلُ النَّارَ إلاّ رجلٌ واحدٌ، لخفتُ[١] أن أكون أنا هو. قال مطرّف رحمه الله: هذا واللهِ أَعظمُ الخوف، وأَعظمُ الرجاء[٢].

وحُكي عن أبي العباس بن عطاء رحمه الله أنَّه سُئل عن قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ . . .﴾ الآية [آل عمران: ٧٩] قال: معناه كونوا كأبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ فإنَّه لما مات رسولُ الله ﷺ اضطربَتْ أسرارُ المؤمنين كلُّها لموته، ولم يؤثّرْ ذلك في سرِّ أبي بكر رضي الله عنه شيئًا، وخرجَ وقال للناس: يا أيُّها الناس، من كان يعبدُ محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات، ومَنْ كان يعبدُ الله تعالى فإنَّ الله حي لا يموت[٣]. فحكمُ الرَّبانيِّ أنْ يكونَ بهذه الصفة التي لا تؤثّرُ الحوادثُ في سِرِّه شيئًا، ولو كان فيه انقلاب الخافقين.

وقال أبو بكر الواسطي رحمه الله: أوّلُ لسان الصوفية[٤] ظهرتْ في هذه الأُمّةِ على لسان أبي بكر رضي الله عنه إشارةً، فاستخرج منها أهلُ الفهم لطائفَ توسوس فيها العقلاء[٥].

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: لخشيت أن أكون.

(٢) في (ب): عُظمُ الخوف، وعُظم الرجاء.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٢) من حديث عائشة.

(٤) في (ب)، وهامش الأصل: أول لسان التصوف.

(٥) في هامش الأصل: وفي نسخة: توسوس منها العقلاء.

قال الشيخ رحمه الله: وهذا الذي أشارَ إليه الواسطي في قوله: (أول لسان الصوفية) ظهرت على لسان أبي بكر رضي الله عنه، فذلك قول/ [٥٥] أبي بكر رضي الله عنه لأنَّه حينَ خرجَ من جميعِ مُلكه، قال له النبيُّ ﷺ: «أيش خلَّفْتَ لعيالك؟» قال: اللهَ ورسوله[١]. فقال: (الله) ثم قال: (ورسوله) ولعمري إنَّها إشارةٌ جليلةٌ لأهل التوحيد في حقائق التفريد، غير أنَّ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه إشاراتٌ أُخرى غيرُها مستخرجةٌ منه[٢]، ولطائف غير ذلك. وهي معلومةٌ عند أهل الحقائق ومفهومةٌ للتعلّق والتخلّق بها:

منها: قوله حين صعِدَ المنبر بعدما مات رسول الله ﷺ، واضطربَتْ قلوبُ أصحاب رسول الله ﷺ، وخشوا على ذهاب الإسلام بموته ﷺ، وخروجه من بين ظهرانيهم، فقال: من كان يعبدُ منكم محمدًا ﷺ فإنَّ محمدًا ﷺ قد مات، ومن كان يعبدُالله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت.

واللطيفةُ في ذلك ثباتُهُ في التوحيد، وما ثبَّتَ به قلوبَ الجماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

ومنها: قوله يومَ بدر للنبيِّ ﷺ حيث كان يقول: «اللهم، إن تَهلكَ هذه العصابة لم تُعبد في الأرض»[٣] فقال أبو بكر رضي الله عنه: دعْ بعضَ مُناشدتك ربَّك، فإنَّه واللهِ مُنجزٌ لك ما وعدك[٤]؛ أو كما قال، وهو قول الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢] فُخصَّ بحقيقة التصديق لِمَا وعدهم الله تعالى من النَّصرِ من جميع الصحابة عند اضطرابِ قلوبهم، فدلَّ على حقيقة إيمانه وخصوصيته.

---

(١) أخرجه ابوداود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥).

(٢) في (ب): إشارات غيرها مستخرجٌ منها ذلك.

(٣) في الأصل و(ع)، والمثبت في (ن): في الأرض من بعد ذلك. والمثبت من (ب).

(٤) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث عمر.

فإنَّ قال قائل: فما معنى تغيُّر النبيِّ ﷺ وثبات أبي بكر رضي الله عنه، وهو أتمُّ من أبي بكر رضي الله عنه في جميع الأحوال؟

فيُقال: لأنَّ النبيَّ ﷺ أعلمُ بالله من أبي بكر رضي الله عنه، وأبو بكر رضي الله عنه أقوى إيمانًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فثباتُ أبي بكر رضي الله عنه من حقيقة إيمانه بما وعدَ الله تعالى، وتغيُّرُ النبيِّ ﷺ من زيادة علمه بالله تعالى، لأنَّه يعلمُ من الله ما لا يعلم أبو بكر رضي الله عنه، ولا غيره.

ألا ترى أنه ﷺ كان إذا اشتدَّ هبوبُ الرِّيحِ تغيّر لونُهُ، ولم يتغيّرْ لونُ واحدٍ من أصحابه. وقال: «لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتُم قليلاً ولبكيتم كثيرًا، ولخرجتم إلى الصُّعُداتِ تجأرون إلى الله تعالى، ولما تقاررتم على فرشكم»[١].

ولأبي بكر الصديق رضي الله عنه أيضًا خصوصيةٌ في الإلهام والفِراسة من بين أصحاب رسول الله ﷺ في ثلاث مواضع:

أحدها: حين اتَّفقَ رَأيُ الجميع من أصحاب رسولِ الله ﷺ على تركِ مُقاتلة أهلِ الردَّة على منع الزكاة، وثبتَ أبو بكر رضي الله عنه على قتالهم، وقال: واللهِ لو منعوني عقالاً ممَّا كانوا يؤدُّون إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه[٢]. فأصاب رأيُهُ، وقالوا: إنَّ الإصابةَ في رأيه مع خلافِهِ لهم فيما أشاروا عليه، ورجعَ الجميع إلى رأيه حيث رأوا الصواب معه.

والثاني: عند خلافتِهِ رأى[٣] جمهور الصحابة فيما رأوا من ردِّ جيش أسامة، وقوله: واللهِ لا أُحلُّ عقدًا عقده رسول الله ﷺ.

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٢٧) ومسلم (٢٠). والحديث في الأصل، و(ن) و(ع): لقاتلتهم عليه بالسيف. والمثبت من (ب).

(٣) في الأصل: وفي (ن) و(ع): عند خلافه.

والثالث: قول أبي بكر رضي الله عنه لعائشةَ رضي الله عنها: إنّي كنتُ نحلتُك نحلاً، وإنما هو أخواك وأختاك. وما عرفت عائشة إلاّ أخوين وأختًا، وكانت لأبي بكر رضي الله عنه جاريةٌ حُبلى، فقال: لقد أُلقي في روعي أنها أنثى[١]. فولدتْ أُنثى، فهذا أتمُّ ما كان في الفِراسة[٢] والإلهام.

وقال النبيُّ ﷺ: «اتَّقوا فِراسة المؤمن؛ فإنّه ينظرُ بنور الله تعالى»[٣].

ولأبي بكر رضي الله عنه معانٍ أُخرُ ممّا تعلّق بها أهلُ الحقائق وأربابُ القلوب، وإنْ ذكرنا جميعَ ذلك طال الكتاب.

وقد حُكي عن بكر بن عبد الله المزني أنَّه قال: ما فاقَ أبو بكر رضي الله عنه جميعَ أصحابِ رسول الله ﷺ بكثرةِ الصَّومِ والصلاة، ولكن بشيءٍ كان في[٤] قلبه.

قال بعضُهم: الذي كان في قلبه الحبُّ لله عزَّ وجلَّ، والنصيحةُ له.

ويُقال: إنَّ أبا بكر رضي الله عنه/ كان إذا دخلَ وقتُ الصلاة يقول: [٥٦] يا بني آدم، قُوموا إلى نارِكم التي أوقدتموها فأطفئوها.

ورُوي عنه أنَّه أكلَ طعامًا من شُبهةٍ، فلمّا علمَ به تقيّأَ، وقال: واللهِ، لو لم تخرجْ إلاّ مع روحي لأخرجتها، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بدنٌ غُذِي بحرامٍ فالنار أولى به»[٥].

وكان[٦] يقول: وددتُ أن أكونَ خضراءَ تأكُلني الدوابُّ، ولم أخلق مخافةَ العذاب، وهولِ يوم الحساب.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٤٧٤).
(٢) في (ب): أتمُّ بابًا في الفراسة.
(٣) أخرجه الترمذي (٣١٢٧)، والطبراني في الكبير٨/ ٧٤٩٧.
(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: بشيء وقَرَ في قلبه.
(٥) ذكر بمعناه في سنن الترمذي (٦١٤).
(٦) من هنا حتى قوله لأبي بكر الصديق في الصفحة التالية ليست في (ب).

ورُوي عن أبي بكر الصديق أنّه قال: ثلاثُ آياتٍ من كتاب الله عزَّ وجلَّ اشتغلتُ بها عمَّا سواها:

إحداها: قوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧] فعلمتُ أنَّه إن أرادني بخيرٍ لم يقدرْ أحدٌ أن يرفعَ عنّي غيره، وإن أرادني بشرٍّ لم يقدرْ أحدٌ أن يصرفَ غيره.

والثانية: قوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢] فاشتغلتُ بذكرِ الله تعالى عن كلِّ مذكورٍ سوى الله.

والثالثة: قوله: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦] فوالله ما هممتُ برزقي منذ قرأتُ هذه الآية.

ويقال: إن هذه الأبيات لأبي بكر الصديق رضي الله عنه:

يا مَنْ ترفَّعَ بالدُّنيا وزينتِها ... ليسَ الترفُّعُ رفعَ الطِّينِ بالطِّينِ
إذا أردتَ شريفَ النَّاس كلِّهم ... فانظرْ إلى مَلكٍ في زِيِّ مسكينِ
ذاك الذي عظمَتْ في النَّاسِ رأفتُهُ ... وذاك يَصلُحُ للدُّنيا وللدِّينِ(١)

وحُكي عن الجُنيد أنَّه قال: أشرفُ كلمةٍ في التوحيد قولُ أبي بكر: سبحان من لم يجعل للخلق طريقًا إلى معرفته إلاّ العجزَ عن معرفته.

* * *

(١) الأبيات ليست في ديوان أبي بكر، وتُنسب لأبي العتاهية، الديوان ٣٩٢، والبيتان الأولان يُنسبان لمحمود الوراق، الديوان ٢٨١.

باب في ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال الشيخ رحمه الله: وأمَّا عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فإنَّه قد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «قد كان في الأُمم مُحدَّثون ومكلَّمون، فإنْ يكُ في هذه الأمة فعمر رضي الله عنه»[١].

سُئل بعضُ أهل الفهم عن المُحدَّث، فقال: أَعلى درجة من درجات الصدّيقين.

ودلائلُ ذلك ظهرت عليه، وهو ما ذكر عنه أنَّه كان يخطبُ فصاحَ، فقال في وسط خطبته: يا ساريةُ الجبلَ. وساريةُ في عسكرٍ على باب نهاوند، فسمعَ صوتَ عمرَ رضي الله عنه، وأخذَ نحو الجبل، وظفرَ بالعدو، وقيل لسارية: كيف علمتَ ذلك؟ فقال: سمعتُ صوتَ عمر رضي الله عنه، يقول: يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ[٢].

ورُوي عن أبي عثمان النَّهدي أنَّه قال: رأيتُ على عمرَ رضي الله عنه قميصًا فيه اثنتا عشرة رقعة، وهو يخطب.

ورُوي عن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: رحمَ الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي.

وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الشيطانُ يَفْرَقُ من ظلِّ عمر رضي الله عنه»[٣].

وقال عمر رضي الله عنه: من خافَ اللهَ تعالى لم يَشْفِ غيظَهُ، ومن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٩) ومسلم (٢٣٩٨).

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا ٢/ ٥٣٢(٣١٧٢)وقال: رواه الواقدي، ورواه سيف، والبيهقي في الدلائل، واللالكائي في شرح السنة، وابن الأعرابي في كرامات الأولياء، ورواه حرملة في جمعه لحديث ابن وهب، وإسناده كماقال الحافظ ابن حجر: حسن.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٧).

اتّقى اللهَ لم يفعلْ كلَّ ما يُريد، ولولا القيامةُ لكان غيرَ ما ترون.

ويقال: إنَّه أخذ تبنةً من الأرض، فقال: يا ليتني لم تلدني أمي، يا ليتني كنتُ هذه التبنة، يا ليتني لم أكُ شيئًا.

وقد رُوي عن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: ما ابتليتُ ببليَّةٍ إلاّ كان لله عليَّ فيها أربع نعم: إذ لم تكنْ في ديني، وإذ لم تكن أعظمَ منها، وإذ لم أُحرمْ الرِّضا فيها، وأنْ أرجو الثَّوابَ عليها.

وقال عمر رضي الله عنه: لو كانَ الصَّبرُ والشُّكرُ بعيرَيْنِ، لم أُبالِ أيُّهما ركبتُ.

وجاء رجلٌ إلى عمر رضي الله عنه، فشكا إليه الفقرَ، فقال: عندك عشاءُ ليلتك؟ قال: نعم. قال: لستَ بفقير.

ورُوي عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: ما على وجهِ الأرضِ أحدٌ أحبُّ إليَّ أن ألقى اللهَ تعالى بمثلِ صحيفته إلاَّ هذا المسجّي بهذا الثوب. وذلك أنَّ عمرَ لمّا طُعنَ سُجِّي بثوبٍ، فقال عليٌّ عند ذلك هذا القول[١].

قال: ورأى عليٌّ رضي الله عنه يومًا عمر رضي الله عنه، وهو يَعْدو في وقت الهاجرة، فسألَهُ عن عَدْوِهِ، فقال: قد أُغيرَ على إبل الصدقة، فرحتُ أعدو في طلبها. قال: فقال عليٌّ رضي الله عنه: لقد أتعبتَ الخلفاءَ بعدك يا أميرَ المؤمنين.

قال الشيخُ رحمه الله: ولأهلِ الحقائق أسوةٌ وتعلّقٌ بعمرَ رضي الله عنه بمعانٍ خُصَّ بذلك عمر رضي الله عنه، من اختياره: لبس المرقعة والخشونة، وترك الشهوات واجتناب الشبهات[٢]، وإظهار الكرامات، وقلّة المبالاة من لائمة الخلق عند انتصاب الحقِّ، ومحق الباطل[٣] ومساواة

---

(١) أخرجه أحمد في المسند١/ ١٠٩. وفي (ب): إلا هذا المسجّى عمر رضي الله عنه.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: واجتناب الملاذ.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: وقمع الباطل.

الأقارب والأباعد في الحقوق، والتمسُّك بالأشدِّ من الطاعات، واجتناب الرُّخص وغير ذلك، مما رُوي عنه، وبيانه يطول.

وأمّا ما رُوي عن عمر رضي الله عنه أنَّه رأى جماعةً جلوسًا في المسجد، فأمَرهم بطلبِ الكسب، والذي كتبَ به إلى سَلْمان، فلعلَّه عرفَ منهم عجزًا في جلوسهم، وطمعًا في الناس، أو غير ذلك، فلذلك أمرَهُم بطلبِ الكسب؛ لأن النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما، قد رأوا أصحابَ الصُّفّة، وهم نيّفٌ وثلاثمئة، ولم يكرهوا ذلك، ولم يُؤمروا بالخروجِ من المسجد وطلب المعاش.

ورُوي عن/ عمر رضي الله عنه أنه قالَ لأخيه زيد بن الخطاب يوم أُحد: [٥٧] إن شئتَ نزعتُ درعي هذه حتَّى تلبسَها. فقال له زيد: أنا أيضًا أحبُّ الشهادةَ كما أنك تحبُّ الشهادة. وهذه إشارةٌ عظيمةٌ منهما تدلُّ على حقيقة التوكُّل.

وأشباه ذلك كثيرةٌ، وفي القليلِ كفاية.

وقد رُوي عن عمر رضي الله عنه، أنَّه قالَ: وجدتُ العبادة في أربعةِ أشياء:

أوّلها: أداءُ فرائض الله تعالى.

والثاني: اجتنابُ محارم الله تعالى.

والثالث: الأمرُ بالمعروف ابتغاء ثواب الله تعالى.

والرابع: النَّهي عن المُنكر، اتِّقاء غضبِ الله تعالى.

* * *

باب في ذكر عثمان رضي الله عنه

قال الشيخ رحمه الله: أمَّا عثمانُ بنُ عفان رضي الله عنه فقد خُصَّ بالتمكين، والتمكينُ من أعلى مراتبِ المتحقِّقين.

وممّا يتعلَّقُ به أهلُ الحقائق من أهل التصوف بعثمان بن عفان رضي الله عنه ما رُوي عن بعض المتقدّمين أنّه سُئل عن الدُّخول في السَّعات، فقال: لا يصحُّ إلاّ للأنبياء والصدِّيقين. والدخولُ في السَّعَة التي هي من أحوالِ الصدِّيقين أن يكونَ داخلاً في الأشياء خارجًا منها، وأن يكونَ مع الأشياءِ بائنًا عنها.

كما سُئل يحيى بن معاذ رضي الله عنه عن صفةِ العارف، فقال: رجل معهم[1] بائنٌ عنهم[2].

وسُئل ابن الجلاَّء رحمه الله عن الفقيرِ الصادق، فقال: يكونُ دخولُه في الأشياء لغيرِهِ لا لنفسه. وهذا وصفُ حالِ عثمان رضي الله عنه، لأنَّه قد رُوي أنَّه قال: لولا أنّي خشيتُ أن يكونَ في الإسلامِ ثِلمةٌ أسدُّها بهذا المال ما جمعتُهُ.

وعلامةُ من يكونُ هذا حالُه أن يكونَ الإنفاقُ أحبَّ إليه من الإمساك، والخرجُ عنده[3] آثرَ من الدخل كعثمان رضي الله عنه في تجهيزِ جيشِ العُسْرَةِ، وشرى بئرَ رومة، حتى قالَ رسول الله ﷺ: «ما ضرَّ عثمانَ ما فعلَ بعد هذا»[4].

ورُوي عنه أنَّه بعثَ إلى أبي ذرٍّ رضي الله عنه بكيسٍ فيها ألفُ درهم، ودفعَها إلى عبدٍ له، وقال: إنْ قبلَها فأنتَ حرٌّ لوجه الله تعالى. فدلَّ ذلك على

---

(١) في (ن): رجلٌ كائن معهم.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: بائن منهم.

(٣) في (ب): والخروج عنده.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٠١) في المناقب. من حديث عبد الرحمن بن سمرة.

أنَّ أموالَه كانت مستعدَّة[١] لمثلِ هذه الجهات، ولا يصحُّ هذا الحال إلاّ لعبدٍ كاملِ المعرفة.

سمعتُ ابنَ سالمٍ رحمه الله يقول: قال سهلُ بنُ عبد الله رحمه الله: لا يصحُّ الدخولُ في السَّعة إلاّ لعبدٍ يعرفُ الإذن إذا أذنَ الله له أن يُنفقَ أنفقَ على مقدارِ ما يأذنُ الله تعالى له، وإن أمسكَ أمسكَها على حسبِ ما يأذنُ الله تعالى له، ويكونُ قيامُه فيما يجمعُ اللهُ عليه من الأموالِ للحقوق لا للحظوظ، فيكون مثلُهُ كمَثَلِ الوكيل يتصرَّفُ في مالِ صاحبه تصرّفَ المالكين بإذنِ ربِّ المال، وهو مكانٌ صعبٌ، وقد غلطَ في ذلك خلقٌ كثيرٌ بدعواهم هذا الحال، وهم عبيدُ الدنيا، وعندهم أنَّهم من هؤلاء.

وقد حُكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال: ربَّما يملكُ العبدُ الدنيا، ويكونُ أزهدَ الخلقِ في زمانه. فقيل له: مثلَ مَنْ؟ فقال: مثل عمر بن عبد العزيز.

وكان رضي الله عنه أعني عمر بن عبد العزيز في خلافته يُميِّزُ بين الزيت الذي يُسرجُ لنفسه والزَّيت الذي يُسرجُ للعامة، وكان يضعُ سراجَهُ على ثلاث قصبات، وفي يده خزائنُ الأرض.

فمن هاهنا غلطَ من غلط في تشريفِ الغنى على الفقرِ، وذهب عليه أنَّ هؤلاء لم يكونوا أغنياءَ بأعراضِ الدنيا، ولا فقراءَ بما يعدمون من الدنيا، لأنَّ غناهم بالله، وفقرَهم إليه[٢].

وممّا يتعلّقُ به أهلُ الحقائق بعثمان رضي الله عنه ما رُوي عنه أنَّه حملَ حزمة حطبٍ من بعضِ بساتينِهِ، وكان له عدّةُ مماليك، فقيل له: لو دفعتَها إلى بعضِ عبيدكَ! فقال: إنّي قد استطعتُ أن أفعلَ ذلك؛ ولكنْ أردتُ أنْ أجرّبَ نفسي، هل تعجزُ عن ذلك؟ أو هل تكرَهُ ذلك؟ أو كما قال.

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: كانت معدّة.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: وفقرهم بالله.

[٥٨] فدلّ ذلك أيضًا على أنَّه كان لا يدعُ افتقادَ نفسه، وكان يفتقد/ رياضة نفسه لئلا يسكنَ إلى ما جُمع[١] إليه من الأموال؛ لأنه ليس في ذلك كغيره.

ورُوي عنه أنَّه كان يقرأ بالسّبع الطُول في ركعةٍ واحدة خلفَ المقام، وهو مقنِعٌ رأسَهُ بالليل.

ورُوي عنه أنَّه قال: ما تَمنَّيْتُ ولا تَغنَّيْتُ ولا مَسِسْتُ ذَكَري بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ.

ومّما يدلُّ على تخصيصه بالتمكين والثبات والاستقامة ما رُوي عنه: أنَّه يومَ قُتِلَ لم يبرحْ من موضعِهِ، ولم يأذَنْ لأحدٍ بالقتال، ولا وضعَ المصحف من حجره إلى أن قُتل رضي الله عنه، وسالَ الدمُ على المُصحفِ، وتلطَّخَ بالدم، ووقع الدَّمُ على موضع هذه الآية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧]. والتمكين حالٌ رفيع.

سمعتُ أبا عمرو بن علوان يقول: سمعتُ الجُنيد رحمه الله ليلةً من الليالي وهو يقول في مُناجاته: إلهي، أتريدُ أن تخدعَني عنك ببرّك![٢] أم تُريدُ أن تقطعَني عنك بوصلك؟ هيهات هيهات.

قلتُ لأبي عمرو: ما معنى قوله: (هيهات هيهات)؟ قال: التمكين.

ورُوي عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: وجدتُ الخيرَ مجموعًا في أربعة:

أوّلها: التحبُّبُ إلى الله تعالى بالنوافل.

والثاني: الصبرُ على أحكام الله تعالى.

والثالث: الرِّضا بتقديرِ الله عزَّ وجلَّ.

والرابع: الحياء من نظر الله عزَّ وجلَّ.

* * *

(١) في هامش (ب): وفي نسخة: إلى ما اجتمع.

(٢) في الأصل، وفي (ن)، و(ع): بقربك. والمثبت من (ب).

باب في ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال الشيخ رحمه الله: وأمَّا عليٌّ رضي الله عنه فإنّي سمعتُ أحمد بن علي الوجيهي يقول: سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذباري يقول: سمعتُ جنيدًا رحمه الله يقول: رضوانُ الله على أميرِ المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه، لولا أنَّه اشتغلَ بالحروب لأفدنا في علمنا هذا معانيَ كثيرةً، وذاك امرؤٌ أُعطي علمَ اللَّدُنِّي، والعلم اللَّدُنيُّ هو العلمُ الذي خُصَّ به الخضر عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

وقد سمعتَ بقصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام، وقولَه: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] فمن هاهنا غلط من غلط في تفضيل الولايةِ على النّبوة، وسنذكر ذلك في باب الردّ على من قال ذلك إن شاء الله[١].

ولأميرِ المؤمنين عليّ رضي الله عنه خصوصيةٌ من بين جميع أصحاب رسول الله ﷺ بمعانٍ جليلةٍ، وإشارات لطيفة، وألفاظٍ مُفردة، وعبارةٍ وبيانٍ للتوحيد والمعرفة والإيمان والعلم، وغيرِ ذلك، وخصالٍ شريفةٍ تعلَّقَ وتخلَّقَ به أهلُ الحقائق من الصوفية، وإنْ ذكرنا ذلك كلَّه طالَ به الكتاب، لم تسعْهُ الأجزاءُ الكثيرة[٢]؛ ولكن نذكرُ من ذلك طرفًا نكتفي به عن التطويل إن شاء الله.

فمنها: ما سُئل أميرُ المؤمنين رضي الله عنه، وقيل له: بم عرفتَ ربَّك؟ فقال: بما عرَّفني نفسه، لا تُشبهُهُ صورةٌ، ولا يُدركُ بالحواس ولا القياس

---

(١) انظر الصفحة (٥٩١).

(٢) قوله: (لم تسعه الأجزاء الكثيرة) ليست في (ب).

بالناس[١]، قريبٌ في بعده، بعيد في قربه، فوق كلِّ شيءٍ، ولا يُقال شيءٌ تحته، وتحت كلِّ شيءٍ، ولا يُقال شيءٌ فوقه، أمامُ كلِّ شيءٍ ولا يُقال شيءٌ أمامه، داخلٌ في الأشياء، لا كشيءٍ من شيءٍ، ولا في شيءٍ، ولا بشيءٍ، سبحان من هو هكذا، ولا هكذا غيرُه.

وكان أميرُ المؤمنين رضي الله عنه، يقول في خطبته: خلقَ الأشياءَ لا من شيءٍ كان معه، ولا عن شيءٍ احتذاه، ولا عن شيءٍ امتثله، فكلُّ صانعٍ فمن شيءٍ صنع، وكلُّ عالمٍ فمن بعد جهلٍ علم، والله تعالى عالمٌ لا من بعد جهل.

وقوله في الإيمان كما ذكر عنه عمرو بن هند قال: سمعت عليًّا رضي الله عنه يقول: الإيمان يبدو لمظةً بيضاء[٢] في القلب، فكلَّما ازدادَ الإيمانُ ازدادَ القلبُ بياضًا[٣]، فإذا استكملَ الإيمان ابيضَّ القلبُ؛ وإنَّ النِّفاقَ يبدو لمظةً سوداء[٤] في القلب، فكلَّما ازدادَ النِّفاقُ ازدادَ القلبُ سوادًا، فإذا استكمل النفاق اسودَّ القلب.

وقام رجلٌ إلى عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه، فسألَهُ عن الإيمان، فقال: الإيمانُ على أربعِ دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل/، والجهاد، ثم وصفَ الصبرَ على عشرِ مقاماتٍ، وكذلك اليقين والعدل والجهاد، فوصفَ كلَّ واحدٍ منها على عشر مقامات. [٥٩]

فإنْ صحَّ ذلك عنه فهو أوَّلُ من تكلَّمَ في الأحوال والمقامات.

وقيل لأمير المؤمنين رضي الله عنه: مَنْ أسلمُ الناسِ من سائر العيوب؟ قال: من جعلَ عقلَهُ أميرَهُ، وحَذَرَهُ وزيره، والموعظةَ زمامَهُ، والصبرَ قائدَهُ،

---

(١) في (ب): ولا يُقاس بالناس.
(٢) اللمظة: الشيء اليسير. في هامش الأصل: وفي نسخة: لمعة بيضاء.
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: ابيضَّ بياضًا.
(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: لمعة سوداء.

والاعتصامَ بالتقوى ظهيرَهُ، وخوفَ الله تعالى جليسَهُ، وذِكْرَ الموتِ والبِلى أَنيسَهُ.

وقال عليٌّ رضي الله عنه في حديثِ كُمَيل بن زياد: ها إنَّ هاهنا علمًا لو وجدتُ له حَمَلَةً. وأشار إلى قلبه.

فكان تخصيصُهُ من بين الصحابة بالبيانِ والعبارة عن التوحيدِ والمعرفةِ.

والبيانُ من أتمِّ المعاني وأعلم الأحوال[١]، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧] وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

ولا يبلغُ العبدُ كمالَ الشرف إلاّ بالبيان؛ لأنَّه ليس كلُّ مَنْ عَقَلَ عَلِمَ، ولا كلُّ مَنْ عَلِمَ يُحسنُ أن يبين، فإذا أُعطي العبدُ العقلَ والعلمَ والبيان، فقد بلغَ إلى الكمال، والمشهورُ عن أصحاب رسول الله ﷺ أنَّهم كانوا إذا أشكَلَ عليهم شيءٌ من أمور الدين[٢] سألوا عليًا رضي الله عنه، فكان يُبيِّنُ لهم الذي يُشكلُ عليهم.

ورُوي عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه كان يقول: أَحببْ حبيبَكَ هونًا ما، كيما يكون بغيضَكَ يومًا ما، وأَبغضْ بغيضَكَ هونًا ما كيما يكون حبيبَكَ يومًا ما[٣].

وذُكر عنه أيضًا: أنَّه وقفَ على باب الخزانة خزانة الأموال وقال: يا صفراءُ ويا بيضاء[٤]، غرّي غيري[٥].

وذُكر عنه أيضًا: أنَّه لبسَ قميصًا شِراؤُهُ ثلاثةُ دراهم، فقطَّعَهُ[٦] من رأسِ أصابعه.

---

(١) في (ب): وأعلى الأحوال. وفي هامش الأصل: وفي نسخة: وأرفع الأحوال.

(٢) في (ب): من أمر الدين.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٣٢١) وأحمد في فضائل الصحابة (٤٨٤).

(٤) الصفراء والبيضاء: الذهب والفضة.

(٥) ذكر بعضه أحمد في فضائل الصحابة (٩٠٥).

(٦) في الأصل: فقطعها

وذُكر عنه أنّه عمل بأجرةٍ، فأخذ أجرتَهُ مُدًّا من تمرٍ، وحمل ذلك إلى رسول الله ﷺ حتى تقوَّتَ به.

ورُوي عنه أنَّه قال لعمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه: إن أردْتَ أن تلقى صاحبك فرقِّعْ قميصَكَ، واخصفْ نعلَكَ، وقصِّرْ أملَكَ، وكُلْ دون الشِّبع.

ورُوي عن عمرَ رضي الله عنه أنه قال: لولا عليٌّ لهلك عمر.

ويقال: إنَّه لما قُتِلَ رضي الله عنه، صعدَ الحسنُ رضي الله عنه منبرَ الكُوفة، وقال: يا أهلَ الكوفة، لقد قُتل بين ظهرانيكم أميرُ المؤمنين رضي الله عنه، واللهِ إنّه ما خلَّفَ من الدُّنيا شيئًا إلاّ أربعمئة درهم، وكان قد عزلها ليشتري بها خادمًا يخدمه.

ويقال: إنَّ عليًّا رضي الله عنه كان إذا حان وقتُ(١) الصلاة يتزلزلُ ويتغيَّرُ لونُه، فيُقالُ له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقتُ أمانةٍ عرضَها اللهُ تعالى ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢] فلا أدري أُحسنُ أداءَ ما احتملتُ أم لا؟(٢)

وقال عليٌّ رضي الله عنه: ما أنا ونفسي إلاّ كراعي غنمٍ، كلَّما ضمَّها من جانبٍ انتشرتْ من جانب.

ولعليٍّ رضي الله عنه أشباه ذلك كثير من الأحوال والأخلاق والأفعال التي يتعلَّقُ بها أربابُ القلوب وأهلُ الإشارات وأهلُ المواجيد من الصوفية.

فمن تركَ الدُّنيا كلَّها، وخرج من جميع ما يملك، وجلسَ على بساط الفقر والتجريد بلا علاقةٍ، فإمامُهُ فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ومَنْ أخرجَ بعضَها وتركَ البعضَ لعيالِهِ ولصلةِ الرَّحم وأداءِ الحقوق، فإمامُهُ فيها

---

(١) في الأصل: إذا جاء وقت.

(٢) جاء في هامش الأصل: قلت، والله أعلم: وهذا معنى قول عمر السابق: يا بني آدم، قوموا إلى النار التي أوقدتموها، فأطفئوها. انتهى. أقول: إنما هذا من قول أبي بكر رضي الله عنه. وقد تقدم صفحة (١٧٧).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومَنْ جمعَ لله، ومنعَ لله، وأعطى لله، وأنفق لله، فإمامُهُ فيها عثمانُ بنُ عفان رضي الله عنه، ومَنْ لا يحوم حول الدُّنيا، وإن جُمعتْ عليه من غيرِ طلبِهِ رفضَها وهربَ منها، فإمامُهُ في ذلك عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

ورُوي عن عليٍّ رضي الله عنه، أنه قال: الخير كلُّه مجموعٌ في أربعةٍ:

الصمت، والنطق، والنظر، والحركة، فكلُّ نطقٍ لا يكونُ في ذكرِ الله تعالى فهو لغوٌ، وكلُّ صمتٍ لا يكون في فكرٍ/ فهو سهوٌ، وكلُّ نظرٍ لا يكون [٦٠] في عبرةٍ فهو غفلةٌ، وكلُّ حركةٍ لا تكون في تعبُّدٍ للهِ فهي فترةٌ، فرحم الله عبدًا جعل نطقَهُ ذِكْرًا، وصمتَهُ فكرًا، ونظَرهَ عبرةً، وحركته تعبُّدًا[١]، ويسلم الناسُ من لسانِهِ ويده.

* * *



(١) هنا ينتهي القسم الثاني من (ب) الذي بدأ صفحة (١٦٥).

باب صفة أهل الصُّفّة[١] رضوان الله عليهم أجمعين

قال الشيخ رحمه الله: ثم إنَّ أهلَ الصُّفّة كانوا كما جاءَ في الخبرِ نيفًا وثلاث مئة، لا يرجعون إلى زرعٍ، ولا إلى ضرعٍ، ولا إلى تجارةٍ، وكان أكلُهُم في المسجد، ونومُهم في المسجد، وكانَ رسولُ الله ﷺ يؤانسُهم ويجلسُ معهم، ويأكل معهم، ويحثُّ الناسَ على إكرامهم ومعرفة فضلهم[٢].

وقد ذكرَهُم اللهُ تعالى في مواضعَ من القرآن؛ منها قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ الآية [البقرة: ٢٧٣].

وقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية [الكهف: ٢٨].

وقد عاتب اللهُ تعالى نبيَّه ﷺ فيهم، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١ ـ ٢]، قيل: نزلتْ في شأن ابن أمِّ مكتوم رضي الله عنه، وكان من أهل الصُّفَّةِ، فكان إذا رآه رسول الله ﷺ بعد ذلك يقول: «يا من عاتبني فيه ربِّي[٣] عزَّ وجلَّ»[٤].

ويُقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ كان لا يقومُ من مجلسه إذا جلسَ أهلُ الصفَّة

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: باب في ذكر أصحاب أهل.

(٢) انظر صحيح البخاري (٣٥٨١).

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: «مرحبًا بمن عاتبني الله من أجله».

(٤) ذكره الديلمي في الفردوس ٤/ ١٦٤.

حوله حتى يقومون، وكان إذا صافحَهُم لم ينزعْ يدَهْ من أيديهم قبلهم، وربَّما كان يفرّقُهم على أهل الجِدَاتِ والسَّعة على كلِّ واحدٍ على مقداره، يبعثُ بهم مع واحدٍ ثلاثةً، ومع الآخر الأربعة والخمسة، قال: فربَّما كان ينقلبُ سعدُ بن معاذ رضي الله عنه بثمانين منهم إلى بيتِهِ، فيُطعمهم.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: رأيتُ سبعينَ من أهل الصُّفَّةِ يُصلُّون في ثوب؛ منهم من لا يبلغُ ركبتيه، فإذا ركع أحدُهم قبضَ بيديه مخافَةَ أن تبدو عورتُهُ[1].

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: كان يُشبهُ رائحتُنا رائحةَ الشَّاةِ من لبسِ العباء[2].

وقال عبد الله بن طلحة: صحبْنا جماعةَ أهل الصُّفة يومًا، فقلنا: يا رسولَ الله، أحرقَ بطونَنا التمرُ، وحرَّمْتَ علينا الجيفة. فسمعَ ذلك رسولُ الله ﷺ فصعِدَ المنبر، ثم قال: «ما بالُ أقوامٍ يَضحون ويقولون: أحرقَتْ بطونَنا التمرُ، أما علمتُم أنَّ هذا التمرَ إنَّما هو طعامُ أهلِ المدينة، فقد واسونا به، فواسيناكم ممَّا واسونا به، والذي نفسُ محمدٍ بيده إنْ مُنذ شهرٍ أو شهرين لم ترتفعْ من بيتِ رسول الله دخانٌ للخبز، وليس لهم غيرُ الأسودَيْنِ التمر والماء»[3].

والمعنى في ذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ اعتذرَ في ذلك إليهم، ولم يردَّ عليهم شكايتهم، ولم يأمرْهم بطلبِ المعاش من الاكتساب والتجارات، وقد رُوي في الخبر أنَّ النبيَّ ﷺ وقفَ على جماعةٍ من أهل الصُّفَّة، وقد استترَ بعضُهم ببعض من العُري، وقارىءٌ يقرأُ عليهم القرآن، وهم يَبكون.

فأمَّا غيرُ أهلِ الصُّفة فقد رُوي عن كلِّ واحدٍ منهم ما انفردوا به وخُصُّوا به

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٢).
(٢) أخرجه أبو داود(٤٠٣٣) والترمذي (٢٤٧٩).
(٣) أخرجه أحمد في المسند٤/ ٤٨٧، وابن حبان ١٥/ ٦٨٤.

من الأحوال الرضية والأعمال الزكية ومكارم الأخلاق ما تعلّقَ بها أهلُ الحقائق من المتصوفة وطلب الاهتداء في الاقتداء بهم، ويكثرُ ذِكْرُ ذلك؛ ولكن نذكرُ طرفًا ليستدلَّ بذلك على ما لم نذكره إن شاء الله تعالى.

* * *



باب في ذكر سائر الصحابة في هذا المعنى

قال الشيخ رحمه الله:

وأمّا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، فقد رُوي عن زياد بن حُدَيْر أنَّه قال: رأيتُ طلحةَ بنَ عبيد الله رضي الله عنه، فرّقَ مئةَ ألفٍ[١] في مجلسٍ، وإنه ليخيط طرفَ إزارِهِ بيده.

وعبد الله بن الزبير روى عنه أنه كان يطوي سبعة أيام.

وأمّا معاذُ بنُ جبل رضي الله عنه فقد روى عنه الحارثُ بن عُميرة قال: إنّي لجالسٌ عند معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهو يجودُ بنفسِهِ، ويقول: اخنقْ خنقَكَ فوعزَّتِكَ إنّي لأحبُّكَ/. [٦١]

وأمّا عِمران بنُ حُصين رضي الله عنه قال: وددتُ أنّي كنتُ تُرابًا، تذروني الرياح، ولم أُخلقْ مخافةَ العذاب.

وقال ثابت البُنَاني رحمه الله: إنَّه يعني عمران بن حصين رضي الله عنه اشتكى بطنَهُ ثلاثًا[٢] وثلاثين سنة، فدخلَ عليه أصحابُهُ يعودونه، فقالوا: يمنعُنا من الدخول عليك طولُ شكايتك. فقال: لا تفعلوا ذلك؛ فإنَّ أحبَّهُ إلى ربِّي أَحبُّه إليّ.

وأما سلمان الفارسي رضي الله عنه، فقد قيل: إنَّه لما نزلتْ هذه الآيةُ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣] صاح صحيةً، ووضع يدَهُ على رأسه، ثم خرجَ هاربًا ثلاثة أيام.

وفي الخبر أنَّ سلمان رضي الله عنه، زارَ أبا الدَّرداء رضي الله عنه من

---

(١) في (ن) و(ع): فوق مئة ألف.

(٢) في الأصل، والمطبوع: ثلاثةً.

العراقِ إلى الشام راجلاً، وعليه كساءٌ غليظٌ مضموم الرأس شاحبًا، فقيل له: شهرتَ نفسَك. فقال: الخيرُ خيرُ الآخرة، وإنّما أنا عبدٌ ألبسُ كما يلبسُ العبيد، فإذا أُعتقتُ لبستُ جبّةً لا تبلا محاسنُها[١].

وأما أبو الدَّرداء رضي الله عنه فإنَّه قال: كنتُ امرأً تاجرًا في الجاهلية، فلمَّا أسلمتُ أردتُ أن أجمعَ بين التجارة والعبادة فلم تجتمعا لي، فآثرتُ العبادةَ على التجارة.

قال: وسُئلت أمُّ الدرداء رضي الله عنها عن أفضلِ عبادةِ أبي الدرداء رضي الله عنه، فقالت: التفكُّرُ والاعتبار.

وأما أبو ذر رضي الله عنه فإنّه رُوي عنه أنَّه قال: إنَّ قيامي بالحقِّ لله تعالى لم يتركْ لي صديقًا، وإنَّ خوفي من يومِ الحساب ما تركَ على بدني لحمًا، وإنَّ يقيني[٢] بثوابِ الله تعالى ما تركَ في بيتي شيئًا.

ويُروى عنه أنَّه قال: قتلني همٌّ يومٍ لم أُدركه. فقيل له: وما ذاك؟ قال: إنَّ أَملي جاوز أجلي، ووددتُ أنَّ الله تعالى خلقني شجرةً تُعضَدُ.

ودُعي أبو ذر رضي الله عنه إلى وليمةٍ، فسمعَ صوتًا[٣]، فانصرف وهو يقول: من أكثرَ سوادَ قومٍ فهو منهم، ومَنْ رضي عملَ قومٍ فهو شريكهُم.

وحملَ حبيبُ بنُ مسلمة إلى أبي ذرٍّ رضي الله عنه ألفَ درهم، فردَّ عليه، وقال: عندنا عنزٌ نحلبُها، ومركوبٌ يسارع فضل ظهرها[٤]، فلا حاجةَ لنا في غير ذلك.

وأمّا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فإنَّه رُوي عنه أنَّه خرجَتْ في كفِّه طعنةٌ في أيام الطاعون، فعظمَ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وفرقُوا

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: لا تبلا حواشيها. وفي (ن) و(ع): لابتلاء محاسنها
(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: وإن ثقتي.
(٣) صوتًا: غناءً.
(٤) في (ع) و(ن): ومركوبٌ يُسارَعُ على ظهرها.

منها، فأقسمَ لهم أبو عبيدة رضي الله عنه: ما يُحبُّ أنَّ له مكانَها حُمْرُ النعم.

وجاء رجلٌ إلى أبي عبيدة رضي الله عنه؛ فسألَهُ، فردَّه، ثم جاءَهُ فسألَهُ فأعطاه، فقال: الذي أعطى والذي ردَّكَ الله عزَّ وجلَّ.

وقال أبو عبيدة: وددْتُ أن أكونَ كبشًا لأهدى، فيُعرَّقُ لحمي ويُتجنّى مَرَقي[1]، ولم أُخلقْ.

وأما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فإنَّه رُوي عنه أنَّه كان يقول: يا حبذا المَكْروهان: الموت والفقر، فما أُبالي بأيِّهما ابتُدئت.

ورُوي عنه أنَّ في بيته كانت عُشُشُ[2] الخطاطيف، وكان له بنون، فقيل له: لو نقضت هذه العُشش. فقال: والله، لئن نفضتُ يدي من ترابِ قبورهم يعني أولاده أحبّ إليّ من أن أكسرَ من عشش هذه الخطاطيف بيضةً واحدة.

وأما البراء بن مالك فقد رُويَ عن أنس بن مالك رضي الله عنهما، أنَّه قال: دخلتُ على البراء بن مالك رضي الله عنه، وقد مالَ برجليه على الحائط[3]، وهو يترنَّمُ بالشعر، فقلت: يا أخي، أبعدَ الإسلام والقرآن؟ فقال: يا أخي، ديوانُ العرب، ثم قال: أتُراني أموتُ على فراشي، وقد قتلتُ تسعةً وتسعين مبارزًا بين يدي رسول الله ﷺ سوى ما أُشْرِكْتُ فيه.

فلمّا أن يوم شهرك مَلِكِ تُستر[4]، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كم من ذي طِمريَنْ لا يُؤبه له لو أقسمَ

---

(١) في القاموس (جنى): اجتنينا ماء مطر: وردناه وشربناه، والخبر في تاريخ دمشق جزء (عاصمعائذ) صفحة ٣١٢: لوددت أني كبش يذبحني أهلي فيأكلون لحمي، ويحسون مرقي. وربما كانت كلمة (يتجنى) مصحفة عن كلمة (يُحتسى). والجملة في (ن) و(ع): ويتجنى فرقي.

(٢) في (ن) و(ع): كانت عشاش.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: إلى الحائط.

(٤) كذا في الأصل، والمطبوعين.

على الله لأبرَّهُ، منهم البراء بن مالك»[١] رضي الله عنه. فقال البراءُ: اللَّهمَّ، فإنّي أُقسمُ عليك لما رزقتني الشهادةَ، ورزقْتَ أصحابي الفتح. قال: فاستُشهد البراءُ، وفتحَ اللهُ عليهم.

وأما عبد الله بن العباس رضي الله عنهما فإنّه رُوي عنه أنَّه كان يقول: أفضلُ المجالس مجلسٌ في قعرِ بيتكِ، حتى لا تَرى ولا تُرى.

ورُوي عنه أنَّه كان يقول: إنَّ الله تعالى لَيَبتلي العبدَ بالفقر شوقًا إلى دعائه.

[٦٢] ويقال: إنَّ هذا الموضع يعني خدّيه كان مثل شِراك النعل/ من كثرة الدمع، يعني ابن عباس رضي الله عنهما.

ورُوي عنه أنّه قال: لأن أرقَعَ ثوبًا فألبسه، فيرفعني عند الخالقِ أحبُّ إليّ من أن ألبس ثيابًا تضعني عند الخالق، وترفعُني عند المخلوقين.

وأما كعب الأحبار رضي الله عنه فقد رُوي عنه أنَّه قال: لن تَنالوا شرفَ الآخرة حتى تكرهوا المدحةَ والثناء، وأن تنالوا الملامة في الله تعالى.

وقال كعبُ رضي الله عنه: لن يستكملَ العبدُ أجرَ الحجِّ والجهاد حتّى يصبر على الأذى.

وأما حارثة رضي الله عنه فقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ أرادَ أن ينظرَ إلى عبدٍ نوّر اللهُ تعالى الإيمان في قلبه، فلينظرْ إلى حارثة»[٢] رضي الله عنه.

وأما أبو هريرة رضي الله عنه فإنَّ ثعلبةَ بن أبي مالك قال: رأيتُ أبا هريرة رضي الله عنه، وهو يحملُ حزمةَ حطبٍ، وهو يومئذٍ خليفةُ مروان بن الحكم، فقال: أوسعِ الطريقَ للأميرِ يا بن أبي مالك. فقلتُ: أصلحَكَ اللهُ،

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (٢٣).

(٢) قال صاحب كنز العمال ١١/ ٣٣٢٤٤: أخرجه ابن منده، والطبراني عن الحارث بن مالك الأنصاري.

تُكفى هذا. فقال أوسعِ الطريقَ للأميرِ يا بن أبي مالك.

ورُوي عنه أنّه بكى لمَّا حضرته الوفاة، فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: بُعدُ المفازة، وقلّةُ الزاد، وضعفُ اليقين، وعقبةٌ كؤود، والمهبطُ منها إلى الجنّة أو النار.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: جزَّأتُ الليلَ ثلاثةَ أجزاء؛ ثلثًا أُصلّي، وثلثًا أنام، وثلثًا أستذكرُ فيه حديث رسول الله ﷺ.

وأما أنس بن مالك رضي الله عنه فرُوي عنه أنّه قال: إنَّ أوّلَ من يردُ الحوض يومَ القيامة الذابلون الناحلون السائحون الذين إذا جنَّهُمُ الليلُ استقبلوه بحزن.

وأما عبد الله بن عمر رضي الله عنه فرُوي عنه أنّه كان يقول: ما كنَّا ننامُ ونحن عزّابٌ في أيام رسولِ الله ﷺ إلاَّ في المسجد، ولم يكنْ لنا مسكنٌ ولا مأوى[1].

ورُوي عنه أنَّه قال: لا تُحْبِبْ أبدًا[2] إلاَّ من تثقُ بدينه.

وكان يقول: لا تُطعموا طعامَكُم إلاَّ كلَّ تقيٍّ نقيّ، ولا تأكلوا إلاَّ من طعامِ تقيٍّ نقيٍّ.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إنَّما سُلِطَ على ابنِ آدم مَنْ يخَافه، ولو لم يخف ابنُ آدم إلاّ الله لم يُسلِّطِ اللهُ تعالى عليه شيئًا.

وأما حُذَيْفَة بنُ اليمان رضي الله عنه فرُوي عنه أنَّه قال: إنَّ أقرّ يومٍ لعيني ليومٌ إذا رجعتُ إلى أهلي فيشكونَ إليّ الحاجة.

وقال حُذيفة رضي الله عنه: كم من شهوةٍ ساعةٍ أورثَتْ صاحبَها حزنًا طويلاً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٠).

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: لا تحبب أحدًا.

ودُعيَ حذيفةُ إلى مائدةٍ، فرأى عليها زِيَّ العجم، فانصرفَ، وهو يقول: من تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم.

وأما عبد الله بن جحش رضي الله عنه فروى سعيدُ بنَ المسيَّب رحمه الله، قال: قال عبد الله بن جحش رضي الله عنه، يوم أُحدٍ: اللهم، إنّي أُقسمُ عليك أن ألقى العدوَّ، وإذا لقيتُ العدوَّ أن يقتلوني، ثم يبقروا بطني، ثم يمثِّلُوا بي، فإذا لقيتُكَ، قلتَ: فيم قُتلتَ؟ فأقولُ: فيك. قال: فلقي العدو، فقُتل، وفُعل به ذلك.

وأما صفوان بن محرز المازني فإنّه كان يقول: إذا أَويتُ إلي أهلي، وأَصبتُ رغيفًا أكلتُهُ، فجزى الله الدُّنيا عن أهلها شرًّا. وما زادَ على ذلك إلى أن خرج من الدنيا.

وأما أبو فَرْوة فإنَّه رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ كان مولًى لبني سليم، سار ميلاً لم يذكرِ الله تَعالى فيه، فرجعَ حتى سارَ فيه ذاكرًا لله تعالى، فلمَّا بلغَ مُنتهاه، قال: اللهمَّ لا تنسَ أبا فروة؛ فإنَّ أبا فروة ليس ينساك.

وأما أبو بَكْرة رضي الله عنهفإنَّه أُغميَ عليه عند قبرٍ[1]، فصرخوا عليه، فلمّا أفاقَ قال: ما من نفسٍ تخرجُ، ولا نفسِ دابّةٍ إلاّ وهي أحبُّ إليّ من نفسي. قيل له: ولم؟ قال: إنّي أخافُ أن أَبقى إلى زمانٍ لا آمرُ فيه بالمعروف، ولا أنهى عن المنكر.

وأما عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فذُكر عنه أنَّه بكى، فبكتِ امرأتُهُ، فقال لها: ما يُبكيك؟ قالت: إنَّك بكيتَ فبكيتُ. قال: إنّي أُنبئتُ أنّي واردٌ النار، ولم أُنبَأْ أنّي صادر[2].

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: عند موته.

(٢) هو من قوله تعالى في سورة مريم (٧١) ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ وكأنه نسي قوله تعالى بعدها، أو لم تكن أنزلت بعد الآية التي بعدها: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾.

وأما تميم الداري فذُكر عنه أنَّه قامَ ليلةً إلى الصباح يبكي، ويقرأ هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ...﴾ الآية [الجاثية: ٢١]/ . [٦٣]

وأما عدي بن حاتم رضي الله عنه فُروي عنه أنَّه ربَّما كان يفتُّ الخبزَ للنمل ترحُّمًا عليهم.

وأما أبو رافع رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ فقد رُوي عن ابن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: قالَ رجلٌ: يا رسولَ الله، أيُّ النَّاسِ أفضل؟ قال: «كلُّ مخمومِ القلب، صدوقِ اللسان» قيل: يا رسول الله، وما مخمومُ القلب؟ قال: «التَّقيُّ النَّقيُّ، الذي لا كدرَ فيه ولا بغي ولا حسد، الذي يشنأُ الدُّنيا، ويحبُّ الآخرة»(١). قالوا: فما نعرفُ فينا مثلَ ذلك غيرَ أبي رافع مولى رسول الله ﷺ رضي الله عنه.

وأما محمد بنُ كعب رضي الله عنه فإنَّه ذُكر عنه أنَّه قال: إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا جعلَ فيه ثلاثَ خلال: فقَّهه في الدين، وزهَّدَهُ في الدنيا، وبصَّرَهُ عيوبَ نفسه.

وأما زُرارةُ بن أَوْفَى رضي الله عنه فإنَّه رُوي عنه أنَّه أمَّ في مسجدِ بني قُشير، فقرأ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨-٩] فخرَّ ميتًا.

وأما حنظلة الكاتب رضي الله عنه فإنَّه رُوي عنه أنَّه قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ فذكرنا الجنَّةَ والنار، حتى كأنَّها رأي العين، فعدتُ إلى أهلي، فضحكتُ ولقيتُ الناس، فقلتُ: نافق حنظلة. فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما لك؟ فأخبرتُهُ، فقال: إنَّا لنفعلُه أيضًا. فذهب حنظلة إلى النبيِّ ﷺ، فذكر له ذلك، فقال: «يا حنظلة، لو كُنتم في بيوتكم كما تكونون عندي لصافحتكُمُ الملائكةُ على فُرُشكم» أو كما قال: «يا حنظلة، ساعة وساعة»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦) قال البويصيري في الزوائد: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٥٠).

وأما اللَّجْلاج[١] قال الشيخ: وكنيته أبو كثير، هكذا في كتاب أبي داود السِّجِسْتاني[٢] صاحبُ رسول الله، ﷺ فإنه رُوي عنه أنَّه قال: أسلمتُ مع النبيِّ ﷺ وأنا ابن خمسين سنةً، ومات اللَّجْلاج وهو ابن عشرين ومئة سنة.

وقال: ما ملأتُ بطني من طعامٍ منذ أسلمتُ مع رسول الله ﷺ، آكلُ حسبي وأشربُ حسبي.

وأما أبو جحيفة رضي الله عنه فإنه رُوي عنه أنَّ امرأتَهُ استخبأَتْ ثلاثين درهمًا، فنسيتها حتى مضت لها سنةٌ، ثم إنّها ذكرتها، فقال لها: يا أخت هذيل، اعتدّي[٣]، بئس حشوةُ البيت أنت، لو متُّ لعُددتُ عند الله من الكنّازين، إنَّ نبيَّ الله ﷺ مات، وعهدُهُ بين أعيننا جديد، لم يتركْ دينارًا ولا درهمًا ولا فلسًا، ولا بُرًّا ولا شعيرًا.

وأما حكيم بن حزام رضي الله عنه فإنَّه رُوي عنه أنَّه قال: ما أَصبحتُ ذا صباحٍ قطُّ لم أرَ عندي طالبَ حاجةٍ ولا مُستعينًا على أمرٍ إلاّ عددتُهُ من المصائب التي أسألُ الله تعالى الأجر عليها.

وأما أسامة رضي الله عنه فإنَّه رُوي عنه أنَّه اشترى فرسًا إلى شهرينِ، فقال النبيُّ ﷺ لمّا بلغه ذلك: «إنَّ أُسامةَ لطويلُ الأمل»[٤].

وأما بلال وصُهيب رضي الله عنه فإنّه رُوي عنهما أنَّهما أَتيا قبيلةً من العرب، فخطبا إليهم، فقيل لهما: مَنْ أنتما؟ فقالا: بلال وصهيب؛ كنَّا ضالَّيْنِ فهدانا الله تعالى، وكنَّا مملوكَيْنِ فأعتقنا الله تعالى، وكنَّا عائلينِ فأغنانا الله تعالى، فإن تزوِّجونا فنحمد الله، وإن تردُّونا فسبحان الله. فقالوا:

---

(١) في الأصل: اللجاج. والمثبت من الاستيعاب (٢٢٣٧)، وأسد الغابة ٤/ ٥٢٠، والإصابة ٥/ ٦٨٢.

(٢) انظر سنن أبي داود (٤٤٣٥).

(٣) اعتدي أي عدّة الطلاق.

(٤) روى أبونعيم في الحلية ٦/ ٩١، . والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٥٥، والطبراني في مسند الشاميين أن زيدًا اشترى وليدة بمئة دينار إلى شهر . .

تُزَوَّجون والحمد لله. فقال صهيبٌ لبلال: هلاَّ ذكرتَ مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ؟ فقال بلال: اسكتْ، فقد صدقتَ فأنكحَكَ الصدقُ.

وأما عبد الله بن ربيعة ومصعب بن عُمير رضي الله عنهما، فكانا مُتواخيين.

قال عبد الله: كنتُ أنظرُ إلى مصعبٍ، فتدمعُ عيني رقَّةً عليه، وكنتُ رأيتُهُ بمكَّةَ في الرفاهيَّةِ، وكان على رأسِهِ ثلَّةٌ من الشعرِ، قال: فكنتُ أمرُّ إلى بعض حيطان المدينة، فأعملُ في السَّواني[1] إلى الأُولى[2] على مُدٍّ من التمر، فأحمله إلى مصعبِ بن عمير.

ومرّ مصعبٌ يومًا إلى رسول الله ﷺ فلم يجد عند رسول الله ﷺ إلاّ قطعةَ حَيْسٍ[3]، فأكلَ بعضَها، وحملَ النصفَ الآخر إلى عبد الله بن ربيعة.

و[أما عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع] رُويَ أنَّ رسول الله ﷺ/ [٦٤]
آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعدِ بنِ الرَّبيع رضي الله عنهما، وكان لسعدٍ امرأتان، فقال سعد: أُقاسِمُك مالي، وأنزلُ عن إحدى امرأتي حتى تزوّجَ بها. فلم يفعل ذلك عبدُ الرحمن، وقال: دلّوني على السوق. فدخل السُّوقَ، وكسب حتى جمع شيئًا من التَّمر والبُسر، والسمن والأقطّ.

* ورُوي عنه أنَّه نزلَ برسول الله ﷺ ضيفٌ فلم يجدْ عند أهله شيئًا، فدخل عليه رجلٌ من الأنصار، فذهبَ إلى أهله، ووضع بين يديه الطعام، وقال لامرأته: أطفئي السراج. وجعل يمدُّ يدَهُ كأنَّه يأكلُ حتى أكلَ، الضَّيفُ الطعام، فلمّا أَصبحَ قال له رسولُ الله ﷺ: «لقد عجبَ اللهُ تعالى من صنيعِكم إلى ضيفِكُم»[4] ونزلتْ هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

---

(١) السانية: الساقية. أي كان يعمل في بساتين المدينة بالسقي.

(٢) في (ن) و(ع): إلي الأدلى.

(٣) الحيس: تمرٌ وأَقِطٌ وسمن تُخلط وتعجن وتسوّى كالثريد. المعجم الوسيط.

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٩٨) ومسلم (٢٠٥٤).

* ورُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أُهديَ لرجلٍ من أصحاب رسول الله ﷺ رأسُ شاة، فقال: إنَّ أخي كان أحوجَ إليه منّي. فبعث إليه، فلم يزلْ يَبعثُ الواحدُ إلى الآخر حتى تناولَهُ سبعةُ أبياتٍ، فرجعتْ إلى الأوَّلِ، قال: ونزلتْ فيهم هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

قال الشيخ رحمه الله: ومثلُ هذا كثير في الأخبار عن الصحابة، وما منهم أحدٌ إلاّ وله تخصيصٌ في معانٍ من هذا النوع الذي ذكرنا، والمؤمنون مَندوبون إلى التعلّقِ بمثل هذه الأفعال والتخلّقِ بأخلاقهم فيما أتوا به من أنواع الطاعات، ونطقوا به من أنواع الحِكَم.

وقد ذكرنا القليلَ من الكثيرِ، والمرادُ من ذلك وقوفُ المسترشدين على المقصودِ والمُراد. في كلّ خبرٍ من(١) هذه الأخبار التي ذكرناها عن هؤلاء الصحابة إشارةٌ ولطافةٌ تخصيصًا لأهله، وله بيانٌ وشرحٌ كشرحِ من تقدَمَ ذكره في أوّل البابِ باب الأئمة الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم أجمعين، ولا يخفى على المُتأمّلِ والمتدبّر بالنظر فيه بيان ذلك إن شاء الله تعالى(٢).

* * *

(١) في (ع): الكثير والمراد من هذه الأخبار. وما بينها ساقط.

(٢) جاء في هامش الأصل: بلغ مقابلة وقراءة.

كتاب آداب المتصوفة

باب في ذكر الآداب

قال الشيخ رحمه الله: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال في تفسيره: يعني أدّبوهم وعلّموهم، تقوهم بذلك من النار.

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: «ما نحلَ[١] والدٌ ولدًا أفضلَ من أدبٍ حسنٍ»[٢].

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: «إن الله أدّبني فأحسنَ أدبي»[٣].

قال الشيخ رحمه الله: موضعُ تخصيصه بالأدب من جملة الأنبياء، عليهم السلام بقوله: «فأحسن أدبي» وإلاَّ فجميعُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا ممَّن أدَّبهم الله تعالى.

وروي عن محمد بنِ سيرين أنَّه سُئل: أيُّ الآدابِ أقربُ إلى الله تعالى، وأزلفُ للعبدِ عنده؟ قال: معرفةٌ بربوبيته، وعملٌ بطاعته، والحمدُ لله على السَّراء، والصبر على الضَّراء.

وقيل للحسن بن أبي الحسنِ البصري رحمه الله: قد أكثرَ النَّاسُ تعلّمَ الآداب، فما أنفعُها عاجلاً، وأوصلُها آجلاً؟ قال: التفقُّهُ في الدين؛ فإنَّه

(١) في (ن) و(ع): نجل.
(٢) أخرجه أحمد في المسند٣/ ٤١٢، والترمذي (١٩٥٢).
(٣) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٩) و(١٣٥).

يصرفُ إليه قلوبَ المتعلّمين، والزُّهدُ في الدنيا، فإنَّه يقرِّبُكَ من ربّ العالمين، والمعرفةُ بما لله عليك يحويها كمال الإيمان.

وقال سعيد بنُ المسيب رحمه الله: من لم يعرفْ ما لله تعالى عليه في نفسه، ولم يتأدَّبْ بأمرِهِ ونهيه، كانَ من الأدب في عزلةٍ.

وقال كلثوم الغساني: الأدبُ أدبان؛ أدبُ قولٍ، وأدبُ فعلٍ، فمن وافقَ لنفسِهِ[1] في أدبه بقوله عُدِمَ ثوابَ العمل، ومن تقرَّبَ إلى الله تعالى بأدب فِعْلِهِ منحَهُ محبَّةَ القلوب، وصرفَ عنه العيوبَ، وجعله شريكًا في ثواب المتعلّمين.

ورُوي عن ابن المبارك رحمه الله أنه قال: نحن إلى قليلٍ من الأدبِ أَحوجُ منَّا إلى كثيرٍ من العلم.

وقال ابنُ المبارك رحمه الله أيضًا: الأدبُ للعارف بمنزلةِ التوبةِ للمُستأنف/. [٦٥]

قال الشيخ رحمه الله: الأدبُ سَندٌ للفقراء[2]، وزينٌ للأغنياء، والناسُ في الأدب مُتفاوتون، وهم على ثلاث طبقات:

أهل الدنيا، وأهل الدين، وأهل الخصوصية من أهل الدين.

فأما أهل الدنيا فإنَّ أكثرَ آدابِهم في الفصاحة والبلاغة، وحفظِ العلوم، وأسمار الملوك، وأشعارِ العرب، ومعرفة الصنائع.

وأما أهل الدين فإنَّ أكثرَ آدابِهم في رياضةِ النفوس، وتأديبِ الجوارح، وطهارةِ الأسرار، وحفظِ الحدود، وتركِ الشهوات، واجتناب الشُّبهات، وتجريدِ الطاعات، والمسارعةِ إلى الخيرات.

وقد حُكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنَّه قال: من قَهَرَ نفسَهُ بالأدب، فهو يعبدُ الله تعالى بالإخلاص.

---

(١) في (ع) والمثبت في (ن): فمن رفق لنفسه.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: سمة للفقراء.

وقال سهلٌ أيضًا رحمه الله: استعانوا بالله على أمرِ الله، فصبروا على أدب الله تعالى.

ويقالُ: إنَّ أفضلَ الآداب التوبةُ، ومنعُ النفوس عن الشهوات.

وسُئل بعضُهم عن أدبِ النفس، فقال: أن تُعرِّفَها الخير فتحثُّها عليه، وتعرِّفَها الشرَّ فتزجرها عنه.

ويقال: إنَّ الأدبَ كمالُ الأشياء، لا يصفو إلاَّ للأنبياء والصدِّيقين.

قال الشيخ رحمه الله: فأمّا أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فإنَّ أكثرَ آدابهم في طهارةِ القلوب، ومُراعاةِ الأسرار؛ والوفاءِ بالعقود بعد العهود؛ وحفظِ الوقت؛ وقلّةِ الالتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادي والطَّوارق، واستواءِ السرِّ مع الإعلان، وحُسنِ الأدب في مواقف الطلب ومقاماتِ القُرْبِ وأوقاتِ الحضور، والقربة والدنوّ والوصلة.

سمعتُ أحمدَ بن محمد البصري رحمه الله يقول: سمعتُ الجلاجلي[1] البصري يقول: التوحيدُ مُوجبٌ يُوجبُ الإيمان، فمن لا إيمانَ له لا توحيدَ له، والإيمانُ موجبٌ يُوجبُ الشريعة، فمن لا شريعةَ له لا إيمانَ له ولا توحيدَ له، والشريعةُ مُوجبٌ يُوجبُ الأدب، فمن لا أدبَ له لا شريعةَ له، ولا إيمان، ولا توحيدَ.

وسئل أبو العباس بنُ عطاء رحمه الله: ما الأدبُ في ذاته؟ فقال: الوقوفُ مع المُستحسنات. قيل: وما الوقوفُ مع المستحسنات؟ فقال: أن تعاملَ اللهَ تعالى بالأدب سرًّا وإعلانًا، فإذا كنتَ كذلك كنتَ أديبًا، وإن كنت أعجميًا، ثم أنشد ابنُ عطاء في هذا المعنى:

إذا نطقَتْ جاءَتْ بكلِّ ملاحةٍ وإنْ سكتَتْ جاءَتْ بكلِّ جميلِ

---

(١) كذا في الأصل والمطبوعين. وفي الرسالة القشيرية ٤٠٦ باب الأدب نقلاً عن كتابنا هذا.

قال الشيخ رحمه الله: فالصوفية[١] لهم آدابٌ في أقوالهم وأحكامهم وعباداتِهم، ولهم آدابٌ في سفرهم وحضرهم، وآدابٌ في أوقاتهم[٢] وأخلاقهم، وآدابٌ في سكونهم وحركاتهم، وهم مختصّون بها من غيرهم، ومعروفون بها عند أشكالهم وعند أبناءِ جنسهم؛ يُعرفُ بذلك تفاضلُ بعضهم على بعض، ويعتقدُ بها بعضُهم من بعض[٣].

وبهذه الآدابِ تميّزٌ بين الصادقين والكاذبين، والمدّعين والمتحقّقين، وقد بيّنا طرفًا من آدابهم في كلِّ بابٍ من هذه الأبواب التي ذكرنا على الاختصار لينظرَ الناظرُ فيه، ويقف على ذلك إن شاء الله تعالى[٤].

* * *



(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: ثم إن للمتصوفة.

(٢) في (ن) و(ع): فالصوفية لهم آداب في سفرهم وحضرهم وآداب في أوقاتهم. وما بينها ساقط.

(٣) قوله: (ويعتقد بها بعضهم من بعض) ليس في (ن) ولا في (ع).

(٤) جاء في هامش الأصل: في أصله: بلغ من باب الـ... أبي بكر الكرماني بقراءة... أبو طالب الشافعي... وأبو يعلى الفضلي، وعبد الأول بن عيسى السّجزي، وعبد... الطبيب، وجماعة... رمضان سنة خمس... وأربع مئة. نقلته مختصرًا... أحمد بن الظاهري... بخط بن يحيى...، وانظر الحاشية (٢) صفحة (٧٣).

باب آدابهم في الوضوء والطهارات

قال الشيخ رحمه الله: فأوَّلُ أدبٍ يُحتاجُ إليه في باب الوضوء والطهارات: طلبُ العلم وتعلُّمه، ومعرفةُ الفرائض والسُّنن، وما يُستحبُّ وما يُكره من ذلك، وما أُمرَ به وما نُدبَ إليه، وما رُغبَ فيه للفضيلة.

وتفصيل ذلك لا يُوقفُ عليه إلاَّ بالتعلّمِ والسؤال، والبحثِ عليه، والاهتمامِ له، حتى تأتي به على موافقةِ الكتاب والسُّنة بالاحتياط، واتّباعِ الأحسنِ والأتمِّ، ورفعِ الملامة، وتركِ الإنكار بالقلب على من يأخذ بالاحتياطِ والأشدِّ؛ لأنَّ الله تعالى يُحبُّ أن يُؤخذَ برُخَصِهِ كما يُحبُّ أن يُؤخذَ بعزامِهِ[1]، وسائرُ الناس لهم أشغالٌ وأسبابٌ لا بدَّ لهم من السعي فيها والاهتمامِ بها، فإنْ أخذوا بالرُّخصِ وما فيه السعة فهم مَعذورون.

وأمَّا المُتصوِّفة، ومَنْ تركَ الأسباب، وخرجَ عن الأشغالِ، وفرَّغَ نفسَهُ للعبادة والزهد، فلا عذر له في ترك/ التوقّي والتنقّي، والاهتمامِ بإسباغ [٦٦] الوضوء، والتمسُّكِ بالاحتياط والأتمِّ في أبوابِ الطهارة والنظافة، فمن ليسَ له شغلٌ غير ذلك فعليه أن يَبذلَ مجهودَهُ على قدرِ استطاعته في ذلك، لقول الله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقد رأيتُ جماعةً كانوا يجدِّدون الوضوء لكلِّ صلاةٍ، فيقومون إلى الوضوء قبلَ دخولِ وقتِ الصلاة، حتى إذا فرغوا من وضوئهم يكونُ قيامُهم إلى الصلاة مُتَّصلاً بفراغهم من الوضوء.

ومن آدابهم في ذلك أيضًا: أن يكونوا دهرَهم[2] كلَّه أيضًا على الطهارة

---

(١) روى ابن حبان ٢/ ٦٩ والطبراني في الكبير(١١٨٨٠) وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٢٧٦ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحبُّ أن تُؤتى رُخصُه كما يحبُّ أن تُؤتى عزائمُهُ». وإسناده صحيح.

(٢) في (ع): يكونوا دائمًا على طهارة.

في سفرهم. وأصلُهم في ذلك أنّهم لا يدرون متى تأتيهم المنية[١]، لقول الله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٤] يريدون بذلك إن جاءَهم الموتُ بغتةً يخرجوا من الدنيا على الطهارة.

سمعتُ الحُصْري رحمه الله يقول: ربَّما أنتبهُ بالليل، فلا يَحملني النومُ إلاَّ بعدما أقومُ وأجدِّد الوضوء.

قال الشيخ رحمه الله: وذلك أنَّه كان ينامُ على الطهارة، فإذا انتبه وقد نُقضَتْ طهارتُهُ جدَّد، فقد أدَّبَ نفسَه بذلك ألاَّ يحملَه النوم وهو على غير طهارةٍ.

وكان شيخٌ من المشايخ الأجلَّةِ به وسوسةٌ في الوضوء، وكان يُكثِرُ صبَّ الماء، فسمعتُهُ يقول: كنتُ ليلةً من الليالي أُجدِّدُ الوضوءَ لصلاةِ العشاء، وكنتُ أصبُّ الماءَ على نفسي حتى مضى شطرٌ من الليل، فلم يطبْ قلبي، ولم تذهبْ عنّي الوسوسةُ، فبكيتُ، فقلتُ: يا ربُّ، العفوُ. فسمعتُ هاتفاً يقول: يا فلان، العفو في العلم. يعني في استعمال العلم.

وقال أبو نصر: وهذا الشيخُ هو أبو عبد الله الرُّوذباري رحمه الله.

ويُقال: إنَّ الشيطان يجتهدُ في أن يأخذَ نصيبَهُ من جميع أعمال بني آدم، فلا يُبالي أن يأخذَ نصيبه بأن يَزدادوا فيما أُمروا به، أو ينقصوا منه.

وذُكر عن ابن الكُرِيْني[٢]، وكان أستاذَ الجُنيد رحمه الله، أنَّه أصابته الجنابةُ ليلةً من الليالي، وكانت عليه مرقعةٌ ثخينةٌ غليظة كانت فردُ كمِّه وتخاريسه[٣] عند جعفر الخُلدي، وكان فيه أرطالٌ، قال: فجاءَ إلى الشطِّ ليلةً[٤]، وكان بردٌ

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: يأتيهم الموت.
(٢) انظر صفحة (٢٥٤) الحاشية (٤).
(٣) كذا في الأصل. وفي (ن) و(ع): وتخاريزه. وسيذكر الخبر ثانية صفحة (٢٦٤).
(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: إلى شط الدجلة.

شديدٌ، فحرنَتْ نفسُه[١] عن الدخول في الماء لشدَّةِ البرد، قال: فطرحَ نفسَهُ في الماء مع المرقعة[٢]، ولم يزلْ يغوصُ في الماء مع مرقعته، ثم خرجَ من الماء، وقال: اعتقدتُ ألاَّ أنزعَها من بدني حتى تجفَّ عليَّ. قال: فلم تجفَّ عليه شهرًا كاملاً، وأرادَ بذلك تأديبًا لنفسه؛ لأنَّها حرنت[٣] عند الائتمار لما أمرَ اللهُ تعالى به من غُسْلِ الجنابة.

وكان سهل بنُ عبد الله رحمه الله يحثُّ أصحابَهُ على كثرةِ شرب الماء، وقلَّةِ صبِّ الماء على الأرض، وكان يقول: إنَّ الماءَ له حياةٌ، وموته أن تصبَّه على الأرض. وكان يرى أن في كثرة شربِ الماء ضعفَ النفس، وإماتَ الشهوات[٤]، وكسرَ القوة.

وأقام أبو عَمرو الزُّجَاجي رحمه الله بمكَّةَ سنين كثيرة، وهو مجاورٌ بها، وكان إذا أرادَ أن يقضي حاجَتَه يخرجُ من الحرمِ، وهو مقدارُ فرسخٍ، وكان لا يتغوَّطُ في الحرم، كما بلغني، ثلاثين سنة.

وكان إبراهيم الخوَّاص رحمه الله إذا دخلَ البادية لا يحملُ معه إلاَّ ركوةَ من الماء، وربّما كان لا يشربُ منها إلاَّ القليل، وكان يحتفظُ بذلك للوضوء، ويُؤثِرُ وضوءَه بالماء على الشُّربِ عند العطش.

قال الشيخ رحمه الله: ورأيتُ جماعةً يمشون على شطوط الأنهار، ولا يُفارقهم الماء في ركوتهم، أو في كوز، وذلك أنَّه ربَّما كان يستبدُّ[٥] بهم البول[٦]، ولا يُمكنُهم[٧] الجلوس على شطِّ النهر[٨]، وكشف العورة من

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: فجبنت نفسه.
(٢) انظر قول ابن الجوزي في تلبيس إبليس ١٩١ عن مرقعته في لباس الصوفية.
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: لأنها جبنت.
(٤) في (ن) و(ع): وإماتة الشهوات.
(٥) في (ن) و(ع): ربما كان يشتدُّ.
(٦) في هامش الأصل: وفي نسخة: ربما كان يهيج.
(٧) في هامش الأصل: وفي نسخة: ولا يتهيَّأ لهم الجلوس.
(٨) في هامش الأصل: وفي نسخة: على شطوط النهر.

أجل الناس، فإذا كان معهم ركوةٌ أو كوزٌ عدلوا إلى خلوة، فيكون أَصونَ لأنفسهم.

وكانوا يكرهون كثرة الدلك عند البول للاستبراء، لأنّه ربّما تسترخي العروق، فلا تُمسكُ البولَ، ويتولّدُ منه التقطيرُ المُفرطُ، وكذلك تُكره المشدَّة[1] إلاَّ عند عوز الماء والاضطرار، ولبسُ السراويل أحبُّ إليّ من الإزار بعد الطهارة، والإزارُ أخفُّ لنزعه عند التهيّؤ، ويُجتنبُ لبسُ جميع
[٦٧] ما يُخرز بشعر الخنزير/ قلَّ أو كثر، رطبًا كان أو يابسًا، لذلك اختاروا لبسَ النعال.

ويُقال: إنَّ الصوفي إذا رأيتَهُ وليس معه ركوةٌ أو كوز، فاعلمْ أنَّه قد عزمَ على تركِ الصلاة وكشفِ العورة، شاء أو أبى.

ورأيتُ من أقام سنين بين ظهراني جماعةٍ من النُّسّاك، وهم مُجتمعون في دارٍ، فما رآه واحدٌ منهم أنَّه دخلَ الخلاءَ أو خرجَ من الخلاءِ، وذلك[2] أنّه كان قد أدَّبَ نفسه وعوّدها القيامَ إلى الحاجةِ في وقتٍ واحدٍ، إذا خلا الموضعُ حتى لا يراهُ أحدٌ إذا دخل الخلاء أو خرج منه. ورأيتُ أيضًا من كان قد عوّدَ نفسَه وأدّبها حتى كان لا يخرجُ منه ريحٌ إلاَّ في وقت البراز، وهو في البادية، وفي مواضع الخلوة.

وكان إبراهيمُ الخوّاصُ رحمه الله يخرجُ من مكّة وحده، فيجيءُ إلى الكوفة، فلا يحتاجُ أن يتيمّمَ بالتراب، وكان يحفظُ الماء الذي يحملُ لشربه حتى يتوضأ به.

وكان جماعةٌ من الشيوخ يكرهون دخولَ الحمام إلاَّ في أوقاتِ الضرورة، فإذا اضطروا إلى ذلك لم يدخلوا إلاَّ في حمّامٍ خالٍ، فإذا دخلوها لم يحلُّوا

---

(١) في (ن) و(ع): تكره الشدّة.

(٢) قوله: (أنَّه دخلَ الخلاءَ أو خرجَ من الخلاءِ، وذلك) ليس في (ع) وما هو مثبت في متن (ن).

إزارهم إلى أن يخرجوا، فإن كانوا يعرفونهم أصحابُ الحمام، ويُكرمونهم ويُوقِّرونهم[١] لم يتركوا أن يمسَّهم القَوّام ويعطوهم طَمَعَهم من غيرِ أن يدنوا منهم، حتى يُوسعوا عليهم الماء، فإن كانوا جماعةً دلكوا بعضُهم بعضًا، فإذا كان في الحمَّام غيرُهم استقبلوا بوجوههم إلى الحائطِ حتى لا تقع أعينهم على عورات الناس.

وكان جماعةٌ من المتصَوّفة إذا دخلوا الحمام لا يتركون أحدًا يدخلُ معهم إلاّ من يأتزرُ بإزار.

والاستحباب: نتفُ الإبط، وحلقُ العانة، فمن لم يحسن الحلق[٢] فليتنوَّرْ بيده في الخلوة.

وكان أصحابُ سهلِ بنِ عبد الله رحمه الله يحلقون رؤوسَهم بعضُهم لبعض كما بلغني عنهم.

وسمعتُ عيسى القصَّار الدينوري رحمه الله يقول: أوَّلُ من قصّ شاربي بيده الشِّبلي رحمه الله، وكنت شابًا أخدمه.

قال الشيخُ رحمه الله: وفرقُ الرأس اختارَهُ جماعةٌ للسُّنة ويكره ذلك للشبان، ويحسن بالمشايخ إن أرادوا بذلك استعمالَ السنة.

وكان يقول بعضُ المشايخ: هبْ أن الفقرَ من الله تعالى، فما بالُ الوسخ.

وأحبُّ الأشياء إلى المتصوفة النظافةُ، والطهارة، وغسلُ الثوب، والمداومةُ على السواك، والنزولُ عند المياه الجارية، والغضاة الواسعة[٣]، والمساجد التي في الأطراف، والخلوة، والاغتسال في كلِّ يوم جمعةٍ في

(١) قوله: (فإن كانوا . . . ويوقِّرونهم) ليس في (ع) وما هو مثبت في متن (ن).
(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: لم يُحسن استعمال السنة.
(٣) في (ع) والمثبت من (ن): والفضاء الواسعة. والغضاة: جمع غيضة: الأجمة، والموضع يكثر فيه الشجر ويلتف. المعجم الوسيط.

الشتاء والصيف، والرائحة الطيبة، وأطيبُ الطِّيب الماءُ الجاري، والمدوامة على الاغتسال، وتجديد الوضوء، وإسباغ الوضوء.

وليس من الوسوسة ما يستقصي الإنسانُ في طهارته من التباعد وطلبِ الماء الجاري، وتركِ المياه المتغيِّرة، والتفتيش على المواضع الطاهرة، والاستقصاء على ذلكِ الأعضاء الظاهرة، وافتقاد الأعضاء الباطنة، ومواضع التشنيج، والانضمام، وإبلاغ الماء الخياشيم، وإمرار الماء على الأعضاء وإدخال جميع البشر في الغسل والوضوء، والاستظهار بكثرة صبِّ الماء من غير إسرافٍ، وتكلّف حضور النيّة، والمداومة عليها في الغُسل والوضوء وغير ذلك.

وليس التوقّي والتنقّي من الوسواس المنهيّ عنه أيضًا؛ لأنَّ جميعَ ذلك داخلٌ في قوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن: ١٦]. وإنَّما الوسوسةُ المنهيُّ عنها ما يُخرجكَ عن حدِّ العلم: وهو أن تشغلَكَ الفضائلُ عن الفرائض، وأن تخالفَ العلمَ، وتبطلَ صلاةَ من يتوضَّأُ بالمُدِّ، ويَغتسلُ بالصَّاع.

والصواب في ذلك أن يكونَ العبدُ في كلِّ وقتٍ بما هو أولى بالوقت، إذا وجدَ الماءَ فيُسبغ وضوءه على الاحتياط حتَّى يطيبَ قلبُهُ، وإذا لم يجدِ الماءَ الواسع، فيحسنُ أن يجدِّدَ الوضوءَ، أو يتطهَّرَ بقليلٍ من الماء كما رُوي في الخبر أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتوضَّؤون وضوءًا لا يُلَثُّ منه التراب(١).

قال الشيخ رحمه الله: ورأيتُ مَنْ كان على وجهه قرحةٌ لم تندملْ اثنتي عشرة سنة؛ وذلك أنَّ الماء كان يضرُّه، وكان صاحبُها لا يدعُ تجديدَ [٦٨] الوضوء/ عند كلِّ صلاة.

ورأيتُ من نزلَ الماءُ في عينيه، فحملوا إليه المداوي، وبذلوا له دنانيرَ كثيرةً على أن يُداويه، فقال المُداوي: يحتاجُ ألاَّ يمسَّ الماءَ أيامًا، ويكون

---

(١) حديث أخرجه أبوداود (٤٤٥). واللثُّ: البلُّ.

مُستلقيًا على قفاه. فلم يفعلْ ذلك، واختارَ ذهابَ بصره على تركِ الوضوء والطهارة، وكان هذا أبو عبد الله الرازي المقرى.

وحُكيَ عن الشِّبليِّ لمَّا أخذَ في النزعِ، أشار إلى خادمِهِ أن يُجدِّدَ وضوءَه، فنسيَ تخليلَ لحيتِهِ، وكان قد أُمسكَ لسانُ الشِّبلي، فقبضَ على يدِ الخادمِ، وأدخلها في لحيتِهِ(١).

وحكي عن إبراهيم الخوّاص(٢) رحمه الله أنَّه كان به قيامٌ(٣)، فقامَ في ليلةٍ واحدةٍ نيفًا وسبعين مرة، وكلُّ مرة يُجدِّدُ وضوءه ويُصلّي ركعتين.

ومات إبراهيم الخواص رحمه الله في جامع الرَّيِّ في وسط الماء، وذلك أنَّه كان به علَّةُ البطنِ والقيام، فكان إذا قام مجلسًا يدخلُ الماء ويغسل نفسه، فدخل مرَّةً في الماء ليغسل نفسه، فخرجت نفسُهُ وهو في وسط الماء.

فهذا ما حضرني في الوقتِ من آداب أهل الصفوة من الصوفية في الوضوء والطهارة، وبالله التوفيق.

* * *



(١) هذا الخبر ليس في (ن)، ولا في (ع). وقد تقدم صفحة (١٤٨).

(٢) في (ع) والمثبت من (ن): إبراهيم بن أدهم. وانظر تتمة الخبر.

(٣) القيام: علَّةُ الإسهال. انظر الرسالة القشيرية ٤٣٣ (أحوالهم عند خروجهم من الدنيا).

باب في ذكر آدابهم في الصلاة

قال الشيخ رحمه الله: وأمّا آدابُهم في الصلاة، فأوّلُ ذلك: تعلُّمُ علم الصلاة، ومعرفةُ فرائضها وسننها وآدابها وفضائلها ونوافلها، وكثرة مساءلة العلماء، والبحثُ عمَّا يحتاج إليه في ذلك ممّا لا يسعُهُ الجهل به، لأنَّ الصلاةَ عماد الدين، وقرةُ عين العارفين، وزينةُ الصدّيقين، وتاجُ المقرّبين، ومقام الصلاة مقامُ الوصلة والدنو، والهيبة، والخشوع، والخشية، والتعظيم، والوقار، والمشاهدة، والمراقبة، والأسرار، والمناجاة مع الله تعالى، والوقوف بين يدي الله تعالى، والإقبال على الله تعالى، والإعراض عمَّا سوى الله تعالى.

فأمّا العامة فلهم أن يقلّدوا علماءهم، ويسألوا فقهاءهم، ويعتمدوا على أقاويلهم من الرُّخصِ والسّعات والفتوى والتأويلات التي أوسع الله تعالى للخلق.

فأمّا المتصوفة، وأهل الخصوص الذين باينوا الناس، وانحازوا عن جملة الناس بترك المكاسب، وقطع العلائق[1]، وانقطعوا إلى الله عز وجل، وعُرفوا بالله، ونُسبوا إلى الله، فلا يسعهم التخلّفُ عن استعمال الآداب، والاهتمام والتكلّف لأحكام الصلاة، وتجويدها[2]، وإحكام فرائضها وسننها وفضائلها ونوافلها وآدابها وأحكامها، لأنَّهم ليس لهم شغلٌ غيرَ ذلك، ولا ينبغي أن يهمَّهم أمرٌ أكثر من اهتمامهم بأمر الصلاة.

فأوّل أدبهم من ذلك أن يكونَ تأهُّبُهم للصلاة قبل دخول وقت الصلاة، حتى لا يفوتهم الوقتُ الأولُ الذي هو المختار، ولا يمكنهم

---

(١) في الأصل: وترك العلائق.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: وتجديدها.

ذلك[١] إلاَّ بمعرفةِ الوقت الأول لكلِّ صلاةٍ، ولا يُقْدَرُ على ذلك إلاَّ بمعرفةٍ، وعلم، مع الوقوف على علم الزوال، ومقدار ظلِّ الزوال في كلِّ وقتٍ وأوان وناحيةٍ في كلِّ الأقطار، وأن يعلمَ على كم تزولُ الشمس من قدمٍ في كلِّ وقتٍ، وكم يزدادُ وينقص، ويعتبر ذلك بمقدار قامته إذا لم يكن معه مقياسٌ لذلك، ويعلم ذلك في أيِّ موضعٍ كان بظلِّ شخصه، ويعتبره بقدمه، وكذلك يحتاجُ إلى معرفةِ شيءٍ من النجوم، ومنازل القمر وطلوعها وغروبها، ونوبة طلوع كلِّ نجمٍ من منازل القمر، حتى إذا نظرَ بالليل إلى النجوم لا يخفى عليه ما مضى من الليل، وما بقي إلى الصبح، ويحتاج أيضًا إلى معرفةِ القطب والكواكب التي يُستدلُّ بها على القبلة، ولا يصحُّ له ذلك إلاَّ بالاجتهاد، ومعرفة سمت كلِّ بلدةٍ، حتى أين تقع من الكعبة، ولا يقفُ على صحَّة ذلك إلاَّ بعد افتقاده ذلك بمكة، ورجوعه إلى البلدة التي قد عرف أين يقعُ سمتُها من الكعبة، وأين كان ذلك في وقتٍ معلومٍ من محاذاة القطب والجدي والفرقدَيْنِ، وأما النجومُ السيَّارات فينبغي أيضًا أن يعلم ذلك؛ للاستدلال[٢] والاهتداء بالليل، فإنّه ربمَّا يقعُ في المفاوز، ويركب البحور فيحتاج إلى معرفة ذلك.

[٦٩] وكان سهل بنُ عبد الله/ رحمه الله، يقول: علامةُ الصادق أن يكونَ له تابعٌ من الجنِّ إذا دخل وقت الصلاة يحثُّه على ذلك، وإن كان نائمًا ينبِّهُهُ.

ومنهم من يكونُ له أورادٌ بالليل والنهار من العبادة والذكر وتلاوة القرآن على ممرِّ أيامه، ويصيرذلك عادَتَهُ حتَّى لا يغلطَ في ذلك ليله ونهاره حيثما كان.

وأما آداب الدخول في الصلاة، بعدما تأهَّبَ، إذا دخلَ أولُ الوقت، وأراد الدخول في الصلاة: فتحريمُها بالتكبيرةِ المقرونة بتكبيرةِ الإحرام مع

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: ويتهيأ لهم ذلك.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: للاستهلال.

النية من حيث لا تسبق النيّةُ التكبيرة ولا التكبيرةُ النية ويكونان معًا.

وقد حُكيَ عن الجُنيد رحمه الله أنَّه قال: لكلِّ شيءٍ صفوةٌ، وصفوةُ الصلاة التكبيرةُ الأولى. والمعنى في ذلك أنَّ التكبيرة الأولى هي مقرونةٌ بالنية التي لا تجوز الصلاة إلاَّ بها، وهو عقدُكَ بأنَّ صلاتك لله عز وجل، فإذا صحَّ العقدُ فما دخلَ بعد ذلك في صلاتك من الآفات الباطنة لم يفسد الصلاة، بل ينقصُ من فضلها، ويبقى للمصلّي عقدُها ونيّتُها.

سمعتُ ابنَ سالم رحمه الله يقول: النيّةُ بالله، ولله، ومن الله. والآفات التي تدخلُ في صلاة العبد بعد النيّةِ من العدو، وهو نصيبُ العدو، وإنَّ نصيبَ العدوِّ، وإن كثر، لا يوازن بالنية التي هي بالله، ولله ومن الله، وإن قلّ.

وسُئل أبو سعيد الخراز رحمه الله: كيف الدُّخولُ في الصلاة؟ فقال: هو أن تُقبلَ على الله تعالى كإقبالِكَ عليه يوم القيامة، ووقوفك بين يدي الله تعالى، ليس بينك وبينه ترجمان، وهو مقبلٌ عليك، وأنت تُناجيه، وتعلم بين يدي مَنْ أنت واقف؛ فإنَّه الملك العظيم!.

وقيل لبعض العارفين: كيف تُكبِّرُ التكبيرةَ الأولى؟ فقال: ينبغي لك إذا قلتَ: الله أكبر، أن يكون مصحوبُ قولك: (الله) التعظيمَ مع الألف، والهيبة مع اللام، والمراقبة والقرب مع الهاء.

وقال آخر: إذا كبَّرتَ التكبيرةَ الأولى فاعلم أنَّه ناظرٌ إلى شخصك، وعالمٌ بما في ضميرك، ومثّلْ في صلاتك الجنَّةَ عن يمينك، والنَّارَ عن شمالك.

ومن آداب الصلاة: أنَّ العبدَ إذا دخل في الصلاة فلا يكونُ في قلبه شيءٌ غيرَ الله الذي هو بين يديه، حتى يعرفَ كلامه، ويأخذَ من كلِّ آيةٍ ذوقها وفهمها، لأنَّه ليس له من صلاته إلاَّ ما عقل.

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله، في كتابٍ له يصفُ أدب الصلاة، فقال: إذا رفعتَ يديك في التكبير فلا يكنْ في قلبك إلاَّ الكبرياء، ولا يكنْ

عندك في وقتِ التكبير شيءٌ أكبرَ من الله تعالى حتى تنسى الدنيا والآخرة في كبريائه.

قال الشيخ رحمه الله: والمعنى في ما قال أبو سعيد الخراز رحمه الله أنَّ العبدَ إذا قال (الله أكبر)، ويكون في قلبه شيءٌ غيرَ الله، فلا يكون صادقًا في قوله (الله أكبر)، ثم إنّه إذا أخذَ في التلاوة، فالأدب في ذلك أن يشاهدَ بسمع قلبه كأنَّه يسمعُ من الله تعالى، أو كأنّه يقرأُ على الله تعالى.

قال أبو سعيد الخراز رحمه الله: وفيه العلم الجليلُ لأهل الفهم، وإذا ركعَ فالأدبُ في ركوعه أن ينصبَ ويدنو ويتدلّى[1] حتى لا يبقى فيه مفصلٌ إلاَّ وهو مُنتصبٌ نحو العرش، ثم يعظِّمُ الله تعالى حتى لا يكونَ في قلبه شيءٌ أعظمَ من الله عز وجل، ويُصغِّرُ نفسَه حتى يكونَ أقلَّ من الهباء، فإذا رفعَ رأسَه وحمدَ الله يعلمُ أنَّه هو ذا يسمعُ ذلك، وإذا سجدَ فالأدبُ في سجودِهِ ألاَّ يكون في قلبه عند السجود شيءٌ أقربَ إليه من الله تعالى، لأنَّ أقربَ ما يكون العبدُ من ربِّه عند السجود، فيجبُ أن ينزِّهَهُ عن الأضداد بلسانه، ولا يكون في قلبه أَجلُّ منه، ولا أعزّ منه، ويتمُّ صلاته على هذا، ويكونُ معه من الخشية والهيبة ما يكادُ أن يذوب، ولا يكون له في صلاته شغلٌ أكثر من شغله بصلاته حتى لا يشتغلَ سرُّهُ بشيءٍ غير الذي هو واقف بين يديه في صلاته/ وكذلك إذا تشهَّدَ ودعا وسلّم، كلُّ ذلك يعقلُ ما يقول، [٧٠]
وما يُخاطب[2]، ولمن يُخاطب، حتى يخرجَ من الصلاة بالعقد الذي قد دخلَ في الصلاة.

فهذا ما وجدتُ في كتابِ أبي سعيد الخراز رحمه الله.

ورأيتُ جماعةً كانوا يكرهون تطويلَ الصلاة، ويحبُّون التخفيف لمبادرة الوسواس حتّى يخرجَ من صلاته على النيّة والعقدِ الذي دخل به فيها.

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: ويدنو ويتذلَّل.
(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: ومع من هو ذا يخاطب.

فصل آخر في آداب الصلاة

قال الشيخ رحمه الله: وذلك أن العبدَ إذا كان متأدّبًا بأدب الصلاة، قبل دخول وقت الصلاة، فكأنَّه في الصلاة، ويكون قيامُهُ إلى الصلاة من حالٍ لا يستغني عنه في الصلاة، وذلك أنَّ مِنْ آدابهم قبل الصلاة المراقبةَ ومراعاةَ القلب من الخواطرِ والعوارض، وذكر كلِّ شيءٍ غير ذكر الله تعالى، فإذا قاموا إلى الصلاةِ بحضورِ القلب فكأنَّهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة، فيبقون مع النيّة والعَقد الذي دخلوا به في الصلاة، وإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضورِ القلب، والمراعاة، والمراقبةِ، فكأنَّهم في الصلاة، وإن كانوا خارجين من الصلاة، فهذا هو أدب الصلاة.

وقد رُويَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «العبدُ في الصلاة ما دام ينتظرُ الصلاة»[1] فهذا هو الأدب الذي يحتاج إليه المُصلّي في صلاته، وفي انتظار الصلاة قبل الصلاة، كما وصفت لك إن فهمت ذلك إن شاء الله تعالى.

وقد رأيتُ من إذا قام إلى الصلاةِ كان يَحمرُّ ويَصفرُّ وجهُهُ عند التكبيرة الأولى من هيبة الله تعالى.

ورأيتُ من كان لا يتهيّأ له أن يحفظَ العددَ، فكان يُجلسُ واحدًا من أصحابه، ويعدُّ عليه كم ركعةٍ صلّى؛ لأنه كان يُراعي قلبه على إثبات العَقْدِ[2] الذي دخلَ به في الصلاة، فكان يخافُ الغلطَ على نفسه؛ لأنه كان لا يدري كم ركعة صلاَّها، فلذلك كان يستعين بمن يعدُّ عليه حتى يتيقَّنَ كم ركعة صلاَّها.

وذُكر عن سهل بن عبد الله أنَّه كان يضعُفُ حتى لا يكادُ يقومُ من موضعه، حتى إذا دخل وقتُ الصلاة تُردُّ إليه قُوّتُهُ، فيقوم في المحرابِ مثل

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٦) ومسلم (٦٤٩).

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: ثبات العقد.

الوتدِ، فإذا فرغَ من صلاته يرجعُ إلى حالةِ ضعفِهِ، ولا يقدرُ أن يقومَ من موضعه.

ورأيتُ من كان يُسافرُ في البادية على الوحدة، ولا يتركُ وردَهَ من التطوّع وصلاةِ الليل والفضائل والسُّنن والآداب التي كان يَستعملُ في الحضر، فكان يقول: أحوالُ هذه الطائفة يَنبغي أن تكونَ في السفرِ والحضر واحدةً.

وكان أخٌ من إخواني يصطحبُ في مكانٍ واحد، فكانتْ عادته أنَّه إذا أكلَ شيئًا يقومُ ويُصلّي ركعتين، وإذا شرب الماء يقومُ ويُصلّي ركعتين، وإذا لبس ثوبًا يقومُ ويُصلّي ركعتين، وإذا دخل المسجد يقومُ ويُصلّي ركعتين، وإذا أراد الخروج من المسجد يصلي ركعتين، وكذلك إذا فرحَ أو اغتمَّ[١]، أو غضبَ يقومُ ويُصلّي ركعتين.

وكان جماعةٌ من أصحابنا يُسافرون مع أبي عبد الله بن جابان رحمه الله، فحدّثوني عنه أنَّه كان إذا بلغَ إلى المِيلِ[٢] في البادية، وأرادَ التعقب[٣] لا يجلسُ حتَّى يُصلّي ركعتين.

ومن آدابهم أيضًا أنَّهم يكرهون الإمامةَ، والصلاةَ في الصفِّ الأول بمكة وغيرها، ويكرهون التطويل من الصلاة.

أمَّا الإمامة، فلو أنَّ أحدَهم يحفظُ القرآن، فإنَّهم يَختارون الصلاةَ خلفَ مَنْ يُحسن أن يقرأ ﴿الحمد﴾ وسورةَ أخرى؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «الإمام ضامن»[٤].

وأمَّا تركُ الصلاة في الصف الأول، فإنَّهم يُريدون بذلك ألاَّ يُزاحموا الناس، ويضيّقوا عليهم؛ لأنَّ الناسَ يزدحمون، ويطلبون الصفَّ الأول لما

---

(١) قوله: (أو اغتمَّ) ليس في (ع).
(٢) المِيْل: منار يُبنى للمسافر في الطريق يُهتدى به، ويدلُّ على المسافة.
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: وأراد أن يعقب بأصحابه.
(٤) أخرجه أبوداود (٥١٧) والترمذي (٢٠٧).

جاءَ في الخبرِ من الفضيلةِ فيه[١]، يريدون بذلك إيثارهم، وإذا كان الموضعُ خاليًا يغتنمونَ ذلك الفضل الذي جاء في الصف الأول.

وأمَّا التطويلُ في الصلاة، فكلَّما طالتِ الصلاةُ كثرتِ الهفواتُ[٢]
[٧١] والوسواس، والاشتغال بتصحيح/ الأعمال أولى من الاشتغال بكثرتها وتطويلها، ورُوي عن رسولِ الله ﷺ أنَّه كان أخفَّ الناسِ صلاةً في تمام[٣].

سمعت ابنَ علوان رحمه الله يقول: كان الجُنيد رحمه الله لا يتركُ أورادَهُ من الصلاة على كبر سنِّه وضعفه، فقيل له في ذلك، فقال: حالٌ وصلتُ به إلى الله تعالى في بدايتي، كيف يتهيَّأُ لي أن أتركَهُ في نهايتي!

ومن آدابهم في الصلاة أيضًا: أنَّ للصلاة أربعُ شُعبٍ، حضورُ القلب في المحراب، وشهودُ العقلِ عند الوهاب[٤]، وخشوع القلب بلا ارتياب، وخضوع الأركان بلا ارتقاب؛ لأنَّ عند حضور القلب رفعَ الحجاب، وعند شهودِ العقل رفعَ العتاب، وعند خشوعِ القلب فتحَ الأبواب، وعند خضوع الأركان وجودَ الثواب، فمن أتى بالصَّلاة بِلا حضور القلب فهو مصلٍّ لاهٍ، ومن أتاها بلا شهودِ العقل فهو مصلٍّ ساهٍ، ومن أتاها بلا خشوعِ القلب فهو مصلٍّ خاطىء، ومن أتاها بلا خضوع الأركان فهو مصلٍّ جافٍ، ومن أتمَّها فهو مصلٍّ وافٍ.

فهذا ما حضرني في الوقت من آدابهم في الصلاة، وبالله التوفيق. وهذا أفضلُ من كلامِ بعض المتقدّمين.

* * *

(١) روى مسلم في صحيحه (٤٣٦٩) أن رسول الله ﷺ قال: «لويعلمون أوتعلمون مافي الصف الأول لكانت قرعة».
(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: كثرت اللحظات.
(٣) أخرجه مسلم (٤٦٩)، والترمذي (٢٣٧).
(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: عند الذهاب.

باب ذكر آدابهم في الزكوات والصدقات

قال الشيخُ رحمه الله: أمَّا آدابُهم في الزكاة، فإنَّ الله تعالى جدُّهُ لم يفرضْ عليهم الزكاة، لأنه سبحانه قد زوى عنهم من أموال الدنيا ما يجبُ عليهم فيه الزكاة والصدقة.

وقد حُكي عن مُطرِّف بن عبد الله بن الشخِّير رحمه الله أنَّه قال: نعمةُ الله تعالى عليَّ فيما زَوى عنِّي من الدنيا أعظمُ من نعمة الله تعالى عليَّ فيما أَعطاني.

وكذلك أهلُ التَّصوف نعمةُ الله تعالى عليهم فيما زَوى عنهم من الدنيا أعظمُ من نعمتِهِ عليهم فيما أَعطاهم، إن لو أعطاهم من الدنيا شيئًا كثيرًا، وقد قال في ذلك بعضُهم وهو من أهلِ الدنيا:

وما وَجَبَتْ عليَّ زكاةُ مالٍ وهل تجبُ الزَّكاةُ على كريمِ

يفتخرُ بذلك ويقول: لم تجبْ عليَّ زكاةٌ قطُّ، يُريدُ أنّه لم يتركْ حتى يجتمعَ عنده مالٌ يجبُ عليه فيه الزكاة.

وبلغني عن إبراهيمَ بنِ شيبان رحمه الله أنَّه لقي الشِّبلي رحمه الله، وكان إبراهيمُ ينهى عن الذهاب إليه، والوقوفِ عليه، واستماع كلامه، فقال للشِّبليِّ رحمه الله، وأراد بذلك أن يمتحنَهُ: كم في خمسٍ من الإبل؟ قال: شاةٌ في واجب الأمر، وفيما يلزمُنا نحن كلُّها. يعني فيما ندَّعيه من مذهبنا، فقال له إبراهيم: أَلكَ في هذا إمام؟ قال: نعم، أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث خرجَ من مالِهِ كلِّه. فقال له النبيُّ ﷺ: «ما خلَّفْتَ لعيالك؟». فقال: اللهَ ورسولَهُ[1]. فقام، ولم ينه الناس بعد ذلك عنه.

---

(١) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (١٧٥).

فأما آدابُ جماعةٍ من المتصوفة في الزَّكاة: أنَّهم لا يأكلون منها، ولا يطلبونها، ولا يأخذونها، وقد أباحَ اللهُ تعالى لهم أخذها، وإن أكلوا منها أَكلوا حلالاً طيِّبًا، إلاَّ أنهم يُريدون بترك ذلك إيثارَ الفقراء، وتركَ المُزاحمة للضعفاء وأهل الحاجات.

ويقال: إنَّ محمدَ بن منصور صاحبَ أبي يعقوب السُّوسي رحمةُ الله عليهما، كان إذا أعطوه شيئًا، أو حُمل إليه شيءٌ من الزكاة والصدقة وكفَّارة اليمين، وعلمَ أنَّها من هذه الجهات، لم يأخذها، ولم يفرِّقْها على أصحابه من الفقراء، ويقول: شيءٌ لا أَرضاه لنفسي، لا أرضاه لأَصحابي. وإذا حُمل إليه ولم يعلمْ أنَّه من الزكاة والصدقة أَخذَها، وأكلَ منها.

وأمَّا الباقون فكانوا لا يَرون الانبساطَ في مثل ذلك، ولا يمدُّون أيديهم إلى الطَّمعِ وإلى السؤال، وإلى ما يَرون فيه المنَّةَ، وإن جاءهم من غيرِ مسألةٍ، فكانوا يتعفَّفونَ عن ذلك.

ولقد بلغني عن بعضِ إخواننا من الصُّوفية أنَّه كان يُنفق على إخوانه من الفقراءِ، فقراءِ الصوفية، في كلِّ سنةٍ كما زعموا، ألفَ دينار، وكان يحلفُ أنَّه ما أنفقَ عليهم ولا دفعَ إليهم دِرهمًا قطُّ من زكاته، وقد رأيته.

وحُكي عن أبي علي المشتولي أنه كان يُنفقُ على الصوفية ما يتعجَّبون
[٧٢] منه/ تجار مصر، ويقولون: ما لُنَا[1] لا يَفي بنفقته، ويقال: إنّه لم تجبْ عليه زكاةٌ قطُّ.

وسمعت بعضَ الأجلَّة من المشايخ الصوفية وهو يقول: كان يكونُ بيني وبين رجلٍ من الأغنياء مودَّةٌ مؤكَّدة، ويكون له في قلبي محبَّةٌ وحرمة، فيذكُرُني عند إخراجِ زكاته، وتفرقةِ صدقته، فيُذْهِبُ ذلك جميعَ ما يكون له في قلبي من المودَّة.

ورأيتُ في رقعةِ إمامٍ من الأئمة من المعروفين، كتبها إلى رجلٍ فقيرٍ من

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: ويقولون أموالُنا.

الصوفية، وكان فيها: يا أخي، قد أنفذتُ إليك شيئًا ليس من الزكاة، ولا من الصدقة، ولا لأحدٍ غير الله تعالى عليك فيه منّةٌ، فأسألُكَ أن تُدخلَ عليَّ السرور بقبوله.

فأمّا ما جاءهم من غيرِ مسألةٍ ولا طمعٍ، ولا استشرافِ نفسٍ، من أقوامٍ لا يعرفون الصوفية[١]، ولا يدّعون أحوالَهم، ولا يُداخلونهم بالمجانسة، ولا يعرفون أصولهم، فلا ينبغي أن يردَّ للخبر الذي قال النبيُّ ﷺ لعمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه: «ما آتاكَ اللهُ من هذا المالِ من غير مسألةٍ، ولا استشرافِ نفسٍ فخذْهُ ولا تردَّه، فإنَّك هو ذا تردُّه على الله عز وجل»[٢] فإذا لم يردَّهُ وأخذه فهو بالخيار، إنْ أكلَ منه أكلَ حلالاً طيبًا، وإن دفعَهُ إلى من يعلمُ أنَّه أحقُّ بذلك، منه فهو جميل.

سمعتُ أبا بكر محمد بنَ داود الدينوري الدّقيّ رحمه الله يقول: كان أبو بكر الفَرْغاني يكتبُ اسمَه في جملة من يأخذ الجرايةَ في شهرِ رمضان من المساكين، وكان يأخذُ كلَّ ليلةٍ الوظيفةَ، ويحملُها إلى امرأةٍ عجوز في جواره، لم يكتبوا اسمَها في جملةِ من كان يأخذُ الوظيفة من الجراية التي كانت تُفرّقُ في رمضان.

وقال بعضُهم: من أخذَ من الله تعالى أخذ بعزٍّ، ومن أخذَ لغيرِ الله تعالى أخذ بذلٍّ، ومن تركَ لله عز وجل تركَ بعزٍّ، ومن تركَ لغير الله تعالى ترك بذلٍّ، فمن بنى أمره[٣] على غير هذا في الأخذ والإعطاء فهو على خطرٍ عظيم، واللهُ تعالى يعلمُ المُخطىء من المُصيب، ولا يخفى على الله شيءٌ.

وتصديقُ من يأخذُ لله، ويُعطي لله، ويتركُ لله، هو أن يستوي عنده المنعُ والعطاء، والشدَّةُ والنعماء[٤].

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: لا يعرفون التصوف.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٣)، ومسلم (١٤٠٥).

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: بنى أصله.

(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: والشدة والرخاء.

وطبقة أخرى اختاروا الزكوات[١] والصدقات على الهدايا والهبات، والإيثار والمواساة، فقالوا: قد جعل اللهُ تعالى للفقراء حقًّا في أموالِ الأغنياء، فإذا أخذنا أخذنا حقوقَنا التي جعل الله تعالى لنا، فلا معنًى لتركه. وقالوا: لا نختارُ على ما اختار الله تعالى لنا ورسوله.

وقالوا: الامتناع من أخذِ الزكاة والصدقة ضربٌ من تعزُّز النفوس وكراهية الفقر.

وقد حُكي في معنى ذلك عن أبي محمد المُرتعش أنَّه كان في مَحفلٍ من أصحابه من الأغنياء والتجار، فنظرَ إلى رجلٍ ومعه خبزٌ يتصدَّقُ به على المساكين والسّؤّال، وقد ازدحموا عليه، قال: فقامَ المُرتعشُ من بين أصحابه، وقصدَ هناك، وأخذَ من ذلك الخبز رغيفًا، وجاء، وجلس، فسُئلَ عن فعله ذلك، فقال: خشيتُ إن لم أقم، وآخذ معهم من ذلك الخبز، أن يُمحى اسمي من ديوان الفقراء.

وقد رُويَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا تحلُّ الصدقةُ لغنيٍّ، ولا لذي مرّةٍ سوي»[٢].

فالذي كَره للمتصوفة أخذَ الزكاة والصدقة كرهَ لذلك، لأن النبيَّ ﷺ قال: «ليس الغِنى عن كثرةِ العرض، إنَّما الغِنى غنى النفسِ أو القلبِ»[٣].

فهؤلاء وإن كانوا فقراءَ من أعراض الدنيا، فإنَّهم أَغنى من الأغنياء؛ لأن غناهم بالله عز وجل.

وقد حُكي في معنى ما قلنا أنَّ عليّ بنَ سهلٍ الأصبهاني قال: حرامٌ على من يدفعُ إلى أصحابنا شيئًا من أجل أنَّهم فقراء، لأنَّهم أغنى خلقِ الله تعالى. يعني أنَّ غِناهم بالله عز وجل[٤].

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: أخرى أخذوا الزكوات.
(٢) أخرجه أبوداود (١٦٣٤)، والترمذي (٦٥٢).
(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).
(٤) تقدم الخبر صفحة (٧١).

وقالوا: يحتمل أيضًا أن معنى قول النبيِّ ﷺ: «لا تحلُّ الصدقة لغني ولا لذي مِرَّةٍ سوي» أنَّها كانت صدقةً بعينها مجعولةً[1] للزَّمْنَى والمرضى، ومن به عاهةٌ، لأنَّ قولَ الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، لم يعلّق عليها شرط غير الفقير، والفقيرُ هو المُعدمُ في الأصل به، ثم بعد ذلك له أخلاقٌ وأحوال وتفاضل وأسرار.

ويقال: إنَّ/ اشتقاق الفقر مأخوذٌ[2]، من فقار الظهر، والفِقار: هو العظم الذي به قوام الظهر، فإذا انكسر وضعف واحتاجَ إلى غيرِهِ ممّا يُقيمه، سمّي فقيرًا للضعف والحاجةِ إلى ما يقيمه، والله أعلم. [٧٣]

ومن كره الصدقةَ من جهة ما قيل: إنَّها من أوساخ الناس، فإنما قيل ذلك على معنى أنَّ الصدقةَ تحطُّ من أوزار الناس وخطاياهم للذين يتصدَّقون بها؛ ولو كان نقصًا للفقراء أخذهم الصدقات والزكوات، أو وضعًا منهم من جهة أنَّها أوساخُ الناس للزم ذلك أيضًا للعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل، ومن ليس له شيءٌ في الدنيا.

وقد فاته فضلُ الصدقات التي يتصدق بها من الأموال. فقد جعل الله له صدقاتٍ من الأقوال والأفعال، ممّا ليس فضلُها بأقلَّ من ذلك، وهو ما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مُداراةُ الناس صدقةٌ، ومعاونُتكَ لأخيك صدقةٌ، ومن الصدقةِ أن تلقى أخاك بوجهِ طلق، وأن تُفرغَ من إنائك في إناء أخيك[3] صدقةٌ»[4].

وقد حُكي عن بشر بن الحارث أنّه كان يقول: يا أصحابَ الحديث، أدّوا زكاةَ الحديث. قيل: وما زكاة الحديث؟ قال: اعملوا من كلِّ مئتي حديثٍ بخمسة أحاديث. يعني من كلِّ مئتي حديث تكتبونها وتحفظونها.

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: صدقة معنية.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: الفقر مكرر من فقار.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: في دلو أخيك.

(٤) أخرجه الترمذي (١٩٧٠)، وقال: حديث حسن صحيح.

ومن وجب عليه الزكاة يحتاجُ إلى أربعةِ أشياء، حتى يكون مؤدّيًا للزكاة:

أوله: أن يكون أخذُ المال من حلال.

والثاني: لا يكونُ جمعُه للافتخار والتكثّر والترفّع على مَنْ يكون دونه في المال.

والثالث: أن يبدأ بحُسنِ الخلق والسخاوة مع الأهل والعيال.

والرابع: مُجانبةُ المنّ والأذى إلى من يدفع إليه الزكاة.

والزكاة حقٌّ الفقراء، قد جعله اللهُ عز وجل في مال الأغنياء، فمن دفعَها إليهم فكأنَّه قد ردَّ إليهم مالَهم، وقد جمعَ بذلك رضا الله عز وجل، والخلاصَ من مُناقشة الحساب، والنجاة من أليم العذاب[١].

* * *



(١) في هامش الأصل: بلغ مقابلة مع الشيخ.

باب في ذكر الصوم وآدابهم فيه

قال الشيخ رحمه الله: رُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يقولُ الله تبارك وتعالى: الصومُ لي وأنا أجزي به»(١).

فإن قال قائلٌ: ما معنى تخصيص الصَّوم مِن بين سائر العبادات، وقد علمنا أنَّ جميع الأعمال له، وهو يجزي بها، فما معنى قوله: «الصَّوم لي وأنا أجزي به»؟.

فيقال: له معنيان: أحدهما: أنّ للصوم تخصيصًا من بين سائر العبادات المُفترضات، لأنَّ جميع المفترضات حركاتُ جوارحٍ، يتهيَّأُ للخلق أن ينظروا إليه إلاَّ الصوم، فإنَّه عبادةٌ بغيرِ حركة الجوارح. فمن أجل ذلك قال تعالى: «الصوم لي».

والمعنى الآخر في قوله: «لي» بمعنى أنَّ الصمدية لي؛ لأنَّ (الصمد) هو الذي لا جوفَ له، ولا يحتاج إلى الطعام والشراب، فمن تخلّقَ بأخلاقي أجزيه ما لا يخطرُ على قلب بشر.

وأما معنى قوله: «وأنا أجزي به»: فإن الله تعالى وعدَ على جميعِ فعلِ الحسنات الثوابَ المعدود من الواحدة إلى عشر أمثالها، من العشرة إلى السبعمئة إلاَّ الصائمين، والصائمون هم الصابرون. وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

فخرج الصوم(٢) من الحسنات المعدودة وثوابها؛ لأنَّ الصوم هو صبرُ النفس عن مألوفاتها، وإمساك الجوارح عن جميع شهواتها، والصائمون هم الصابرون.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٢٧)، ومسلم (١١٥١).

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: وليس الصوم.

وقد رُوي في معنى ذلك عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إذا صمتَ فليصمْ سمعُكَ وبصرُكَ ولسانك ويدك»(١).

وقد روي عنه ﷺ: «إذا صامَ أحدُكم فلا يرفثْ ولا يفسق، فإن شتمه إنسانٌ فليقل: إنّي صائم»(٢).

وصحّةُ الصوم، وحسنُ أدب الصائم في صومه، صحةُ مقاصدِه، ومباينةُ شهواته، وحفظُ جوارحه، وصفاءُ مطعمه، ورعاية قلبه، ودوام ذكره، وقلّةُ اهتمامه بالمضمون من رزقه، وقلّةُ ملاحظته لصومه، ووجله من تقصيره، والاستعانةُ بالله تعالى على تأديته، فذلك أدبُ الصائم في صومه.

وحُكي عن سهل بن عبد الله التُّستري رحمه الله: أنَّه كان يأكلُ في كلِّ خمسة عشر يومًا مرَّةً، فإذا دخلَ رمضان لم يأكلْ فيها إلاَّ أكلةً واحدةً، فسألتُ بعضَ المشايخ عن ذلك، فقال: كان يُفطرُ على الماءِ القراحِ وحده كلَّ ليلةٍ.

[٧٤] وحكي عن أبي عُبيد/ البُسري رحمه الله: أنَّه كان إذا دخلَ رمضانُ دخلَ البيتَ، وسدَّ عليه الباب، ويقول لامرأتِهِ: اطرحي كلَّ ليلةٍ رغيفًا من كوَّةٍ في البيت. ولا يخرجَ منه حتّى يخرجَ رمضان، فتدخلُ امرأتُهُ البيتَ، فإذا الثلاثون رغيفًا موضوعةٌ في ناحية البيت.

وأما صوم التطوع، فإنَّ جماعةً من المشايخ كانوا يصومون في السفر والحضر على الدوام إلى أن لحقوا بالله عز وجل.

وكان أدبهم في صومهم ما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الصومُ جُنَّةٌ»(٣) ولم يقل جُنَّةٌ من أيِّ شيءٍ، فقالوا: معناه أن الصومَ جُنَّةٌ في الآخرة من النار،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٢٧٢(٨٨٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٣١٧.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

(٣) هو طرف من الحديث السابق.

لأن الصوم للصائم في الدنيا جُنَّةٌ من سهام الأعداء الذين يدعونهم إلى النار، وهو الشيطان، والنفس، والهوى، والدنيا، والشهوات. ومَنِ اختارَ المداومةَ على الصيام اختارَ ذلك للاحتراز بالجُنَّةِ من مكائد الأعداء لكيلا يجدوا فرصةً فيظفروا به ويطرحونه في النار.

سمعت أحمدَ بنَ محمد بن شَنْبَذ[1] قاضي الدّينور يقول: سمعتُ رويمًا يقول: اجتزتُ في الهاجرة ببعض سككِ بغداد، فعطشتُ، فتقدَّمتُ إلى باب دارٍ، فاستسقيتُ، فإذا بجاريةٍ وقد فتحتْ بابَ الدار، وخرجت ومعها كوزٌ جديدٌ ملآنُ من الماء المبرّد، فلمّا أردتُ أن أتناولَ من يدها، قالت لي: ويحك! صوفيٌّ يشرب بالنهار! وضربتْ بالكوزِ على الأرض، وانصرفت، قال رُويم: فلقد استحييتُ منها، ونذرتُ ألاَّ أفطرَ أبدًا.

قال صاحبُ الكتاب: وجماعةٌ أخرى كانوا يختارون صومَ داود عليه السلامِ لِمَا رُوي في ذلك عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أفضلُ الصيام صيامُ أخي داود عليه السلام، كان يصومُ يومًا ويُفطر يومًا»[2].

وقد قالوا في معنى قوله «أفضلُ الصيام»: لأنَّه أشدُّ الصيام، وزعموا أنَّ هذا الصوم أشدُّ على النفس من صوم الدهر؛ لأنَّ النفسَ إذا ألفتِ الصومَ مع الدوام، وتعوَّدت، اشتدَّ عليها الإفطار، وإذا ألفتِ الإفطارَ وتعوَّدت اشتدَّ عليها الصوم، وهذا الصومُ، صومُ يومٍ وإفطارُ يومٍ لا تتعوَّدُ فيه النفسُ الإفطارَ ولا الصوم، فلذلك قال من قال: إنَّه أشدُّ الصيام.

وقد حُكي في معنى ذلك عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه كان يقول: إذا شبعتم فاطلبوا الجوعَ ممّن أبلاكم بالشبع، وإذا جعتم فاطلبوا الشِّبعَ ممّن أبلاكم بالجوع، وإلاَّ تماديتم وطغيتم.

---

(١) في الأصل، والمطبوعين: سُنيد. والمثبت من الإكمال لابن ماكولا ٥/ ٨٤، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين ٥/ ١٩٣.

(٢) أخرجه البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

وكان أبو عبد الله أحمد بن جابان رحمه الله قد صامَ نيِّفًا وخمسين سنة لا يُفطرُ في السفر ولا في الحضر، وجهدَ به أصحابُهُ يومًا من الأيام أن يُفطرَ، فأفطرَ، فاعتلَّ من ذلك أيامًا حتى كادَ أن يفوتَهُ الفرض.

ومَنْ كره المداومةَ على الصيام كرهَ ذلك؛ لأنَّ النفسَ معتادة، فإذا ألفتْ شيئًا واعتادته يكونُ قيامها فيه بحظوظها لا بحقوقها، فالأدبُ في ذلك ألاَّ يجمعَ بينها وبين مألوفاتها، وإن كانتْ عبادةً أو طاعةً؛ لأنَّ النفسَ مائلةٌ إلى الحظوظ، عاجزةٌ عن الحقوق، مجبولةٌ على المنافرة من الطاعات، فإذا ألفتْ بابًا من أبواب العبادات اتَّهمها أهلُ المعرفة بها، وأهل الخبرة والبصيرة بها وبمكائدها وخدعها.

وحُكي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنَّه قال: كان بصحبتي رجلٌ كثيرُ الصوم والصلاة، فعجبتُ من ذلك، ثم نظرتُ في مأكوله، فكان من موضع غيرِ طيِّبٍ، قال: فأمرتُهُ بالخروج من ملكه، وأخرجتُهُ معي في سفرٍ، فكنتُ أُطعمُهُ الحلالَ من موضعٍ أعرفُهُ وأرضاه، قال: فلمَّا صحبني مدَّةً كنتُ أحتاجُ أن أضربَهُ بالدِّرّة حتى يقوم فيؤدّيَ الفرضَ.

فأما الصوفيةُ والفقراء المجرَّدون الذين قطعوا العلائق، وتركوا المعلومات، وقنعوا بما قسم الله تعالى لهم من الأرزاق، ولا يدرون أيَّ وقتٍ يسوقُ الله تعالى إليهم أرزاقهم من الغيب، وعلى يد من يبعثُ الله تعالى لهم ذلك، فأوقاتُ هؤلاء أتمُّ من أوقاتِ الصائم الذي يرجعُ إلى معلومٍ ومعهودٍ من الطعام المستعدّ لإفطاره؛ فإن صاموا فلا يلحقُهم أحدٌ من الصائمين في الفضل.

ولهؤلاء الفقراء[1] الذين قد ذكرتُهم أيضًا آدابٌ في صومهم إن صاموا، فمن آدابهم ألاَّ يصوم واحدٌ من بين الجماعة إلاَّ بإذن أصحابه/ لأنَّه إذا صامَ شغلَ قلوبَ أصحابه بإفطاره، وهم على غير معلومٍ، وإن صامَ واحدٌ من دون

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: ولهؤلاء القوم.

الجماعة برضا أصحابه، وحَضَرَ المفطرين شيءٌ من الطعام، فليس يلزمُهم أن ينتظروا وقتَ إفطار الصائم، لأنَّه ربَّما يكون في الجماعة من يكون به حاجةٌ إلى الطعام، وربَّما يفتحُ به في وقت إفطار الصائم منهم شيءٌ آخرُ بتركه صومه، إلاَّ أن يكون ضعيفًا، فينتظرون وقتَ إفطاره لضعفه، أو يكون شيخًا فلحرمته، وليس للصائم أيضًا أن يأخذَ نصيبًا لنفسه، ويدَّخرَها لوقتِ إفطاره؛ لأن ذلك ضعفٌ في حاله، إلاَّ أن يكون ضعيفًا، فيفعل ذلك لضعفه.

وإذا كانوا جماعةً عادتهم الصومُ، وفيهم جماعةٌ عادتهم الإفطار، فليس للصوّام أن يدعوا هؤلاء المفطرين إلى أحوالهم إلاَّ إن أحبُّوا هؤلاء مساعدتهم على الصوم، ومساعدةُ الصائم للمُفطر على الإفطار أحسنُ من مُساعدة المُفطرِ للصائم بالصوم إلى أن تقعَ الصحبة، فإذا وقعتِ الصُّحبة فمُساعدة المفطر للصائم بالصيام معهم أحسن.

حُكي عن الجُنيد رحمه الله أنَّه كان يصومُ على الدوام، فإذا دخلَ عليه إخوانُهُ أفطرَ معهم، ويقول: ليس فضلُ المساعدة مع الإخوان بأقلَّ من فضل الصوم للصائم إذا كان متطوّعًا، أو كلامًا نحو هذا.

ويقال: إذا رأيتَ الصوفيَّ يصومُ صومَ التطوّعِ، فاتَّهمه، فإنه قد اجتمع معه شيء من الدنيا.

وإن كانوا جماعةً مُترافقين مُتواخين أشكالاً، وبينهم مريدٌ يحثُّوه على الصيام، فإنْ لم يُساعدوه يهتمُّوا لإفطاره، ويتكلَّفوا له رفقًا، ولا يحملون حالَهُ على أحوالهم، وإن كانوا جماعةً، ومعهم شيخ، يصومون بصومه، ويفطرون بإفطاره، إلاَّ أن يأمرَهُم الشيخ بغير ذلك، فإنَّهم لا يخالفون أمره؛ لأنَّ الشيخَ يعلمُ ما يصلحُ لهم.

وحُكي عن بعض المشايخ الأجلّةِ أنَّه قال: صمتُ كذا وكذا سنة لغيرِ الله، وذلك أنَّ شابًا كان يصحبُهُ، فكان يصومُ حتَّى ينظرَ إليه ذلك الشابُ، فيتأدَّبُ به، ويصوم بصيامه.

ورأيت أبا الحسن المكّي بالبصرة رحمه الله، فكان يصومُ الدّهرَ، ولا يأكل الخبز إلاَّ كلَّ ليلة جمعة، وكان قوتُهُ كما قيل في كلِّ شهرٍ أربعةَ دوانيق، يعملُ بيده، يفتلُ حبالَ الليف ويبيعُها، وكان قد هجرَهُ ابنُ سالم، وكان يقول: لا أُسلّم عليه إلاَّ أن يُفطرَ ويأكلَ الخبز؛ لأنَّه كان قد اشتهر بترك الأكل.

وبلغني عن بعضهم من أهل واسط أنَّه صامَ سنين كثيرة، فكانَ يُفطرُ كلَّ يومٍ قبل غروب الشمس إلاَّ في رمضان، وقومٌ أنكروا عليه هذا لمُخالفته العلم، وإن كان الصومُ تطوّعًا، وقومٌ كانوا يستحسنون ذلك لأنَّ صاحبه كان يُريد بذلك أن يؤدِّبَ نفسه بالجوع، ولا يتمتّع برؤية الصوم ورؤية الثواب الذي قد وعد الله تعالى للصائمين، ولا يسكن إلى ذلك، وعندي أن الذي أنكر فقد أصاب؛ لأنَّه اعتقدَ الصوم[1]، فقد لزمه الوفاءُ به، وإن لم يعتقد الصوم فسبيلُهُ سبيلُ المتقلّلين[2]، فلا يقال له صائم، وبالله التوفيق.

وحكي عن الشِّبلي رحمه الله أنَّه قال لرجلٍ: تحسنُ أن تصومَ الأبدَ؟ فقال: فكيف الأبد؟ قال: تجعل ما بقي من عمرك يومًا وتصومه.

فهذا ما حضرني في الوقت من آداب صوم المتصوفة، والله الموفّق للصواب.

* * *

(١) جاء في هامش (ع): قوله: لأنه اعتقد... إلخ، والصواب لأنه إن اعتقد...
(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: سبيل المتعللين.

باب ذكر آدابهم في الحج

قال الشيخ رحمه الله: فأولُ آدابهم في الحجِّ الاهتمامُ لحجَّة الإسلام، والتوجّه إليه بأيِّ وجهٍ يجدُ إليه السبيل والاستطاعة، ويبذلُ في ذلك مهجتَهُ، ولا يركنُ إلى سعة العلمِ وطلب الرخصة في الجلوس عن حجَّة الإسلام بإعدام الزاد والراحلة، إلاَّ أن يُقعدَهُ عن ذلك فرضٌ لازم، لأنَّ الله عز وجل يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقال: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧] فبدأ بذكر الرجال الذين يمشون.

رُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «من مات ولم يحجَّ حجَّةَ الإسلام ماتَ إن شاء يهوديًا أو نصرانيًا»(١) فمن أجل ذلك لم يسقطْ عنهم مطالبةُ الحجِّ، وإن عدموا الزاد والراحلة، لأنَّ من آدابهم أن يتمسَّكوا بالأحوط في/ الفرائض، ويأخذوا [٧٦] بالأتمّ من علم الشريعة، لأنَّ التعلُّقَ بالرُّخص سبيلُ العامة، والأخذُ بالسَّعة والتأويلات حالُ الضعفاء، وذلك رحمةٌ من الله تعالى لهم، فأمَّا العامة فقصدهم إلى الحجِّ، وشرطُ العلم الذي يعلمه الفقهاء، والعلماء والخاصَّةِ والعامة في ذلك سواء، وهو علمُ المناسك، فرائضُهُ وسننه وأحكامه وحدوده.

وإنَّما قصدنا أن نذكر آداب من ليس سبيلُهم في الحجِّ سبيلَ العامة، وهم على ثلاث أصناف:

فصنفٌ منهم، إذا حجُّوا حجَّةَ الإسلام، جلسوا واشتغلوا بحفظ أوقاتهم ومراعاةِ أحوالهم، فطلبوا السلامةَ، ولم يتعرَّضوا للبلاء ممَّا يلحقهم من المشقَّةِ في ذلك، ولصعوبة أداء فرض الحجِّ وقضاء مناسكها وحفظ حدودها.

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل ٤/ ١٦٢٠ (ترجمة عبد الرحمن بن القطامي).

سمعتُ ابن سالم يقول: لم يحجَّ سهلُ بنُ عبد الله إلاَّ حجَّةَ الإسلام، وقد حجَّ وله ستَّ عشرة سنة، وكان زادُهُ شيئًا من الكبد المشوي المدقوق، فكان يستفُّ منه إذا جاعَ قليلاً، وكذلك أبو يزيد البسطامي رحمه الله لم يحجَّ إلاَّ حجَّة الإسلام، وكذلك الجُنيد رحمه الله، وجماعةٌ من المشايخ الأجلّة رحمهم الله لم يحجُّوا إلاَّ حجَّة الإسلام، وحجَّتُهم في اختيارهم في ذلك أنَّ النبيَّ ﷺ لم يحجَّ إلاَّ حجَّةً واحدة.

وطبقة أخرى من مشايخ الصوفية فإنَّهم لمَّا قطعوا العلائق، وفارقوا الأوطان، وهجروا الإخوان، قصدوا بيتَ الله الحرام، وزيارةَ قبر الرسول ﷺ، فقطعوا البوادي، ودخلوا البراري والقفار بغيرِ حمل نفقة ولا زاد، ولا سلكوا على الطريق، ولا تعلّقوا بمصاحبة الرفيق، ولا يعدُّوا الأميالَ ولا البُرُدَ، ولا طلبوا المنازلَ ولا المناهل، ولا تعرّجوا على سببٍ، ولا التجؤوا إلى طلبٍ، ولا انقضى من الحجِّ وطرُهم، ولا انقطع عن تلك المشاهد أثرُهم، وذلك لأن الله عز وجل يقول، وقوله حقٌّ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥] قال ابن عباس رضي الله عنه: يعني لا يقضون منه وطرًا.

ولا يمكن ذكر(١) آداب هؤلاء في معانيهم إلاَّ بحكاياتٍ بلغتنا عنهم، يدلُّ ذلك على آدابهم، وصحّة مقاصدهم، وعلوّ مراتبهم وأحوالهم وصفاتهم.

سمعتُ أحمد بن علي الوجيهي يقول: سمعتُ بعضَ المشايخ يقول: حجَّ حسنُ القزاز الدِّينوريُّ رحمه الله اثنتي عشرة حجةً حافيًا، مكشوفَ الرأس، فكان إذا دخلَ في رجله شوكٌ يمسحُ رجله بالأرض ويمشي، ولا يُطأطِىءُ رأسَهُ إلى الأرض من صحّة توكُّله.

وحُكي عن أبي تُراب النَّخْشَبي رحمه الله: أنه كان يأكلُ أكلةً بالبصرة،

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: ولا يتهيّأ.

وأكلة بِنِباج[١]، وأكلةً بالمدينة، وكان يدخلُ مكَّةَ وعلى بطنه عُكن[٢] من السّمن.

وحُكي عن إبراهيم بن شيبان أنَّه قال: كان أبو عبد الله المغربي رحمه الله يدخلُ الباديةَ وعليه إزارٌ ورداءٌ أبيضُ، وفي رجله نعلُ طاق كأنَّه يمشي في السوق، فإذا دخلَ مكَّةَ وفرغَ من الحجِّ أحرمَ من تحت الميزاب، ويخرج من مكّة وهو محرم، ويقيم على إحرامه إلى أن يرجعَ إلى مكة.

وسمعتُ جعفر الخُلدي رحمه الله يقول: سلكتُ البادية وعليَّ قميصٌ أبيض، وبيدي كوزٌ، ورأيتُ في البِطانية[٣] التي في وسط الرمل دكاكينَ وتجّارًا كانت ترد عليهم القوافل من البصرة.

وحُكي عن إبراهيم الخوّاص رحمه الله أنَّه قال: أعرفُ في البادية تسعةَ عشر طريقًا غيرَ الطريق الذي يَسلكُهُ الناس والقوافل، طريقان منها ينبتُ فيهما الذهب والفضة.

وحَكى جعفر عن إبراهيم الخواص رحمهما الله، أنَّه قال: كنتُ في البادية، في موضعٍ منها جالسًا مُستجمعَ الهمِّ، وقد مضتْ عليَّ أوقاتٌ لم أتناولْ فيها الطعامَ، فبينا أنا كذلك إذا أنا بالخضر عليه السلام مارًّا في الهواء، فلمّا رأيتُهُ طأطأتُ رأسي، وغمّضتُ بصري، ولم أنظر إليه، فلمّا رآني جاء فجلسَ إلى جنبي، فرفعتُ رأسي، فقال لي: يا إبراهيم، لو أعرتني الطَّرفَ ما جئتُ إليك.

---

(١) نِباج: منزل لحجاج البصرة، بينها وبين مكة. انظر معجم البلدان.

(٢) العُكْنَة: ما انطوى وتثنّى من لحم البطن سِمنًا. جمعها عُكن.

(٣) البطانية: وسماها بعضهم بطان. وبِطان بكسر أوله: منزل بطريق الكوفة بعد الشقوق من جهة مكة، دون الثعلبية، وهو لبني ناشرة من بني أسد. وتزعم العرب أن رَحَى بطان ـ أي وسطه ـ معمور لايخلو من السعالي والغول. انظر معجم البلدان، ومعجم ما استعجم كلاهما في (بطان) والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/٢٢٦ (د. جواد علي. دارالعلم للملايين بيروت ومكتبة المثنى بغداد ط٣ ١٩٨٠م).

وحُكي عن إبراهيم رحمه الله أيضًا أنه قال: خرجتُ في بعض السنين من مكّة، واعتقدتُ ألاَّ أتناول شيئًا إلى أن أدخلَ القادسية(١)، فلمّا وافيتُ الرَّبَذَةَ(٢)، وخرجتُ منها، فإذا أنا بأعرابيٍّ يصيح من ورائي، فلم/ أعطفْ [٧٧] عليه، فلحقني، وإذا بيده سيفٌ مسلولٌ، وبيده الآخر قعبٌ فيه لبنٌ، فقال لي: اشربْ هذا وإلاَّ ضربتُ رقبتَكَ. قال: فبقيتُ متحيّرًا، فتناولت منه، وشربتُ، وانصرفَ عنّي، وما رأيتُ شيئًا آخر حتى دخلتُ القادسية(٣).

وحكايات هؤلاء أكثرُ من أن يتهيَّأَ ذكرها هاهنا، وفيما ذكرنا كفايةٌ لمن علمَ المُراد من ذلك إن شاء الله تعالى.

وأما الطبقة الثالثة من المشايخ الصوفية: فإنَّهم اختاروا المقامَ بمكَّةَ والمجاورةَ بها وحبسوا أنفسَهم هناك لِمَا خصَّ الله تعالى به تلك البقاع والمشاهد من الفضيلة والشرف، ولِمَا وجدوا في أنفسِهم من التنافرِ والعجز عن المقامِ بها؛ لأنَّها وادٍ ﴿غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧] كما قال الله عز وجل، وهو الحجاز، يحجزُ عن الشهوات واللذّات، ولا سيما لمن كان قوته في الغيب، ورزقه مقسوم، ورفقه معدوم، والنفس مجبولةٌ على الاضطراب عند عدم الوفاء بها، والعبدُ مُطالبٌ بالسكون تحت الأحكام، فعند ذلك يتبيّنُ مقامات الرجال.

ولهم في المجاورة آدابٌ يُذكرُ بعضُها في حكاياتهم فيما بلغني:

سمعتُ أبا بكر محمد بن داود الدِّينوريَّ الدّقي يقول: أقام أبو عبد الله بن الجلاَّء بمكَّةَ ثماني عشرة سنة لم يأكلْ من طعامٍ يُحملُ إليها من مصر؛ لأنَّ مصرَ صوافٍ(٤)، كان المتقدّمون يتورَّعون من أكلِ طعامها

---

(١) القادسية: بلدة بينها وبين الكوفة خمسة عشرفرسخًا.

(٢) الرَّبذة: قرية من قرى المدينة على ثلاثة أيام منها. معجم البلدان.

(٣) في هامش الأصل خبران سيذكران صفحة (٢٤١) بدايتهما: قال الخواص: رأيت شيخـًا... إلى قوله: كله حقيقة، أو كما قال.

(٤) الصوافي: الأملاك والأراضي التي جلا عنها أهلُها، أو ماتوا ولا وارث لها، واحدها=

وما يُحمل منها، وكان لا يشربُ إلاَّ ماءَ زمزم، يستقي بركوته وحبله من أجل أنَّ الدلوَ والحبل المعلّقَ على زمزم يكون من أموالِ السلاطين.

وحُكي عن أبي بكر الكتَّانيِّ رحمه الله أنَّه ختم اثني عشر ألف ختمة في الطواف.

وأقام أبو عَمرو الزُّجَاجيُّ رحمه الله بمكّة، على ما بلغني ثلاثين سنة، فإذا أرادَ أن يقضيَ حاجَتَهُ خرجَ عن الحرم، ويعتمرُ في كلِّ يومٍ ثلاثَ عُمَر، ويأكلُ في كلِّ ثلاثة أيام أكلةً، ومات عن نيّفٍ وسبعين وقفةً.

وسمعت الدّقيَّ يقول: أقمتُ بمكّة تسع سنين، وكنتُ اعتقدتُ ألاَّ أُصلّي صلاتين في موضعٍ واحدٍ، فكان يمرُّ بي من الجوعِ ما إذا رأيتُ جنازةً أقول: ليتني كنتُ مكانَ هذا الميت، قال: وكان يقع في قلبي في الوقت: يا هذا، أليست هذه الفاقةُ التي بك لا يعلمُ بها أحدٌ غير الله؟! فكنتُ أشتغل بذلك، ويذهبُ عنّي ما أجدُ من الجوع.

ويقال: إنَّ كلَّ من يقدرُ أن يصبرَ بمكّة على الجوع يومًا وليلةً، فهو يقدرُ أن يصبرَ في سائر الدنيا ثلاثة أيام.

وكانوا يقولون: إنَّ المقامَ بمكَّة يغيّرُ الأخلاق، ويكشفُ الأسرار. ولا يصبرُ على المقام بها على الصحّة إلاَّ الرجال.

سمعتُ أحمد الطرسوسي يقول: سمعتُ إبراهيم بنَ شيبان يقول: سمعتُ إبراهيمَ الخوّاص رحمه الله يقول: أقامَ هاهنا بمكّة فتًى من الفقراء سنين، فكنّا نتعجّبُ من حُسنِ جلسته، وكثيرِ طوافه وعمرته، وصيانة فقره، قال: فجعلتُ في نفسي أن أحملَ إليه شيئًا من الدراهم حتى أُداخله بذلك، قال: فحملتُ إليه دراهمَ كثيرةً، وصببتُ على طرفِ خرقته. قال: فنظرَ إليَّ، ثم أخذَ الخرقةَ، وصبَّ الدراهم على الأرض، وخرجَ من المسجد،

= صافية. ويُقال للضياع التي يستخلصها السلطان لخاصّته. النهاية (صفي).

فما رأيتُ قطُّ أعزَّ منه حين صبَّها وأعرض عنها، ولا أذلَّ منّي حين جلستُ أَجمعُها وأَلتقطها من بين الحصا.

فأما الطبقة الذين سافروا إليها، وألفوا ما يلحقُهم من البلاء في القصدِ إليها، فلمعنَيَيْنِ:

أحدهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تُشدُّ الرِّحالُ إلاَّ إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد إيلياء»(١).

والمعنى الآخر: هو أنَّ النفسَ تدّعي أحوالاً في الوطن، وفي وسط المعارف والمألوفات، من التوكّل والرضا والسكون والتسليم والتفويض، فإذا فارقتِ الوطنَ والمعارف تتغيَّرُ أخلاقُها وتبطلُ دعواها.

ويُقال: سُمّي السفرُ سفرًا لأنَّه يُسفرُ عن أخلاقِ الرجال، فإذا عرفوها، وعلموا عجزها وضعفها وشرها، وعاينوا المكمنات التي في أنفسهم، عملوا في تبديل هذه الأخلاق، ومخالفتها، ولم يغترّوا بدعاويها، ولم يأمنوا خِدَعها وشرّها.

وبلغني أنَّ جماعةً أقاموا بمكّة، فكانوا إذا قامَ أحدُهم إلى الطواف بالنهار [٧٨] يعيبون عليه ذلك، ويقولون/: هو ذا يمرُّ ويستعدي، وذلك أنَّه ربَّما يتَّفقُ في الطواف مَنْ يكون يرفقُ الفقراء، ويعطيهم شيئًا، فكانوا ينتقدون بعضَهم على بعضٍ هذه الأحوال.

ومن آدابهم أيضًا أنَّهم إذا اعتقدوا أن يحجُّوا أن يُوفوا بعهودهم، وإن أَحرموا من دون الميقات في غير أشهر الحجِّ أن يُوفوا بذلك، وإن تلفتْ في ذلك نفوسُهم، وإذا قصدوا نحو الكعبة لم يعدلوا عن الطريقِ بعدما توجَّهوا إليها، ولا يقطعُهم عن التوجُّه إليه قلّةُ النفقة، ولا شدَّةُ الحرِّ والبرد.

سمعتُ أحمد بنَ دلويه يقول: كنتُ قد أوجبتُ على نفسي الرجوعَ إلى مكَّةَ من الشام، وكان البردُ شديدًا، فتأوَّلَتْ نفسي، فسألتُ أبا عمران

---

(١) رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، وأبوداود (٢٠٣٣) عن أبي هريرة.

الطبرستاني عن الرُّخصة في ذلك، واستعمال العلم، فقال لي: إذا خفتَ عليه فألقيه في اليم[١]، فوقفتُ على إشارته[٢]، فخرجتُ، فما رأيتُ إلاَّ كلَّ خيرٍ، وحججتُ.

ومن آدابهم أيضًا أنَّهم إذا دخلوا الباديةَ أن يُتمُّوا الفرائضَ، ولا يَقصرونَ الصلاةَ، ولا يتيمَّمون، ولا يتركون شيئًا ممّا كانوا يعملون في أوطانهم ما أطاقوا ذلك، وإنْ أباحَ لهم العلمُ تركَ ذلك[٣]؛ لأنَّ السفرَ والحضر عندهم سواء، وليس لأسفارِهم مدةٌ معلومة، ولا يَمشون بالأميال والبُرُد والمنازل، فإذا أقامهم الحقُّ[٤] أقاموا، وإذا سار بهم ساروا، وإذا نزلَ بهم نزلوا، فإذا بلغوا الميقاتَ غسلوا أبدانهم بالماء، وغسلوا قلوبَهم بالتوبة، وإذا نزعوا ثيابَهم للإحرام وتجرَّدوا، وحلُّوا العقد واتّزروا وارتدوا، فكذلك نزعوا عن أسرارهم الغلَّ والحسد، وحلُّوا عن قلوبهم عقدَ الهوى ومحبَّةَ الدنيا، ولم يعودوا إلى ما خرجوا منه من ذلك.

ومن آدابهم أيضًا أنهم إذا قالوا: لبّيك اللهم لبيك، لبّيك لا شريكَ لك، ألاَّ يُجيبوا بعد ذلك دواعي النفس والشيطان والهوى بعدما أَجابوا الحقَّ بالتلبية، وأَقرُّوا أنَّه لا شريك له في مُلكه.

فإذا نظروا إلى البيتِ بأعينِ رؤوسهم[٥]، نظروا بأعين قلوبهم إلى من دعاهم إلى البيت.

---

(١) قال تعالى في سورة القصص (٧): ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾. وانظر صفحة (٢٦٦).

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: ففهمتُ على إشارته.

(٣) إشارة إلى قول المصطفى ﷺ «إن الله يحبُّ أن تؤتى رُخصه كما يحبُّ أن تؤتى عزائمه» الذي رواه ابن حبان ٢/٦٩، والطبراني في الكبير (١١٨٨٠)، وأبو نعيم في الحلية ٨/٢٧٦.

(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: أقامتهم الحقيقة.

(٥) في هامش الأصل: وفي نسخة: فمن الأدب أن ينظروا.

فإذا طافوا حول البيت[١] بأبدانهم فمن آدابهم أن يذكروا قولَ الله عز وجل: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥] فكأنَّهم ينظرون إلى طوافهم.

فإذا صَلُّوا خلف المقام يعلمون أنَّه مقام عبدٍ قد وفّى لله تعالى بعهده، فندبَ اللهُ الأوّلين والآخرين إلى متابعة قدمه، واتّخاذ صلواتهم خلف مقامه، فإذا استلموا الحجر وقبَّلوه علموا أنَّهم هو ذا يبايعون الله تعالى بأيمانهم، فمن الأدب ألاَّ يمدُّوا بعد ذلك أيمانهم إلى مُرادٍ وشهوة.

فإذا جاؤوا إلى الصفا[٢]، فمن الأدبِ ألاَّ يعترضَ بعد ذلك كدورةٌ لصفاءِ قلوبهم، فإذا هرولوا بين الصفا والمروة، وأسرعوا في مشيتهم، فمن الأدب أن يُسرعوا بالفرار من عدوّهم، ويهربوا من متابعة نفوسهم وهواهم وشيطانهم.

وإذا وافوا إلى منًى، فمن آدابهم في ذلك أن يتأهّبوا للقاء، فلعلّهم يَصلوا إلى مُناهم.

فإذا وافوا إلى عرفات، فأدبُهم أن يتعرَّفوا إلى معروفهم، ويذكروا نشرهم وحشرهم وبعثَهم من قبورهم.

فإذا وقفوا فأدبُ الوقوف أن يكونَ وقوفُهم بين يدي سيِّدهم، فإذا وقفوا لا يُعرضوا عنه بعد وقوفهم.

فإذا دَفعوا مع الإمام إلى المُزدلفة، فأدبهم أن يكونَ في قلوبهم العظمةُ والإجلال لله تعالى، فإذا دفعوا مع إمامهم جعلوا الدُّنيا والآخرة وراءَ ظهورهم.

فإذا كسروا الحجارة للرّمي كسروا مع الحجارةِ إراداتِ بواطنهم، وشهواتِ أسرارهم، ومكمناتِ أهوائهم.

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: حول الكعبة.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: فإذا صعدوا إلى الصفا.

فإذا ذكروا الله تعالى عند المشعرِ الحرام، فالأدبُ عند ذلك أن يكونَ مصحوبُهم تعظيمَ مشاعرهم، وتشريف مشاهدهم، وإعظامِ حرماتهم.

فإذا رموا الجمر رموا بحسْنِ الأدب بملاحظة أعمالهم، ومشاهدة أفعالهم.

فإذا حلقوا رؤوسَهم فأدبُهم أن يحلقوا عن بواطنهم حبَّ الثناء والمحمدة مع حلقِ رؤوسهم.

[٧٩] فإذا ذبحوا فأَدبُهم في الذبحِ أن يبدؤوا/ بذبح نفوسهم في نفوسهم قبل ذبحِ ذبيحتهم.

فإذا رجعوا إلى طوافِ الزِّيارة، وتعلّقوا بأستار الكعبة فمن الأدب ألاَّ يتعلّقوا بغيره، ولا يلوذوا بأحدٍ من خلقه بعد اللياذةِ والتعلّقِ به.

فإذا رجعوا إلى منًى، وأقاموا بها أيامَ التشريق، وحُلَّ لهم كلُّ شيءٍ، فمن الأدب ألاَّ يُحلّلوا ما حرّموا على نفوسهم من مخالفة سيدهم ومتابعة حظوظهم، ولا يكدِّروا ما صفا من أوقاتهم، ولا يتّكلوا إلاَّ على سعةِ رحمة الله تعالى بعد قضاء مناسكه؛ لأنّهم لم يتيقّنوا بقبول[١] حجّتهم، ويستعينوا بالله على أمورِهم، ويستغيثوا إلى الله بأسرارهم وعلانيتهم؛ فإنّه قادر على كشفِ ضرّهم وخلاصهم.

وحُكي عن إبراهيم الخوّاص رحمه الله أنّه قال: رأيتُ شيخًا من أهل المعرفة في البادية ممّن كان يُشيرُ إلى التوكّل، عرّج على سببٍ بعد سبعة عشر يومًا، فنهاه شيخٌ آخرُ، فلم يقبلْ، فهجروه، ولم يعدّوه منهم.

وسمعتُ الدّقيَّ يقول: دخلتُ مصر، فقصدتُ الزَّقاق، فسلّمتُ عليه، فقال لي: من أين أقبلت؟ فقلت: من الحجاز. فقال لي: خذ حكايةً في الحجاز: تهتُ في تيه بني إسرائيل سبعةَ عشرَ يومًا لم آكل ولم أشربْ،

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: لأنهم ما وثقوا بقبول.

فرأيتُ من بعيدٍ خيالاً، فطمعَتْ نفسي، فلمّا دنوتُ، فإذا أنا بعسكرٍ مع أميرٍ لهم مارّين إلى قلزم[(١)]، فلمّا رأيتُ أنّهم من الجند آيستُ نفسي منهم، فعرضوا عليّ الطعامَ فلم آكلْ، والماءَ فلم أشربْ، فقال لي أميرهم: أنت في حالٍ تحلُّ لك الميتة، فِلمَ تمتنعُ من طعامنا؟ فقلت: نحن إذا كنّا بين الناس بشرط العلم لا نَرضى لأنفسنا أن ننبسطَ إليكم، فكيف ننبسطُ إليكم في مثل هذا الوقت، والوقتُ كلُّه حقيقة؟! أو كما قال.

وحكى أنَّه سُئل عن عينه وكانتْ إحدى عينيه قد ذهبت فقال: كنتُ تهتُ في التِّيه كذا وكذا يومًا، فكان عليّ مسحٌ، فهاجت عيني، فكنتُ أمسحُهُ بالمسح[(٢)]، فسالتْ.

وهو إن شاء الله في هذه السّفرة التي حكاها من أميرِ الجند، وهاتان الحكايتان، وحكاية إبراهيم الخوّاص، وحكاية الدّقي عن أبي بكر الزقاق.

* * *



(١) القلزم: هو البحر الأحمر.

(٢) في تاريخ بغداد ٥/٤٤٢: كنت أمسح دموعي بالجلّ. أقول: الجل من المتاع البُسط. انظر القاموس.

باب في ذكر آداب الفقراء بعضهم مع بعض وأحكامهم في الحضر والسفر

قال الشيخ رحمه الله: قال الجُنيد رحمه الله: الفقرُ بحرُ البلاء، وبلاؤه كلُّه عزٌّ.

وقال الجُنيد رحمه الله: علمُ الفقير إذا قوي ضعفتْ محبّتُه(١)، وإذا ضعفَ قويت محبّته، وحكم الفقير أن يكون فوق محبّته(٢).

سمعتُ الدُّقيَّ رحمه الله بدمشق قال: سمعتُ أبا بكر الزقَّاق رحمه الله بمصر يقول: منذ أربعين سنة أَصحبُ هؤلاء الفقراء وأُعاشرهم فما رأيتُ قطُّ رفقًا لأصحابنا إلاَّ بعضهم من بعض، أو ممّن يحبُّهم، ومن لم تَصحبْه التقية والورع في هذا الأمر أكلَ الحرامَ النصَّ(٣).

وحُكي عن أبي عبد الله بن الجلاَّء رحمه الله، أنه قال: من لم يصحبْهُ الورعُ في فقره، أكل الحرام النصَّ، وهو لا يدري.

وحُكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنّه قال: أدبُ الفقير الصادق في فقره ثلاثة أشياء: لا يسألُ إذا احتاج، ولا يردُّ إذا أُعطي، ولا يحبسُ لوقتٍ ثانٍ إذا أخذ.

وقال غيرُهُ: أدبُ الفقير الصادق في فقرِهِ ثلاثة: لا يسألُ، ولا يُعارضُ، وإن عُورضَ سكت.

وحُكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال: الفقيرُ يلزمُهُ ثلاثةُ

---

(١) في الأصل: صغرت محبته. والمثبت من (ن).

(٢) يرجّح نكلسون أن هذه الجملة هي: ألاّ يكون علمه فوق محبته.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: الحرام المحض. والنُّضاض: الخالص. والنض: الإظهار ومكروه الأمر: القاموس

أشياء: حفظُ سرِّه، وأداءُ فرضه، وصيانةُ فقره.

وقال الجُنيد رحمه الله: كلُّ شيءٍ يقدرُ الفقيرُ أن يعمله(١) إلاَّ صبره على وقته إلى انقضاء مدّته.

وحُكي عن إبراهيم الخوّاص رحمه الله أنَّه قال: اثنتا عشرة خصلةً(٢) من خصال الفقراء يعني الصوفية في حضرهم وسفرهم:

أولها: أن يكونوا بما وعدَهم الله تعالى مُطمئنّين.

والثانية: أن يكونوا من الخلقِ آيسين.

والثالثة: أن ينصبوا العداوةَ مع الشياطين.

والرابعة: أن يكونوا لأمر الله مستمعين(٣).

[٨٠] والخامسة: أن يكونوا على جميع الخلق مشفقين/ .

والسادسة: أن يكونوا لأذى الخلق مُحتملين.

والسابعة: ألاَّ يدعوا النصيحةَ لجميع المسلمين.

والثامنة: أن يكونوا في مواضعِ الحقِّ(٤) متواضعين.

والتاسعة: أن يكونوا بمعرفة الله مشتغلين(٥).

والعاشرة: أن يكونوا الدّهرَ على الطهارة.

والحادي عشر(٦): أن يكونَ الفقرُ رأسَ مالهم.

والثاني عشر(٧): أن يكونوا راضين فيما قلَّ أو كثرَ، وفيما أحبُّوا أو

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: أن يعلمه.
(٢) في الأصل، و(ن) و(ع): اثنا عشر خصلة.
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: لأمر الله مستعملين.
(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: مواطن الحق.
(٥) في هامش الأصل: وفي نسخة: بمعرفة الله مستقلين.
(٦) كذا في الأصل.
(٧) كذا في الأصل.

كرهوا عن الله تعالى شيئًا واحدًا راضين عنه، شاكرين له، واثقين به.

وقال بعضُهم: من طلب الفقر لثوابِ الفقرِ ماتَ فقيرًا.

وقال بعض المتصوفة: الفقيرُ إذا كثرَ عقلُهُ ذهبَتْ طيبته.

قال الشيخ رحمه الله: من آداب الفقراء الصوفية ألاَّ يقولوا فيما يسوقُ الله إليهم من غيرِ سؤالٍ ولا طمع: هذا لي، وهذا لك. ولا يجري في حديثهم: كنتُ لك، ولم تكن لي. وأفعلُ كذا عسى أن يكون كذا، ولا أفعلُ كذا لعلّ يكون كذا.

وحُكي عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله أنَّه قال: كنّا لا نصحب من يقول: نعلي وركوتي.

وقال أحمد القلانسي[(١)] رحمه الله، وكان أستاذَ الجنيد: دخلتُ على قومٍ من الفقراء بالبصرة، فأكرموني وبجّلوني، فقلتُ لبعضهم مرّةً: أين إزاري؟ فسقطتُ من أعينهم.

وقال إبراهيم بنُ المولَّد الرَّقيُّ: دخلتُ طَرَسُوس، فقيل لي: إنّ هاهنا جماعةً من إخوانك، وهم مجتمعون في دارٍ. فدخلتُ عليهم، فرأيتُ سبعة عشر من الفقراء كلُّهم على قلبٍ واحدٍ.

وقيل لأبي أحمد القلانسي رحمه الله: على أيِّ شيءٍ بنيتَ أصلَ مذهبك؟ فقال: على ثلاث خصال: لا نطالبُ أحدًا من الناس بواجبِ حقِّنا، ونطالبُ أنفسَنا بحقوق الناس، ونلزمُ أنفسنا التقصير في جميع ما نأتي به.

وقال غيرُهُ: بنينا أصلَ مذهبنا على ثلاثٍ: متابعةِ الأمر والنهي، ومعانقةِ الفقر، والشفقةِ على الخلق.

وقال بعضُهم: إذا رأيتَ الفقير قد انحطَّ من الحقيقة إلى العلم فاعلمْ أنَّه قد فسخَ عزمَهُ، وحلَّ عقدَهُ.

---

(١) في (ن) و(ع): لأبي عبد الله أحمد القلانسي.

وقال إبراهيم الخوّاص رحمه الله: ليسَ من آداب الفقراء يعني الصوفية أن يكونَ له سببٌ يرجعُ إليه متى احتاج[١]، أو يدان يعملُ بهما إذا أراد، أو لسانٌ يطلبُ به إذا جاع، أو همّةٌ يطرقُ بها عند الشدائد إلى الناس، فهذه لهؤلاء أسبابٌ وذخيرة لشدائدهم وأرباب.

وقال الجُنيد رحمه الله: إذا لقيتَ الفقيرَ فالقه بالرفق، ولا تلقه بالعلم، فإنَّ الرِّفق يُؤنسه والعلم يُوحشُهُ.

* * *



(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: إذاجاع.

باب ذكر آدابهم في الصحبة

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله: حُكي عن جماعةٍ من المشايخ، عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله أنه كان يقول: كنّا لا نصحبُ من يقولُ نعلي وركوتي.

وقال رجلٌ لسهل بن عبد الله رحمه الله: إنّي أُريد أن أصحبَكَ. فقال له سهل: إذا ماتَ أحدُنا فمن يصحبُ الآخر؟ فليصحبه الآن.

وقال رجل لذي النُّون المِصري رحمه الله: من أَصحبُ؟ فقال: من إذا مرضَ عادك، وإذا أَذنبْتَ تابَ عنك[1].

وقال بعضُهم: كلُّ صاحبٍ تقول: قم بنا، يقولُ: إلى أين؟ فليس ذاك بصاحبٍ.

وعن ذي النون رحمه الله أنَّه قال: لا تصحبْ مع الله إلاَّ بالموافقة، ولا مع الخلقِ إلا بالمُناصحة، ولا مع النفسِ إلا بالمخالفة، ولا مع الشيطان إلاَّ بالعداوة والمحاربة.

وقال أحمد بن يوسف الزجاجي رحمه الله: مَثَلُ المُصطحبَيْنِ مَثَلُ النورين، إذا اجتمعا أَبصرا باجتماعهما ما لم يكونا يُبصرانه قبل ذلك، والخلافُ أصلُ كلِّ فِرقة، وهي لطيفةُ الشيطان في افتراق المتحابِّين في الله[2] تعالى.

قال أبو سعيد الخرّاز رحمه الله: صحبتُ الصوفيةَ خمسين سنةً، ما وقعَ بيني وبينهم خلافٌ. فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: لأنَّي كنتُ معهم على نفسي.

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: مرضتَ عادك، وإذا أذنبت تاب عليك.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: بالله تعالى.

وقال الجُنيد رحمه الله: لأن يَصحبني رجلٌ فاسقٌ حَسَنُ الخُلُق أَحبُ إليَّ من أنْ يَصحبني قارىءٌ سيّىء الخلق.

[٨١] وقال الجُنيد رحمه الله: رأيتُ مع أبي حفص النيسابوري رحمه الله/ إنساناً أصلعَ، كثيرَ الصَّمتِ لا يتكلّمُ، فقلتُ لأصحابه: من هذا؟ فقيل لي: هذا إنسانٌ يصحبُ أبا حفص، ويخدمُنا، وقد أنفق عليه مئةَ ألف درهم كانت له، واستدان مئةَ ألفِ أُخرى أنفقها عليه، ما يسوّغه أبو حفص أن يتكلّمَ بكلمةٍ واحدة.

وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله: صحبتُ أبا علي السّنديَّ، فكنتُ أُلَقِّنُهُ ما يُقيمُ به فرضَهُ، وكان يُعلّمني التوحيد والحقائق صرفًا.

وقال أبو عثمان: صحبتُ أبا حفصٍ رحمه الله وأنا غلامٌ حدثٌ، فطردَني، وقال: لا تجلسْ عندي. فلم أجعل مكافأتي له على كلامه أن أُولّي ظهري إليه، فانصرفتُ أَمشي إلى خلفٍ ووجهي مقابلٌ له، حتى غبتُ عنه، واعتقدتُ أن أحفرَ لنفسي بئرًا على بابه، وأنزلُ وأقعدُ فيه، ولا أخرجُ منه إلاّ بإذنه، فلمّا رأى ذلك منّي قرّبني وقبلني، وصيّرني من خواصِّ أصحابه إلى أن مات.

وسمعتُ ابنَ سالمٍ يقول: صحبتُ سهل بن عبد الله رحمه الله، ستين سنةً، قال: فقلت له يومًا: قد خدمتُكَ ستين سنةً، ولم تُرني يومًا واحدًا مَنْ هؤلاء الذين يَقصدونك. يعني البدلاء والأولياء، فقال لي: ألستَ هو ذا تُدخلُهم عليَّ كلَّ يوم؟ أما رأيتَ صاحبَ الفوطة والسواك الذي كان يُكلِّمُكَ بالأمس؟ كان منهم.

وقال إبراهيم بن شيبان رحمه الله: كنّا نَصحبُ أبا عبد الله المغربي رحمه الله ونحنُ شبابٌ، ويُسافر بنا في البراري والفلوات، وكان معه شيخٌ اسمه حسنٌ، وكان قد صحبَهُ سبعين سنةً، فكان إذا جرى من أحدِنا خطأٌ وتغيّر عليه الشيخُ، نتشفَّعُ إليه بهذا الشيخ الذي يُسمّى حسنًا حتى يرجع لنا إلى ما كان.

وذُكر عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنَّه كان يقولُ لبعضِ أصحابه يومًا: إن كنتَ ممّن يخافُ السباعَ فلا تَصحبْني.

قال يوسف بن الحسين الرَّازي: قلتُ لذي النون رحمه الله: مَنْ أَصحبُ؟ فقال: من لا تكتمُهُ شيئًا يعلمُهُ الله منك.

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا صحبَهُ إنسانٌ يُشارطُهُ على ثلاثة أشياء: أن تكون الخدمة، والأذان له[1]، وأن تكون يدُهُ في جميع ما يفتحُ الله عليهما من الدنيا كَيَدِهِ. فقال له رجلٌ من أصحابه: أنا لا أقدُر على ذلك. فقال: أعجبني صدقك.

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله ربَّما ينطرُ البساتين، ويعملُ في الحصاد، ويُنفقُ على أصحابه.

وقال أبو بكر الكتّانيُّ رحمه الله: صحبني رجلٌ، وكان على قلبي ثقيلاً، فوهبتُ له يومًا شيئًا كساءً أو ثوبًا على أن يزولَ ما في قلبي، فلم يَزُلْ، فأخذتُ به يومًا إلى البيت أو إلى مكانٍ، فقلتُ له: ضع رجلَكَ على خدّي. فأبى، فقلتُ له: لا بدَّ من ذلك. ففعلَ، فزالَ ما كنتُ أجدُهُ في قلبي عليه، أو كما قال.

قال أبو نصر: حكى لي هذه الحكايةَ الدّقيُّ، وقال: قصدتُ من الشامْ إلى الحجاز حتى سألتُ أبا بكر الكتّاني عن هذه الحكاية.

قال أبو علي الرَّباطي رحمه الله: صحبتُ عبد الله المروزي رحمه الله، وكان يدخلُ البادية قبل أن أصحبَهُ بلا زادٍ، فلمّا صحبتُهُ قال لي: أيُّما أحبُّ إليك، تكونُ أنت الأمير أو أنا؟ فقلتُ: لا، بل أنتَ الأمير. فقال: وعليكَ الطاعة. فقلت: نعم. فأخذَ مخلاةً، ووضع فيها الزادَ وجعل على ظهره، فإذا قلتُ له: أعطني حتى أحملَهُ، يقول: ألستُ أنا الأمير؟ فعليك الطاعة. قال: فأخذنا المطرُ ليلةً، فوقفَ على رأسي ليلةً إلى الصباح وعليه كساء،

---

(١) هذان الشرطان الأوليان.

وأنا جالسٌ يمنعُ عنّي المطرَ، فكنتُ أقولُ مع نفسي: ليتني متُّ ولم أقلْ له أنتَ الأمير، ثم قال لي: إذا صحبَكَ إنسانٌ فاصحبْهُ كما رأيتني صحبتك، أو كما قال.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: اجتنبْ صحبةُ ثلاثةٍ من أصنافِ الناس: الجبابرة الغافلين، والقرّاء المُداهنين، والمتصوفة الجاهلين.

فهذا صحبةُ بعضهم مع بعض يكون على هذا المعنى الذي ذكرتُ في الحكايات، وفي القليل كفاية للعاقل، وبالله التوفيق.

* * *



باب ذكر آدابهم عند مُجاراة العلم

[٨٢] قال/ الشيخ رحمه الله: سمعتُ أحمد بن علي الوجيهي يقول: سمعتُ أبا محمد الجريري رحمه الله يقول: الجلوسُ للمذاكرة غلقُ باب الفائدة، والجلوسُ للمُناصحة فتحُ باب الفائدة.

وقال أبو يزيد رحمه الله: من لم ينتفعْ بسكوتِ المتكلِّم لم ينتفع بكلامه.

وقال الجُنيد رحمه الله: كانوا يكرهون أن يتجاوز اللِّسانُ معتقدَ القلب.

وحُكي عن أبي محمد الجريري أنه قال: الإنصافُ والأدبُ ألاَّ يتكلَّمَ الرفيعُ في هذا العلم حتّى يُسألَ.

وقال أبو جعفر بن الفرجي صاحبُ أبي تُراب النَّخْشبي رحمه الله: مكثتُ عشرين سنة لا أسألُ عن مسألةٍ إلاَّ كانت منازلتي فيها قبل قولي.

وقال أبو حفص رحمه الله: لا يصحُّ الكلام إلاَّ لرجلٍ إذا سكتَ خافَ العقوبة بسكوته.

وقال: جاء رجلٌ إلى أبي عبد الله أحمد بن يحيى الجلاَّء الدمشقي رحمه الله، وسأله عن مسألةٍ في التوكّل، وعنده جماعةٌ، فلم يُجبْه، ودخل البيت، وأخرجَ إليهم صرّةً فيها أربعة دوانيق، وقال: اشتروا بها شيئًا. ثم أجابَ الرجلَ عن سؤاله، فقيل له في ذلك، فقال: استحييتُ من الله أن أتكلَّمَ في التوكّل وعندي[١] أربعةُ دوانيق.

وحُكي عن أبي عبد الله الحُصْري أنَّه قال: قلتُ لابن يزدانيار، عند مجاراة العلم: ما أرى مع الخلقِ كلِّهم إلاَّ خبرًا عن الغيب[٢]، فيمكنك أن تكونَ ذلك الغيب؟ قال: فقال لي: أعدْ ما قلتَ. قلتُ: لا أفعلُ.

---

(١) جاء في هامش الأصل: وفي نسخة: ويكون في بيتي أربعة.
(٢) في الأصل: عن الغيب فيه.

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله: لا يَحسنُ هذا العلم إلاَّ لمن يعبّر عن وجده، وينطقُ به عن فعله.

وقال أبو جعفر الصّيدلاني: سألَ رجلٌ أبا سعيد الخراز رحمه الله مسألةً، وكان يُشيرُ في سؤاله، فقال له أبو سعيد: نحن نبلغ محابَّك[(١)] وموافقتك فيما تريدُ بلا هذه الإشارة، فإنَّ أكثرَ الناس إشارةً إلى الله سبحانه أبعدُهم من الله تعالى.

وقال الجُنيد رحمه الله: لو علمتُ أن علمًا تحت أديم السماء أشرفُ من علمنا هذا لسعيتُ إليه وإلى أهله حتَّى أسمعَ منهم ذلك، ولو علمتُ أن وقتًا أشرفُ من وقتنا هذا مع أصحابنا ومشايخنا ومسائلنا ومجاراتنا هذا العلم لنهضتُ إليه.

وقال الجُنيد رحمه الله: ما عندي عصابةٌ ولا قومٌ اجتمعوا على علمٍ من العلوم أشرف من هذه العصابة، ولا أشرفَ من علمهم، ولولا ذلك ما جالستُهم، ولكنَّهم كذا عندي وبهذه الصورة.

وقال أبو علي الرُّوذباري رحمه الله: عِلمُنا هذا إشارةٌ، فإذا صار عبارةً صار جفاء[(٢)].

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله: ذُكر لي أبو حاتم العطار وفضله، وكان بالبصرة، فرحلتُ إليه من مصر حتى وافيتُ البصرةَ، فدخلتُ جامعَ البصرة، فإذا به جالسًا وحوله جماعةٌ من أصحابه، وهو يتكلَّمُ عليهم، فأوَّلُ شيءٍ سمعتهُ منه يقول، بعدما نظر إليَّ أنَّه قال: إنَّما جلستُ لواحدٍ، وأين ذلك الواحد؟ ومن لي بذلك الواحد. ثم أشارَ إليَّ أنَّه أنت، ثم قال: أظهرَهُم إلى ما أَهَّلَهم، وأعانهم على ما ألزمَهُم، وغيَّبهم عمَّا أحضرهم، فهم به له عاملون، ومنه إليه راجعون.

---

(١) في (ع): نبلغ مكانَك.
(٢) في (ن) و(ع): صار خفًا.

وحُكي عن الجُنيد رحمه الله أنه قال: لو كان علمُنا هذا مطروحًا على مزبلةٍ لم يأخذْ كلُّ واحدٍ منه إلا حظَّه على مقدارِهِ.

وفيما حُكيَ عن الشِّبلي أنَّه قال لأهل مجلسه يومًا: أنتم عينُ القلادة، يُنصبُ لكم منابرُ من نورٍ، تغبطُكم الملائكة. فقال رجلٌ: على أيِّ شيءٍ تغبطُهُم الملائكة؟ قال: يتحدّثون بهذا العلم.

سمعت جعفر الخُلدي يقول: سمعتُ الجُنيد رحمه الله يقول: قال سريٌّ السّقطي رحمه الله: بلغني أنَّ جماعةً يجلسون حولك في الجامع؟ قلتُ: نعم، هم إخواني، نتذاكرُ العلم، ويستفيدُ بعضُنا من بعضٍ. فقال: هيهات يا أبا القاسم، صرتَ مَناخًا[١] للبطَّالين.

وعن الجُنيد رحمه الله أنه قال: كان سريٌّ رحمه الله إذا أراد أن يفيدني شيئًا سألني مسألةً، فقال لي يومًا: ما الشكرُ يا غلام؟ فقلتُ: ألاَّ تعصيَ اللهَ بنعمٍ أنعمَ اللهُ بها عليك. فاستحسنَ ذلك منّي، وكان يستعيدُهُ منّي، ويقول: كيف قلتَ في الشكر؟ أعدها عليَّ. فأعيدُها عليه.

قال أبو نصر: ووجدت هذه الحكاية بخطِّ أبي علي الرُّوذباري عن/ [٨٣] الجُنيد.

وذُكر عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنَّه كانَ يسألُ عن مسائلَ من العلمِ، فلا يتكلَّمُ فيها، فلمَّا كان بعد مدَّةٍ تكلَّمَ فيها وأحسنَ الكلام، فسُئل عن امتناعه قبل ذلك، فقال: كان ذو النون في الأحياء، ما أحببتُ أن أتكلَّمَ في العلم وهو في الأحياء إجلالاً له وحرمةً.

وقال أبو سُليمان الدَّاراني رحمه الله: لو أعلمُ أنَّ بمكَّةَ رجلاً يفيدني في هذا العلم كلمةً يعني في علم المعرفة لحضرني فيه أن أمشي على رجليَّ، ولو ألفَ فرسخٍ، حتى أسمعَها منه.

---

(١) في الأصل: صرت متاخًا.

وقال أبو بكر الزقّاق: سمعتُ من الجنيد رحمه الله كلمةً في الفناء منذ أربعين سنة هيَّجتني[١] وأنا بعد في حمار غمارِها[٢]. سمعتُ الدُّقيَّ يقول: سمعتُ الزقاق يقول هذه الحكاية.

سمعتُ الدقيَّ يقول: قيل لأبي عبد الله بن الجلاء رحمه الله: لِمَ سُمّي أبوك الجلاَّء؟ فقال: ما كان بجلاَّء يجلو الحديد، ولكنْ كان إذا تكلَّمَ على القلوب جلاها من صدأ الذنوب.

وكان حارث المُحاسبي رحمه الله يقول: أعزُّ الأشياء في دار الدنيا عالمٌ يعملُ بعلمِهِ، وعارفٌ ينطقُ عن حقيقته.

وسمعتُ ابنَ علوان يقول: كان السَّائلُ إذا وقف على الجُنيد رحمه الله وسألَهُ عن المسألةِ، فلم يكن من حاله ذلك، يقولُ الجُنيد: لا حول ولاقوّةَ إلا بالله، فإذا كرر عليه السؤال يقول: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[٣] [آل عمران: ١٧٣].

وحُكي عن أبي عمرو الزُّجَاجي رحمه الله أنَّه قال: إذا جالستَ شيخًا وهو يتكلَّمُ في علمٍ من العلوم، واشتدَّ بك البولُ، فلو بلتَ في مكانك كان خيرًا لك من أن تقومَ من موضعك؛ لأنَّ البولَ يُغسلُ بالماء، وما يفوتُكَ من فائدتك في كلامه عند قيامك لا تدركه أبدًا.

وقال الجُنيد رحمه الله: قلت لابن الكُرِيْني[٤] رحمه الله: الرجلُ يتكلَّمُ في العلم الذي لا يبلغ استعمالُهُ علمه، فأيُّما أحبُّ إليك، إذا كان هذا

---

(١) في الأصل: هيجتني ذلك.

(٢) حمار غمارِها: شدة غمارها.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: حسبي الله.

(٤) الكُرِيْني: نسبة إلى كُرين، وهي قرية من قرى طبس بنواحي قهستان. ضبطها السمعاني في الأنساب: بضم الكاف وكسر الياء المشددة أو المخففة بعدها الياء، وفي آخرها النون. وضبطها ياقوت في معجم البلدان: بالضم ثم الكسر وآخره نون قبلها ياء مثناة من تحت. . . ويروى بتشديد الراء.

وصفَهُ، أن يسكتَ، أو يتكلّمَ؟ فأطرقَ، ثم رفع رأسَه، فقال لي: إن كنتَ هو فتكلّم.

وكان الشبلي رحمه الله يقول: ما ظَنُّكَ بعلمٍ علمُ العلماءِ فيه تهمة.

وقال سريٌّ السَّقطيُّ رحمه الله: من تزيّنَ بعلمِهِ كانت حسناتُهُ سيئاتٍ.

قال الشيخ رحمه الله: لكلِّ حكايةٍ من هذه الحكايات شرحٌ، واستنباط، وبيان، ولا يخفى على أهل الفهم إن شاء الله تعالى.

* * *



باب ما ذكر من آدابهم في وقت الطعام والاجتماعات والضيافات

قال الشيخ رحمه الله: حُكي عن أبي القاسم الجُنيد رحمه الله أنَّه قال: تنزلُ الرحمة من الله عزّ ذكره على هذه الطائفةِ الفقراء يعني الصوفية في ثلاثة مواطن: عند أكلهم الطعام؛ فإنَّهم لا يأكلون إلاَّ عن فاقةٍ، وعند مجاراة العلم؛ فإنَّهم لا يتكلَّمون إلاَّ في أحوال الصدّيقين والأولياء[١]، وعند السماع؛ فإنَّهم لا يسمعون إلاَّ من حقٍّ حيث ينالهم، ولا يقومون إلاَّ بوجدٍ[٢].

وقال أبو العباس أحمد بنُ محمد بن مسروق الطُّوسي: قال لي محمد بن منصور الطُّوسي، وقد نزل علينا: أبا العباس، أقمْ عندنا ثلاثاً، فإن زدتَ على ثلاثةٍ فهو صدقةٌ منك علينا.

وذُكر عن سريِّ السَّقَطيِّ رحمه الله أنّه كان يقول: آهِ على لقمةٍ ليس لله عليَّ فيها تبعةٌ، ولا لمخلوقٍ عليَّ فيها منّةٌ.

وقال أبو علي النَّوْرِباطي[٣]: إذا دخل عليكم فقيرٌ فقدِّموا إليه شيئاً يأكل، وإذا دخلَ عليكم الفقهاء فسلوهم عن مسألةٍ، وإذا دخل عليكم القرّاءُ فدلّوهم على المحراب.

قال أبو بكر الكتّاني: قال أبو حمزة: دخلتُ على سريٍّ رحمه الله، فجاءني بفتيتٍ[٤]، فأخذ يجعلُ نصفَهُ في قدحٍ، فقلتُ له: أيشٍ هو ذا تعمل؟

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: الصديقين والمقربين.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: في ثلاثة أوقات: وقت الطعام... وقت مجاراة العلم... ووقت السماع. وانظر القول هذا في الرسالة ٤٧٢(باب السماع).

(٣) كذا في الأصل، والمطبوعين، ولعلّها محرفة عن (الرباطي).

(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: فجاءني بسويق.

أنا أشربُ هذا كلَّه في مرَّةٍ! فضحك، وقال: هذا أفضل لك من حجّة.

وكان أبو علي الرُّوذباري رحمه الله إذا رأى الفقراءَ مُجتمعين في مكانٍ واحدٍ، يَستشهدُ بهذه الآية: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

وكان أبو عليٍّ يقول/ إذا اجتمعَ الفقراءُ في مكانٍ واحد يكونُ أرفقَ بهم، [٨٤]
وُيفتحُ عليهم، ويَستشهدُ بهذه الآية: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ . . .﴾[1] الآية [سبأ: ٢٦].

قال جعفر الخُلدي رحمه الله: هذا الأكلُ بعد الأكلِ الذي يُرزقُ أصحابُنا[2]، يُقال له الجوعُ المفرط.

وقال جعفر رحمه الله: إذا رأيتَ الفقيرَ يأكلُ كثيرًا، فاعلمْ أنَّه لا يخلو من إحدى ثلاث؛ إمّا لوقتٍ قد مضى عليه، أو لوقتٍ يُريدُ أن يستقبلَهُ، أو لوقتٍ هو فيه.

وقال الشِّبلي رحمه الله: لو أنَّ الدنيا لقمةٌ في فمِ طفل لرحمتُ ذلك الطفل.

وقال أيضًا: لو أن الدُّنيا بما فيها لقمةٌ واحدةٌ أكلتُها، وأدعُ الخلقَ بلا واسطةٍ مع الله تعالى.

وقال الجُنيد[3]: أكلُ الطعام على ثلاثة: مع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء الدنيا بالأدب، ومع الفقراءِ بالإيثار.

قال الشيخُ رحمه الله: ليسَ هذا من آداب الفقراء؛ لأنَّ من آدابِ الفقراء الصوفيةِ ألاَّ يكونوا عند أكلِ الطعام مُغتمِّين ولا مُستوحشين ولا متكلِّفين، ولا يختارون الكثيرَ الرديءَ على القليل النظيف الجيد، ولا يكون لأكلهم وقتٌ معلوم، وإذا حضر الطعامُ فلا يلقمون بعضُهم بعضًا، وإن لقموهم فلا

---

(١) في هامش الأصل: بلغ مقابلة.
(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: ترون أصحابَنا.
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: وقال بعضهم.

يردون، ويكرهونَ الطعامَ الكثير الجافي، وكلَّما كانوا أشدَّ جوعًا فيكون أدبُهم في الأكل أحسن.

سمعتُ شيخًا من الأجلّة رحمه الله يقول: جعتُ عشرةَ أيامٍ لم آكل شيئًا، ثم قُدِّمَ إليَّ الطعام، فكنتُ آكلُ بأُصبعين، فقال لي صاحبُ الطَّعام: استعملِ السُّنةَ، وكلْ بثلاثة أصابع.

وحُكي عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله أنه قال: منذ ثمانين سنة ما أكلتُ شيئًا بشهوتي.

وكان أبو بكر الكتّاني الدِّينوري ببغداد ولم يكن يأكلْ شيئًا يكونُ سببَ إظهارِه السؤال والمعارضة.

وعن الجنيد[1] رحمه الله أنه قال: من النذالةِ أن يأكلَ الرَّجلُ بدينه.

وقال أبو تُراب: عُرِضَ عليَّ طعامٌ، فامتنعتُ من أكله، فعوقبت بالجوع أربعة عشر يومًا، فعلمت أنّي عُوقبت، فاستغثتُ إلى الله تعالى وتبت.

وكان الجُنيد رحمه الله يقول: بصفاءِ المطعم والملبس والمسكن يصلحُ الأمرُ كلُّه.

وحُكي عن سريِّ السَّقطي رحمه الله أنه كان يقول: أكلُهُم أكلُ المرضى، ونومهم نومُ الغرقى.

وقال أبو عبد الله الحُصْري رحمه الله: مكثتُ سنين لا يصلحُ لي أن أقولَ لا أشتهي، ولا يَصلحُ لي أن آكل.

وحُكي عن فتحِ الموصلي رحمه الله أنَّه دخلَ على بشرِ الحافي رحمه الله وجاءه زائرًا من الموصل، فأخرجَ بشرٌ دِرهمًا، وأعطاه لأحمد الجلاَّء، وكان يخدمُهُ، فقال: مرَّ إلى السوقِ، اشترِ طعامًا جيدًا وأُدْمًا طيِّبًا. قال: فخرجتُ، فاشتريتُ خبزًا نظيفًا، وقلتُ: لم يقل النبيُّ ﷺ لشيءٍ من الطعام:

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: وعن الشبلي.

«اللهم، باركْ لنا فيه، وزدْنا منه»(١) إلاَّ اللبن؛ فاشتريتُ اللبنَ، واشتريتُ تمرًا جيدًا، وجئتُ، وقدّمتُ إليه، فأكلَ ما أكل، وأخذَ الباقي وخرج، فلمَّا خرجَ قال بشرٌ لمن كان عنده: هذا فتحُ الموصلي جاءَني يَزورني، تدرون لمَ لم يقلْ لي: كُلْ؟ قال: لأنَّه ليسَ للضيف أن يقولَ لصاحب الدار كلْ، تدرونِ لم قلتُ: اشترِ طعامًا طيّبًا؟ لأنَّ الطعامَ الطّيبَ يستخرجُ خالص الشكر، تدرون لِمَ حملَ ما بقيَ؟ لأنَّه إذا صحَّ التوكُّلُ لم يضرَّ الحمل(٢).

وقيل لمعروف الكرخي رحمه الله: كلُّ مَنْ دعاك تمرُ إليه؟! فقال: إنَّما أنَا ضيف، أنزلُ حيثُ أنزلوني.

وحُكي عن أبي بكر الكتاني رحمه الله أنَّه قال: اجتمعَ سنةً من السنين هاهنا يعني بمكَّةَ مقدارُ ثلاثمئة نفس من الفقراء والمشايخ، فكانوا كلُّهم في موضعٍ واحد، وكان لا يجري فيما بينهم العلمُ والمذاكرة، ويكونُ أخلاقٌ بينهم ومكارمُ وإيثارُ بعضِهم مع بعض.

وكان أبو سُليمان الداراني رحمه الله يقول: إذا أردْتَ حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها/؛ فإنَّ الأكلَ يُميتُ القلب. [٨٥]

وحكي عن رُويم رحمه الله أنه قال: منذ عشرين سنة لم يخطرْ بقلبي ذكرُ الطعام حتى يحضر.

وسمعتُ أحمد بن عطاء أبا عبد الله(٣) الرُّوذباري يقول: كان أبو علي الرُّوذباري رحمه الله اشترى أحمالاً من السُّكَّر الأبيض، ودعا جماعةً من الحلاويين، فاتَّخذوا من ذلك السُّكَّر جدارًا عليه شرّافات، وفي الجدارِ محاريبُ على أعمدةٍ مَنقوشةٍ كلّها من السكر، ثم دعا الصوفية، حتى هدَمُوها وكسروها وانتهبوها.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٥٥) وابن ماجه (٣٣٢٢) من حديث ابن عباس.

(٢) في هامش الأصل: بلغ مقابلة.

(٣) في الأصل: أبو عبد الله.

وسمعت أبا عبد الله الرُّوذباري أنَّه كان يقول: اتَّخذ رجلٌ ضيافةً، فأوقدَ ألفَ سراجٍ، فقال له رجلٌ: قد أسرفتَ. فقال له: ادخلِ الدار، فكلُّ سراجٍ أوقدتُهُ لغيرِ الله تعالى فأطفئها. فدخلَ الدار ليُطفئها، فما قدرَ أن يُطفىءَ منها سراجًا واحدًا، وانقطع.

وحُكي عن أبي عبد الله الحُضْري رحمه الله أنه قال: سمعتُ أحمد بن محمد السُلمي يقول: كنتُ بمكّة، وكان لي ثلاثةُ أيامٍ لم آكل شيئًا، فوقعَ في نفسي أن أجمعَ النُّسَّاك ومَنْ بالحرمِ من الفقراء وأهل الفضل، قال: فاكتريتُ أحد عشر مضربًا[1]، وأقبلتِ الفتوحُ من كلِّ جانبٍ، فلم يزل على ذلك أحد عشر يومًا، وهو في طول تلك الأيام لم يأكل شيئًا.

* * *



(١) ضرب الرجل: ذهب يطلب الرزق. انظر التاج.

باب ذكر آدابهم في وقت السماع والوجود

قال الشيخ رحمه الله: حُكي عن الجُنيد رحمه الله: أنَّه كان يقول: السماعُ يحتاج إلى ثلاثة أشياء، وإلاَّ فتركُهُ أولى: الإخوان، والزمان، والمكان.

وحكي عن الحارث المُحاسبيِّ رحمه الله أنَّه كان يقول: ثلاثٌ إذا وجدت مُتِّعَ بهنّ[1]، وقد فقدناهنَّ: حُسْنُ القولِ مع الديانة، وحسنُ الوجهِ مع الصيانة، وحسنُ الإخاء مع الوفاء.

وقال أحمد بن مقاتل رحمه الله: لمّا دخلَ ذو النون رحمه الله بغداد اجتمعَ إليه جماعةٌ من الصوفية، ومعهم قوّالٌ يقول، فاستأذنوه بأن يقولَ شيئًا بين يديه، فأذن لهم، فابتدأ يقول:

صغيرُ هواكَ عذَّبني ... فكيفَ به إذا احتنكا
وأنتَ جمعتَ من قلبي ... هوًى قد كان مُشتركا
أَما ترثي لمكتئبٍ ... إذا ضحكَ الخليُّ بكى[2]

فقام ذو النون وسقطَ على وجهِهِ، والدَّمُ يقطرُ من جبينه، ولا يسقطُ على الأرض، قال: ثم قامَ رجلٌ من القوم يعني يتواجد فقال له ذو النون رحمه الله: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨] قال: فجلس ذلك الرجل.

قال: وسُئل إبراهيمُ المارستاني، رحمه الله عن الحركةِ عند السماع وتخريقِ الثياب، فقال: بلغني أنَّ موسى عليه السلام قصَّ في بني إسرائيل، فمزَّقَ واجدٌ قميصَه، فأوحى اللهُ تعالى إلى موسى عليه السلام: قلْ له: مزّقْ لي قلبَكَ ولا تمزّقْ ثيابك.

---

(١) في الأصل: متعن به.
(٢) الأبيات لمحمد بن عبد الملك ابن الزيات، الأغاني ٢٣/ ٤٥، وسترد ثانية صفحة (٣٩٧).

قال الشيخ رحمه الله: ونذكرُ في باب وصف السماع وبيان الوجد تمامَ هذا الباب إنْ شاء الله تعالى[١].

وقد حُكي عن الجُنيد أنّه قال: لا يضرُّ نقصانُ الوجد مع فضل العلم، وإنّما يضرُّ فضلُ الوجد مع نقصان العلم. والمعنى في ذلك والله أعلم: أنَّ فضلَ العلم يُوجبُ ضبطَ الجوارح عن الحركات عند السماع على قدرِ طاقةِ المُستمع، حتى يقبضَ على جوارحه بعد جهده، وليس من الأدب استدعاءُ الحال، والتكلّفُ للقيام، والفقراءُ المجرّدون يليقُ بهم القيام والمطايبة من غير تذاهبٍ ولا تساكن إلى ذلك، وتركُهُ أَوْلى بهم، وليسَ من الأدب المداخلةُ والمزاحمةُ في السماع مع أهل السماع، والسكونُ مع حضورِ القلب، والوقوفُ على مرامي المستمعين ومعانيهم أَوْلى من المداخلة معهم بالتكلّفِ، وربّما يصيرُ التكلّفُ عادةً، فيكون ذلك أغلظَها على القلوب/ [٨٦] وأظلمَها للوقت، وكلُّ قلبٍ ملوَّثٍ بحبِّ الدنيا، فسماعُهُ لهوٌ، وإن تلفَتْ نفسُه فيه وذهب روحه.



* * *

---

(١) باب وصف السماع صفحة (٣٧٦) وما بعده، وكتاب الوجد صفحة (٤١٣).

باب في ذكر آدابهم في اللباس

قال الشيخ رحمه الله: حُكي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله: أنَّه لبسَ قميصًا أبيض يعني غسيلاً فقال له أحمد: لو لبستَ قميصًا أجودَ من هذا، أو كما قال، فقال له: يا أحمد، ليت قلبي في القلوب مثلُ قميصي في الثياب.

وحُكي عن أبي سُليمان الداراني رحمه الله أنَّه قال: يلبسُ أحدُكم عباءةً بثلاثة دراهم، وشهوتُهُ في قلبه خمسة دراهم، فما يستحيي أن تجاوزَ شهوته لباسه.

وبلغني عنه أنَّه كان يقول: في قَصَرِ الثوب ثلاثُ خصالٍ محمودةٍ: استعمالُ السُّنة، والنظافة، وزيادةُ خِرَقِهِ.

قال: ودخل جماعةٌ على بشرِ بن الحارث رحمه الله، وعليهم المرقّعات، فقال لهم بشرٌ: يا قوم، اتقوا الله، ولا تُظهروا هذا الزِّيَّ، فإنكم تُعرفون به، وتُكرمون له. فسكتوا كلُّهم، فقام شابٌّ من بينهم، فقال: الحمدُ لله الذي جعلنا ممّن يُعرف به ويُكرمُ له، واللهِ لنُظهرنَّ هذا الزِّيَّ حتى يكون الدِّينُ كلُّه لله. فقال له بشر: أحسنتَ يا غلام، مثلُكَ من يلبس المرقّعة.

وسمعت الوجيهي يقول: سمعت الجريري يقول: كان في جامع بغداد فقيرٌ لا تكادُ تجدُهُ إلاَّ في ثوبٍ واحد في الشتاء والصيف، فسُئل عن ذلك، فقال: قد كنتُ ولعتُ بكثرةِ لبس الثياب، فرأيتُ ليلةً فيما يرى النائم، كأنّي دخلتُ الجنَّةَ، فرأيتُ جماعةً من أصحابنا من الفقراء على مائدةٍ، فأردتُ أن أجلسَ معهم، فإذا بجماعةٍ من الملائكة أخذوا بيدي وأقاموني، وقالوا لي: هؤلاء أصحابُ ثوبٍ واحدٍ، وأنت فلك قميصان، فلا تجلس معهم.

فانتبهت، فنذرتُ ألاَّ ألبسَ إلاَّ ثوبًا واحدًا إلى أن ألقى الله عز وجل.

وقال أبو حفص الحدَّاد رحمه الله: إذا رأيتَ ضوءَ الفقيرِ في ثوبه فلا ترجُ خيرَه.

وحُكي عن يحيى بن معاذ الرَّازي أنَّه كان يلبسُ الصوف والخُلْقَان في ابتداء أمره، ثم كان في آخر عمره يلبسُ الخزَّ واللِّين، فقيل ذلك لأبي يزيد رحمه الله، فقال: مسكينٌ يحيى! لم يصبرْ على الدون، فكيف يصبرُ على البحت[١].

وسمعت طيفورُ يقول: ماتَ أبو يزيد ولم يتركْ إلاَّ قميصَه الذي مات فيه، وكانتْ عاريةً عليه. فردُّوها إلى صاحبها.

ومات ابن الكُرِيْني، وكان أستاذَ الجُنيد رحمه الله وعليه مرقعتُهُ، فكان فردُ كُمِّه وتخاريزه عند جعفر الخُلدي فيه ثلاثة عشر رطلاً كما بلغني[٢].

ويقال إن أبا حفص النيسابوري، رحمه الله، كان يلبس قميصًا خزًّا، وثيابًا فاخرةً، وكان له بيتٌ فرشَ فيه الرملَ.

قال الشيخ رحمه الله: وآدابُ الفقراء في اللباس أن يكونوا مع الوقت، إذا وجدوا الصُّوفَ أو اللبدَ أو المرقعة لبسوا، وإذا وجدوا غيرَ ذلك لبسوا، والفقيرُ الصادقُ أيش ما لبسَ يحسنُ عليه، ويكونُ عليه في جميع ما يلبس الجلالةُ والمهابةُ، ولا يتكلَّفُ ولا يختار، وإذا كان عليه فضلٌ يُواسي من ليس معه، ويؤثرُ على نفسه إخوانَه بإسقاطِ رؤية الإيثار، ويكون الخُلْقَانُ أحبَّ إليه من الجديد، ويتبرَّمُ بالثيابِ الكثيرة الجيّدة، ويضنُّ بالخُريقات الخَلَقِ القليلة، ويتكلَّفُ للنظافة والطهارة.

وإن أخذتُ في ذكر ما يجبُ في هذا الباب يطولُ، وفيما ذكرتُهُ كفايةٌ.

* * *

(١) في (ن) و(ع): على البخت.

(٢) تقدم الخبر صفحة (٢٠٨).

باب في ذكر آدابهم في أسفارهم

قال الشيخ رحمه الله: حُكي عن أبي عليّ الرُّوذباري رحمه الله أنَّه جاء إليه رجلٌ، وكان عزمُهُ أن يسافرَ، فقال: يا أبا عليّ، تقولُ شيئًا؟ فقال: يا فتى، كانوا لا يَجتمعون عن موعدٍ، ولا يفترقونَ عن مَشورة.

قيل: وسُئل رُويم رحمه الله عن أدبِ المُسافر في سفره إذا أرادَ أن يُسافرَ/ فقال: لا يُجاوزُ همُّهُ قدمَهُ، وحيثما وقف قلبُهُ يكونُ منزلَه. [٨٧]

سمعتُ هذه الحكاية عن عيسى القصّار الدِّينوريِّ قال: سألتُ رُويمًا.

وحُكي عن محمد بن إسماعيل أنَّه قال: كنّا نسافرُ منذ عشرين سنة، أنا وأبو بكر الزقّاق، وأبو بكر الكتّاني رحمة الله عليهم، لا نختلطُ بأحدٍ من الناس، ولا نعاشرُ أحدًا، فإذا قدمنا إلى البلدِ إن كان فيه شيخٌ سلّمنا عليه وجالسناه إلى الليل، فإذا جاءَ الليلُ رجعنا إلى مسجدٍ، يتقدّمُ[١] الكتّانيُّ فيصلّي من أوّلِ الليل إلى أن يُصبحَ، ويختم القرآنَ، ويجلسُ الزقّاق مستقبلَ القبلةِ، وأنا متفكّرٌ إلى أن نصبح، ثم يُصلّي كُلُّنا صلاةَ الغداةِ بوضوءِ العتمة، فإذا وقعَ معنا إنسان ينام كنّا نرى أنَّه أفضلُنا.

وقال أبو الحسن المزيّن[٢] رحمه الله: حكمُ الفقير أن يكونَ كلَّ يومٍ في منزلٍ، ولا يموتُ إلاَّ بين منزلين.

وفيما حُكي عن المُزيّن الكبير رحمه الله أنه قال: كنتُ يومًا مع إبراهيم الخوّاص رحمه الله في بعض أسفارِهِ، فإذا عقربٌ يسعى على فخذِهِ، فقمتُ لأقتلَها، فمنعني من ذلك، وقال لي: دعها، كلُّ شيءٍ مُفتقرٌ إلينا، ولسنا مُفتقرين إلى شيء.

---

(١) في (ن) و(ع): فيقدم الكتاني.

(٢) الأصل أبو الحسين، والمثبت من مصادر ترجمته، انظر مناقب الأبرار ٢/ ٧٣٠.

وكان الشِّبليُّ رحمه الله إذا نظرَ إلى من يُسافرُ من أصحابه، ويرى تَقطُّعَهم في أسفارهم، يقول: ويلكم أبدٌ مما ليس منه بدٌّ.

وحُكي عن أبي عبد الله النصيبي رحمه الله قال: سافرتُ ثلاثين سنةً ما خطتُ قطُّ خرقةً على مرقعي، ولا عدلتُ إلى موضعٍ علمتُ أن لي فيها رفقاءَ، ولا تركتُ أحدًا يحمل معي شيئًا.

قال الشيخ رحمه الله: ليس من آدابهم أن يُسافروا للدَّوران والنظر إلى البلدانِ وطلبِ الأرزاق، ولكنْ يُسافرون إلى الحجِّ، والجهادِ، ولقاءِ الشيوخ، وصلةِ الرحم، وردِّ المظالم، وطلبِ العلم، ولقاءِ مَنْ يفيدون منهم شيئًا في علوم أحوالهم، أو إلى مكانٍ له فضلٌ وشرفٌ، ولا يتركون في أسفارهم شيئًا من أخلاقهم وأورادِهم التي كانوا يعملونها في الحضر، ولا يغتنمون قصرَ الصلاة، وإفطارَ شهر رمضان، وإذا كانوا جماعةً يمشون بمشي أضعفِهم، ويخدمُهُم الأشفقُ عليهم، وإذا جلسَ واحدٌ لقضاء حاجةٍ وقفوا لفراغه، وإن تخلّفَ واحدٌ انتظروه، وإن عَجَزَ أحدُهم عن المشي أو اعتلَّ أقاموا عليه، وإذا دخلَ وقتُ الصلاة لم يَبرحوا من موضعهم حتى يُصلّوا، إلاَّ أن يكونَ معهم ماءٌ أو بقربٍ منهم الماء، وهذا حالُ الضعفاء، وأمَّا حالُ الأقوياء فكما قال إبراهيمُ الخوّاص رحمه الله: ما هابني شيءٌ قطُّ إلاَّ ركبتُهُ.

وكما سُئل أبو عمران رحمه الله عن الجزع والعجزِ الذي يلحقُ المسافر في سفره، فقال: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ [القصص: ٧] يعني: لا تبالِ أيش ما لحقك بعد ما تكون متوجِّهًا إلى الله تعالى. وهو أبو عمران الطبرستاني(١).

وقال أبو يعقوبَ السوسيُّ رحمه الله: يحتاجُ المسافرُ في سفره إلى أربعةٍ

(١) تقدم الخبر صفحة (٤٣٨، ٤٣٩).

أشياء، وإلاَّ فلا يُسافر: علمٍ يَسوسه، وورعٍ يحجزُهُ، ووجدٍ يحمله، وخُلقٍ يصونه.

وقال أبو بكر الكتَّاني رحمه الله: إذا سافرَ الفقيرُ إلى اليمنِ، ثم رجع إليه مرةً أُخرى، هجروه، ويأمروا بهجرانه[١].

ويقال: إنما سُمّي السفر سفرًا، لأنَّه يُسفرُ عن أخلاقِ الرجال.

فهذا ما حضرني من آدابهم في أسفارِهم. وبالله التوفيق[٢].

* * *



(١) في (ن) و(ع): وتآمروا بهجرانه.

(٢) جاء في الأصل: في أصله بلغ السماع من... في الوضوء على أبي بكر الكوفاني بقراءة الفراوي جماعة منهم... عيسى السُّجْزي في شهر... وستين وأربعمئة... نقله أحمد بن محمد الطاهري... شاهدَهُ بخط ابن يحيى. وانظر الحاشية (٢) ص (٧٣).

باب في ذكر آدابهم في بذل الجاه والسؤال والحركة من أجل الأصحاب

قال الشيخ رحمه الله: سمعتُ جماعةً من أصحابِ الشيخ أبي عبد الله الصُّبيحي يقولون: لا يصحُّ الفقرُ للفقيرِ حتى يخرجَ من الأملاك، فإذا خرجَ من الأملاك يتولَّدُ له جاهٌ من ذلك، فينبغي أن يبذلَ جاهَهُ حتى لا يبقى له جاه، فإذا بذلَ جاهَهُ بقي عليه قوَّةُ نفسه، فيبذل ذلك يعني نفسه لأصحابِهِ بالخدمة لهم، والحركةِ في أسبابهم، فعند ذلك يصحُّ له الفقرُ.

[٨٨] سمعتُ أبا عبد الله الرُّوذباري يقول: دخل مظفر القرميسيني/ الرملةَ ومعه السيِّدُ، وكان لهما جاهٌ عظيمٌ عند أغنياء البلد، فما زالوا يَبذلون جاهَهُم ويُنفقون على الفقراء حتى لم يبقَ لهم جاهٌ عند أحدٍ، وكان لا يُعطيهم أحدٌ شيئًا بسؤالٍ ولا بدينٍ ولا برهنٍ، فعند ذلك كان يطيبُ وقتُهم.

وقيل لإبراهيم بن شيبان رحمه الله: أيشٍ حال مُظفر القِرْمِيسيني: الخرقتان، والسؤالُ، والخدمة لأصحابه؟ فقال: قد رفعَ قدمًا في الفتوَّةِ لله، فلا يريدُ أن يتأخَّرَ عن قدمٍ رفعها لله تعالى.

وكان بعضُ الصوفيةِ ببغداد لا يكادُ أن يأكلَ شيئًا إلاّ بذُلِّ السؤال، فسُئل عن ذلك، فقال: اخترتُ ذلك لشدَّةِ كراهيةِ نفسي ذلك.

ودخل شيخٌ من أجلّةِ الشيوخ بلدًا، فرأى فيها مريدًا قد أجابته نفسُهُ لكلِّ شيء من الطاعات والعبادات، والفقر والتقلّل، وكان قد تولّدَ له من ذلك قبولٌ عند العامة، فقال له هذا الشيخ: لا يصحُّ لك جميعُ ما أنت فيه إلاّ أن تَكدّي الكِسَرَ من الأبواب، ولا تأكل شيئًا غيرها. فصعبَ ذلك على المُريد، وعَجَزَ عن ذلك، فلمّا كبر سنُّهُ اضطرّ إلى السُّؤال والحاجة، فكان يرى أنّ ذلك عقوبةٌ لمخالفته لذلك الشيخ في أيام إرادته.

قال أبو نصر رحمه الله: كان هذا الشيخَ أبو عبد الله بن المُقْري، والشيخَ الذي أمرَهُ بالسؤال أبو عبد الله السِّجزي رحمه الله.

وبلغني عن شيخٍ من الأئمة أنَّه كان يصومُ ويطلبُ لإفطارِهِ كِسَرًا من الأبواب، ولا يأكلُ غيرَها شيئًا إلى وقتِ إفطاره من الليلة الثانية، ففَطِنَ به رجلٌ، فوضع بين يديه طعامًا، فلم يأكلْ منه، وفارقَ ذلك الموضع الذي عُرِفَ به، ولم يرجعْ إليه بعد ذلك.

وحُكي عن ممشاد الدِّينوري أنَّه كان ربَّما يقدمُ عليه جماعةٌ من إخوانه من الفقراء، فكان يدخلُ السوقَ، ويجمعُ في حِجره كِسَرًا من الدكاكين، ويحملُ إليهم.

وحُكي عن بُنان الحمّال أنه قال: ما علمتُ قطُّ بأنّي صفعانُ إلاَّ مرَّةً واحدة، رأيتُ فقيرًا يصوم النهار، ويخرجُ بعد المغربِ إلى السوق، ويأخذ من كلِّ دكانٍ لقمةً، فإذا سدَّ رمقَهُ رجعَ إلى موضعه، فأخذتُهُ معي ليلةً، وكنتُ آخذُ من الناس الخبزَ الكثيرة واللحمَ والحلواء والفواكه، وأدفعُ إليه حتى اجتمعَ معه من ذلك شيءٌ كثير، فلمّا أرادَ أن ينصرفَ، قال لي: يا شيخ، أنت صاحبُ شُرطةٍ؟ فقلت: لا، أنا بُنان الحمّال. فرمى جميع ما كان معه في وجهي، وقال لي: يا صَفعان، هذا الذي تفعلُهُ أنت إنَّما يفعلُهُ عندنا صاحبُ الشرطة لا المشايخ، كلُّ من تقول له: هات، فيُعطيك ما تُريد.

وحُكي عن بعض المريدين، وطلبَ شيئًا لأصحابِهِ، وأكلَ معهم، فأنكرَ عليه جماعةٌ من المشايخ أكلَهُ معهم، وقالوا: خدعَتْكَ نفسُك، وطلبْتَ لنفسك، ولو كنتَ طلبتَ لأصحابك وبذلتَ جاهك لهم لم تأكلْ معهم.

قال الشيخ رحمه الله: وحكمُ مَنْ يفعلُ ذلك أن يتركَ ذلك إذا صارَتْ عادتَهُ، وسكنتْ إلى ذلك نفسُه، ومن سأل الضرورة، ولم يأخذْ إلاَّ ما لا بدَّ له من ذلك، فإن أعطوه الكثيرَ فيأخذ منه حاجتهُ ويُخرجُ الباقي. والأكلُ

بالسؤالِ أجملُ من الأكل بالتقوى، والفقيرُ إذا اضطرَّ إلى السؤال فكفَّارتُهُ صدقَةُ.

ومرَّ على بعض المشايخ أيامٌ، ولم يأكلْ شيئًا، وكان في بلدِ غربةٍ حتى كادَ يتلفُ، ولم يسألْ، فقيل له في ذلك، فقال: مَنعني عن السؤال قولُ النبيِّ ﷺ: «لو صدقَ السَّائلُ ما أفلحَ مَنْ ردَّهُ»(١)، وكرهتُ أن يردَّني مسلمٌ فلا يُفلحُ لقول النبيِّ ﷺ.

* * *



(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا٢/ ٢٢١ (٢١٠٠) وذكر اختلاف روايته، وضعّفها كلها.

باب في ذكر آدابهم إذا فتح عليهم شيء من الدنيا

قال الشيخ رحمه الله: قال أبو يعقوب النّهرجوري رحمه الله: سمعتُ أبا يعقوب السُّوسي رحمه الله، يقول: جاءنا فقيرٌ، ونحن بأَرَجَان[1]، وسهلُ بنُ عبد الله رحمه الله يومئذٍ بها، فقال: إنّكم أهلُ العناية، فقد نزلتْ بي محنةٌ، قال سهل بن عبد الله رحمه الله: / في ديوان المحن وقعتَ منذ تعرّضْتَ لهذا [٨٩] الأمر، فما هي؟ قال: لي شيءٌ من الدنيا، فاستأثرتُ بها في غير ذي محرمٍ، ففقدتُ إيماني وحالي. فقال سهل لأبي يعقوب رحمهما الله تعالى: أيش تقول في هذا؟ قال: فقلتُ: محنتُهُ بحالِهِ أعظمُ من محنتِهِ بإيمانه. فقال سهل: مثلُكَ يقولُ هذا.

وحُكي عن خير النسّاج رحمه الله قال: دخلتُ بعضَ المساجد، وإذا فيه فقيرٌ من الفقراء، وكنتُ أعرفُهُ، فلمّا رآني تعلّقَ بي، وبكى، وقال لي: أيُّها الشيخ، تعطّفْ عليّ؛ فإنَّ محنتي عظيمة. فقلتُ: يا هذا، وما محنتُكَ؟ قال لي: فقدتُ البلاءَ، وقورنْتُ بالعافية، وأنت تعلمُ أنَّ هذه محنةٌ عظيمة. قال: وكان قد فُتِحَ عليه شيءٌ من الدنيا.

وقال أبو تُراب النَّخشبيّ رحمه الله: إذا توافرَتِ النِّعم على أحدِكم فليبكِ على نفسِهِ، فإنّه سُلكَ به غيرُ طريق الصالحين.

وسمعتُ الوجيهيَّ رحمه الله يقول: حُمِلَ إلى بُنان الحمَّال ألفُ دينار، وصبُّوها بين يديه، فقال للذي صبَّه: ارجعْ وخذه، وواللهِ لولا ما عليه من كتابةِ اسمِ الله تعالى لبلتُ عليها، هو ذا يغرِّرُ بي ببريقه.

قال: وفُتِحَ لابن بُنان رحمه الله أربعمئة درهم، وهو نائم، فوضعوها عند

---

(١) أَرَّجان: وعامة العجم يسمونها: (أرغان): مدينة كبيرة برية بحرية سهلية جبلية، بينها وبين شيراز ستون فرسخًا، وبين سوق الأهواز ستون فرسخًا أيضًا. معجم البلدان.

رأسِهِ، فرأى في المنام كأنَّ قائلاً يقول: مَنْ أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى اللهُ تعالى قلبَهُ، فانتبه، فأخذَ منها دانقين، وترك الباقي.

وسمعتُ ابنَ علوان يقول: حُمل إلى أبي الحُسين النُّوري رحمه الله ثلاثمئة دينار، قد باعوا عِقارًا له، فجلسَ على قنطرةِ الصّراة[1] وهو يخذفُ بواحدٍ واحدٍ منها إلى الماء، ويقول: سيدي تريدُ أن تخدعني عنك بهذا.

وحكى جعفرُ الخُلدي قال: كان ابن زَيْرى من أصحابِ الجُنيد رحمهما الله تعالى، وكان قد فُتِحَ عليه شيءٌ من الدنيا، فانقطعَ من الفقراء، فاستقبلنا يومًا، وفي كُمِّه منديلٌ فيه دراهم كثيرةٌ، فلمّا رآنا من بعيدٍ قال: يا أَصحابَنا، إذا كنتم أَنتم متعزِّزين بالفقر، ونحن مُتعزِّزين بالغِنى، فمتى نلتقي؟ قال: ثم رمى إلينا بجميع ما كانَ في كُمِّه.

وقال أبو سعيد بن الأعرابي: كان فتىً يَصحبُ أبا أحمد القلانسي رحمه الله، ثم غابَ عنه مدَّةً، ثم رجع من سفره، وقد فُتح عليه شيءٌ من الدنيا، واجتمعَ عنده مالٌ، فقلنا لأبي أحمد: تأذنُ لنا أن نزوره؟ فقال: لا، فإنَّه كان يَصحبُنا على الفقر، ولو بقي على حاله كان ينبغي لنا أن نزورَهُ، فإذا رجع من سفره على هذه الحالة، فيجبُ عليه أن يزورنا.

وحَكى أبو عبد الله الحُصْري، قال: مكثَ أبو حفص الحَدّاد رحمه الله بالرّملة، وعليه خرقتان، وفي وسطه ألفُ دينار، وهو يمكثُ اليومين والثلاثة والأربعة وأبى أن يأكلَ منها، وهو يُواسي الفقراءَ منها إلى أن فني عن آخرها.

وقال الحُصْري رحمه الله: خرجتُ مع الشِّبلي في أيامِ القحط نطلبُ شيئًا لصبيانه، فدخلَ عليه إنسانٌ، فأعطاه دراهمَ كثيرةً، قال: فخرجنا من عنده وكُمّي ملأى من الدراهم، فكلّما لقينا إنسانًا من الفقراء أعطاه منه حتى لم يبقَ إلاَّ القليلُ، فقلت له: يا سيدي، الصبيان في البيت جياع. فقال لي: أيشٍ

(١) قنطرة الصراة: هي قنطرتان: (القنطرة العتيقة، والقنطرة الجديدة) على نهر الصراة أحد فروع نهر دجلة غربي بغداد. انظر دليل خارطة بغداد: ٧٧ وما بعدها.

أعمل؟ فبعدَ الجهد حتى اشتريتُ شيئًا من الكُسْبِ[١] والجزر بما بقي من الدَّراهم، وحملته إلى صبيانه.

وحُكي عن أبي حسين الدرّاج[٢] قال: خرجَ أستاذي يومًا يتطهَّرُ، فأخذتُ كنفه، ففتَّشْتُهُ، فوجدتُ فيه شيئًا من الفضة مقدار أربعة دراهم، فتحيّرتُ في أمره، وكان لنا أوقاتٌ لم نأكلْ شيئًا، فلما رجعَ قلتُ له: كان في كنفك كذا، ونحن جياعٌ! قال: هاه أخذتَهُ، ردّه، ثم قال لي بعد ذلك: خذه واشترِ به شيئًا. فقلت: بحقِّ معبودك، ما أمرُ هذه الفضة؟ فقال: لم يرزقْني اللهُ تعالى شيئًا من الدُّنيا صفراء ولا بيضاء غيرها، فأردتُ أن أوصيَ أَنْ تُدفنَ معي، فإذا كان يوم القيامة أردُّها إلى الله تعالى، أقول: هذه الذي[٣] أعطيتني من الدُّنيا، أو كما قال.

قال ودفع/ وزيرُ المعتضد مالاً إلى أبي الحُسين النُّوري حتى يُفرِّقَهَ على المتصوّفة، فصبَّهُ في بيتٍ، وجمع صوفيةً بغداد، فقال لهم: كلُّ مَنْ يحتاجُ منكم إلى شيءٍ، فليدخلِ البيتَ، وليأخذ حاجته منه. فكان يأخذ الرَّجلُ مئة درهم، والآخرُ أكثر، والأخرُ أقلَّ، ومنهم مَنْ لا يأخذُ شيئًا، فلمَّا فنيتِ الدراهم، ولم يبقَ شيءٌ، قال لهم: بعدُكُم من اللهِ تعالى على مقدارِ أخذكم من الدراهم، وقربُكُم من الله تعالى على مقدارِ ترككم لها. [٩٠]

* * *

(١) الكُسْب: عُصارة الدهن. المعجم الوسيط.

(٢) في (ن) و(ع): أبي جعفر الدراج.

(٣) كذا.

باب في ذكر آداب من اشتغل بالمكاسب والتصرف في الأسباب

قال الشيخ رحمه الله: قال سهل بنُ عبد الله رحمه الله: من طعنَ على الاكتساب، فقد طعنَ على السُّنَّة، ومن طعنَ على التوكُّل فقد طعنَ على الإيمان.

وسُئل الجُنيد رحمه الله عن الكسب، فقال: يستقي الماء، ويلقُطُ النَّوى.

وكتبَ إسحاق المغازلي رحمه الله ـ وكان من أحدّ المشايخ ـ إلى بشرِ بن الحارث رحمه الله، وكان بشرٌ يعملُ المغازل، فكان في كتابه: بلغني عنك أنَّك استغنيتَ عن أمرِ معاشك بعملِ هذه المغازل، أرأيتَ إن أخذَ الله تعالى سمعَكَ وبصرَكَ، الملتجأُ إلى من؟ قال: فتركَ بشرٌ ذلك العمل، واشتغل بالعبادة.

وسأل رجلٌ ابنَ سالم بالبصرة رحمه الله، وأنا حاضرٌ في مجلسه، وكان يتكلَّمُ في فضلِ المكاسب، فقال له: أيُّها الشيخ، نحن مُستعبدون بالكسب أم بالتوكُّلِ؟ فقال ابنُ سالم: التوكُّلُ حالُ الرسول، والكسبُ سُنَّةُ الرسول ﷺ، وإنَّما استنَّ لهم الكسبَ لعلمه بضعفهم، حتى إذا سَقطوا عن درجة التوكُّلِ التي هي حالُهُ، لا يسقطوا عن درجةِ طلبِ المعاش التي هي سُنَّتُهُ، ولولا ذلك لهلكوا.

وحُكي عن عبد الله بن المبارك أنَّه كان يقول: لا خيرَ فيمن لا يذوقُ ذلَّ المكاسب.

وكان عبدُ الله بن المبارك يقول: مكاسبُك لا تمنعُكَ عن التفويض والتوكل إذا لم تُضيِّعْهما في كسبك.

ويُقال: إنَّ أبا سعيد الخرَّاز رحمه الله خرجَ سنةً من السنين من الشام إلى مكَّةَ مع القافلةِ، فجلسَ ليلةً إلى الصباح يخرز نعالَ أصحابه من الفقراء والصوفية.

وقال أبو حفص رحمه الله: تركتُ الكسبَ مرةً، ثم عاودتُهُ، ثم تركني الكسب، فلم أعاود إليه بعد ذلك.

وحُكي عن بعض الفقراء أنَّه كان بدمشق رجلٌ أسودُ، ويصحبُ الصوفية، وكان يمرُّ كلَّ يومٍ يدقُّ الجصَّ بثلاثة دراهم، ولا يأكُلُها إلاَّ في ثلاثةِ أيام، فإذا أخذَ الأجرة، يشتري به طعامًا، ويجيء إلى أصحابه، ويأكلُ معهم أكلةً، ويرجعُ إلى عمله.

وحُكي عن أبي القاسم المُنادي رحمه الله أنَّه كان يخرجُ من منزله، فإذا كان وقعَ في يده مقدارُ دانقين يرجعُ من الطريق إلى منزله أيَّ وقتٍ كان.

وحُكي عن إبراهيمَ الخَواص رحمه الله أنَّه كان يقول: إذا عرَّجَ المُريد على الأسباب بعد ثلاثةِ أيام فالعملُ في المكاسب ودخولُ السوق أولى به.

وحُكي عن إبراهيم بن أدهم أنَّه كان يقول: عليك بعملِ الأبطال الكسبِ من الحلال، والنفقة على العيال.

قال أبو نصر رحمه الله: ومن اشتغلَ بالمكاسب فأدبُهُ ألاَّ يشتغلَ عن أداءِ الفرائض في أوقاتها، ولا يرى رزقَهُ من ذلك، وينوي بذلك معاونةَ المسلمين، وينصفهم، فإذا فضل شيءٌ من كسبِهِ ونفقةِ عياله، لا يجمعُ ولا يمنع، ويُنفقُ على إخوانه من الفقراء الذين ليس لهم معاشٌ ولا معلوم ولا سؤال، لأنَّه وإن امتُحِنَ بذلك، فهو واحدٌ منهم، وكذلك هؤلاء الذين ليس لهم علاقةٌ إذا فُتح عليهم شيءٌ ساعدوه، ويهتمّون بأسبابه أكثرَ من اهتمامهم بأنفسهم.

وحُكي عن أبي حفص الحدَّاد رحمه الله، أنَّه كان أكثرَ من عشرين سنةً يعملُ في كلِّ يومٍ بدينار، وينفقُهُ عليهم يعني الصوفية ولا يسألُ عن مسألةٍ،

ويصوم، ثم يخرجُ بين العشاءين فيتصدَّقُ من الأبواب.

وقال الشِّبليُّ رحمه الله لرجلٍ: أيشٍ حرفتُكَ؟ فقال: خرّازٌ، فقال له: نسيتَ اللهَ تعالى بين الخرز والخرز؟

وقال ذو النون رحمه الله: إذا طلب العارفُ المعاشَ فهو لا شيء.

[٩١] والله تعالى أعلم./

* * *



باب في آداب الأخذ والعطاء، وإدخال الرفق على الفقراء

قال الشيخ رحمه الله: أخبرني جعفر الخُلدي رحمه الله، قال: سمعتُ الجُنيد رحمه الله يقول: سمعتُ سريَّ السَّقَطي رحمه الله يقول: أَعرفُ طريقًا مُختصرًا إلى الجنة: لا تسألُ أحدًا شيئًا، ولا تأخذُ من أحدٍ شيئًا، ولا يكونُ معك شيءٌ تعطي أحدًا.

وحُكي عن الجُنيد رحمه الله أنَّه قال: لا يصحُّ لأحدٍ الأخذُ حتى يكونَ الإخراجُ أحبَّ إليه من الأخذ.

وقال أبو بكر أحمدُ بن حَمُّويه صاحبُ الصُّبيحي رحمه الله: مَنْ أخذَ لله أخذ بعزٍّ، ومن تركَ لله ترك بعزٍّ، ومَنْ أخذ لغير الله أخذ بذلٍّ، ومَنْ تركَ لغير الله ترك بذلٍّ.

سمعتُ أحمد بن عليّ الوجيهي يقول: سمعتُ الزقّاق يقول: استقبلني يوسفُ الصائغُ بمصر، ومعه كيسٌ فيه دراهم، فأراد أن يُناولني، فرددتُ يدَهُ إلى صدره، فقال: خذها منّي ولا تردَّها عليّ، فلو علمتُ أنّي أَملكُ شيئًا، أو أنّي أُعطيك شيئًا ما أعطيتك هذا.

سمعتُ أحمد بن علي يقول: سمعتُ أبا علي الرُّوذباريَّ رحمه الله يقول: ما رأيتُ أحسنَ أدبًا من ابنِ رفيع الدمشقي في إدخال الرّفقِ على الفقراء، وذلك أنّي بتُّ عنده ليلةً، فحكيتُ عن سهل بن عبد الله رحمه الله، أنَّه قال: علامةُ الفقير الصادق ألاَّ يسألَ ولا يردَّ، ولا يحبسَ، فلمَّا أردتُ أن أفارقَهُ، حملَ معه شيئًا من الدراهم، ووقفَ على الجانب الذي حملتُ ركوتي، وقال لي: كيف حكيتَ عن سهل الحكاية؟ فلمّا حكيتُ له الحكاية، وقلتُ له: لا تسألُ ولا تردُّ، فطرحَها في ركوتي، وانصرف.

وقال أبو بكر الزقّاق رحمه الله: ليسَ السخاءُ أن يُعطي الواجدُ المُعدمَ، إنَّما السخاءُ أن يُعطيَ المُعدمُ الواجد.

وحُكي عن أبي محمد المُرتعش رحمه الله أنَّه قال: لا يصحُّ الأخذُ عندي حتى تقصدَ من تأخذ منه، فتأخذ له لا لك.

وحُكي عن جعفر الخُلدي، عن الجُنيد رحمه الله أنَّه قال: ذهبتُ يومًا إلى ابن الكُرِيْني ومعي دراهم أُريدُ أن أدفَعها إليه، وكان عندي أنَّه لا يعرفني، وسألتُ أن يأخذَ ذلك، فقال: أنا عنه مستغنٍ. وأبى أن يأخذَ منّي، فقلتُ له: إنْ كنتَ أنت عنها مُستغنيًا فأنا رجلٌ من المسلمين أُسرُّ بأخذك لها؛ فتأخذها لإدخالِ السرور علي؟ فأخذها مني.

وذُكر عن أبي القاسم المُنادي رحمه الله أنَّه كان إذا رأى دخانًا يخرجُ من بيتِ بعض جيرانه، فيقول لبعضٍ من يكون عنده: مرَّ إلى هؤلاء فقلْ لهم: أعطونا من هذا الذي تطبخون. فقال له قائلٌ: فعسى يسخّنون الماء. فقال: مرّ إليهم، لأيِّ شيءٍ يصلحُ هؤلاء الأغنياء غير أن يعطونا شيئًا، ويشفعوا لنا في الآخرة.

وقال الجُنيد رحمه الله: حملتُ دراهمَ إلى حسينِ بنِ المصري، وكانتِ امرأتُهُ قد ولدت، وهم في الصحراء، وليس لهم جارٌ، فأبى أن يقبلَها منّي، فأخذتُ الدراهم، ورميت في الحِجرة التي كانت فيها المرأةُ، وقلت: أيَّتُها المرأةُ، هذه لك، فلم يكن له حيلةٌ فيما فعلت.

وسُئل يوسف بن الحسين رحمه الله: إذا واخيتُ رجلاً في الله، فخرجتُ إليه بكلِّ مالي، هل أكونُ قائمًا بحقِّهِ فيما ملّكني الله تعالى؟ قال: أنّى لك بما ألزمته من ذلِّ الأخذ، واستدركتَ من عزّ الإعطاء، إذا كان في العطاء رفعة، وفي الأخذ مذلّة؟.

* * *

باب في آداب المتأهّلين ومن له ولد

قال الشيخُ رحمه الله: قال أبو سعيد بن الأعرابي: كانَ سببُ تزويج أبي أحمد القلانسي، واسمه مُصعبُ بن أحمد، أنَّ شابًا من أصحابه خطبَ ابنةً لصديقٍ لأبي أحمد، فلمّا حضر وقتُ عقد النكاح امتنعَ الشابُّ، واستحيا من ذلك الرجل الذي كان يزوّجه بابنته، فلمّا رأى ذلك أبو أحمد قال: يا سبحان الله، يزوّج رجلٌ بكريمته، فتمتنع عليه! فاعقدوا النكاح على أبي أحمد. وقبّل رأسَ أبي أحمد، قال: ما علمتُ أنَّ لي عند الله تعالى من المقدار أن يكونَ لي مثلَكَ ختنٌ، وما علمتُ أنَّ لابنتي عند الله تعالى من المقدارِ أن يكونَ لها مثلك زوجٌ.

قال أبو سعيد: بقيتْ عنده ثلاثين سنةً وهي بكرٌ، أو كما قال.

وحُكي عن محمد بن عليّ القصّاب رحمه الله/ أنّه كان له أهلٌ وولدٌ، [٩٢] وكانت له بنيّةٌ، وكان جماعةٌ من أصدقائه عنده يومًا، فصاحتِ الصبيّةُ: يا ربَّ السماء، نُريدُ العنب. فضحك محمد بنُ عليّ وقال: قد أدّبتهم بذلك، حتى إذا احتاجوا إلى شيءٍ يطلبون من الله تعالى ولا يطلبون منّي.

وسمعتُ الوجيهي يقول: كان لبُنان الحمّال رحمه الله أولادٌ، فربّما كان يجيءُ ابنُهُ ويقول: يا أبي، أُريد خبزًا. وكان يصفعُهُ ويقول: مُرَّ، كدَّ مثلَ أبيك.

وقال: وجاءَ يومًا فقال: يا أبي، إنّي أُريد مشمشًا. قال: فأخذَ بيده، وجاء به إلى مَنْ يبيعُ المشمش، وقال له: ادفعْ إليه مشمشًا بقيراطٍ حتى أَصيحَ على مشمشك إلى أن تبيعه. فدفع إليه الرجلُ، ووقف بُنان يصيحُ: يأيُّها الناس، اشتروا من هذا الصغير الغذاءَ الذي يَفنى ولا يبقى. فما لبث طويلاً حتى باعَ الرَّجلُ مشمشَهُ كلَّه.

وحُكي عن إبراهيم بنِ أدهم رحمه الله أنّه قال: إذا تزوّجَ الفقيرُ فمثَلُهُ مثلُ رجلٍ قد ركب السفينة، فإذا ولِدَ له قد غرقَ. وهذه الحكاية تُعرف لسفيان الثوري رحمه الله.

وحُكي عن بشر بنِ الحارث رحمه الله، أنه قال: لو دُفعتُ إلى الاهتمام بمؤنة دجاجةٍ[1] ما أمنت على نفسي أن أُصبحَ شرطيًا.

وكان لأبي شُعيب البُراثي كوخٌ، فمرّت به امرأةٌ من أبناء الدنيا، فقالتْ له: إنّي أُريد أن أتزوّجَ بك وأخدمَكَ. فخرجَتْ من جميع ما كانت تملكُهُ، وتزوّجَ بها أبو شعيب، فلمّا أرادتْ أن تدخلَ الكوخَ نظرتْ إلى قطعة خُصّافٍ[2]، فقالتْ: ما أنا بداخلةٍ حتى تُخرجَها، أليس سمعتُك تقولُ: تقولُ الأرضُ لابنِ آدم: تجعلُ اليومَ بيني وبينك شيئًا، وأنت غدًا في بطني؟ فما كنتُ لأجعلَ بيني وبينك حجابًا. فأخذ الخُصّاف وأخرجها، فرمى بها، ثم قال: ادخلي. فدخلتْ، فمكثا يتعبّدان في ذلك المكان سنين كثيرة، حتى توفّيا وهما على تلك الهيئة.

قال الشيخ رحمه الله: وليسَ من آدابِ من تزوّجَ، أو كان له ولدٌ، أن يكِلَ أمرَ عياله إلى الله تعالى، ويجبُ عليه أن يقومَ بفرضهم، إلاّ أن يكونوا مثله في الحال، وليس من آدابهم أن يتزوّجوا ذوات اليسار، ويدخلوا في رفق نسائهم، ومن أدبِ الفقير أن يتزوّجَ بفقيرةٍ مقلّةٍ، وأن يُنصفَها، وإن رغبتْ فيه امرأةٌ غنيةٌ ألاّ يرتفق منها.

وحُكي عن فتح الموصلي رحمه الله، أنَّه أخذَ يومًا صبيًّا له، فقبّله، قال فتح: سمعتُ هاتفًا يقول: يا فتح، ألا تستحي أن تُحبَّ معنا غيرَنا؟ قال: فما قبّلتُ ولدًا لي بعد ذلك.

فإن قالَ قائلٌ قد كان لرسول الله ﷺ أولادٌ، وكان يُقبّلُهم ويعانقُهُم

---

(١) في (ن) و(ع): بمؤونة وحاجة.

(٢) الخُصّاف: كرُمّان، حصير من خوص. التاج.

ويضمُّهم إلى صدره، وقال الأقرع بنُ حابس لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، لي عشرةٌ من الولد ما قبّلتُ واحدًا منهم. فقال ﷺ: «من لا يَرحمُ لا يُرحم»[1].

يقال لقائل هذا القول: قد أبعدتَ القياس؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ إمام الخلق إلى يوم القيامة، ومصحوبُهُ العصمةُ وقوّةُ النبوّة، وأنوار الرسالة في جميع الأشياء، لا تأخذُ منه الأشياء، ولا يكونُ في الأشياء بحظِّه؛ لأنَّ جميعَ حركاته تأديبٌ للغير من أُمّتِهِ، وهؤلاء ليس لهم تلك القوة، ولا ذلك التخصيص، وإذا لاحظَهم بعنايته يغار عليهم أن يدعَهم أن يلتفتوا بخواطرهم إلى من سواه.

* * *



(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨) عن أبي هريرة.

باب في ذكر آدابهم في الجلوس والمجالسة

قال الشيخ رحمه الله: حُكي عن سريّ السَّقَطي رحمه الله أنَّه كان يقول: الجلوسُ في المساجدِ حوانيتُ ليس لها أبواب.

وسُئل سريٌّ عن المروءة، فقال: صيانةُ النفسِ عن الأدناس، وإنصافُ الناس في المجالسة، فإنْ زاد كان متفضّلاً.

وقال بعضُ المشايخ: الفقيرُ ينبغي له أن تكون سجّادتُهُ على أليتيه. يعني من كثرة الجلوس.

وحُكي عن أبي يزيد رحمه الله أنه قال: قمتُ ليلةً أُصلّي، فعييتُ، فجلستُ ومددتُ رجلي، فسمعتُ هاتفًا يقول: مَنْ يُجالسُ الملوكَ ينبغي له أن يُحسنَ الأدب.

وعن إبراهيم بنِ أدهم رحمه الله أنه قال: تربَّعْتُ مرَّةً، فهتف بي هاتفٌ: هكذا تُجالسُ الملوك؟ فما تربَّعْتُ بعد ذلك أبدًا.

[٩٣] وقال إبراهيم الخوّاص رحمه الله: رأيتُ فقيرًا له جِلسةٌ حسنةٌ/ فتقدَّمْتُ إليه ومعي دراهم، فصببتُها في حِجره، فقال: اشتريتُ هذه الجلسة بمئة ألفِ درهم، تُريد أن أبيعَها بهذا؟

وقال يحيى بنُ معاذ رحمه الله: مجالسةُ المُخالفين حُمّى الرُّوحِ، ورؤيةُ الأضداد تمنعُ الرزق(١).

وسمعتُ الوجيهي يقول: رأيتُ ابن مملولة العطارَ الدّينوري، وقد تبرَّمَ بجليسٍ له، فقلت: تجالسُ مثلَ هذا؟ فقال: مملولٌ لا تُمكنُ(٢) مفارقته.

---

(١) في (ع) والمثبت في (ن): تُعمي الروح. . . تمنع الذوق.

(٢) في (ن) و(ع): فقال ابن مملولة: لا تمكن.

ويُقال: إذا أشكلَ عليك أمرُ أخيك، فاعتبرْه بجليسه.

وقال: وكان حسن القزّاز رحمه الله له أَخَذٌ،(١) فكان يكثر الجلوس بالليل، فسُئل عن ذلك، فقال: بُني هذا الأمرُ على ثلاثة أشياء: ألاَّ نأكلَ إلاَّ عن فاقةٍ، ولا نتكلَّمَ إلاَّ عن ضرورة، ولا ننامَ إلاَّ عن غلبةٍ.

وقال جعفر: كان الجُنيد رحمه الله يقول: لو علمتُ أن صلاةَ ركعتين أَفضلُ من جلوسي عندكم ما جالستكم.

* * *



(١) في الأصل: له أخذ سنان يكثر الجلوس.

باب في ذكر آدابهم في الجوع

قال الشيخ رحمه الله: قال يحيى بنُ معاذ رحمه الله: لو علمتُ أنَّ الجوعَ يُباعُ في السوق ما كان ينبغي لطلاَّبِ الآخرة إذا دخلوا السُّوقَ أن يشتروا غيرَهُ.

وقال: الجوعُ على أربعةِ أوجهٍ: للمُريدين رياضةٌ، وللتائبين تجربةٌ، وللزهّاد سياسةٌ، وللعارفين مكرمةٌ.

قال: وكان سهل بنُ عبد الله رحمه الله كلَّما جاعَ قوي، وإذا أكلَ شيئًا ضعف.

وقال سهلٌ رحمه الله: إذا شبعتم فاطلبوا الجوعَ ممَّنِ ابتلاكم بالشِّبَع، وإذا جعتم فاطلبوا الشِّبَع ممَّن ابتلاكم بالجوع وإلاَّ تماديتم وطغيتم.

وقال أبو سُليمان رحمه الله: الجوعُ عنده في خزائنَ مُدَّخرةٍ، لا يُعطيه إلاَّ لمن يحبُّه خاصَّةً.

وسمعتُ ابن سالم يقول كلامًا في معنى أدب الجوع: ألاَّ ينقصَ من عادته إلاَّ مثل أُذْنَي السِّنَّور. فقلت له: قد حكيتَ بالأمس.

وقيل ذلك عن سهلِ بنِ عبد الله رحمه الله، أنَّه كان لا يأكلُ الطعامَ نيِّفًا وعشرين يومًا، فقال: كان سهلٌ رحمه الله لا يتركُ الطعام، ولكنْ كان الطعامُ يتركه، إنه كان يردُ على قلبه ما يأخذه ويشغله عن أكلِ الطعام.

وسمعتُ عيسى القصّار رحمه الله يقول: من أدبِ الجوع أن يكونَ الفقيرُ مُعانقًا للجوع في وقت الشِّبعِ، حتى إذا جاع يكون الجوعُ أنيسَهُ.

وسمع شيخٌ من المشايخ رجلاً من الصوفية يقول: أنا جائع. فقال له: كذبتَ. فقيل له: لم قلتَ ذلك؟ فقال: لأنَّ الجوعَ سرٌّ من سرِّ الله تعالى،

موضوعٌ في خزائنَ من خزائن الله تعالى، لا يضعُهُ عند من يُفشيه.

قال: ودخل رجلٌ من الصوفية على شيخٍ، فقدّم إليه طعامًا، فأكلَهُ، فقال له: مذ كم لم تأكلْ طعامًا؟ قال: مذ خمس. فقال: ليس بك جوعُ الفقر، جوعُك جوعُ بُخلٍ، عليك ثيابٌ وأنت تجوع؟! أو كما قال.

* * *



باب في ذكر آداب المرضى في مرضهم

قال الشيخ رحمه الله: سمعتُ بعضَ أصحاب ممشاد الدِّينوري يحكي عن ممشاد رحمه الله: أنه اعتلَّ علَّةً شديدةً، فدخلَ عليه أصحابُهُ عائدين له، فقالوا: كيف تجدك؟ قال: لا أدري، ولكن سلوا العلَّةَ كيف تجدني. فقالوا له: كيف تجدُ قلبَك؟ فقال: قد فقدتُ قلبي منذ ثلاثين سنة.

وسمعتُ محمّد بن معبد البانياسي يقول: رأيتُ الكرديَّ الصوفي رحمه الله، وقد اعتلَّ، بفَيْدٍ[1] ستّةَ أَشهرٍ، وكان قد وقعَ الدودُ في موضعٍ من بدنه، فإذا وقعَ منها دودةٌ ردَّها إلى موضعها.

ودخل ذو النون على مريضٍ من أصحابه يعوده، فقال له: ليس بصادقٍ في حبه من لم يصبرْ على ضربهِ. فقال المريض: ليس بصادقٍ في حبّه من لم يتلذَّذْ بضربهِ.

وكان سهل بنُ عبد الله رحمه الله، إذا مرضَ أحدٌ من أصحابه يقول له: إذا أردتَ أن تشتكي فقل: أوّه، فإنه اسمٌ من أسماء الله تعالى، يستروحُ إليه المريض، ولا تقل له: أوَّخ، فإنه اسم من أسماء الشيطان.

وسمعتُ أبا بكر أحمدَ بنَ جعفر الطوسي بدمشق يقول: كان بأبي يعقوب النَّهرجوري رحمه الله وجعٌ في بطنه سنين، وكانت نخسةٌ في جوفه، وكان يقول: أعرفُ دواءَهُ/ بقيراطِ فضةٍ يُذهبُ بهذه العلّة. ولكن [٩٤] لا يُداويه، إلى أن خرجَ من الدنيا، فسألتُ عن ذلك بعضَ المشايخ فقال: كان الكيّ، فكان لا يُداويه من أجلِ النّهي[2].

---

(١) فيد: بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة. معجم البلدان. وفي (ن) و(ع): فَعِيْدَ ستة.

(٢) روى البخاري في صحيحه (٥٦٨١) وابن ماجه (٣٤٩١) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطه محجم، وكية بنار، وأنهي أمتي عن الكي».

ومرضَ الثَّوريُّ رحمه الله مرضه، فتخلَّفَ عن عيادته رجلٌ من أصحابه، ثم أتاه، فجعلَ يعتذرُ إليه، فقال له: لا تعتذرْ، فقلَّ منِ اعتذرَ إلاَّ كذبَ.

وكان بسهل بن عبد الله رحمه الله البواسيرُ الظاهرة، فكان يحتاجُ أن يتوضَّأَ لكلِّ صلاةٍ، وكان يقولُ: أعرفُ له دواءً بقيراط. ولم يُداوه إلى أن خرجَ من الدنيا، فسألت عن ذلك، فقالوا: كان لا يُداويها حتى لا تنكشفَ عورتُهُ، ولا ينظرُ إلى عورتِهِ أحد.

ويقال: إنَّ بشر الحافي رحمه الله مرض مرضه، فدخلَ عليه الطبيبُ، فأخذَ بشرٌ يصفُ للطبيب ما به، فقيل له: يا أبا نصر، أما تخشى أن تكون هذه شكايةً؟ فقال: لا، إنّما أخبرُهُ بقدرة القادر عليَّ.

ووجدتُ في كتابٍ أظنُّهُ بخطِّ جعفر الخُلدي رحمه الله قال: اعتلَّ الجُنيد رحمه الله علَّةً شديدةً، فكان يقول: ليسَ إلاَّ ما قال ذو النون رحمه الله: يا مَنْ نشكرُ ما يَهَبُ[1]، هبْ لنا ما نَشْكُرُ. وربَّما كان يقول: هذا غذاؤهم من كلِّ شيءٍ يُحضره.

* * *

(١) في (ن) و(ع): يامن يشكر مايهب.

باب في آداب المشايخ ورفقهم بالأصحاب وعطفهم عليهم

قال الشيخ رحمه الله: حُكي على الجُنيد رحمه الله، أنَّه كان يقولُ لأصحابه: لو علمتُ أنَّ صلاةَ ركعتين أفضلُ من جلوسي معكم ما جلستُ عندكم.

وحُكي عن بشر الحافي رحمه الله، أنَّه قد كان تعرّى في يومٍ شديدِ البرد، وهو ينتفضُ، قلنا له: يا أبا نصر، ما هذا؟ فقال: ذكرتُ الفقراءَ وأن ليس لهم شيءٌ، ولم يكن لي ما أواسيهم به، فأحببتُ أن أُواسيهم بنفسي.

وسمعتُ الدقيَّ يقولُ: كنتُ بمصر، وكنّا في المسجد جماعةً من الفقراء جلوسٌ، فدخل الزقّاقُ، قام عند أسطوانة يركعُ، فقلنا: يفرغُ الشيخُ من صلاته، ونقومُ ونسلّم عليه، فقام وجاء إلينا وسلَّمَ علينا، فقلنا: نحن كُنَّا أولى بهذا من الشيخ. فقال: ما عذّب الله تعالى قلبي بهذا قطُّ

وسمعت الوجيهي يقول: سمعتُ الجريري[1] يقول: وافيتُ من الحجِّ، فابتدأتُ بالجُنيد رحمه الله وسلّمتُ عليه، وقلت: حتى لا يتعنّى، ثم أتيتُ منزلي، فلمَّا صلَّيْتُ الغداة التفتُّ فإذا بالجُنيد رحمه الله خلفي، فقلتُ: يا سيدي، إنَّما ابتدأتُ بالسَّلام عليكِ لكي لا تتعنّى إلى هاهنا. فقال لي: يا أبا محمد، هذا حقُّكَ، وذاك فضلٌ لك.

وقال أبو سعيد بنُ الأعرابي: كان شابٌّ يُعرَفُ بإبراهيم الصائغ، وكان لأبيه نعمةٌ، فانقطعَ إلى الصوفية، وصحب أبا أحمد القلانسي، فربّما كان يقعُ بيد أبي أحمد شيءٌ من الدراهم، فكان يشتري له الرّقاق[2] والشواء

---

(١) في الأصل: الخريزي.

(٢) في (ن) و(ع): يشتري له الدقاق.

والحلواء ويؤثره عليه، ويقول: هذا خرجَ من الدنيا وقد تعوّدَ النعمةَ، فيجبُ أن نرفقَ به، ونؤثر عليه[١].

وعن جعفر الخُلدي قال: دخلَ رجلٌ إلى الجُنيد رحمه الله، فأرادَ أن يخرجَ من مُلكِهِ كلّه، ويجلسَ معهم على الفقر، قال: فسمعتُ الجُنيد رحمه الله يقول له: لا تُخرجْ كلَّ ما معك، احبس مقدارَ ما يكفيك، وأَخرج الفضلَ، وتقوّت بما حبستَ، واجتهدْ في طلبِ الحلال، لا تُخرج كلَّ ما عندك، فلستُ آمن عليك أن تطالبَكَ نفسُك، والنبيُّ ﷺ كان إذا أرادَ أن يعملَ عملاً أثبتَهُ[٢].

سمعتُ الوجيهي يقول: سمعتُ أبا علي الرُّوذباري رحمه الله يقول: كنّا في الباديةِ جماعةً، ومعنا أبو الحسن العطوفي، فربّما كانتْ تلحقُنا الفاقةُ، وتظلمُ علينا الطريق، فكان أبو الحسن يصعدُ تلًّا ويصيحُ صياحَ الذئاب حتّى يُسمِعَ كلابَ الحيِّ، فينبحون، فيمرُّ على صوتهم، ويحملُ إلينا من عندهم معونةً.

وقال أبو سعيد الخرّاز رحمه الله: دخلتُ الرّملةَ، فذهبتُ إلى أبي جعفر القصّاب، فبتُّ عنده، ثم خرجتُ من الرملة إلى بيتِ المقدس، فجاء إلى بيت المقدسِ خلفي، وقد حملَ معه كسيراتٍ، وقال: اجعلني في حلٍّ/ [٩٥] كانت هذه في البيت ولم أدر.

* * *

(١) قوله: (ويقول: هذا خرج... ونؤثر عليه) ليس في (ن) ولا في (ع).
(٢) انظر الحديث (٧٤٦) في صحيح مسلم.

باب في ذكر آداب المريدين والمبتدئين

قال الشيخ رحمه الله: وجدتُ في كتاب أبي تُراب النَّخْشبي رحمه الله: الحكمةُ جندٌ من جنود الله تعالى يقوّي بها آدابَ المُريدين.

وحُكي عن الجُنيد رحمه الله أنَّه قد سألَهُ بعضُ الفقراء أو بعض الشيوخ فقال له: يا سيدي، ما للمُريدين في مجاراة الحكايات؟ فقال: الحكاياتُ جندٌ من جنود الله تعالى، يُقوّي بها قلوب المريدين. قال: فقلتُ: هل في ذلك شاهدٌ من كتاب الله تعالى؟ فقال: نعم، قال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وقال يحيى: الحكمةُ مروحةُ قلوب المريدين، تروِّحُ عنها وهجَ الدنيا.

وحُكي عن ممشاد الدينوري رحمه الله، أنَّه كان يقول: إنَّ عيني لتقرُّ بالفقير الصادق، وإن قلبي ليفرحُ بالمُريد المتحقِّق.

وقال أبو تُراب رحمه الله: رياءُ العارفين إخلاصُ المريدين.

وقال أبو علي ابنُ الكاتب رحمه الله: إذا انقطعَ المُريدُ إلى الله تعالى بكُلّيّته، أَوّلُ ما يفيدُهُ اللهُ تعالى الاستغناءَ به عمّن سواه.

وسُئل الشِّبليُّ رحمه الله عن المُريد إذا وقعتْ به الحيرة، فقال: الحيرةُ من وجهين، حيرةٌ تقعُ من شدَّةِ خوفِ اقتراف الذنوب، وحيرةٌ [تقعُ من] كشفِ التعظيم للقلوب.

وقال الشِّبلي رحمه الله: كنتُ في أوّلِ بدايتي إذا غلبني النومُ أكتحلُ بالملح، فإذا زاد عليَّ الأمرُ[1] أحميتُ الميلَ فأكتحل به.

وقال أبو سعيد الخرّاز رحمه الله: من أدبِ المُريد، وعلامةِ صدق

---

(١) من هنا يبتدىء القسم الثالث من (ب) حتى صفحة (٢٩٣).

إرادته، أن يكونَ الغالبُ عليه الرقَّةَ والشفقة والتلطُّفَ والبذل، واحتمالَ المكاره كلِّها عن عبيده وعن خلقه حتى يكون لعبيدِهِ أرضًا يسعون عليها، ويكون للشيخِ كالابنِ البار، وللصبيِّ كالأب الشفيق، ويكون مع جميع الخلق على هذا، يتشكّى بشكواهم، ويغتمّ لمصائبهم، ويصبرُ على أذاهم، فإنَّ هذا مرادُ الله تعالى من المريدين الصادقين: أن يعطفوا على الخلقِ من حيث عطف اللهُ تعالى عليهم، ويتأدَّبوا بآداب الأنبياء والصدّيقين، وآداب أوليائه وأحبابه حتى تُرفعَ الحُجُبُ التي بينه وبين الله تعالى، فما دام هو متمسّكًا بهذه الآداب، ومتخلّقًا بهذه الأخلاق، ويكون مُستعينًا في ذلك بالله، متوكّلاً على الله عز وجل، راضيًا عنه.

وقال سهل بنُ عبد الله رحمه الله: شغلُ المُريدِ في ثلاثةٍ[1]: إقامةِ الفرض، والاستغفارِ من الذنب، وطلبِ السَّلامةِ من الخلق.

وسُئل يوسف بنُ الحسين رحمه الله: ما علامةُ المريد؟ فقال: تركُ[2] كلِّ خليطٍ لا يُريدُ مثلَ ما تريد، وأن يَسْلَمَ منه عدوُّه كما يسلم منه صديقه، وعلامةُ المُريد وجدانُهُ في القرآن كلَّ ما يُريد، واستعمالُ ما يعلمُ، وتعلّمُ ما لا يعلم، وتركُ الخوض فيما لا يعنيه، وشدّةُ الحرصِ على إرادة النجاة من الوعيد مع الرغبة في الوعد، والتشاغلُ بنفسه عن غيره.

وقال أبو بكر البارزي رحمه الله: إذا سلكَ المُريدُ الهولَ في أول قدمٍ فلا يُبالي، فإنّه لن يلقى بعد ذلك إلاَّ راحةً[3].

* * *

(١) في الأصل، و(ن) و(ع): في قلبه. والمثبت من (ب).

(٢) في الأصل: ترى كل.

(٣) في الأصل، و(ن) و(ع): لن تلقاه إلاَّ راحةٌ.

باب في ذكر آداب من يتفرّد ويختار الخلوة

قال الشيخ رحمه الله: حُكي عن بشر الحافي رحمه الله، أنَّه كان يقول: ليتّقِ اللهَ تعالى عند خلواته، وليلزم بيته، وليكن أنيسَه اللهُ عز وجل وكلامُهُ.

سمعتُ الدقّي يقول: سمعتُ الدرّاج يقولُ: كان أبو المسيّب رجلاً كبيرًا، وكان يتفرّدُ في المساجد الشعثة، فصادفتُهُ ليلةً في مسجدٍ، فقلتُ له: من أين أنت؟ فقال لي: أنا من كلِّ مكان. فقلت: من كان من كلِّ مكانٍ فأيشٍ علامتُهُ؟ قال: لا يستوحشُ من شيءٍ، ولا يستوحشُ منه شيءٍ. قال: فحملتُ إليه الشِّبليَّ رحمه الله، فنظرَ إليه، وقال: ليس هذا من دوابِّ الإصطبل، وإلاَّ فأين سمتُهُ؟ قال: فصاح الشِّبليُّ رحمه الله، ولطمَ وجهَهُ، وهام وهو يقول: صدقَ واللهِ، إن كان من/ دوابِّ الإصطبل فأين سمتُهُ؟ [٩٦]

وسُئل الجُنيد رحمه الله عن الخلوة، فقال: إنَّ السّلامةَ مصاحبةٌ لمن طلبَ السلامة، فترك المخالفة[١]، وترك التطلُّع إلى ما أوجب العلم مفارقته.

وحُكي عن أبي يعقوب السُّوسي رحمه الله، أنَّه قال: الانفرادُ لا يقوى عليه إلاَّ الأقوياءُ من الرجال، ولأمثالِنا الاجتماعُ أنفعُ، يُعملون بعضَهم[٢] برؤية بعض.

وسمعت أبا حفص[٣] عمرَ الخياط رحمه الله يقول: رأيتُ أبا بكر بن المعلّم رحمه الله بأنطاكية يقولُ: طولبت بشهادة ألاَّ إله إلا الله بعد ستين سنة. فسُئل عن ذلك، فقال: كنتُ ستين سنة أدعو الخلقَ إلى الله تعالى،

---

(١) في (ب): بترك المخالفة.
(٢) في (ب): يعملُ بعضُهم.
(٣) في (ب): أبا جعفرٍ عمر.

فلمَّا انفردتُ ودخلتُ اللُّكام[1] إذا أردتُ أن أقومَ إلى أورادي التي كانت عادتي بين الناس لم يتهيَّأْ لي، فوقَع في قلبي أنِّي ما آمنتُ بالله تعالى بعدُ، فجدَّدْتُ إيماني[2]، وأقمتُ هناك عشر سنين حتى صفا لي في الخلوة أورادي كما كانت تصفو لي في الأوقات التي كنت بين المعارف.

وحُكي عن إبراهيم الخواص رحمه الله، أنَّه رأى رجلاً في البادية حسنَ الأدب، حاضرَ القلب، فسأله، فقال: كنتُ أعملُ بين الناس والمعارفِ في التوكُّلِ والرضا والتفويض، فلمَّا فارقتُ المعارفَ لم يبقَ معي من ذلك ذرّةٌ، فجئتُ حتى أُطالب نفسي هاهنا بدعاويها إذا انفردت عن المعلومات والمعارف.

* * *



(١) اللُّكام: بتشديد الكاف وتخفيفها جبل مشرف على أنطاكية والمصيصة وطرسوس. ويقع في شمال غرب سورية. انظر معجم البلدان.

(٢) هنا ينتهي القسم الثالث من (ب) الذي ابتدأ صفحة (٢٩٠).

باب في ذكر آدابهم في الصداقة والمودّة

قال الشيخ رحمه الله: قال ذو النون رحمه الله: ما بَعُدَ الطريقُ إلى صديق، ولا ضاق مكانٌ من حبيب.

وسمعتُ أبا عمرو إسماعيل بن نُجَيْد يقول: سمعت أبا عثمان يقول: لا تثق بمودَّةِ من لا يُحبُّك إلاَّ معصومًا.

وفيما حكى جعفر الخُلدي عن ابن السَّماك رحمه الله، أنَّه قال له صديقٌ: الميعاد بيني وبينك غدًا نتعاتب. فقال له ابنُ السمَّاك رحمه الله: بل بيني وبينك غدًا نتغافر.

ويقال: إنَّ كلَّ مودَّةٍ يزدادُ فيها باللقاء فهي مَدخولةٌ في المودَّات.

وسُئل عن حقيقة المودَّةِ، فقال: هي التي لا تَزدادُ بالبرِّ، ولا تنقصُ بالجفاء. وهذه الحكاية عن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله.

وقال بعضُهم: الإعراض عن الصديق إبقاءٌ على المودة.

قال أبو العباس بن مسروق رحمه الله، فيما بلغني: وفي هذا سُنَّةٌ عن الرسول ﷺ قوله لأبي هريرة رضي الله عنه: «زُرْ غِبًّا تزدَدْ حبًّا»[١].

وقيل ليحيى بنِ معاذ رحمه الله: كيف حالُكَ؟ فقال: كيف حال من يكون عدوُّه داؤه وصديقَهُ بلاؤه؟

وقال الجُنيد رحمه الله: لقد كنتُ أرى أقوامًا تجزيني منهم النظرةُ، فهي زادي من الجمعة إلى الجمعة.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير١/ ٢٩٦، والكبير ٤/ ٣٥٣٥، وابن حبان ٢/ ٦٢٠.
الغب: من أوراد الإبل، أن ترد الماء يومًا وتدعه يومًا، فنقله إلى الزيارة، وإن جاء بعد أيام، يقال: غب الرجل إذا جاء زائرًا بعد أيام. وقال الحسن: في كل أسبوع. النهاية.

وقال بعضُ المشايخ: إذا صحَّ لي مودَّة أخٍ، فلا أُبالي متى لقيته.

وعن النُّوري رحمه الله أنَّه قال: الصديقُ، لا يُحاسبُ بشيءٍ، والعدوُّ لا يُحسب له شيءٌ.

وقال الجُنيد رحمه الله: إذا كان لك صديقٌ فلا تسؤه فيك بما يكرهه.

وعن جعفر الخُلدي قال: سمعتُ أبا محمد المغازلي رحمه الله يقول: من أرادَ أن تدومَ له المودَّةُ فليحفظْ مودَّةَ إخوانه القدماء.

* * *



باب في ذكر آدابهم عند الموت

قال الشيخ رحمه الله: بلغني عن أبي محمد الهروي رحمه الله أنَّه قال: مكثتُ عند الشِّبليِّ رحمه الله ليلةَ غداة التي ماتَ فيها، فكان يقول طولَ الليل هاتين البيتين[1]:

كُــلُّ بيــتٍ أنــتَ ســاكنُــهُ   غيــرُ مُحتــاجٍ إلــى السُّــرُجِ
وجهُــكَ المــأمــولُ حجَّتُنــا   يــومَ يــأتــي النَّــاسُ بــالحُجَجِ

وحُكي عن ابن الفرجي[2] رحمه الله أنَّه قال: رأيتُ حولَ أبي تُراب النَّخْشَبي رحمه الله أصحابَ مئةٍ وعشرين ركوة، فما ماتَ منهم على الفقرِ إلاَّ نفسان. قال بعضُهم: أحدُهما ابنُ الجلاء، والآخر أبو عُبيد البُسري.

[٩٧] ووردَ على/ قلب ابن بُنان المصري رحمه الله شيءٌ، فهام على وجهه، فلحقوه في وسط متاهةِ بني إسرائيل في الرَّمل، ففتحَ عينيه، ونظرَ إلى أصحابه، وقال:

ارتعْ فهذا مرتعُ الأحباب[3].

وخرجتْ روحُهُ. هذه الحكاية عن الوجيهي.

وسمعتُ الوجيهي رحمه الله يقول[4]: سمعتُ أبا عليّ الرُّوذباري

---

(١) البيتان في الرسالة القشيرية ٤٢٩ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا)، وتاريخ بغداد١٦/ ٥٧١، ومناقب الأبرار ٦٥١، وينسبان إلى ديك الجن، الديوان صفحة٢٠٧.

(٢) في الأصل: ابن الفرخي. وهو محمد بن يعقوب أبوجعفر الفَرَجي كان له موضع من الفقه والعلم ومعرفة الحديث، له مصنفات في معاني الصوفية. توفي بالرملة بعد سنة ٢٧٠هـ. تاريخ بغداد٣/ ٣٨٧.

(٣) في مناقب الأبرار ٧٣٩: اربع فهذا مربع...

(٤) من هنا يبدأ القسم الرابع من (ب)، وينتهي صفحة (٣٦١).

رحمه الله يقول: دخلتُ مصرَ، فرأيتُ الناسَ مُجتمعين، فقالوا: كنّا في جنازةِ فتىً سمعَ قائلاً يقول:

كبرَتْ هَمَّةُ عبدٍ طمعَتْ في أنْ تَراكا

فشهقَ شهقةً، فمات.

وسمعتُ بعضَ أصحابنا يقول: قال أبو يزيد رحمه الله عند موته: ما ذكرتُكَ إلاَّ عن غفلةٍ، ولا قبضتني إلاَّ عن فترةٍ.

وحُكي عن الجنيد رحمه الله أنَّه قال: جلستُ عند أُستاذي ابن الكُرِيني[١] رحمه الله عند موته، فنظرتُ إلى السماء، فقال: بَعُدَ. فطأطأتُ رأسي إلى الأرض، فقال: بَعُدَ. يعني أنَّه أقربُ إليك من أن تنظرَ إلى السماء، أو إلى الأرض، وتشير إليه بذلك.

وقال الجريري رحمه الله: حضرتُ وفاة أبي القاسم الجُنيد رحمه الله، فلم يزلْ ساجدًا، فقلتُ له: يا أبا القاسم، أَليس بلغْتَ هذا المكان، وبلغَ منك ما أرى من الجهد، لو استرحتَ؟ فقال لي: يا أبا محمد، أحوجُ ما كنتُ إليه هذه الساعة. فلم يزل ساجدًا حتى فارق الدنيا، وأنا حاضر.

وقال بكران الدِّينوري رحمه الله: حضرتُ وفاة الشِّبليِّ رحمه الله، فقال لي: على قلبي درهمٌ مظلمةٌ، تصدّقتُ عن صاحبه بألوفٍ[٢]، فما عليّ شغلٌ أعظمُ من ذلك، ثم قال: وضِّئني للصلاة. ففعلتُ ذلك، فنسيتُ تخليلَ لحيته، وقد أُمسكَ لسانُهُ، فقبضَ على يدي، فأدخلها[٣] في لحيته، ومات.

وكان سببُ وفاة أبي الحسين النُّوري، أنه سمع هذا البيت:

لا زلتُ أَنزلُ من ودادك مَنزلاً تتحيَّرُ الألبابُ عند نُزُوله

فتواجدَ، وهام في الصحراء، فوقع في أَجمِة قصَبٍ قد قُطعت، وبقيتْ

(١) في (ب): ابن الكَرْنبي. وانظر الحاشية (٤) صفحة (٢٥٤).

(٢) في (ن) و(ع): صاحبه بالسوق.

(٣) في الأصل: فأدخلتها.

أُصولُها مثلَ السيوف، فكان يمشي عليها، ويُعيدُ البيتَ إلى الغداة، والدمُ يسيلُ من رجليه، ثم وقعَ مثلَ السكران، فورمتْ قدماه، ومات رحمه الله[١].

وسمعت الدُّقيَّ يقول: كنّا عند أبي بكر الزقّاق رحمه الله غداةً، فكان يقول: اللهم، كم تُبقّيني هاهنا؟ فما بلغ الأولى حتى مات.

وكان سببُ موت ابن عطاء رحمه الله أنَّه أُدخلَ على الوزيرِ، فكلّمه الوزيرُ بكلامٍ غليظ، فقال ابنُ عطاء: ارفقْ يا رجل، فأمر بضربِ خُفِّهِ على رأسهِ، فمات فيه.

ومات إبراهيمُ الخوّاص رحمه الله، في جامع الرَّيِّ، وكانتْ به علّةُ الجوف، فكانَ إذا قامَ مجلسًا يدخلُ الماء، ويغسلُ نفسَهُ، فدخل الماءَ مرّةً، فخرجَ روحه، وهو في وسط الماء.

قال أبو عمران الإصطخري رحمه الله: رأيتُ أبا تراب النَّخْشبَي رحمه الله في البادية قائمًا ميتًا لا يُمسكُهُ شيءٌ.

وسمعت أبا عبد الله أحمد بن عطاء يقول: سمعتُ بعضَ الفقراء يقول: لمّا ماتَ يحيى الإصطخري رحمه الله، جلسنا حولَهُ، فقال له رجل منّا: قل أَشهدُ ألاَّ إله إلاَّ الله. فجلس جالسًا، ثم أخذ يدَ واحدٍ منّا، فقال: قل أشهدُ ألاَّ إله إلاَّ الله، وخلّى يدَه، وأخذ بيد واحدٍ آخر الذي بجنبه، وقال: قلْ أشهدُ ألاَّ إله إلاَّ الله، وخلّى يده، وأخذ بيد الآخر الذي بجنبه، حتى عرضَ الشهادة على كلٍّ واحدٍ منّا، ثم استلقى على قفاه، وخرجَت روحه.

وقيل للجُنيد: كان أبو سعيد الخراز رحمه الله كثيرًا ما كان يتواجَدُ عند الموت. فقال الجُنيد رحمه الله: لم يكنْ بعجبٍ أن تكونَ تطيرُ روحُهُ إليه اشتياقًا.

فهذا ما حضرني في الوقتِ من آدابهم، والذي لم نذكره أكثرُ، وبالله التوفيق.

* * *

(١) ستَرد القصة صفحة (٣٩٨).

كتاب المسائل
واختلاف أقاويلهم في الأجوبة

قال الشيخُ رحمه الله: أذكرُ طرفًا من اختلافهم في مسائلَ/ تفرّدوا بها [٩٨] بأجوبة شتّى، ببيان ما يُشكل من ذلك على العلماء والفقهاء، وسائر الناس من أهلِ الظاهر، الذين ليس هذا من شأنهم.

مسألة في الجمع والتفرقة

قال الشيخ رحمه الله: الجمعُ والتفرقة اسمان، فالجمعُ جمعُ المتفرّقات، والتفرقة تفرقةُ المجموعات، فإذا جمعتَ قلتَ: الله ولا سواه، وإذا فرّقْتَ قلتَ: الدنيا والآخرة والكون، وهو قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] فقد جمعَ ثم فرّقَ فقال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

كذلك قوله: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]. وقد جمع ثم فرّق فقال: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ . . .﴾ الآية [البقرة: ١٣٦].

فالجمعُ أصلٌ، والتفرقة فرعٌ، فلا تُعرفُ الأصولُ إلاّ بالفروع، ولا تثبت الفروع إلاّ بالأصول، وكلُّ جمعٍ بلا تفرقةٍ فهو زندقة، وكلُّ تفرقةٍ بلا جمعٍ فهو تعطيل.

وقد تكلّمَ في معنى الجمعِ والتفرقة المشايخُ المتقدّمون فقال أبو بكر عبد الله ابن طاهر الأبهري رحمه الله، وسئل عن ذلك، فقيل له: إلى ماذا أشار القومُ إلى معنى الجمع والتفرقة؟ فقال: أشارَ قومٌ إلى أنّ جمعهم في آدم عليه السلام، وفرّقهم في ذرّيته، وأشارَ قومٌ إلى أنّه جمعَهم في المعرفة، وفرّقهم في الأحوال.

وللجُنيد في معرفةِ الجمع والتفرقة:

فتحقَّقْتُكَ في سرْ ... رِي فناجاكَ لساني
فاجتمَعْنا لمعانٍ ... وافترَقْنا لمعاني
إنْ يكن غَيَّبكَ التّعـ ... ـظيمُ عن لحظِ عياني
فلقدْ صيَّركَ الوجـ ... ـدُ من الأحشاءِ داني

وقال - أظنُّه النُّوري -: الجمعُ بالحقِّ تفرقةٌ عن غيره، والتفرقةُ عن غيرِهِ جمعٌ به.

وقال غيرُهُ: الجمعُ اتِّصالٌ لا يشهدُ الإنابة، متى يشهد[1] الإنابة فما وصل. والتفرقةُ شهودٌ لمن شاهد المباينة.

وقال قومٌ: لا مجموع بحقٍّ إلاَّ مُفرَّقٌ[2] عن نعتٍ، ولا مجموع بنعتٍ إلاَّ مفرّقٌ عن حقٍّ، وهما متنافيان؛ لأنَّ الجمعَ بالحقِّ خروجٌ عن حُجَّته وتفرقتها[3]، والجمعُ بالحقِّ حجبٌ بالحقِّ وتفرقةٌ عنه.

وقال قوم: الجمعُ ما جمع البشرية في شهودِ البشرية، والتفرقةُ ما فرّقها عن تقسيم الرسوم.

وقد ذهبَ الجُنيد رحمه الله، إلى أنَّ قربَهُ بالوجد جمعٌ، وغيبتَهُ في البشرية تفرقةٌ.

وقال أبو بكر الواسطي رحمه الله: إذا نظرتَ إلى نفسكَ فرَّقْتَ، وإذا نظرتَ إلى ربِّكَ جمعتَ، وإذا كنتَ قائمًا بغيرك فأنت ميت.

وهذه أحرفٌ مختصرةٌ في معنى الجمع والتفرقة لمن يتدبَّرُ في فهمه إن شاء الله تعالى.

---

(١) في هامش (ب): وفي نسخة: متى شاهد.
(٢) في الأصل: لا مجموع لحقٍّ ولا وفرق عن نعت.
(٣) في (ب): حجته وتفرقهما.

مسألة في الفناء والبقاء

قال الشيخ رحمه الله: سئل أبو يعقوب النَّهرجوري عن صحَّةِ الفناء والبقاء، فقال: هو فناءُ رؤية قيام العبد لله عز وجل، وبقاءُ رؤية قيام الله تعالى في أحكام العبودية.

وسُئل أبو يعقوب رحمه الله، عن صحَّة علمِ الفناء والبقاء، قال: تصحبُهُ العبودية في الفناء والبقاء، واستعمالُ علم الرضا، ومن لم تصحبْهُ العبوديةُ في الفناء والبقاء، فهو مدَّعٍ.

قال الشيخُ رحمه الله: الفناءُ والبقاء اسمان، وهما نعتان لعبدٍ موحّد[١]، يتعرَّض الارتقاءَ في توحيدِهِ من درجة العموم إلى درجةِ الخصوص.

ومعنى الفناء والبقاء في أوائله: فناءُ الجهلِ ببقاء العلم، وفناءُ المعصية ببقاء الطاعة، وفناءُ الغفلة ببقاء الذكر، وفناء رؤيا حركات العبد ببقاء رؤيا عناية الله تعالى في سابق العلم.

وقد تكلَّمَ في ذلك المشايخُ المتقدّمون، فقال سمنون رحمه الله: العبدُ في حال الفناء محمولٌ، وفي حال الحمل مورود، وهي نعوتٌ تؤدي إلى نعوت.

وقال: أوّلُ مقاماتِ الفناء الوجود والمشاهدات للبقاء.

وقال أبو سعيد الخرّاز رحمه الله في معنى قوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] قال: أخلاهم في أفعالهم من أفعالهم، وهو أوّلُ حال الفناء.

وعن جعفر الخُلدي، قال: سمعتُ الجُنيد رحمه الله، يقول، وسُئل عن الفناء[٢]، فقال: إذا فني الفناء في أوصافه[٣] / أدرك البقاء بتمامه. [٩٩]

---

(١) في الأصل: لعبد موجود.

(٢) في (ب): وسئل عن البقاء.

(٣) في (ن) و(ع): عن أوصافه.

قال: وسمعت الجُنيد رحمه الله يقول، وقد سُئل عن الفناء، فقال: استعجام كلِّكَ[١] عن أوصافك، واستعمالُ الكلِّ[٢] منك بكلِّيتك.

وقال ابنُ عطاء: من لم يفنَ عن شاهدِ نفسه بشاهدِ الحقِّ، ولم يفنَ عن الحقِّ بالحقِّ، ولم يغبْ في حضوره عن حضوره، لم يقع بشاهدِ الحقِّ.

وقال الشِّبليُّ رحمه الله: من فني عن الحقِّ بالحقِّ، لقيام الحقِّ بالحقِّ، فني عن الربوبية، فضلاً عن العبودية.

وقال أظنُّه رويمًا رحمه الله وقد سُئل عن الفناء والبقاء، فقال: أوَّلُ علم الفناء هو النزولُ في حقائق البقاء، وهو الأَثَرَةُ لله تعالى على جميع ما دونه، وبفَقْد[٣] كلِّ حالٍ معه حتى يكونَ هو الحظَّ، وسقوط ما سواه، حتى تفنى عبادتُهم لله تعالى بأنفسهم ببقاء عبادتهم لله بالله[٤]، وما بعد ذلك لا يدركُهُ المعقول بالعقول، لا تنطق به الألسن[٥].

وقد قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] فأوَّلُ علامةِ الفاني: ذهابُ حظِّهِ من الدنيا والآخرة، بورود ذكر الله تعالى، ثم ذهابُ حظِّه من ذكر الله تعالى عند حظِّه بذكر الله تعالى له، ثم تفنى رؤيةُ ذكرِ الله تعالى له، حتى يبقى حظُّه بالله، ثم ذهاب حظِّه من الله تعالى برؤية حظِّه، [ثم ذهاب حظِّه برؤية حظِّه][٦] بفناء الفناءِ وبقاء البقاء.

والكلام في هذا يطولُ، وفيما ذكرناه كفايةٌ إن شاء الله تعالى.

---

(١) في الأصل: فقال: إذا فني الفناء كلك.
(٢) في هامش (ب): وفي نسخة: واشتغال الكلّ.
(٣) في الأصل، و(ن) و(ع): وتفقّد كل حال.
(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: بأنفسهم ببقاء عبادتهم.
(٥) في (ب): لا تدركه العقول بالعقول، ولا ينطق بالألسن.
(٦) ما بين معقوفين مستدرك من (ن).

مسألة في الحقائق

قال الشيخُ رحمه الله: أخبرني جعفر قال: سمعتُ الجُنيد رحمه الله قال: سمعتُ سريًا يقول، وقد وصف أهل الحقائق، فقال: أكلُهم أكلُ المرضى، ونومُهم نومُ الغرقى.

وسُئل الجنيد رحمه الله عن الحقيقة، فقال: أذكره، ثم أَدَعُ[١] هذا وهذا.

وقال أبو تُراب رحمه الله: علامةُ الحقيقة البلوى.

وقال غيرُه: علامةُ الحقيقة رفع البلوى.

وحُكي عن رُويم رحمه الله أنَّه قال: أتمُّ الحقائق ما قارن العلم.

سمعتُ الوجيهي يقول: سمعتُ أبا جعفر الصَّيدلاني رحمه الله يقول: الحقائق ثلاث: حقيقةٌ مع العلم، وحقيقةٌ معها العلم[٢]، وحقيقة تشطح عن العلم.

وقال أبو بكر الزقَّاق رحمه الله: كنتُ في تيه بني إسرائيل، فوقعَ في قلبي أنَّ علم الحقيقة يخالفُ علم الشريعة، فإذا بشخصٍ تحت شجرةِ أم غَيْلان[٣] صاحَ: يا أبا بكر، كلُّ حقيقةٍ تُخالفُ الشريعةَ فهي كفر.

وقيل لبعضهم وأظنُّه رُويمًا رحمه الله، والله تعالى أعلم: متى يتحقَّقُ العبدُ بالعبودية؟ قال: إذا سلَّمَ القياد من نفسه إلى ربِّه، وتبرَّأ من حولهِ وقوَّتهِ، وعلمَ أنَّ الكلَّ له وبه.

وقال رُوَيْم رحمه الله: أصحُّ الحقائق ما قارنَ العلم.

وقال الجُنيد رحمه الله: أبتِ الحقائقُ أن تدعَ في القلوب مقالةً للتأويلات.

---

(١) في (ب): أذكره ثم أجده، ثم أدع.

(٢) في (ب): حقيقة تتبع العلم، وحقيقة يتبعها العلم، وحقيقة تشطح.

(٣) شجرة أم غيلان: شجرة السَّمُر، ويُسمى الطلح.

وقال المُزيّنُ الكبير رحمه الله: الذي حصلَ عليه أهلُ الحقائق في حقائقهم: أنَّ الله تعالى غيرُ مفقودٍ فيُطلب، ولا ذو غايةٍ فيُدرك، فمن أدركَ موجودًا فهو بالموجود مغرور(١)، وإنما الموجود عندنا معرفةُ حالٍ، وكشفُ علمٍ بلا حال.

وسمعتُ الحسين بن عبد الله الرازي رحمه الله، يقول: سُئل عبد الله بن طاهر الأبهري رحمه الله عن الحقيقة، فقال: الحقيقةُ كلُّها علمٌ. فسُئل عن العلم، فقال: العلمُ كلُّه حقيقة.

وعن الشِّبلي رحمه الله أنّه قال: الألسنةُ ثلاثةٌ: لسانُ علمٍ، ولسانُ حقيقةٍ، ولسانُ حقٍّ، فلسانُ العلم ما تأدّى إلينا بالوسائط، ولسانُ الحقيقةِ ما أوصلَ اللهُ تعالى إلى الأسرار بلا واسطة، ولسانُ الحقِّ فليس له طريق.

وحُكي عن أبي جعفر الفروي(٢) رحمه الله أنه قال: حقيقةُ الإنسانيةِ ألاَّ يتأذَّى منك إنسانٌ، لأنَّ حقيقة الاسم في نفسه أن يكونَ كلُّ شيءٍ بك مُستأنسًا.

وسُئل بعض الصوفية عن حقيقة الوصول، فقال: ذهابُ العقول.

[١٠٠] وقال الجُنيد رحمه الله: إنَّ الحقائق اللازمة، والقصود / القوية المُحكمة لم تُبقِ على أهلها سببًا(٣) إلاَّ قطعته، ولا مُعترضًا إلاَّ منعته، ولا تأويلاً متوهَّمًا(٤) لصحَّةِ المراد إلاَّ كشفَتْهُ، فالحقُّ عندهم لصحَّةِ الحال مجرَّدًا، والجدُّ في دوام السير محدَّدًا على براهين من العلم واضحة، ودلائل من الحقِّ بيّنة.

وقال الواسطي رحمه الله: الحقائقُ المُختزنةُ إذا بدَتْ حجبَتِ الحقائقَ المُستترة(٥).

---

(١) في الأصل: بالموجود معروف.
(٢) في (ع)، والمثبت من (ن): القروي.
(٣) في (ب): على أهلها شيئًا.
(٤) في (ع)، والمثبت من (ن): موهمًا.
(٥) في (ب): الحقائق المبتذلة.

مسألة في الصدق

قال الشيخ رحمه الله: أخبرني جعفر الخُلدي رحمه الله قال: سمعتُ الجُنيد رحمه الله يقول: ما منِ أحدٍ طلبَ أمرًا بصدقٍ وجدٍّ إلاَّ أدركه، وإنْ لم يُدركِ الكلَّ أدركَ البعض.

قال أبو سعيد الخرّاز رحمه الله: رأيتُ كأنَّ ملكَيْنِ نزلا عليّ من السماء، فقالا لي: ما الصدق؟ قلتُ: الوفاءُ بالعهد. فقالا لي: صدقتَ، فعرجا إلى السماء، وأنا أنظر إليهما، يعني في النوم.

وقال يُوسفُ بنُ الحسين رحمه الله: الصدقُ عندي حبُّ الانفراد، ومناجاةُ الربِّ جلّ وعلا، وموافقةُ السرِّ والعلانية مع صدق اللهجة، والتَّشاغلُ بالنفس دون رؤية الخلق بعد همَّةِ النفس، وتعلّمُ العلم والاتّباعُ مع تصحيح المطعمِ والملبس، وأخذِ القوت.

وسُئل حكيمٌ: ما علامةُ الصادق؟ قال: كتمانُ الطاعة. قيل: ما أروحُ الأشياء على قلوب الصادقين؟ قال: استنشاقُ نسيم عفو[١] الله تعالى، وحسنُ الظنِّ بالله تعالى.

وقال ذو النون رحمه الله: الصدقُ سيفُ الله تعالى في أرضه، ما وضعَ على شيءٍ[٢] إلاَّ قطعه.

وسُئل حارث رحمه الله، عن الصدق، فقال: مصحوبٌ على جميعِ الأحوال.

وقال الجُنيد رحمه الله: حقيقةُ الصدقِ تجري بموافقة الله تعالى في كلِّ حالٍ.

وقال أبو يعقوب رحمه الله: الصدقُ موافقةُ الحقِّ في السرِّ والعلانية،

---

(١) في الهامش: وفي نسخة: اشتياق نسيم عفو.
(٢) في (ب): ما وضعه على شيءٍ إلا قطعه.

وحقيقةُ الصدق القولُ بالحقِّ في مواطن الهلكة.

وسُئل آخرُ عن الصدق، فقال: صحَّةُ التوجُّهِ في القصد.

مسألة في الأصول

ـ يعني أصول مذهب القوم ـ

حُكي عن الجُنيد رحمه الله، أنَّه قال: اتَّفقَ أهلُ العلم على أن أصولَهم خمسُ خلالٍ: صيامُ النهار، وقيامُ الليل، وإخلاصُ العمل، والإشراف على الأعمال بطولِ الرعاية، والتوكُّلُ على الله في كلِّ حالٍ(١).

وحُكي عن أبي عثمان رحمه الله، أنَّه قال: أَصلنا السكوتُ(٢) والاكتفاءُ بعلم الله عز وجل.

وقال الجُنيد رحمه الله: النقصانُ في الأحوال، هي فروعٌ لا تضرُّ، وإنَّما يضرُّ التخلّفُ مثقال ذرّةٍ في حال الأصول، فإذا أحكمتَ الأصولَ، لم يضرَّ نقصٌ في الفروع.

وقال أبو أحمد القلانسي رحمه الله: بُنيتْ أُصولُ مذهبنا(٣) على ثلاث خصال: لا نطالبُ أحدًا من الناس بواجبِ حقِّنا، ونُطالبُ أنفسَنا بحقوقِ الناس، ونُلْزِمُ أنفسَنا التقصيرَ في جميعِ ما نأتيه.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: أُصولنا سبعةُ أشياء: التمسُّكُ بكتاب الله تعالى، والاقتداءُ برسول الله ﷺ، وأَكلُ الحلال، وكفُّ الأذى، واجتنابُ الآثام، والتوبةُ، وأداءُ الحقوق.

وسمعت الحُصْريَّ رحمه الله يقول: أُصولنا ستَّةُ أشياء: رفعُ الحَدَث،

---

(١) في (ب): والتوكل على الله في كل حال، وهو الصواب.
(٢) في (ب): أصلنا السكون.
(٣) في (ب): بنينا أصل مذهبنا.

وإفرادُ القِدَمِ، وهجرُ الإخوان، ومفارقةُ الأوطان، ونسيانُ ما عُلِمَ، وما جُهل.

وقال بعضُ الفقراء: أُصولُنا سبعةُ أشياء: أداءُ الفرائض، واجتنابُ المحارم، وقطعُ العلائق، ومعانقةُ الفقر، وتركُ الطلب، وترك الإدخار لوقتٍ ثانٍ، والانقطاع إلى الله تعالى في جميع الأوقات.

مسألة في الإخلاص

سُئل الجُنيد رحمه الله عن الإخلاص، فقال: ارتفاعُ رؤيتك، وفناؤك عن الفعل

وقال ابنُ عطاء: الإخلاصُ ما تخلَّصَ من الآفات.

وقال الحارثُ المُحاسبي رحمه الله: الإخلاصُ إخراجُ الخلقِ من معاملة الله تعالى، والنَّفْسُ أوَّلُ الخلق.

وقال ذو النُّون رحمه الله: الإخلاص ما/ خلصَ من العدوِّ أن يُفسدَه. [١٠١]

قال أبو يعقوب السُّوسي رحمه الله: الإخلاصُ ما لم يعلمُ به مَلَكٌ فيكتبه، ولا عدوٌّ فيُفسده، ولا تُعْجَبُ النفسُ به.

وحُكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله، أنه قال: أهلُ لا إله إلاَّ الله كثير، والمُخلصون منهم قليل.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: لا يعرفُ الرِّياءَ إلاَّ المخلصُ.

وسُئل الجُنيد رحمه الله مرَّةً أُخرى عن الإخلاص، فقال: إخراجُ الخلقِ من معاملة الله تعالى، والنَّفْسُ أوَّلُ الخلق.

وعن بعض المشايخ قال: إذا قال لك قائلٌ: ما الإخلاص؟ فقل: إفرادُ القصدِ(١) إلى الله تعالى، وإخراجُ الخلقِ من معاملة الله عز وجل بتركِ الحولِ

---

(١) في الأصل: فقال: إفراد.

والقوّة مع الله عز وجل. وعلامةُ المُخلصِ صُحبةُ الخلوات[١] لمناجاة الله تعالى، وقلّةُ التعرّف إلى الخلق بعبودية الله عز وجل، وكراهيةُ علم الخلق في معاملة الله تعالى.

وسُئل أظنُّه أبا الحسين النُّوري رحمه الله عن الإخلاص، فقال: تركُ الموافقةِ للخلق.

مسألة في الذكر

قال الشيخ رحمه الله: سمعتُ ابنَ سالمٍ يقول، وسُئل عن الذِّكر، فقال: الذِّكرُ على ثلاثٍ: فذكرٌ باللِّسان، فذاك الحسنةُ بعشرةٍ، وذكرٌ بالقلب فذاك الحسنة بسبعمئة، وذكرٌ لا يُوزنُ ثوابُه، ولا يُعدُّ، وهو الامتلاءُ من المحبّة، والحياءُ من قربه.

قيل لابن عطاء رحمه الله: ما يفعلُ الذِّكرُ بالسرائر؟ فقال: ذكرُ الله تعالى إذا وردَ على السرائر بإشراقه أزالَ[٢] البشرية عن الحقيقة برعوناتها.

وقال سهل بنُ عبد الله رحمه الله: ليس كلُّ من ادّعى الذكر، فهو ذاكر.

وسئل سهل بنُ عبد الله رحمه الله عن الذِّكر، فقال: تحقيقُ العلم بأنَّ الله تعالى مشاهدُكَ، فتراه بقلبك قريبًا منك، وتستحيي منه، ثم تُؤثرُهُ على نفسك وعلى أحوالِكَ كلِّها.

قال الشيخ رحمه الله: قال الله عز وجل: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ثم قال في آيةٍ أخرى: [﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، فهو أخصرُ][٣] ثم قال في آيةٍ أخرى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فصار الذاكرون لله متفاوتين في ذكرهم

---

(١) في (ع)، والمثبت من (ن): محبة الخلوات.
(٢) في الأصل: بإشراقها أزالت البشرية.
(٣) ما بين معقوفين مستدرك من (ن) و(ع).

كتفاوتهم في المخاطبة لهم في الذكر.

قال: وسئل بعض المشايخ عن الذِّكرِ، فقال: المذكورُ واحدٌ، والذِّكرُ مُختلف، ومحلُّ قلوبِ الذاكرين متفاوتة.

وأصلُ الذِّكر إجابةُ الحقِّ من حيث اللوازم.

والذِّكرُ على وجهين:

فوجهٌ منه: التهليلُ، والتسبيحُ، وتلاوة القرآن.

ووجهٌ منه: تنبيهُ القلوب على شرائط التذكير(١) على إفراد الله تعالى، وأسمائه، وصفاته، ونشر إحسانه، ونفاذ تقديره على جميع خلقه.

فذكرُ الراجين على وعده، وذكرُ الخائفين على وعيده، وذكرُ المتوكِّلين على ما كشف لهم من كفايته، وذكرُ المُراقبين على مقدارِ ما طلعَ عليهم باطِلاعِ الله تعالى عليهم، وذكرُ المحبِّين(٢) على قدر تصفُّح النِّعماء.

وسُئل الشِّبليُّ رحمه الله عن حقيقة الذِّكر، فقال: نسيانُ الذكر. يعني نسيان ذكرك لله تعالى، ونسيان كلِّ شيءٍ سوى الله عز وجل.

مسألة في الغنى

سُئل الجُنيد رحمه الله: أيُّما أتمُّ؛ الاستغناء بالله تعالى، أم الافتقار إلى الله عز وجل؟ فقال: الافتقارُ إلى الله عز وجل موجبٌ للغنى(٣) بالله عز وجل، فإذا صحَّ الافتقارُ إلى الله عز وجل، كَملَ الغنى بالله تعالى، فلا يُقال: أيُّهما أتمُّ؟ لأنَّهما حالان، لا يتمُّ أحدهما إلاَّ بتمامِ الآخر، ومن صحَّحَ الافتقار صحح الغنى.

---

(١) في (ب): على شرائط التيقُّظ

(٢) في (ب)، وهامش الأصل: وفي نسخة: وذكر المخبتين.

(٣) في (ب): موجب الغنى.

قال: وسُئل يوسف بنُ الحسين رحمه الله: ما علامة الغنى؟ قال: الذي يكون غناه للدِّين لا للدنيا.

قيل: ومتى يكون الغنيُّ محمودًا في غناه غيرَ مذموم؟ قال: إذا كان هذا الغنيُّ أَخَذَ الشيءَ من جهته، غيرَ مانعٍ عن حقِّه، متعاونًا في كسبه على البرِّ والتقوى، لا متعاونًا في تجارته على الإثم والعدوان، ولم يتعلّق(١) قلبُهُ بمالِهِ دون الله عز وجل، ولا استوحش لفقدِهِ، ولا استأنس/ بملكه، وكان [١٠٢] في غناه مُفتقرًا إلى الله عز وجل، وفي فقره مُستغنيًا بالله تعالى، ويكونُ خازنًا من خُزّان الله تعالى، فكان غناهُ له لا عليه، فإذا كان بهذه الصفةِ كان من أهل الفوز والنجاة، ودخلَ الجنَّة بعد الفقراء بخمسمئة عام بخبر رسول الله ﷺ «يدخلُ فقراءُ أمتي الجنة قبل أغنيائها بخمسمئة عام»(٢).

وسُئل عمرو بن عثمان المكي رحمه الله عن الغنى الذي هو جامعٌ للغنى، فقال: الغنى عن الغنى(٣)، لأنّك إذا استغنيتَ بالغنى، كنتَ مُحتاجًا إليه من أجلِ استغنائك، وإذا كنتَ غنيًا بالله عز وجل لا بالغنى، تكونُ مُستغنيًا عن الغنى، وغير الغنى.

وقال الجُنيد رحمه الله: النفسُ التي قد أعزَّها الحقُّ بحقيقة الغنى تزولُ عنها موافقات الفاقات.

مسألة في الفقر

قال الجُنيد رحمه الله: الفقرُ بحر(٤) البلاء، وبلاؤه كلُّه عزٌّ.

وسُئل عن الفقير الصادق: متى يكونُ مُستوجبًا لدخول الجنة قبل الأغنياء

---

(١) في (ب): ولا يتعلق قلبه.

(٢) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (١٤٠).

(٣) في (ب): فقال: الغنى الذي هو جامعٌ للغنى: الغنى عن الغنى.

(٤) في (ب): الفقير بحر.

بخمسمئة عام[١]؟ فقال: إذا كان هذا الفقيرُ معاملاً لله عز وجل بقلبه، مُوافقًا لله فيما منع، حتّى يعدَّ الفقرَ من الله نعمةً عليه، يخافُ على زوالها كما يخافُ الغنيُّ على زوال غناه، وكان صابرًا مُحتسبًا مسرورًا باختيار الله له الفقر، صائنًا لدينه، كاتمًا للفقر، مُظهرًا للأياس من الناس، مُستغنيًا بربّه في فقره، كما قال الله عز وجل: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . . ﴾ الآية [البقرة: ٢٧٣]، فإذا كان الفقير بهذه الصفة يدخلُ الجنَّة قَبل الأغنياء بخمسمئة عام، ويُكفى يومِ القيامة مؤونةَ الوقوفِ والحساب، إن شاء الله تعالى.

وقال ابن الجلاَّء رحمه الله: من من لم يصحبْهُ الورعُ في فقرِهِ أكلَ الحرام النضَّ وهو لا يدري.

وسُئل الجُنيد رحمه الله عن أعزِّ الناس، فقال: الفقير الراضي.

وقال المُزيّنُ رحمه الله: حدُّ الفقر، ألاَّ ينفكَّ الفقير من الحاجة.

وقال المُزيّنُ رحمه الله: إذا رجع الفقير إلى الله عز وجل، كان مَوصوفًا مع العلوم، فيتحيَّر في وجوده.

وقال الجُنيد رحمه الله: لا يتحقَّقُ الإنسانُ بالفقر حتّى يتقرَّرَ عنده أنَّه لا يردُ القيامةَ أفقرُ منه.

مسألة في الروح، وما قالوا فيه

قال الشِّبليُّ رحمه الله: باللهِ قامتِ الأرواحُ والأجساد والخطراتُ لا بذواتها.

وقال الشِّبلي رحمه الله: الأرواح تلطَّفَتْ، فتعلَّقتْ[٢] عند لدغاتِ الحقيقة، فلم تر معبودًا يستحقُّ العبادة، عن أن تتقرَّبَ إلى ذلك الشاهد بغيرِ

---

(١) انظر الحديث الذي تقدم قبل صفحة.

(٢) في هامش (ب): وفي نسخة: فتطلَّعت.

ذلك المشاهد، وأيقنَتْ أنَّ الحَدَثَ لا يُدركُ القديمَ بصفته المعلولة.

قال الشيخُ رحمه الله: ورأيتُ في كلام الواسطيِّ رحمه الله، في الروح، فقال: الروحُ روحان: روحٌ به حياةُ الخلق، وروحٌ به ضياءُ القلب، وهو الرُّوحُ الذي قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وسُمّي الروحُ روحًا للطافته، وإذا أساءتِ الجوارحُ في أوقاتها الأدبَ حجب الروح عن ملادغات[١] السبب.

قال: وكلَّما وقعَ للروح من الملاحظات رقَّت[٢] على الأيام والأوقات، وعرفتِ المخاطبات، وأشارت إلى المعاملات[٣].

وقال الواسطي رحمه الله: إنّما هما شيئان: الروحُ والعقلُ، فالروحُ لا يُسدي إلى الرُّوح محبوبًا، ولا العقلُ يتهيَّأُ له أن يدفعَ عن العقل مكروهًا.

وحُكي عن أبي عبد الله النِّباجي رحمه الله، أنه قال: إنَّ العارفَ إذا وصلَ فكان فيه روحان: روحٌ لا يجري عليه التغيير والاختلاف، وروحٌ يجري عليه التغيير والتلوين[٤].

وقال بعضُهم: الرّوح روحان، الروحُ القديمة، والروح البشرية، واحتجَّ بقول النبيِّ ﷺ: «تنام عيناي ولا يَنامُ قلبي»[٥]، قال: فظاهرُهُ ينامُ بروح البشرية، وباطنُهُ يقظان لا يجري عليه التغيير.

وكذلك قوله: «إنّما أُنسّى لأَسنَّ»[٦]، وقد أخبرَ أنَّه لا يَنسى، إنما هو [١٠٣] خبرٌ عما هو/ فيه من الروح القديمة.

---

(١) في هامش (ب): وفي نسخة: منازعات.
(٢) في (ب): دقّت على الأيام. والمثبت في (ن): ذنب على الأيام.
(٣) في (ب): إلى المعاينات. وجاء في هامشه: الأصل المقامات.
(٤) في الأصل: التغيير والتكوين، وفي (ب): التغيير والتلوّن.
(٥) أخرجه البخاري (٣٥٦٩) في المناقب، باب كان النبي ﷺ تنام عينه، ولاينام قلبه.
(٦) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٤٤).

وكذلك قوله ﷺ: «لستُ كأحدِكم، إنّي أظلُّ عند ربِّي»[١] وهو صفةُ الروح القديمة، لأنَّه أخبرَ عنها بما ليس من وصف الأرواح.

قال الشيخ رحمه الله: وهذا الذي قال القائل في الرّوح لا يصحُّ؛ لأنَّ القديمَ لا ينفصلُ من القديم، والمخلوقُ غيرُ مُتَّصل بالقديم، وبالله التوفيق.

سمعتُ ابنَ سالم، وقد سُئل عن الثوابِ والعقاب، يكونُ للرُّوح وللجسد، أو للجسد وحده؟ فقال: الطاعةُ والمعصية لم تظهرْ من الجسد دون الروح، ولا من الرُّوحِ دون الجسد، حتى يكون الثوابُ والعقاب على الجسد دون الرُّوح، أو على الروحِ دون الجسد، ومَنْ قال في الأرواح بالتناسخ، والتنقُّل[٢]، والقِدَم فقد ضلَّ ضلالاً بعيدًا، وخسرَ خُسرانًا مبينًا.

مسألة في الإشارة

قال الشيخ رحمه الله: إن سألَ سائلٌ: ما معنى الإشارة؟ فيُقال له: قولُ الله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى﴾ [الفرقان: ١] و﴿ٱلَّذِى﴾ كالكناية، والكناية كالإشارة في لطافتها، والإشارةُ لا يُدركها إلاّ الأكابرُ من أهل العلم.

وقال الشِّبليُّ رحمه الله: كلُّ إشارةٍ أشارَ الخلقُ بها إلى الحقِّ، فهي مردودةٌ عليهم حتى يُشيروا إلى الحقِّ بالحقِّ[٣]، وليس لهم إلى ذلك طريق.

وقال أبو يزيد رحمه الله: أبعدُهم من الله تعالى، أكثرُهم إشارةً إليه.

قال: ودخل رجلٌ على الجُنيد رحمه الله، فسأله عن مسألةٍ، فأشارَ الجُنيد بعينه إلى السماء، فقال له الرجل: يا أبا القاسم، لا تُشرْ إليه، فإنَّه أَقربُ إليك من ذلك[٤]. فقال الجنيد رحمه الله: صدقتَ، وضحك.

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٣٣).
(٢) في (ب): والتنقيل.
(٣) في (ب): حتى يشيروا بالحق إلى الحق.
(٤) في (ب): فإنه أقرب من ذلك.

حُكي عن عمرو بن عثمان المكّي أنَّه قال: أصحابُنا حقيقتُهم توحيدٌ، وإشارتُهم شركٌ.

وقال بعضُهم: كلٌّ يُريدُ أن يُشيرَ إليه، ولكنْ لم يجعلْ لأحدٍ إليه سبيلاً.

وحُكي عن الجُنيد رحمه الله، أنه قال لرجلٍ: هو ذا تُشير يا هذا، فكم تشير إليه! دعه يُشرْ إليك.

وقال أبو يزيد رحمه الله: مَنْ أشارَ إليه بعلمٍ فقد كفر؛ لأن الإشارةَ بعلمٍ لا تقعُ إلاَّ على معلوم، ومَنْ أشار إليه بمعرفةٍ، فقد ألحدَ؛ لأن الإشارة بالمعرفة لا تقعُ إلاَّ على محدود.

سمعتُ الدُقيَّ يقول: سُئل الزَّقَّاق رحمه الله عن المُريد، فقال: حقيقةُ المريد أن يُشيرَ إلى الله تعالى، فيجد الله مع نَفْسِ الإشارة. وقيل له: فالذي يَستوعبُ حالَهُ؟ قال: هو أن يجدَ اللهَ تعالى بإسقاطِ الإشارة. وهذه المسألةُ تُعرف للجُنيد رحمه الله.

وقال النُّوري رحمه الله: قُرْبُ القربِ، فيما أشرنا إليه، بُعْدُ البعد.

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: إذا رأيتَ الرَّجلَ يُشيرُ إلى العمل، فطريقُهُ طريقُ الورع، وإذا رأيتَهُ يُشير إلى العلم، فطريقُهُ طريقُ العبادة، وإذا رأيتَهُ يُشير إلى الأمن في الرزق، فطريقُهُ طريق الزهد، وإذا رأيتَهُ يُشير إلى الآيات، فطريقه طريق الأبدال، وإذا رأيتَهُ يُشير إلى الآلاء، فطريقُهُ طريقُ المحبين، وإذا رأيتَهُ مُعلَّقًا بذكره إلى ذكره[١]، فطريقه طريق العارفين.

وقال أبو علي الرُّوذباري رحمه الله: علمُنا هذا إشارةٌ، فإذا صار عبارةً جفا[٢].

وسأل رجلٌ أبا يعقوب السُّوسي رحمه الله مسألةً، وكان يُشيرُ في سؤاله،

---

(١) من قوله: (فطريقه طريق المحبين..) إلى هنا من (ب) فقط.

(٢) في (ن) و(ع): عبارة خفي.

فقال له: يا هذا، نحن نبلغُ محابَّك[١] من غير هذه الإشارة، فأيشٍ تريد![٢] كأنه يكره ذلك منه.

مسائل شتى

١ـ **مسألة في الظَّرْف**[٣]: سُئل الجُنيد رحمه الله عن الظرف: ما هو؟ فقال: اجتنابُ كلِّ خُلقٍ دَنيٍّ، واستعمالُ كلِّ خُلقٍ سنيٍّ، وأن تعملَ لله، ثم لا ترى أنَّك عملتَ.

٢ـ **مسألة في المروءة**: سُئل أحمدُ بنُ عطاء رحمه الله عن المروءة، فقال: ألاَّ تستكثر لله عملاً عملته، وكلّما عملتَ عملاً كأنَّكَ لم تعملْ شيئًا، وتريد أكثر من ذلك.

٣ـ مسألة/ لم سُمّيت هذه الطائفة بهذا الاسم يعني الصوفية؟ [١٠٤]

قال ابنُ عطاء رحمه الله: لصفائها من كدرِ الأغيار، وخروجِها من مراتب الأشرار.

وقال النُّوريُّ رحمه الله: سُمّيتَ بهذا الاسم، لاشتمالها[٤] عن الخلق بظاهر العابدين، وانقطاعها إلى الحقِّ بمراتب الواجدين.

وقال الشِّبليُّ رحمه الله: سُمِّيت بهذا الاسم، لبقيَّةٍ بقيَتْ عليهم من نفوسِهم، ولولا ذلك لما لاقتْ بهم الأسماء.

وقال بعضُهم: سُمّيتْ بهذا الاسم، لتنسُّمِها بروحِ الكفاية، وتظاهرها بوصف الإنابة[٥].

---

(١) في الأصل، و(ن): مجابك.
(٢) قوله: (فأيشٍ تريد) من (ب).
(٣) في الأصل: في الطرق.
(٤) في الأصل: لاستعمالها، وفي (ب): لاشتغالها.
(٥) في (ب): بوصف الإبانة.

٤ـ مسألة في الرزق: قال يحيى بنُ معاذ رحمه الله: في وجودِ العبد الرزقُ من غيرِ طلبٍ، دلالةٌ على أنَّ الرزقَ مأمورٌ بطلب صاحبه.

وقال بعضُهم: إنْ طلبتُ الرِّزقَ قبل وقته لم أجدْهُ، وإن طلبتُ الرِّزقَ بعد وقته لم أجدْه، وإن طلبتُهُ في وقته كُفيته.

وحُكي عن أبي يعقوب رحمه الله أنَّه قال: اختلفَ النَّاسُ في سبب الرزق، فقال قوم: سببُ الرزق التكلّفُ والعناية، وهو قول القدرية. وقال قومٌ: سببُ الرزق التقوى، وذهبوا إلى ظاهر القرآن: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ـ٣] وغلطوا في ذلك، والعلم عند الله تعالى أنَّ سببَ الرزق الخلقة، لقوله عز وجل: ﴿خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [الروم: ٤٠]: فلم يخصَّ مؤمنًا دون كافر.

وقال أبو يزيد رحمه الله: أثنيتُ على رجلٍ من المُريدين عند بعض العلماء خيرًا، فقال العالم: من أين معاشُهُ؟ فقلتُ: لم أشكَّ في خالقِهِ حتى أسألَهُ عن رازقه. فخجل العالم وانقطع.

٥ـ مسألة: سُئل الجنيد رحمه الله: إذا ذهبَ اسمُ العبد؛ وثبت حكمُ الله تعالى؟ قال: اعلمْ رحمَكَ الله تعالى أنه إذا عظمتِ المعرفةُ بالله ذهبتْ آثارُ العبد، وامّحت رسومُهُ، فعند ذلك يبدو علمُ الحقِّ، وثبتَ اسمُ حكم الله تعالى.

٦ـ مسألة: سُئل الجُنيد رحمه الله: متى يَستوي عند العبد حامدُهُ وذامُّهُ؟ فقال: إذا علمَ أنَّه مَخلوقٌ، ويكون نمًّا[1].

٧ـ مسألة: سُئل ابنُ عطاء رحمه الله: متى تُنالُ سلامة الصدر؟ أو: بم تُنال سلامةُ الصدر؟ قال: بالوقوفِ على ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، وهو القرآن، ثم يُعطى ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥]، ثم يطالع بعده ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]، فيسلم صدرُهُ عند ذلك، وعلامةُ ذلك أن يرضى بقضائه وقدره،

---

(١) كتُب في الأصل: فوق كلمة: (نمّا): كذا، وفي (ب): ويكون ثما.

هيبةً ومحبّةً، ويراه حفيظًا ووكيلاً، من غيرِ تُهْمَةٍ اعترضت.

٨ ـ مسألة: سُئل أبو عثمان رحمه الله: عن الغمِّ الذي يجدُهُ الإنسان، ولا يدري من أيِّشٍ هو؟ فقال أبو عثمان رحمه الله: إنَّ الروحَ التي تتحفّظُ الذنوب والجنايات على النفس، وتنساها النفسُ، فإذا وجدتِ الروحُ صحوًا من النفس، عُرِضَ عليها جناياتُها، فيغشاها الانكسار والذوبان، وهو الغمُّ الذي يجدُهُ، ولا يَدري من أين دخل عليه.

٩ـ مسألة في الفِراسة: سئل يوسف بنُ الحسين رحمه الله: عن حديثِ النبيِّ ﷺ «اتَّقوا فِراسةَ المؤمن؛ فإنَّه ينظرُ بنورِ الله تعالى»[1] فقال: هذا من رسول الله ﷺ حقٌّ، وخصوصيةٌ لأهلِ الإيمان، وزيادةُ كرامةٍ[2] لمن نوّرَ اللهُ تعالى قلبه وشرح صدره، وليس لأحدٍ أن يحكمَ لنفسه بذلك، وإن كثُرَ صوابُه، وقلَّ خطؤه، ومَنْ لم يحكمْ لنفسه بحقيقةِ الإيمان والولاية والسعادة، فكيفَ يحكمُ لنفسهِ بفضلِ الكرامة؟ وإنَّما ذلك فضلةٌ لأهلِ الإيمان من غير إشارة إلى أحدٍ بعينه.

١٠ـ مسألة لإبراهيم الخَوّاص رحمه الله في الوهم: سُئل إبراهيم الخواص رحمه الله: عن الوهم. فقال: الوهم هو قيامٌ[3] بين العقل والفهم، لا منسوبٌ إلى العقل، فيكون شيئًا من صفاته، ولا منسوبٌ إلى الفهمِ، فيكون شيئًا من صفاته، وهو قيامٌ[4]، وهو شبيهٌ بضوءٍ بين شمسٍ وماء، فلا يُنسبُ إلى الشمس، ولا ينسب إلى/ الماء، وشبيه بوسَنٍ بين النوم واليقظة، [١٠٥]
فلا نائم ولا يقظان، فهذه صحوةٌ،[5] وهو نفاذ العقل إلى الفهم، أو الفهم

---

(١) تقدم ذكره، انظر الصفحة (١٧٧).
(٢) في (ب): وزيادة وكرامة.
(٣) في (ب): هو قتام.
(٤) قوله: (وهو قيام) ليس في (ب).
(٥) في هامش (ب): صوابه: وضدُّه صحوه. وفي هامش: (ن): وفي نسخة: فهذه محوه.

إلى العقل، حتى لا يكونَ بينهما قيامٌ[١]، والفهمُ صفوةُ العقل، كما أنَّ خالصَ الشيءِ لبُّهُ.

١١ـ **مسألة**: سُئل أبو يزيد رحمه الله عن معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ . . . ﴾ الآية [فاطر: ٣٢]. قال أبو يزيد رحمه الله: السابقُ مضروبٌ بسوط المحبّة، مقتولٌ بسيفِ الشوق، مضطجعٌ على باب الهيبة. والمقتصدُ مضروبٌ بسوط الحسرة، مقتولٌ بسيف الندامة، مُضطجعٌ على باب الكرم. والظالمُ مضروبٌ بسوطِ الأمل، مقتولٌ بسيف الحرص، مضطجعٌ على باب العقوبة.

وقال غيرُهُ: الظالمُ لنفسِهِ معاقبٌ بالحجاب، والمقتصدُ والجٌ داخلُ الباب، والسابقُ بالخيرات ساجدٌ على البساط للملك الوهاب.

وقال غيرُه: الظالمُ معاقبٌ بالندامة على الإفراط، والمقتصدُ مشتملٌ بالكلاءة والاحتياط، والسابقُ بالخيرات ساجدٌ بقلبه للحقّ على البساط.

الظالمُ لنفسه بتلويح الإشارة محجوب، والمقتصد بتصريح الإشارة مكنوف، والسابق بالخيرات بتصحيح الإشارة محبوب.

[وقال غيرُه: الظالم لنفسه (د) والمقتصد (ب) والسابق بالخيرات (م)][٢]

١٢ـ **مسألة في التمنّي**: سُئل رويم بنُ أحمد رحمه الله: هل للمُريد أن يَتمنَّى؟ فقال: ليس له أن يتمنَّى، وله أن يأملَ، لأنَّ في التمنّي رؤيةَ النَّفس، وفي الآمالِ رؤيةَ السبق، والتمنّي من صفاتِ النفس، والتأمُّلُ صفةُ القلب، والله أعلم.

١٣ـ **مسألة في سرّ النفس**: قال سَهل بنُ عبد الله رحمه الله، وسُئل عن سرِّ النفس، فقال: للنفسِ سرٌّ ما ظهرَ ذلك السرُّ على أحدٍ من خلقه إلاَّ على

---

(١) في (ب): لا يكون بينهما قتام.

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من (ن) و(ع).

فرعون، فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ولها سبعُ[١] حُجُبٍ سماوية، وسبعُ حُجُبٍ أرضية، فكلَّما يدفنُ العبدُ نفسَه أرضًا أرضًا، سما قلبُه سماءً سماءً، فإذا دُفِنتِ النفسُ تحت الثرى، وصلتَ بالقلبِ إلى العرش.

١٤ـ **مسألة**: سُئل الشِّبليُّ رحمه الله عن الغَيرة، فقال: الغَيرةُ غَيرتان: غيرةُ البشرية، وغَيرةُ الإلهية، فغيرةُ البشرية على الأشخاص، وغيرةُ الإلهية على الوقت أن يضيعَ فيما سوى الله تعالى.

١٥ـ **مسألة**: قال فتحُ بنُ شخرف رحمه الله: سألتُ إسرافيلَ أستاذ ذي النون رحمهما الله تعالى، فقلتُ له: أيُّها الشيخ، هل تعذَّبُ الأسرار قبل الزلل؟ فلم يُجبني أيّامًا، ثم قال: يا فتح، إذا نوديت[٢] قبل العمل فتعذَّب الأسرار قبل الزلل. قال: ثم صرخَ صرخةً عاش ثلاثة أيام، ثم مات.

١٦ـ **مسألة**: سُئل أبو بكر بن موسى[٣] الفرغاني، المعروف بالواسطي رحمه الله عن صفةِ القلوب، فقال: القلوبُ على ثلاثة أحوال: قلوبٌ مُمتحنةٌ، وأُخرى مُصْطَلَمَةٌ[٤]، وأُخرى مُنتسفةٌ، وأولُ أحوالها[٥] الانتساف، وهو المتحقِّقُ بأوائله أنه لم يكن قبلُ شيئًا مذكورًا، فإذا حضرتْ وقعت إلى الاصطلام، وهو الموت، ثم الطَّمسُ وهو ذهابٌ، فهذا أَوَّلُك وآخرُكَ كي لا تقول: أنا أقبلتُ وأدبرتُ، وهذه الثلاثة أخرستِ الألسنَ عن النُّطق.

١٧ـ **مسألة**: سُئل الجَريري رحمه الله عن البلاء، فقال: البلاءُ على ثلاثةِ أَوجهٍ: على المُخلصين نقمٌ وعقوبات، وعلى السابقين تمحيصٌ وكفّارات،

---

(١) كذا الأصول.
(٢) في (ن) و(ع): إن نويت، وفي الأصل: إذ. والمثبت من (ب).
(٣) في (ن) و(ع): أبو بكر محمد بن موسى.
(٤) في الأصل: وأخرى مظلمة. وفي حاشية (ن): وأخرى منطمسة.
(٥) في (ب): وأوائل أحوالها.

وعلى الأنبياء والصدِّيقين من صدق الاختيارات.

١٨ـ مسألة في الفرق بين الحبِّ والودِّ: الحبُّ فيه بعدٌ وفيه قرب، والودُّ لا فيه قطعٌ ولا بعدٌ ولا قرب، إنَّ شاهدَ الحُبِّ ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، وشاهدَ الودِّ ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]، وشاهدَ الصيانة[١] ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥]، والودُّ وصلٌ بلا مواصلة، لأن الواصل[٢] ثابتٌ، والمواصلةُ تصرُّفُ الأوقات.

١٩ـ مسألة في البكاء: سُئل أبو سعيد الخرّاز رحمه الله عن البكاء، فقال: البكاء من الله، وإلى الله، وعلى الله، فالبكاءُ من الله لطولِ تعذيبه بالحبسِ[٣] عنه إذا ذكر طولَ المدّةِ إلى لقائه، والبكاءُ من خوفِ الانقطاع، والبكاء من الفَرَق لما تَواعدَهُ من المكافأة لمن قصّر[٤]، والبكاءُ من الفزع إذا قام الإشفاق من الحادثات التي تحرمُ الوصولَ إليه. والبكاءُ إليه، وهوَ أن يتكلَّف سرّه الهيجان إليه[٥]، والبكاءُ من طيران الأرواح بالحنين إليه، والبكاءُ مِنْ وَلَهِ العقل إليه، والبكاء من التأوّه، والبكاء من الوقوف بين يديه، والبكاءُ برقَّةِ الشَّكوى إليه، والبكاءُ بالتمرُّغ على بساط الذُّلّ طلبَ الزُّلفى لديه، والبكاء عند المناقشة[٦] إذا/ توهّم أنه بُطِّيء به عنه، والبكاءُ خوفًا أن [١٠٦] ينقطعَ الطريقُ، فلا يصلُ إليه، والبكاء خوفًا ألاّ يصلحَ للقائه، والبكاءُ من الحياءِ منه، بأيِّ عينٍ ينظرُ إليه، ثم البكاءُ عليه إذا بُطِّيء به عنه في بعض الأوقات ممّا عوّده، والبكاء من الفرحِ في نفس وصوله إليه، إذا اكتنفه ببرّه، كالصبيِّ الرضيع يرتضعُ ثديَ أُمّه وهو يبكي، فهذا ثمانية عشر وجهًا.

---

(١) في (ب): وشاهد الصبابة.

(٢) كذا في الأصل، وكتب فوقها: (صح)، وفي (ن) و(ع): لأن الوصل.

(٣) في (ن) و(ع): بالحنين عنه. وجاء في حاشية (ن): وفي نسخة: بالحَسْر.

(٤) المثبت في (ب): لما قصّر. وفي هامشها: وفي نسخة: بمن قصّر.

(٥) في هامش (ب): وفي نسخة: من الهيمان.

(٦) في (ن) و(ع): عند المنافسة.

٢٠ـ مسألة في الشاهد: سُئل الجُنيد رحمه الله: لم سُمّي الشاهدُ شاهدًا؟ فقال: الشاهدُ الحقُّ شاهدٌ في ضميرك وأسرارِك، مُطّلعًا عليها، وشاهدًا لجماله[١] في خلقه وعباده، فإذا نظرَ الناظرُ إليه شهد علمه بنظرِهِ إليه، وشاهدُ الصوفية هو أن يقطعَ منزلَ المُريدين، فيشهد عموم العارفين، وجملة اسم[٢] الشاهد الحاضرِ في الغيب، لا يخرجُ[٣] ولا يفترُ ولا يتغافل، فإنْ غفلَ غفلةَ مُريدٍ فليس بشاهدٍ، وكلُّ ما يجري فيه غير هذا في ظاهر الخليقة[٤] فهو باطل، فليس هو طريق الصوفية.

٢١ـ مسألة في صفاء المعاملة والعبادة: قال: اجتمع مشايخُ حرم الله تعالى على أبي الحسين علي بن هند القرشي الفارسي رحمه الله، فسألوه عن صفاء العبادة والمعاملة، فقال: إنَّ للعقل دلالةً، وللحكمة إشارةً، وللمعرفة شهادةً، فالعقلُ يدلُّ، والحكمة تُشير، والمعرفة تشهد أنَّ صفاءَ العبادات لا ينال إلاَّ بصفاء معرفةِ أربعةٍ: فأوّل ذلك معرفةُ الله تعالى، والثاني معرفةُ النفس، والثالث معرفة الموت، والرابع معرفة ما بعد الموت، مِنْ وعدِ الله ووعيده، فمَنْ عرفَ اللهَ تعالى قام بحقِّه، ومن عرفَ النفسَ استعدَّ لمخالفتها ومجاهدتها، ومن عرفَ الموتَ استعدَّ لوروده، ومن شهدَ وعيدَ الله تعالى، ينزجرُ عن نهيه، وينتدبُ لأمره.

فمراعاةُ حقِّ الله تعالى على ثلاثة أوجهٍ: على الوفاء، والأدب، والمروءة. فأمَّا الوفاءُ فانفرادُ القلب بفردانيته، والثباتُ على مشاهدة وحدانيته بنور أزليته، والعيش معه. وأمّا الأدبُ فمراعاةُ الأسرار من الخطرات، وحفظُ الأوقات، والانقطاعُ عن الحسدِ والعداوات. وأمّا المروءةُ فالثباتُ على الذكر نُطقًا وفعلاً، وصيانةُ اللسان، وحفظُ النظر،

---

(١) في (ب): وشاهد الجمال.

(٢) في (ن) و(ع): وحَمَلةِ اسم.

(٣) في (ن) و(ع): لا يحرج.

(٤) في (ب): ظاهر الخليفة.

وحفظ المطعم والملبس، وينال ذلك بالأدبِ، لأنَّ أصلَ كلِّ خيرٍ في الدنيا والآخرة الأدب، وبالله التوفيق.

٢٢ـ مسألة: ما الكريم؟: قال حارث رحمه الله: الكريمُ الذي لا يُبالي لمن أَعطى.

وقال الجُنيد رحمه الله: الكريمُ من لا يُحوجُك إلى وسيلةٍ.

٢٣ـ مسألة في الكرامة: قال قومٌ: الكرامة أن يبلغ المراد قبل ظهورِ الإرادة.

وقال قومٌ: الإعطاءُ فوق المأمول.

٢٤ـ مسألة في الفكر: سُئل الحارث المُحاسبيُّ رحمه الله عن الفكر، فقال: الفكرُ[١] في قيام الأشياء بالحقِّ.

وقال قومٌ: التفكُّرُ صحّة الاعتبار.

وقال آخرون: الفكرُ ما ملأ القلوب من حال التعظيم لله عز وجل.

والفرقُ بين الفكر والتفكُّر: أنَّ التفكُّر جولانُ القلب، والفكر وقوفُ القلب على ما عرف[٢].

٢٥ـ مسألة في الاعتبار[٣]: قال الحارث المحاسبي أبو عبد الله بنُ أسد رحمه الله: الاعتبارُ استدلالُ الشيءِ على الشيء.

وقال قومٌ: الاعتبار ما وضح فيه الإيمان، واستوفته العقول.

وقال قومٌ: الاعتبار ما نفذَ في الغيب، ولم يردَّه مانع.

٢٦ـ مسألة ما النية؟: قال قومٌ: النِّيَّةُ العزمُ على الفعل.

وقال قومٌ: النِّيَّةُ معرفةُ اسم العمل.

---

(١) في (ب): التفكّر في قيام.

(٢) في (ب): جولان القلوبُ.. وقوف القلوب على ما عرَّف.

(٣) في (ب): مسألة ما الاعتبار.

وقال الجُنيد رحمه الله: النيةُ تصويرُ الأفعال.

وقال آخر: نيّةُ المؤمن اللهُ عزّ وعلا.

٢٧ـ مسألة ما الصواب؟: قال قومٌ: الصواب التوحيد فقط.

وقال الجُنيد رحمه الله: الصوابُ كلُّ نطقٍ عن إذن.

٢٨ـ مسألة في [الشفقة]: سُئل الجُنيد عن الشفقة على الخلق ما هو؟ قال: تُعطيهم من نفسك ما يطلبون/ ولا تُحمّلهم ما لا يطيقون، ولا تخاطبهم بما [١٠٧] لا يعلمون.

٢٩ـ مسألة في التقية[١]: قال قومٌ: استعمال الأمر والنهي.

وقال قومٌ: تركُ الشُّبهات.

وقال قومٌ: التقية حَرَمُ المؤمن، كما أنَّ الكعبةَ حرمُ مكة.

وقال قوم: التقية نورٌ في القلب يُفرّقُ بها بين الحقِّ والباطل.

وقال سهل، والجُنيد، والحارث، وأبو سعيد رحمةُ الله تعالى عليهم أجمعين: التقية: استواءُ السرّ والعلانية.

٣٠ـ مسألة في السرِّ: قال بعضُهم: السرُّ ما لا يحسُّ به هاجسُ النفس.

وقال بعضُهم: السرُّ ما غيّبَهُ الحقُّ، وأشرف عليه به.

وقال قومٌ: السرُّ سرّان، سرٌّ للحقِّ، وهو ما أشرفَ عليه بلا واسطةٍ، وسرٌّ للخلق، وهو ما أشرف عليه الحقُّ بواسطة[٢].

وقال: سرٌّ من السرِّ للسرّ، وهو حقٌّ لا يظهرُ إلاَّ بحقٍّ، وما ظهر بخلقٌ فليس بسرٌّ.

وحُكي عن الحسين بن منصور الحلاَّج رحمه الله أنه قال: أسرارُنا بكرٌ، لا يفتضُّها وهمُ واهم.

---

(١) في (ب): مسألة ما التقيّة.

(٢) في (ب): سران: سر الحقِّ، وهو ما أشرف عليه بواسطته.

وقال يوسف بنُ الحسين رحمه الله: قلوبُ الرجالِ قبورُ الأسرار.

وعنه أيضًا أنّه قال: لو اطَّلعَ زرّي على سرّي قلعته.

شعر:

سرٌّ بسرٍّ[١] قد أسرَّ جَميعَها فكلامُها[٢] في سرِّها مسرورُ
ما سرُّ مسرورٍ بسرِّ سرِّه[٣] منه إليه مُساريٌّ مَغرورُ[٤]

وقال آخر[٥]:

يا سرَّ سرٍّ يدقُّ حتّى يَخفى على وَهْمِ كلِّ حيٍّ
وظاهرٌ باطنٌ تجلّى من كلِّ شيءٍ لكلِّ شيٍّ

وقال النُّوري رحمه الله[٦]:

لَعَمريَ ما استودعْتُ سرّي وسرَّها سِوانا حَذارًا أن تَشيعَ السَرائرُ
ولا لاحَظَتْهُ مُقلتاي بلحظةٍ فتَشْهَدَ نجوانا العُيونُ النَّواظرُ[٧]
ولكنْ جعلتُ الوهمَ بيني وبينه رسولاً فأدّى ما تكنُّ الضَّمائرُ[٨]

فهذا ما حضرني في الوقتِ من مسائلهم، ومسائل هؤلاء أكثرُ من أن يتهيّأَ ذكرها.

---

(١) في الأصل، و(ن) و(ع): حاسٌ بسرٍّ... في سرِّها.
(٢) في الأصل: وكلامها في سرِّها.
(٣) في الأصل، و(ن) و(ع): مسرورٍ يشيرُ بسرِّه.
(٤) في الأصل: مساويًا مغرور.
(٥) البيتان للحلاج، الديوان ص٧٧، وسيردا ثانية صفحة (٤٧٩).
(٦) الأبيات لجميل بثينة، الديوان ص٨٣، وسترد أيضًا صفحة (٣٤٤، ٥٤٨).
(٧) في الأصل: ولا اخطته مقلتاي. وفي هامش (ب): وفي نسخة: ولا لاحظته مُقلَتيَّ. وفي الديوان:

ولا خاطبتها مقلتاي بنظرةٍ فتعلم نجوانا العيون النواظر

(٨) في الديوان: جعلت اللحظ.. ما تجنُّ الضمائر.

وقد حُكيِ عن عمرو بنِ عثمان المكيّ رحمه الله أنَّه قال: العلمُ كلُّه نصفان: نصفُهُ سؤال، ونصفه جواب. وبالله التوفيق(١).

* * *

(١) جاء في هامش (ب) ما نصه: . . . من أصل الشيخ أبي الوقت. . . بحمد الله ومنِّه. باب في مكاتبات بعضهم لبعض. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليمًا.

سُمعَ جميعُ هذا المجلد، من أوله إلى آخره على الشيخ الصالح أبي الفضل عبد السلام بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد بن بكران الدّاهري [تاريخ الإسلام ١٣/ ٨٦٤] بسماعه فيه من أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي الهروي الصوفي رحمه الله، بقراءة الشيخ الإمام الحافظ زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف بن سعد النابلسي، الشيخ الإمام العالم العارف نجم الدين أبو البقاء ثابت بن تاوان بن أحمد التفليسي، وفتاه: إياس بن عبد الله الرومي، وجمال الدين أبو عبد الله محمد خاصبك بن اقسان بن عبد الله البغدادي، وصاحبه أبو العباس بن أحمد بن فتوح بن محمد الصَّفار، وموفق الدين أبو بكر محمد بن أبي النجيب بن أبي علي الأنصاري، وشرف الدين أبو طاهر بن عبدالله بن حيدرة، وعيسى بن جبريل بن حامد المراغيان، وصائن الدين أبو حامد محمد بن أبي بكر بن غالب الخوزي، وشمس الدين محمد بن عثمان بن عبد الله الشيرازي، وولده عبد الرحمن، وصاحبه علي بن مقبل بن عبد الله الشيرازي، وأبو المعالي محمد بن العدل أبي العباس أحمد بن أكمل العباسي، وأبو نصر المظفر بن أبي القاسم بن عمار الحاجب الأنصاري، والسديد علي بن محمد بن أحمد البيهقي.

وكاتب السماع حسين بن أحمد بن حميد الرومي التفليسي أبوه، وذلك في يوم الأحد ثامن عشر شهر ربيع الآخر من سنة سبع عشرة وستمئة. وصلى الله على سيدنا محمد وآله. صحح ذلك وكتب عبد السلام بن عبد الله بن أحمد بن أبي بكر المصري.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[كتاب المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل][(١)]

باب في مكاتبات بعضهم إلى بعض

(*) قال الشيخ رحمه الله: سمعتُ أحمد بن عليّ الكرخي رحمه الله يقول: كتبَ الجُنيد إلى ممشاد الدِّينوري رحمه الله كتابًا، فلمّا وصلَ الكتاب إليه، قلَبَهُ، وكتبَ على ظهره: ما كتبَ صحيحٌ إلى صحيح قطُّ، ولا افترقا في الحقيقة.

(*) وكتبَ أبو سعيد الخرّاز إلى أبي العباس أحمد بن عطاء رحمهما الله: يا أبا العباس، تعرف لي رجلاً قد كملَتْ طهارتُهُ، وبرىء من آثار نفسه عنه به له، موقوفٌ مع الحقِّ بالحقِّ للحقِّ، من حيث أوقفه الحقُّ، حيث لا له ولا عليه، فالحقُّ يعلِّلُهُ، امتحانٌ له، وامتحانٌ للخلق به، فإن عرفتَ لي هذا، فدلّني عليه حتى إنْ قَبِلَني كنتُ له خادمًا.

(*) وكتب عمرو بنُ عثمان المكّي رحمه الله كتابًا إلى بغداد إلى جماعةِ الصُّوفية بها، فكان في كتابه: وإنَّكم لن تَصلوا إلى حقيقةِ الحقِّ، حتى تجاوزوا تلك الطرقات المُنطمسةَ، وتسلكوا تلكَ المفاوزَ المُهلكة. فحضرَ عند قراءته الجُنيد، والشِّبليُّ، وأبو محمد الجريري رحمهم الله، فقال الجُنيد رحمه الله: ليت شعري، من الداخلُ فيها؟ وقال الجريري: ليت شعري، من الخارجُ منها؟ وقال الشبليُّ: يا ليتني، لم يكن[(٢)] لي منها مشامّ الريح.

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من (ن) و(ع).

(٢) في هامش (ب): وفي نسخة: لو كان لي منها.

(*) وفيما ذُكر عن الشِّبليِّ رحمه الله أنَّه كتبَ إلى الجُنيد رحمه الله كتابًا، فكتب فيه: يا أبا القاسم، ما تقولُ في حالٍ علا فظهرَ، وظهرَ فقهرَ، وقهر فبهرَ، فاستناخ واستقرّ؟ فالشواهدُ مُنطمسةٌ، والأوهامُ خنسةٌ، والألسنُ خرسةٌ، والعلومُ مُندرسةٌ، ولو تكاثفتِ الخليقة[١] على مَنْ هذا حاله، لم يزدْه ذلك إلاَّ توحُّشًا، [ولو أقبلتِ الخليقةُ إليه تعطفًا، لم يزدْه ذلك إلا تَبعُّدًا][٢]، فالحاصلُ في هذا الحال قد صُفّد بالأغلال والأنكال، وغلبه على عقلِه[٣] فحال وحاد الحقُّ بالحقِّ، وصار الخلقُ عقالاً. وكتب تحتها هذين [١٠٨] البيتين/:

يا هلالَ السَّما كطَرْفٍ كَليلٍ[٤] فـإذا مـا بـدا أضـا طَـرَفيـه
كنـتُ أَبكـي علـيَّ منـه فلمَّـا أَنْ تَـولّـى بكيـتُ منـه عليـه[٥]

قال: فترك الرقعةَ عنده من الأربعاء إلى الأربعاء، وكتبَ تحتها: يا أبا بكر، اللهَ اللهَ في الخلقِ، كنَّا نأخذُ الكلمةَ فَنَشُقُّها[٦]، ونقرّظُها، ونتكلَّم بها في السراديب، وقد جئتَ أنتَ فخلعتَ العذارَ، بينك وبين أكابرِ الخلقِ ألفُ طبقة، في أول طبقةٍ يذهبُ ما وصفت.

(*) قال الشيخ رحمه الله: وكنت بالرّملة، وكان بها إنسانٌ هاشميٌّ، وله جاريةٌ مشهورةٌ بحُسنِ الصوت والحذاقة في القول، فسألنا أبا علي الرُّوذباري أن يكتبَ إليه رقعةً، يستأذنُ لنا بالدخول عليها حتى نسمعَ منها شيئًا، فكتب إليه على البديهة بحضرتي:

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: تكاشفت الخلقية.
(٢) ما بين معقوفين مستدرك من (ن) و(ع)، وفي (ب): لم يزده ذلك إلاَّ توحشًا وتبعُّدًا
(٣) في (ب): وغُلبَ على عقله.
(٤) في (ن) و(ع): لطرف كليل.
(٥) ديوان أبي بكر الشبلي: ١٣٣.
(٦) في (ن) و(ع): فننشقها.

بسم الله الرحمن الرحيم

بلغني ـ بلّغَكَ اللهُ سؤلَكَ، وأَعطاك مأمولَكَ ـ أنَّ عندك من مناهل الوُرُودِ[١] منهلاً تردُ عليه قلوبُ أهلِ الوجود، فيشربون منه بعقدِ الوفاء شرابًا يورثُهم حقائقَ الصَّفاء، فإن أذنَ لنا بالدخول عليه، فلنا على ربِّ المنهل[٢] أن يُزيِّنَ المجلسَ بفقدِ الأغيار[٣]، ويحجبَهُ عن نواظرِ الأبصار، ومجيئنا مقرونٌ بإذنك، والسلام.

(*) وسمعتُ أبا علي بن أبي خالد الصُّوري بصُور يقول: كتبتُ إلى أبي علي الرُّوذباري رحمه الله كتابًا، وكتبت فيه هذين البيتين:

إنَّ كَتمــي أبــا علــيٍّ لحبِّيـ ـكَ فـرارًا مـن التشـاركِ فيـهِ
حبَـذا رُوذبـارُ مــاذا علينـا لــك حقًّــا وذاك منـه بتيـهِ

قال: ثم استقبلني بعد ذلك بأيامٍ، وكان في يدي جزءٌ، وأخذه من يدي، وكتب على ظهره:

أَغراك بالحبِّ حِبٌّ في تحبُّبِهِ[٤] لطفُ الجنانِ وعطفٌ في تَعتُّبِهِ
يا بنَ الصّباباتِ عن وِرْدٍ بلا صَدَرٍ نَجَعْتَ صفوَ الهَوى في غيرِ مَطلبِهِ
قفْ تحتَ ضِنّتِهِ[٥] بالودِّ منكَ له مُستهترًا بتباريحِ الشجونِ بـه

(*) قال: ومرض رجل من أصحاب ذي النُّون، فكتب إليه: أن ادعُ الله لي. فكتب إليه ذو النُّون رحمه الله: يا أخي، سألتني أن أدعوَ الله لك، أن يزيلَ عنك النِّعمَ. واعلم يا أخي أنَّ المرضَ والعلَّةَ يأنسُ بها أهلُ الصفا،

(١) في الأصل: مناهل الورد.
(٢) في (ب): رب النَّهلِ.
(٣) في (ب): بعقد الأغيار.
(٤) في (ن) و(ع): حب في تخبيه.
(٥) في (ن) و(ع): تحت صفّته.

وأصحابُ الهمم والضيا(١) لأنَّها في حياتهم دركٌ للشفا(٢)، ومن لم يعدَّ البلاءَ نعمةً فليس من الحكما، ومن لم يأمنِ الشفيقَ على نفسه فقد أَمنَ أهلَ التُّهمةِ على أمرِهِ، فليكنْ معك يا أخي من الله حياءٌ يَمنعُك من الشكوى، والسلام.

(*) وكتب رجلٌ إلى ذو النُّون رحمه الله: آنسك اللهُ تعالى بقُربهِ. فكتبَ إليه ذو النُّون رحمه الله: أوحشكَ الله من قربه؛ فإنَّه إذا آنسك بقربِهِ فهو قدرُك، وإذا أَوحشَكَ من قربه فهو قدره، ولا نهاية لقدرِهِ حتَّى يَتركَكَ ملهوفًا إليه.

(*) وسمعتُ جعفر الخُلدي رحمه الله يقول: سمعتُ الجُنيد رحمه الله يقول: [دخلت على السريِّ يومًا، فأمرني شيئًا، فقضيتُ حاجته سريعًا، فلمّا رجعتُ](٣) دفع إليّ سريُّ السَّقطي رقعةً، قال: هذا مكانُ قضائك لحاجتي. ففتحتُ الرُّقعةَ، فإذا فيها مكتوبٌ: سمعتُ حاديًا في البادية يحدو ويقول(٤):

أَبكـي وهـل تَـدْريـنَ مـا يُبكيني
أَبكـي حَـذارَ أَنْ تُفـارقيني
وتَقْطَعـي وَصْلـي وتَهْجُـريني(٥)

(*) وقال الرُّوذباري رحمه الله: كتبَ إليّ بعضُ أصدقائي: كتابي إليك كمودَّتي لك، نورٌ منك دلَّ عيني عليك، وحجبَها عن النظرِ إلاَّ إليك، والسلام.

---

(١) في (ن) و(ع): الهمم والضنا.
(٢) في الأصل: درك للشقاء.
(٣) ما بين معقوفين مستدرك من الرسالة القشيرية ٤٦٤ (باب حفظ المشايخ).
(٤) البيتان الأولان من شعر جميل بثينة، الديوان: ١٣٢ (دار صادر).
(٥) قال الشيخ زكريا الأنصاري في شرح الرسالة: فالسريُّ علم من حال الجُنيد أنه نال من معرفة الله ومحبته حالاً رفيعًا، فدلَّهُ على سبب حفظ الرقعة، وأنه يبكي خوفًا من أن يُبعدَه الله عنه.

(*) وكتب أبو عبد الله أيضًا في كتابٍ إلى بعض أصدقائه: ما الذي أدّاك إلى الصَّبوة، بعد تمكُّنك من الحظوة؟ وما الذي حداكَ على قطع حبل الوصال، بعد المحافظةِ على الاتصال؟ أوما علمت أنَّ لورودِ الكُتبِ فرحةً تعدلُ فرحةَ القرب؟.

(*) وكتب شيخٌ من الأجلَّةِ إلى بعض المشايخ: وجدي بك حَمَاني عن الإشارةِ إليك، وما بدا من قربك غيَّبَ عنّي مؤنةَ الذكر لك، فحقيقتُكَ ظاهرةٌ، وأعلامُك زاهرةٌ، وسطوتُكَ قاهرة، ظهرتْ سطوتُكَ فخنستْ معرفتي عند ظهورها، وذهلَ عقلي عند ورودها، وقَصُرَ علمي عند شرح بيان ظهورها/ وقصُرَتْ عبارتي عند استيلاء حقيقتك، والسلام. [١٠٩]

(*) وسمعتُ أبا الطيب أحمد بن مُقاتل العكّيَّ يقول: كتبَ أبو الخير التِّيناتي إلى جعفر الخُلدي رحمه الله كتابًا، فكان فيه: وزرُ جهلِ الفقراء عليكم؛ لأنَّكم ركنتم إلى أبناء الدنيا، واشتغلتُم بأمورِكم، فبقوا جهلةً.

(*) وقال يوسف بنُ الحسين رحمه الله: كتبتُ إلى بعض الحُكماء، وشكوتُ ركوني إلى الدنيا، وما أجدُ في طبعي من الأخلاق التي لستُ أَرضاها من نفسي لنفسي، فكتبَ إليَّ: بسم الله الرحمن الرحيم، وصل كتابُكَ، وفهمتُ ما ذكرتَ، ومخاطبُكَ[١] أكرمَك الله شريكُكَ في شكواك، ونظيرُكَ في بلواك، إنْ رأيتَ أن تُديمَ الدعاءَ وقرعَ الباب[٢]، فإنَّ من قرعَ الباب، ولم يعجزْ عن القرعِ دخل، وإن تهيَّأَ لك ما تُريدُ من الصفا والطهارة، فدعْ ما أنت فيه من البلاء، من اِقتراف مساوىء لا تُجدي عليك منفعةً في دينك ولا دنياك، وتجنَّبْ قُربَ من لا تأمنُ على نفسِك في مواصلته[٣] الغفلة والبطالة، واستعنْ على ذلك كلِّه بالقناعة والتَّجزِّي، وسلْه أن يمنَّ عليك بتوبةِ طهري لا عملي، والسلام.

---

(١) في الأصل: ومخاطبتك.
(٢) في (ب): وتقرع الباب.
(٣) في الأصل: من مواصلة.

(*) وقال يوسف بنُ الحسين رحمه الله: كتب حكيمٌ إلى حكيمٍ يسأله عمّا يؤدِّيه إلى صلاح نفسه، فكتب إليه: إن فسادَ نفسي قد شغلني عن صلاحِك، ولستُ أجدُ في نفسي فضلةً لغيرها، والسلام.

(*) وقال: كتبَ أبو العباس أحمد بن عطاء رحمه الله إلى أبي سعيد الخرّاز رحمه الله كتابًا، فقال فيه: وأُعلمُك أنَّ الفقراءَ وأصحابنا بعدك صاروا يُناقرون بعضَهم لبعضٍ.

فكتب إليه أبو سعيد رحمه الله: وأمّا ما ذكرتَ أنَّ أصحابنا بعدي صاروا يُناقرون بعضهم لبعضٍ، فاعلمْ أنَّ ذلك غيرةٌ من الحقِّ عليهم، حتَّى لا يَسكنَ بعضُهم إلى بعض.

(*) وقال الرُّوذباري رحمه الله: كتبَ بعضُ المحبّين إلى حبيبه يُعاتبه: إنَّ المودّةَ لم تزل موصولةً، فَزُرْ بلادي، وأكثرْ ودادي، واحذرْ عداة الحيّ أن يلقوك، وليظنَّ العداةُ أنَّك جافٍ.

(*) وكتب بعضُ المشايخ كتابًا، فكان فيه هذا الفصل، وأنا وجدتُهُ بخطِّ جعفر الخُلدي: تَفكّري في مرارةِ البينِ يَمنعني من التمتُّع بحلاوةِ الوصل، وتكرَهُ عيني أن تقرَّ بقربك مخافةَ أن تسخنَ ببعدك، فلي عند الاجتماع كبدٌ ترجفُ، وعند التنائي مُقلةٌ تكفُ، وأقولُ كما قال الشاعر[1]:

وما في الدَّهرِ أشقى من مُحبٍّ ... وإنْ وجدَ الهَوى حُلوَ المذاقِ
تـراه بـاكيًـا فـي كـلِّ[2] حيـنٍ ... مخـافـةَ فُـرقـةٍ، أو لاشتيـاقِ
فيبكـي إنْ نـأوا شَـوقًـا إليهـم ... ويَبكـي إن دَنـوا خـوفَ الفِـراقِ
فتسخَـنُ عينُـهُ عنـد التَنـائـي ... وتسخَـنُ عينُـهُ عنـد التّـلاقـي

(*) وحُكي عن حُسين بنِ جبريل المَرَنْدي رحمه الله، وكان من المشايخ

---

(١) هو نصيب بن رباح، الديوان ١١١.
(٢) الديوان: تراه باكيًا أبدًا حزينًا.

الأجلَّةِ، أنَّه قال: وردَ عليَّ كتابٌ من مكَّة، فقرأتُ على جماعةٍ من أصحابنا، وكان من بعض تلامذته، فكان في الكتاب: أُعلمُك يا شيخي أنَّ أصحابَكَ كلَّهم ترافقوا بعضهم مع بعض، فبقيتُ بلا رفيقٍ، فرأيتُ يومًا في الطَّوافِ غزالاً يطوفُ، فأعجبني ذلك، فرافقتُهُ، وكان لي قرصا شعير في كلِّ ليلة[1] قرصٌ لي وقرصٌ له، فبقي معي[2] أشهرًا ليلها ونهارَها، فليلةً من الليالي لم أتفرَّغْ للإفطار، وتأخّر ذلك، فلمَّا أردتُ أن أُفطرَ، فإذا به قد أكلَ القرصين، فقلتُ: ويحك قد ظهرَتْ منك الخيانةُ. فرأيتُ دموعَهُ تسيلُ على خدِّه، فذهب حياءً مني، فأسألُكَ أن تدعوَ الله تعالى أنت وأصحابُك أن يردَّه عليَّ.

(*) قال: وكتبَ شاه الكِرماني رحمه الله إلى أبي حفص رحمه الله: إذا رأيتُ أَمري كلَّه مصيبةً، فكيف أكون في مصائبي؟ فكتب إليه أبو حفص رحمه الله: أَلِفْ مصائبك، ولا تكن مع إلفك لمصائبك.

(*) وفيما حُكي عن ابن مَسروقٍ عن سريِّ السَّقطي رحمه الله أنه قال: كتبَ إليَّ بعضُ إخواني، فكتبتُ إليه: يا أخي، أُوصيك بتقوى الله الذي يَسْعَدُ بطاعته مَنْ أطاعَهُ، وينتقمُ بمعصيته ممَّنْ عصاه، فلا تدعونّك طاعتُهُ إلى الأمن من عذابه، ولا تدعونّك معصيتُهُ إلى الأياس من رحمته، جعلنا اللهُ وإيَّاكم حذرين من غيرِ قنوطٍ، وله راجين من غيرِ اغترارٍ، والسلام.

(*) وكتب الجُنيد رحمه الله كتابًا إلى عليٍّ[3] بن سهل الأصبهاني، وكان فيه والله/ أعلم: اعلم يا أخي، إنّ الحقائقَ اللازمة، والقصودَ القوية[4] [١١٠] المحكمة، والعزائمَ الصحيحة المؤكّدة، لم تُبق على أهلها سببًا إلاَّ قطعته، ولا مُعترضًا إلاَّ منعته، ولا أثرًا في خفيِّ السرائر إلاَّ أخرجته، ولا تأويلاً مُوهمًا لصحّةِ المراد إلاَّ كشفته، فالحقُّ عندهم بصحّة الحال مجرّدًا، والجدُّ

(١) في (ن) و(ع): قرصان شعيرٌ. وفي الأصل: قرصان: قرص لي...
(٢) في الأصل: فهي معي.
(٣) في (ب) إلى أبي عليِّ بنِ سهل.
(٤) في (ب)، وفي هامش الأصل: والعقود القوية.

في دوامِ السَّير محدّدًا[١] على براهينَ من العلم واضحة، ودلائل من الحقِّ بيّنة.

(*) قال الشيخ رحمه الله: فأمَّا مُكاتباتُهم ومراسلاتهم فأكثرُ من أن يتهيَّأَ جمعها في الأجزاء الكثيرة، وإنَّما ذكرنا هذا طرفًا على حسب ما أمكنَ في الوقت؛ لأنَّ المُراسلات الطِّوال نحو رسالة النُّوري إلى الجُنيد رحمهما الله في مسألةِ البلاء، ورسالة أبي سعيد الخرّاز إلى النُّوري، ورسالة الجُنيد إلى يحيى بن معاذ، وإلى يوسف بن الحسين، وأجوبتها[٢]، ورسالة عمرو المكّي إلى ابن عطاء، وغير ذلك لم يتهيّأْ لنا ذكره، ولكنْ نذكرُ رسالةً واحدةً للجُنيد إلى أبي بكر الكتاني[٣] الدِّينوري رحمهما الله، وهي مُختصرةٌ إن شاء الله تعالى.

(*) رسالة الجنيد إلى أبي بكر الكتاني رحمهم الله تعالى:

أخي، أين محلُّكَ عند تعطيلِ العشار[٤]؟ وأين دارُكَ وقد خربتِ الديار؟ وأين منزِلُكَ والمنازلُ قاعٌ صفصفٌ[٥] قفار؟ وأين مكانُك والأماكنُ عوافِ دوارس الآثار؟ وماذا خبرُك عند ذهاب جوامع الأخبار؟ وفيمَ نظرُك عند اصطلامِ محاضر النظّار؟ وفيمَ فكرُك، وليس بحينِ نظرٍ ولا افتكار؟ وكيف هدوؤكَ على ممرِّ الليلِ والنهار؟ وكيف حذرك عند وقوعِ فواجعِ الأحذار[٦]؟ وكيف صبرُكَ ولا سبيلَ إلى عزاءٍ ولا اصطبار؟ فابكِ الآن إن وجدتَ سبيلاً إلى البكاء، بكاءَ الوالهةِ الحزينة الموجعة الثَّكلى بفقدِ أعزّةِ الألّاف[٧]، وفناءِ

---

(١) في (ب): السير مجدًّدٌ.
(٢) في الأصل: ومجاوبتاهما، وفي (ب) و(ع): ومجاوبتيهما. والمثبت من (ب).
(٣) في (ن) و(ع): أبي بكر الكسائي.
(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ في سورة التكوير [٤].
(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ في سورة طه [١٠٥ـ١٠٧].
(٦) في (ن) و(ع): فواجع الأقدار
(٧) في (ب): الأعزّة الألاف.

جلَّةِ الأَخلاف، وإبادةِ ما مضى من الاكتناف[١]، وذهاب مشايخ الاعتطاف، وورود بداية الاختطاف، ووارد عواصف[٢] الارتجاف، وتتابع قواصف الانتساف، وبواهر قواهر الاعتكاف، وثواقب ملامح الاعتراف، فإلى أين موئلُكَ؟ وإلامَ يبلغُ مصدرُكَ؟ والأحلامُ متمزّقةٌ، والقلوبُ متصدّعة، والعقول مُنخلعة، والأنباءُ كلُّها مرتفعة، وأنت في أوابدَ مندمسة[٣]، ونجومٍ مُنطمسة، وسبلٍ مُلتبسة، قد أظلَّك في[٤] اختلاف مناهجها ظلماؤها، وانطبقتْ عليك أرضُها وسماؤها، ثم أفضى بك ذلك إلى لجّةِ اللّجج، والبحرِ الزاخرِ الغامر المُختلج، الذي كلُّ بحرٍ دونه أو لجّة، فهو فيه كتفلة أو مجّة، فقد قُذفَ بك في كثيفِ أمواجه، وتلاطمَ عليك بعظيم هوله وارتجاجه، فمَنْ مُستنقذُكَ[٥] من مُتلفاتِ المهالك؟ أو مُخرجُك من هنالك؟

كتابي إليك أبا بكر، وأنا أحمدُ الله حمدًا كثيرًا، وأسألُهُ العفو والعافية في الدنيا والآخرة، وصل إليَّ منك كتبٌ فهمتُ ما ذكرتَ فيها؛ ولم يمنعني من إجابتك عليها ما وقع في وهمِكَ، وشقَّ عليَّ ما ذكرتَ من غمِّك، وليس حالُك عندي حالَ مُعتبٍ عليه[٦]، بل حالُكَ عندي حالُ معطوفٍ عليه، وبحسبك من بلائك أنْ أكونَ سببًا للزيادة في البلاء عليك، وإنّي عليك لمشفق، وإنَّما مَنعني من مكاتبتك، لأنّي حذرتُ أن يَخرجَ ما في كتابي إليك إلى غيرِكِ بغيرِ علمك، وذلك أنّي كتبتُ منذ مدّةٍ كتابًا إلى أقوامٍ من أهل أصبهان، فَفُتِحَ كتابي، وأُخذتْ نسختُهُ، استعجمَ بعضُ ما فيه على قومٍ، فأتعبني تخلّصهم، ولزمني من ذلك مؤنةٌ عليهم، وبالخلقِ حاجةٌ إلى

---

(١) في الأصل: من الإلتياب.

(٢) (ن) و(ع): وروادف عواصف.

(٣) في الأصل: أوابد مندسمة.

(٤) في (ن) و(ع): قد أضلّك.

(٥) في (ب): فهو مستنقذك.

(٦) في (ن) و(ع): حال معتوب عليه.

الرفق[١]، وليس من الرِّفق بالخلق ملاقاتُهم بما لا يعرفون، ولا مُخاطبتُهم بما لا يفهمون، وربّما وقعَ ذلك من غيرِ قصدِ إليه، ولا تعمُّدٍ له، جعل الله عليك واقيةً وجنَّةً وسلّمنا وإياك. فعليك رحمك الله بضبطِ لسانك، ومعرفةِ أهل زمانك، وخاطبِ الناسَ بما يعرفون، ودعْهم ممَّا لا يعرفون، فقلَّ مَنْ جهلَ شيئًا إلا عاداه، و«إنَّما الناس كالإبل المئة[٢]، ليس فيها راحلة»[٣]، وقد جعلَ الله تعالى العلماءَ والحكماءَ رحمةً من رحمته، وبسطها على عباده، فاعملْ على أن تكونَ رحمةً على غيرك، إن كان الله قد جعلَك بلاءً على نفسك، وأخرجْ إلى الخلقِ من حالك بأحوالهم، وخاطبهم/ من قلبك [١١١] على حسب مواضعهم، فذلك أبلغُ لك ولهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(*) وقال الشيخ رحمه الله: وإنَّما وضعتُ في هذا الكتاب هذه الحكاية والرسالةَ حتى يتأمَّلَ من ينظرُ فيه، ويستفيدَ منها بما فيها من الإشارات الصحيحة، والعبارات الفصيحة، ويقفَ على مقاصدِ القوم في مكاتباتهم؛ لأنَّ بين كلِّ طائفةٍ من الناس مكاتبات ومراسلات على حسب ما يليقُ بهم، وبالله التوفيق[٤].

* * *

(١) في الأصل: إلى الدين.

(٢) في حاشية (ع): قوله: (المئة) علها: (الهائمة).

(٣) هو من قوله ﷺ في صحيح البخاري (٦٤٩٨)، ومسلم (٢٥٤٧).

(٤) جاء في هامش الأصل: في الأصل: سمع (من باب آدابهم في بذل الجاه) على أبي بكر الكوفاني وبقراءة عمر بن أبي بكر الفراوي، جماعة، منهم: ابن سمكويه، وعبد الأول بن عيسى بن شعيب السِّجزي... في سنة خمس وستين وأربعمئة، نقلته مختصرًا [عن] أحمد بن محمد الظاهري، كما شاهده على نسخة ابن هبة بنقله من أصل أبي الوقت، وانظر الحاشية (٢) صفحة (٧٣).

باب في صدور[1] الكتب والرسائل

١ـ صدرٌ للجُنيد رحمه الله: آثرك الله يا أخي بالاصطفاء، وجمعَكَ بالاحتواء، وخصّكَ بعلمِ أهلِ النُّهى، وأطلعك من المعرفة على ما هو أولى، وتَمّمَ لك ما يُريد منك له، ثم أخلاكَ منك له، ومنه له به ليُفردَكَ في تقلّبه لك بما يُشهدك، من حيث لا يلحقُكَ شاهدٌ من الشواهد يُخرجك، فذلك أوّلُ الأول الذي تُمحا به[2] رسومُ ما ترادف ممّا غيّبَهُ به عنك بُعلوّ ما استأثر به منه له، ثم أفردَكَ منك لك في أوّل تفريدِ التجريد، وحقيقةُ كائن التفريد؛ فكذلك إذا انفردَ بذلك أباد وأفنى[3] الإبادة ما سلف من الحقِّ من الشواهد بعد إفناء محاضر الخلق، فعند ذلك تقع حقيقة الحقيقة من الحقِّ للحقِّ، ومن ذلك ما جرى لحقيقة[4] علمِ الانتهاء إلى علم التوحيد على علم تفريد التجريد، فقد عزّره الله وحجبه عن كثيرٍ ممّن ينتحله ويدّعيه، ويتحقّقه ويصطفيه.

٢ـ صدر آخر: حوتك حقيقة[5] الاختصاص عن لوائح الانتقاص، وآواك الحقُّ في خفيٍّ من الملاحظة لحظّك شغلاً بالإجلال له عن ذكر نفسك وحالك في أوان ذكره، ثم أذكركَ أنه ذكرك في قديم الأزل قبل حين البلوى، وقبل حال البلوى، إنه فعالٌ لما يشاء، وهو قدير.

٣ـ صدر آخر: أكرمَكَ الله بطاعته، وخصَّك بولايته، وجلّلَكَ بستره، ووفّقك لسنة نبيّه ﷺ، وأطلعك على فهم كتابه، وأنطقَكَ بالحكمة، وآنسك

---

(١) في (ب): في صدر.
(٢) في (ن) و(ع): الذي محا.
(٣) في الأصل: بذلك إياك وفنى وأفنى.
(٤) في (ن) و(ع): بحقيقته.
(٥) في الأصل: موّتك حقيقة.

بالقُرب، وخصّك بالفوائد، ومنحك الزيادات، وألزمَكَ بابه، وكلَّفك خدمته[١]، حتّى تكونَ له مُوافقًا، ولكأس مَحبَّتِهِ ذائقًا، فيتَّصلُ العيشُ بالعيش، والحياةُ بالحياة، والروحُ بالروح، فتتمُّ النعمةُ، وتسلم من المعتبة[٢]، فتصحُّ العافية، وتكملُ السلامة.

٤ـ صدر آخر: بدتْ لك عجائبُ ما في الغيوب من أنبائها[٣]؛ وكشفتْ لك عن حقائق ما تكنُّ من أكنانها، وأوضحتْ لك عن سرِّ غرائبِ إخفائها، وخاطبتك بكلِّ ما كمنَ من عطائها[٤]، بلسانه الذي ينطقُ به عن خفيِّ مكانه، بأوضحِ منطقٍ يوضح عن حكم بيانه، ليس بما صرَّحَ به من الفصح من لسانه، لكن بما أوقفه الحقُّ من مُراد إعلانه، وذلك غيرُ كائنٍ قبل حينه وأوانه، والمراد بفهم ذلك: هو المفرد الموجود من أهلِ دهره وزمانه.

٥ـ صدر آخر: حاطك اللهُ بحياطته التي يحوط بها المستخلصين من أحبابه، وثبّتَكَ وإيّانا على سُبُل مرضاته، وأولجَ بك قباب أنسه، وأرقاك في رياض فنون كرامته، وكلأك في الأحوال كلِّها كلاءةَ الجنين في بطن أمّه، ثم أدامَ لك الحياةَ المُستخلصة من قيموميّة الحياة على دوام ديمومية أبديته، وأفردَكَ عمّا لك به وعمّا له بك حتّى تكون فردًا به في دوامها، لا أنت ولا مالك ولا العلم به، ويكون الله وحده.

هذه الصدورُ كلُّها للجُنيد رحمه الله، وفيها إشاراتٌ لطيفة، ورموزٌ خفية، تعبّرُ عن الحقائق المُشكلة، وتنبيءُ عن السرائر والخصوصية التي تنفردُ بها هذه العصابة في تجريدِ التوحيد، وحقيقة التفريد، فمَنْ نظرَ فيه فليتأمَّلْ، فإنَّ فيه لأهلِ الفهم فوائدَ، ولأهل العناية بهذا العلم زوائد، وعلى القلوب من المعرفة بذلك جميل عوائد، والله الموفق للصواب.

---

(١) في (ب): وكفلك خدمته.

(٢) في (ب): وتسلم من الفتنة.

(٣) في (ب): ما في القبور من أبنائها.

(٤) في (ب): سر غرائب أخفاها، وخاطبك بكل ما كمن من غطائها.

وأيضًا لغيره صدورٌ حسنة[١]، أذكر من ذلك طرفًا إن شاء الله.

٦ـ صدرٌ لأبي عليّ الرُّوذباري رحمه الله: آنسكَ اللهُ في كمال الأحوال وتمامها، وبلوغ الغايات ونظامها، وآنس بك قلوبَ أهلِ مُصافاتك ومودَّاتك[٢]، في دوامِ فضلِك ومعافاتك، وجعلَ/ لك ما اتّضحَ لك [١١٢] موصولاً[٣] بك في حياتك، وبعد وفاتك، ومنَّ علينا بما يقصرُ عنه بلوغ الآمال ونهاية الأحوال، وزادك من فضله الذي عوَّدَكَ من برّه وألطافه وإحسانه، والله يمنُّ علينا في ذلك بما نرجوه.

٧ـ صدر لأبي سعيد بن الأعرابي: كلأكم الله كلاءةَ الوليد، وألحقنا وإيّاكم بصالح العبيد، الذين كشفَ عن قناع قلوبهم، فشاهدوا الوعدَ والوعيد، فمن كان منهم خائفًا فالرجاءُ منهم غيرُ بعيد، ومن كان منهم راجيًا فالخوفُ في قلبه عتيد، فهم بمحبّتِهِ صائلون، ولهيبتِهِ خاضعون، بَسَطَتْهُمُ المحبةُ والرجاءُ أن يكونوا قانطين، وقبضهُمُ الخوفُ أن يكونوا مَخدوعين أو آمنين، فهم بين الخوف والرجاء واقفون، فقد أقلقَهُم الشوقُ، وأزعجهم الذوقُ، فحسنُ الظنِّ قائدُهُم، وخوفُ الفوت سائقهم، والتوفيقُ رائدُهم، والحبُّ مطيَّتُهُم[٤]، طالبين مطلوبين، منوّرةٌ لهم أعلامُ الطريق، معمورةٌ لهم المناهلُ، تلوّح لهم بالعوائد[٥]، منقلبين بالطّرف والفوائد.

٨ ـ صدر آخر له: أماتَكَ الله عنك، وأحياكَ به، وأيّدك بالفهم، وفرَّغَ قلبَك من كلِّ وهم، وأفناك بالقُربِ عن المسافة، وبالأُنس عن الوحشة.

٩ـ صدر آخر له: كلأكَ الله كلاءةَ الوليد المرحوم، وحفظك حفظَ الوليِّ المعصوم، ووهبَ لك معرفةَ ما أنعم به عليك، واستخرجَ منك ما جبَلكَ

---

(١) في (ن) و(ع): ولغير الجنيد صدور حسنة.
(٢) في (ن) و(ع): مصافاتك وموالاتك.
(٣) في (ب): وجعل ما أنهج لك موصولاً بك. . .
(٤) في (ب): والحثُّ مطيتهم.
(٥) في (ب): ملوّح لهم بالفوائد.

عليه، وحجبَكَ عن نفسك القاطعة دونه، وكفاك عوائقها وبوائقها ورؤيةَ عملك[١] وآثارَ سعيك، وتزكية نفسك، وأعتقَكَ من رقِّها، وكفاك عوارض تحيُّرها، وفضول تكلّفها؛ واستخلصك لنفسه منها، ليحقّقَ فيك[٢] العبودية، فيزكو عملُكَ وإنْ خفَّ، وينمو سعيُك وإن قلَّ، وتطيب حياتك وإن متّ، حتّى يوصلَكَ بالحياة التي لا موتَ فيها، والبقاء الذي لا فناء بعده؛ وتَوَلَّى أمرك بالحُسنى في عواقبها، كما كفاك التحيُّرَ في أوائلها؛ إنّه وليُّ التمام لِما ابتدأه.

١٠ـ **صدر لأبي سعيد الخراز:** عصمَكَ اللهُ بذكرِه عن نفسِكِ، وكاشفَكَ بشُكره عن وصفك، وقسمَ لك من العِلم به في فعلك، حتّى تكونَ ممَّن جُمعَ له حبلُ الرشاد، وأعلى في ذلك مكانك، وكُوشفت في ذلك بالبيان؛ وأنا أسألُ الله تعالى أن يجمعَ لك من نفسِكَ ما فرّقَ، ويَبينَ عنك منها ما جمع، إنه الوليُّ لذلك، والقادر عليه.

١١ـ **صدر آخر له:** حماكَ اللهُ عن نفسِك بذكرِه، وصرفك في ذلك[٣] بشكره، ولا أخلاك في ذلك بإقباله[٤]، وقسمَ لك من جزيلِ نواله، وأعاذَكَ من شديد محاله، إنه وليُّ ذلك، والقادر عليه.

١٢ـ **صدر آخر، وأظنه للخرّاز:** قسم اللهُ لك من العلمِ الرفيع، وأفردَكَ في الذِّكر المنيع، ولا أخلاك من رعايته، وأفردَكَ بولايته، وتولاَّك فيما استرعاك، وكان لك في ذلك وكفاك، وأقبل عليك وشفاك، وقسمَ لك من ذكره ووالاك، وآنسَكَ بطاعته وأعلاك، ولا وكلَكَ إلى نفسِك وهواك.

١٣ـ **صدر للكردي الصُّوفي الأرموي:** منحك الله بما به[٥] منحك،

---

(١) في هامش الاصل: وفي نسخة: ووقاك عملك.

(٢) في (ب): واستخصَّك لنفسه منها ليتحقق فيك.

(٣) في (ع): وصدفك في ذلك.

(٤) في (ب): من إقباله.

(٥) في الأصل: ممّا به منحك.

وحماك عن طويّات الصفات بالإنابة عن رتب الرويات[١]، وحماك عنك بشاهد ما فيه بداك[٢]، وعظيم ما به ابتداك، وأحلّك في محلِّ التجلية لما أراد ولما به أُريد، وأَظلَّهم واقع براءة التسليم[٣] التي تحوي أسرارهم لمن يُفاني، فتسري همومُهم لمن يعاني، قد باشروا منه ما له استبشروا، وفي ميادين محبّتِهِ انتشروا، أَلَمَّا بهم سواطعُ أنوار التوحيد، ولوامعُ التجريد، بائنين عمّا له، وبه بانوا[٤]، فهم كالذي كانوا.

١٤ـ صدر كتاب للدّقّي رحمه الله: هنّأك اللهُ كرامته، فأنت غيثٌ لأهلِ مودّته، وكهفٌ لأهلِ موافقته، ودالٌّ على معرفته، ومنتسبٌ إلى وحدانيته، ومخبرٌ عنه به، ومن اصطنعه لنفسه في قديم أَزليّتِهِ، وأطلعه على مكنون سرِّه، وأشهدَهُ مَجاري قدرته، وأنطق/ لسانك بحكمته، وأقامَك لدلالته، [١١٣] وجعلَكَ معيارًا على المريدين والمحقّقين[٥] البالغين، المتأهّبين بحسن استبانته؛ إنّه وليُّ ذلك، ولا سبيل إليه إلاّ به، والسلام.

١٥ـ صدر آخر للدّقّي[٦]: أكرمَك اللهُ وأعلاك، وقرّبك بعطائه وأدناك، وقسمَ لك من نواله وأرضاك، وأعاذَك من بلائه وشفاك، وتولاّك فيما أَلزمَك وكفاك؛ إنّه وليٌّ قديرٌ، ذو رأفةٍ لمن التجأ إليه، ومهيمنٌ على من استند إليه، نعوذ باللهِ لنا ولك من كلِّ بليّةٍ، ونستعيذُهُ ونستغفرُهُ من كلِّ خطية.

١٦ـ صدر آخر: تودَّدَ اللهُ إليك بعطفه، ولا أَخلاك من نائله ولطفه، وأَعاذك من بلائه وعنفه، ولا حجبَكَ بفعلك عن ذكره، ولا سترَكَ بعملك عن شكره، إنّه وليٌّ قديرٌ.

---

(١) في (ب): عن وقت الرويات، وفي (ن) و(ع): لمن رتّب الرويات.
(٢) في (ن) و(ع): بشاهد ما فيه بدأك. وفي الأصل: بشاهد ما فيه يداك.
(٣) في (ن): براه التسليم.
(٤) في (ب): وله بانوا.
(٥) في (ب): المريدين المحققين.
(٦) جاء في (ب) مكررًا الصدر رقم (٣).

١٧ـ صدر آخر: عصَمَكَ الله بما عصمَ به المُتَّقين، وأودعك من العيش[١] السليم، وكاشَفك بذكره الرفيع، وآنسك بدوام إقبالِهِ عليك، إنَّه وليٌّ قدير.

قال الشيخ رحمه الله: والذي حملنا على جمع هذه الرسائل والصدور والمكاتبات في هذا الكتاب ما أُودعَ فيها من المعاني والإشارات، لينظرَ الناظرُ فيه، ويستدلَّ بذلك على مراتب القوم، ولطائفِ إشاراتهم، وطهارةِ أسرارهم، وخصوصيتهم بالفهم والعلم، والعقل والأدب؛ لأنَّ من عادة أهل المعرفة والأدب أن يعرفوا أشكالَهم بمخاطباتِهم، وأشعارِهم، ومكاتباتهم، إذا فاتهم[٢] المجالسةُ والمخالطة، وبالله التوفيق[٣].

* * *



(١) في (ن) و(ع): العشق السليم.
(٢) في (ب): إذا فاتتهم.
(٣) جاء في (ب) بعد هذا الصدرُ رقم (١٧).

باب في أشعارهم في معاني أحوالهم وإشاراتهم

(*) حُكي عن يوسف بن الحسين أنه قال: سمعتُ بعضَ الثقات يحكي عن ذي النُّون المصري رحمه الله أنّه قال:

إذا ارْتَحلَ الكِرامُ إليكَ يومًا ليلتمسوكَ حَالاً بعدَ حالِ
فإنَّ رحالَنا حطَّتْ رضاءً بحكمِكَ عن حُلولٍ وارتحالِ
أَنخنا في فِنائك يا إلهي إليكَ مُفوّضينَ بلا اعتلالِ
فسُسْنا كيفَ شئتَ وَلاَ تكلِنا إلى تدبيرِنا يا ذا المعالي

(*) ولذي النُّون رحمه الله أيضًا[1]:

مَنْ لاذَ بالله نجا بالله وسَرَّهُ مُرُّ قضاءِ الله
إنْ لم تكنْ نفسي بكفِّ الله فكيفَ أنقادُ لُحكمِ اللهِ
لله أنقادُ بوَجْدِ الله[2] لا حولَ لي فيها بغيرِ اللهِ

(*) أنشدني أبو عمرو بن علوان للجُنيد رحمه الله هذه الأبيات:

تَغرَبَ أَمري عندَ كلِّ غريبِ فصرتُ عَجيبًا عندَ كلِّ عجيبِ
وذاكَ لأنَّ العارفينَ رأَيتُهم على طبقاتٍ في الهواء رُتوب
فأصبحَ أَمري ليس يُدرَكُ غورُهُ سوى أنّني للعارفين خَطيبُ

(*) وللجُنيد رحمه الله في الاحتراقِ والتعذيبِ:

يا مُوقدَ النَّارِ في قلبي بقدرته لو شئتَ أَطفأتَ عن قلبي بك النَّارا

---

(١) سيرد البيتان الأول والثالث صفحة (٤٧١).

(٢) في كتابنا هذا صفحة (٤٧١)، ونسختي: (ن) و(ع): لله أنفاسٌ جرت لله.

لا عارَ إنْ مُتُّ من خَوفٍ ومن حذرٍ[١] على فعالِكَ بي لا عارَ لا عارا

(*) آخر[٢]:

يا مُسْعري أسفًا يا مُتلفي شَغفًا لو شئتَ أَنزَلتَ تعذيبي بمقدارِ

حاشاكَ مِن استغاثاتي فكيفَ وقد أَوليتني نِعمًا حاطَت[٣] بأذكارِ

(*) سمعت أحمدَ بن علي الوجيهي بالرَّملة يقول: كتبَ أبو الحسين النُّوري كتابًا إلى أبي سعيد الخَراز رحمه الله، فكتبَ فيه هذه الأبيات:

لعمري ما استودعتُ سرِّي وسِرَّه سوانا حذارًا أَنْ تَشيعَ السَّرائرُ

ولا لاحَظَتْـهُ مُقلتـايَ بنظـرةٍ فتشهدُ نجَوانا القلوبُ النواظرُ

ولكنْ جَعلتُ الوهمَ بيني وبينَهُ رسولاً فأدَّى ما تُكنُّ الضَّمائرُ[٤]

وأنشد[٥] القنّاد لأبي الحسين النُّوري رحمهما الله، يصفُ [فقد][٦] حالهِ، وينعاه[٧]/ : [١١٤]

أَنعي إليكَ إشاراتِ القُلوبِ معًا لم يبقَ مِنهنَّ إلاَّ دارسُ العلمِ

أَنعي إليكَ قلوبًا طالما هَطَلَتْ سحائبُ الجُودِ منها أبحُرَ الحكمِ[٨]

أَنعي إليكَ نفوسًا طاحَ شاهدُها فيما ورا الحيثِ بل في شاهدِ القِدَمِ

أَنعي إليكَ لسانَ الحقِّ مُذْ زمنٍ أَودى وأَذكارُهُ في الفهم كالعَدَمِ[٩]

---

(١) في حلية الأولياء ١٠/٢٤١: من شوقي ومن حذري.

(٢) في (ن) و(ع): وله أيضًا.

(٣) في (ع)، والمثبت في (ن): طاحت بأذكار.

(٤) الأبيات لجميل بثينة، وقد تقدمت صفحة (٣٢٤).

(٥) في (ب): وأنشدنا القناد.

(٦) ما بين معقوفين مستدرك من (ن).

(٧) الأبيات للحلاج، الديوان ص٩٧-٩٨.

(٨) في هامش (ب): وفي نسخة: أبحر الكرم.

(٩) في (ب): في الوهم كالعدم.

أَنعي إليكَ بيانًا تَستكينُ له[1] أسماعُ كلِّ فصَيحٍ مِقولٍ فَهِمِ
أَنعي وحقِّكَ أَخلاقًا لطائفةٍ كانتْ مَطاياهُمُ في مَكمنِ الكظَمِ[2]

(*)قال الشيخُ رحمه الله: أَنشدني جعفرُ الخُلدي للجُنيد رحمهما الله هذين البيتين[3]:

ما لي جُفيتُ وكُنتُ لا أُجفى[4] ودَلائلُ الهجرانِ لا تَخفى
وأَراكَ تَسقيني وتَمْزُجُني[5] ولقد عَهدتُكَ شاربي صِرفا

(*)وفيما ذكر عبدُ الله بنُ الحسين، قال: سمعتُ أحمد بنَ الحسين البصري يقول: حضرتُ مجلسَ الجنُيد رحمه الله، فسألَهُ رجلٌ مسألةً، فأنشد:

نَمَّ على سرِّ وجدِهِ النَّفَسُ والدَّمعُ من مُقلتيه يَنبَجِسُ
مُدلَّهٌ هائمٌ له حُرَقٌ أنفاسُهُ بالحنَين تُختلسُ
مُهذَّبٌ عارفٌ له فِطَنٌ من نُورِ أُنسِ الحبيبِ يَقْتَبسُ
يا بأبي الأَشعثُ الغَريبُ فتىً ليسَ له دونَ سُؤْله أَنَسُ
يا بأبي جسمُه الزَّكيّ وإنْ كانَ عليه خُليّقٌ دَنِسُ

(*) قال: وأنشدني أبو بكر الدّقي بدمشق، قال: أنشدني أبو علي أحمد ابن محمد الرُّوذباري رحمه الله لنفسه:

حدُّ القَناعةِ مَحْوُ الكلِّ منك إذا لاحَ المزيدُ بحدٍّ عنه مُطَّلعِ
فإنْ تَحقَّقَ وصفُ الوجدِ مُشتملاً على الإشاراتِ لم يلوِ على الطَّمعِ

---

(١) في (ب): تستكنُّ له.
(٢) في (ب): في مكمد الكظم.
(٣) البيتان للحلاج، الديوان ص٩٢.
(٤) في الأصل: فلما جفيت.
(٥) الديوان: وأراك تمزجُني وتشربُني.

(*) قال: وأنشدني الوجيهي، قال: أنشدني أبو عليّ الرُّوذباريُّ لنفسه[١]:

كتبتُ إليكُمْ بماءِ الجُفونِ   وقلبي بماءِ الهَوى مُشْرَبُ
وكفّي تَخُطُّ وقلبي يُمِلُّ   وعَيناي تَمحو الذي تَكتبُ[٢]

(*) قال: وأنشدني أبو عبد الله [أحمدُ بنُ عطاء] الرُّوذباري[٣] لخاله أبي علي رحمه الله:

تأمَّلَ منْ بعدِ تأميلِهِ   حلولَ فِنائك صفو الوصالِ
موانعَ عنْ إحتواءِ الوصالِ   إليك عن الوصلِ في كلِّ حالِ
على أنْ يَردَّ عليكَ الصفات   بنعتِ التَّمكُّن عِندِ الكمالِ
فاقنعْ بقنعتِهِ أنْ تَراه   فَفُتَّ مَدَى لحظِهِ في النَّوالِ

(*) وله:

إنّي أُجِلُّكَ عن رُوحي وأَبذلُها   فداءُ عبدِكَ رُوحٌ أَنتَ واهبُها
وكيفَ تَفديكَ رُوحٌ أنت واهبُها   وقدْ مَننتَ على مَن يفتديك بها

(*) قال: وأنشدني أبو بكر أحمد بن إبراهيم المؤدّب البيروتي بمصر للخوّاص رحمه الله:

صَبرتُ على بعضِ الأذى خوفَ كلِّه   ودَافعتُ عن نفسي لنفسي فعزَّتِ
وجرّعتُها المكروهَ حتَّى تَدرَّبَتْ   ولو جَرَعَتْهُ جُملةً لاشمأزَّتِ[٤]
ألا رُبَّ ذلٍّ ساقَ للنَّفسِ عِزَّةً   ويا رُبَّ نفسٍ بالتَّعزُزِ ذلَّتِ[٥]

---

(١) البيتان ينسبان أيضًا لمنصور بن كيغلغ. يتيمة الدهر ١/ ١٢١ (دار الكتب العلمية).
(٢) في هامش (ب): وفي نسخة: الذي أكتبُ.
(٣) ما بين معقوفين من (ن) و(ع). وفي الأصل: وأنشدني أبو علي الروذباري لخاله.
(٤) في (ب): ولو جرّعتها جملة. وفي هامش (ب): وفي نسخة: ولو جملة جرّعتها. وفي التدوين في أخبار قزوين ٢/ ١٠٠: ولو لم أجرعها إذًا لاشمأزت.
(٥) في التدوين في أخبار قزوين ٢/ ١٠٠: نفس بالتذلل عزت.

إذا مَا مددتُ الكفَّ أَلتمسُ الغِنى إلى غيرِ مَنْ قال اسألوني فشُلَّتِ
سَأَصبرُ نفسي إنَّ في الصَّبرِ عزَّةً وأَرضى بدنيائي وإن هي قلَّتِ

(*) وأنشدني أبو حفص عمر الشَّمْشاطي بالرَّملة للخوّاص رحمه الله:

لقد وضحَ الطَّريقُ إليك قَصْدًا فمــا أَحــدٌ أراداك يَسْتَــدِلُّ
فإنْ وردَ الشِّتاءُ فأَنتَ صيفٌ وإنْ وردَ المَصيفُ فأنتَ ظلُّ

قال عمر: معناه من كتاب الله تعالى قال: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

(*) ولسمنون، وكان يُقال له: سمنون المُحبُّ، يصفُ الوجد:

هَبْني وجدتُكَ بالعُلوم وِوَجْدِها مَنْ ذا يَجِدْكَ بلا وُجُودٍ يَظْهَرُ
/ أَيقظتني بالعلمِ ثمَّ تَركتني حيرانَ فيك مُلَدَّدًا لا أُبصرُ[1] [١١٥]
يا غائبًا والدَّهرُ يُبرزُ عِزَّهُ[2] ما لاحَ منك صَغيرُهُ قدْ يُبْهرُ
قد كنتُ أَطربُ للوجُودِ مُرَوَّعًا طُورًا يُغيِّبُني وطُورًا أُحضَرُ
أَفنى الوجودَ بشاهدٍ مَشهودُهُ[3] يُفني الوجودَ وكلَّ مَعنىً يَحْضُرُ
وطَرحتني في بحرِ قُدسِكَ سابحًا أَبغيك منكَ بلا وجودٍ يَظهرُ

(*) وله:

شَغلتَ قلبي عن الدُّنيا ولذَّتِها فأنتَ في القلبِ شيءٌ غيرُ مُفترقِ[4]
وما تَطابقتِ الأَجفانُ عن سِنَةٍ إلاَّ وجدتُكَ بينَ الجفنِ والحَدَقِ[5]

(*) أَخبرني جعفرُ الخُلدي رحمه الله، فيما قرأتُ عليه، قال: سمعتُ

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: مُبلَّدًا لا يُنصرُ.
(٢) في (ب): يبرز غرّه.
(٣) في (ب): بشاهد مشهودةٍ.
(٤) في الأصل: ليس يفترقْ.
(٥) المدهش لابن الجوزي الفصل (٥٩).

الجُنيد رحمه الله يقولُ: كان أبو الحسن سَريُّ السَّقطيُّ رحمه الله، كثيرًا يُنشدُ هذه الأبيات:

ولمّا ادّعيتُ الحبَّ قالتْ كذبتني فما لي أَرى الأَعضاءَ منكَ كَواسيا
فما الحبُّ حتىَّ يَلصَقَ الجلدُ بالحشا وتذبلَ حتىَّ لا تُجيبَ المُناديا[1]
وتنحلَ حتىَّ لا يُبَقِّي لكَ الهوى سوى مُقلَةٍ تبكي بها أَو تُناجيا

قال الجُنيد رحمه الله: دخلتُ غرفتَهُ وهو يكنس بيته بخرقةٍ، ويقول:

وما رُمتُ الدُّخولَ عليه حتَّى حَلَلْـتُ مَحلَّـةِ العبـدِ الـذَّليـلِ
وأَغضيتُ الجُفونَ على قَذاها وصُنْتُ النَّفسَ عن قالٍ وقيلِ[2]

قال: وكان يقولُ كثيرًا هذا البيت:

ما في النَّهارِ ولا في اللَّيلِ لي فرجٌ فما أُبالي أَطالَ اللَّيلُ أَمْ قَصُرا

(*) أنشدني أبو عمرو الزّنجاني بتبريز قال: كان الشِّبليُّ رحمه الله يقول عند موته[3]:

قــالَ سُلطــانُ حبِّــهِ: أَنــا لا أَقبــلُ الــرِّشــا
فَسَلُــوهُ فَــدَيْتُــهُ لِــمْ بقتلــي تحــرَّشــا[4]

(*) وله:

أَظلَّتْ علينا منكَ يَومًا غمامةٌ أَضاءَتْ لنا برقًا وأَبطَا رِشاشُها[5]

---

(١) البيت الثاني في ديوان المجنون صفحة (٣١٣). وفي المستطرف ٣/ ٧٦ ذكر البيتين الأول والثاني للمجنون أيضًا.

(٢) ديوان عبد العزيز بن زرارة الكلابي.

(٣) الديوان ص ١٠٧.

(٤) في هامش الأصل: الحرش: اصطياد الضب، وأيضًا بمعنى الخمش. وفي (ن) و(ع) لِمَ قتلي تَحَرَّشا.

(٥) في (ن) و(ع): فلا غيمها يجلو فيأيَسُ طامع.

فلا غَيمُها يُجلى فَيَيْئسُ طامعٌ[١] ولا غيثُها يأتي فيُروى عطاشُها[٢]

ثم قال للنسّاج: أين موضعُك من هذا؟ قال: بحيث الذلّ. فقال: آه، تذكر الذلَّ بحضرتي، غيرةً منه على المكان! ثم أنشأ يقول:

لقد فُضّلتْ ليلى على النّاسِ كالتي على أَلفِ شهرٍ فُضّلَتْ ليلةُ القَدْرِ
فيا حبَّها زدني جوًى كلَّ ليلةٍ ويا سلوةَ الأيامِ موعدُكِ الحَشْرُ[٣]

(*) وقال الشِّبليُّ رحمه الله في مجلسه يومًا:

وعينانِ قالَ اللهُ: كُونا فكَانتا فعولانِ بالألبابِ ما تَفْعَلُ الخَمْرُ[٤]

ثم قال: لستُ أَعني العيون النُّجل؛ ولكنّي أَعني عيونَ القلوبِ ذوات الصدور. فطُوبى لمن كان له عينٌ في قلبه، وأذنٌ واعيةٌ، وألفاظٌ مرضية.

فقال أبو الفرج العُكبريُّ: سألتُهُ عن الغيرة، فقال: غيرةُ البشرية للأشخاص، وغيرةُ الإلهية على الوقت أن يضيعَ فيما سوى الله، ثم أنشأ وهو يقول:

ذابَ ممَّا في فؤادي بَدَنـي وفؤادي ذابَ ممَّا في البدنْ
فاقْطَعوا حَبْلي وإنْ شِئتُم صِلوا كلُّ شيءٍ منكُمُ عندي حَسَنْ
صحَّ عند النَّاسِ أنّي عاشقٌ غيرَ أنْ لم يَعلموا عِشقي لمنْ

وجرى شيءٌ من العلم، فأنشأ يقول:

وشُغِلْتُ عن فَهمِ الحديثِ سوى ما كانَ منكَ وحبُّكُم شُغلي[٥]

---

(١) في الأصل: وأبطا رشيشُها.

(٢) البيتان في ديوان بشار بن برد (٥٤٦)، وهما في عيون الأخبار ٣/ ١٤٥، والعقد الفريد ١/ ٢٤٦ لعبد الصمد بن الفضل الرقاشي. وسيردا صفحة (٥٥٨).

(٣) البيتان لمجنون ليلى من قصيدتين، الديوان ص١٣٠، ١٦٠. وهما في ديوان الشبلي ص١٦٢، وفيهما إقواء كما ترى.

(٤) البيت لذي الرمة، الديوان ١/ ٥٧٨

(٥) في هامش (ب): وفي نسخة: وحبهم شغلي. والبيتان في ديوان الشبلي: ١٦٨.

وأُديمُ نحو مُحدِّثي نظري أَنْ قد فَهِمتُ وعندَكُم عقلي

وكان ينشد هذين البيتين كثيرًا في مجلسه:

رآني فأَوْراني عَجائبَ لُطفِهِ فهِمْتُ وقلبي بالفراقِ يَذوبُ
فلا غائبٌ عنّي فأَسلوا بذكرِهِ ولا هو عنّي مُعرِضٌ فأغيبُ[1]

(*) وله:

[١١٦] جرى السَّيلُ فاستبكانيَ السَّيلُ إذْ جَرى وفاضتْ له من مُقلتيَّ غُرُوبُ/
يكونُ أُجاجًا دونَكُم فإذا انتَهى إليكُم تلقَى طيبَكم فيَطيبُ[2]

(*) ويُقال: إنَّ هذه الأبيات لسهل بنِ عبد الله رحمه الله في الصَّبرِ على المكاره:

أَتذكرُ ساعةً أُلعقتَ فيها وأنتَ وليدُها عَسَلاً وصبرا
لتعلمَ أنَّ هذا الدَّهرَ يُمسي ويُصبحُ طعمُهُ حلوًا ومرًّا
فلا يملأكَ محبوبٌ سُرورًا وإنْ وافاكَ مَكروهٌ فصَبْرا
وإنْ قارفْتَ في دُنياكَ ذنبًا فقلْ في إثرِهِ يا ربِّ غفرا

(*) وليحيى بنِ معاذ الرازي رحمه الله:

أَموتُ بداءٍ لا يُصابُ دَوائيا ولا فرجٌ ممَّا أَرى من بلائيا[3]
يقولونَ يَحيى جُنَّ مِنْ بعدِ صحَّةٍ ولا يعلمُ العذَّالُ ما في حشائيا
إذا كانَ داءُ المرءِ حبَّ مليكِهِ فَمَنْ غيرُهُ يَرجو طبيبًا مُداويا
مع اللهِ يقضي دهرَهُ مُتلذِّذًا تراه مُطيعًا كانَ أَوْ كانَ عاصيا
ذَروني وشأني لا تَزيدونَ كُرْبَتي وخلُّوا عَناني نحو مَوْلَى المواليا
ألا فاهجروني وارغبوا في قطيعتي ولا تَكْشفوا عمّا يُجنُّ فؤاديا

---

(١) ديوان الشبلي، ص٨٦.
(٢) البيتان لقيس المجنون، الديوان، ص٥٢.
(٣) في الأصل، و(ن)، و(ع): في بلائيا.

كِلُوني إلى المولى وكفُّوا مَلامتي لآنسَ بالمولى على كلِّ ما بيا

(*) لأبي العباس بن عطاء في الشُّكر:

وكَمْ يدٍ لكَ عندي ما شَكَرتُ لها حَمَّلْتَها أنتَ عنِّي مع بَوادِيكا
ضَعفتُ عن حملِها عَجزًا لِتَحمِلَها[1] لكنْ أَياديكَ تَحمِلُها أَيادِيكا

(*) وله:

كيفَ شُكري لَمنْ به يَحسُنُ الشُّكـ ـرُ منهُ شكري له في الودادِ[2]
إنَّما يَشكُرُ المحبُّونَ وَجْدًا وصفاءً من خاصَّةِ الإنفرادِ[3]

(*) وله:

حقًّا أَقولُ لقد كَلَّفْتَني شَطَطا حملي هواكَ وصَبري إنَّ ذا لَعجيبُ
جمعتَ شَيئينِ في قلبي لَهُ خَطَرٌ نَوعينِ ضدّينِ: تبريدٌ وتَلهيبُ
نارٌ تُقلِّقُني والشَّوقُ يَضرِمُها فكيف يجتمعا[4] روحٌ وتعذيبُ
لا كنتُ إنْ كنتُ أَدري كيف يُسْلِمني صَبري عليك وصبري صبرُ أيوبِ
لمَّا تَحقَّقَ بالبلوى اقشعرَّ لها فظلَّ من ثِقلها عريانَ مَكروبا
قد مَسَّني الضُّرُّ والشَّيطانُ ينصِبُ لي وأَنت ذو قوَّةٍ والعبدُ منكوبُ
فلا تَكلني إلى نَفْسي فيظفرَ بي مَنْ كان يَقرِّبُني إذ كنتُ مَحجوبا[5]

---

(١) في (ب): عجزًا لمحملها.
(٢) في الأصل: ومن منه شكري له في الوداد، والمثبت من (ن) و(ع).
(٣) في (ب): من خلصة.
(٤) في (ب): فكيف يجتمعان.
(٥) كذا الأصل، وفي (ب): من ذا يقرّبني إذ كنت محجوبُ، والأبيات في مصارع العشاق ١/ ١٧٣:

نار تُقلقلُني والشوقُ يُضرمها فكيف قد جُمعا والعقلُ مسلوبُ
لا كنتُ إذ كنتُ أدري كيف يُسلمني صبري إليك كما قد ضُرَّ أيوبُ
لما تطاول بلواه اقشعرَّ لها فصاح من حملها غرثانُ مكروبُ
قد مسني الضرُّ والشيطانُ ينصُبُ بي وأنت ذو رحمةٍ والعبدُ منكوبُ

(*) ولأبي حمزة الصوفي رحمه الله، يُقال: إنَّه وقعَ في بئرٍ، فطمُّوا رأسَها، فجاء سَبعٌ، ففتحَ رأسَ البئر، ونزل، فتعلَّقَ أبو حمزة برجله، فأخرجَهُ من البئر، فسمعَ هاتفًا يقول: هذا حسنٌ يا أبا حمزة، نجّيناك من التلفِ بالتّلفِ، من البئرِ بالسبع. فقالَ عند ذلك[1]:

نَهاني حَيائي منكَ أَنْ أَكتُمَ الهوى[2] وأَغنيتَني بالفَهْمِ عنكَ من الكَشْفِ
تَلَطَّفْتَ في أَمري فأَبديتُ شَاهدي إلى غايتي[3] واللُّطفُ يدُرَكُ باللُّطفِ
تـراءيْـتَ لـي بـالغَيـبِ حتَّى كـأنَّمـا تُبشِّرُني بالغَيْبِ أنَّك في الكفِّ[4]
أَراكَ وبي مِنْ هَيْبَتي لك وَحْشَةٌ[5] فتُؤنِسُني باللُّطفِ منكَ وبالعَطْفِ
وتُحْيي مُحبًّا أنتَ في الحبِّ حتفُهُ وذا عجبٌ كَونُ الحياةِ مع الحَتْفِ

(*) ولأبي نصر بشر بن الحارث رحمه الله[6]:

لا تَعْجَبَنَّ لوَحْدَتي وتَفرُّدي[7] ومِنَ التَّفرُّدِ في زمانِك فازدَدِ
ذهـبَ الإخـاءُ فليسَ ثـمَّ أُخـوّةٌ إلاَّ التملّـقُ بـاللِّسـان وبـاليـدِ
فـإذا تَكشَّـفَ لـي بمـا فـي قلبِـهِ عاينتُ ثمَّ[8] نَقيعَ سُمِّ الأَسودِ

(*) وليوسف بنِ الحسين الرازي رحمه الله:

---

(١) الأبيات في ديوان الخبز أرزي، من قصيدة مطلعها:
أهـابـك أن أبـدي إليـك الـذي أخفـي وطرفك يدري ما يقول له طرفي
(٢) في الديوان: نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى.
(٣) في الديوان: وتدركني من هيبتي لك وحشة.
(٤) في الأصل: إلى غائبي. وفي الديوان:
تلطفـت فـي أمـري فـإن أكُ سـاعيًـا إلى غاية فاللطف يدرك باللُّطْف
(٥) في الديوان: تلقيتني بالبشر حتى كأنما تبشرني بالعبث أنك. .
(٦) الأبيات في غرر الخصائص الواضحة منسوبة لأبي حامد الغزالي (٤٦٤).
(٧) في غرر الخصائص: لا تجزعن لوحدة وتفرّدِ.
(٨) في غرر الخصائص: فإذا كشفتَ ضمير ما بصدورهم أبصرتَ ثم. . .

أُحبُّ مِنَ الإخوانِ كلَّ مُؤاتي ... وكلَّ غَضيضِ الطَّرفِ عن عثراتي[١]
يُوافقُني في كلِّ أمرٍ أُحبُّه ... ويحفظُني حيًّا وبعدَ وفاتي
فمَنْ لي بهذا ليتَني قدْ وجدتُهُ ... فقاسمتُهُ مالي ومن حسناتي[٢]/ [١١٧]

(*) ولأبي عبد الله القرشي رحمه الله:

وأنتَ خَليطُ النَّفْسِ في كلِّ شأنها ... ولكنَّ نَفْسَ الذَّاتِ منك مُباينَهْ
تُخامرُها حتَّى كأنَّك أنَّها ... وتَفْنَى قُواها فالقُوى بك فانيَهْ
يُعارضُها الواشون[٣] فيك بكلِّ ما ... يُقلقلُها في سرِّها والعلانيَهْ[٤]
وبَلَّغْتَها ما كنتَ أنتَ لها به ... فتَعْذُرُهم[٥] في كلِّ ما كانَ كائنَهْ
لقد قَرِحَتْ آماقُها فيك مرَّةً ... وقد قَرِحَتْ[٦] منها السُّويداءُ ثانيَهْ

(*) وكتب أبو عبد الله الهَيْكلي إلى أبي عبد الله القُرشي رحمه الله:

ذاتٌ هُويّتُهُ تكونُ مُذكّرَه ... مَعروفةٌ تحتَ الخَواطِر مُنكرَهْ
لا تَجتلي غيرَ العُقولِ[٧] ضياؤها ... فلها بها الأَبصارُ عنها مُبْصِرَهْ
وأَعزُّ مُمتنعٍ مكانُ تناولٍ ... منها على من لا يَراها مُخبرَهْ
سُبُلُ المَعارفِ كلُّها إلاَّ بها ... مَسدودةٌ عنها[٨] المذاهبُ مُقفرَهْ
فإذا عَلِقْتَ بها وغِبْتَ بغيبها[٩] ... عنها تَجلَّتْ للعُقولِ مخبَّرَهْ

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: مواتي غبيًّا عَميَّ الطرف.
(٢) الأبيات في ديوان الشافعي ٣٦، وتنسب لأبي العتاهية كما في غرر الخصائص (٤٣٠)
(٣) في (ب): وفي نسخة: يفارقها الواشون.
(٤) في الأصل، و(ن)، و(ع): يُقَلِّقها في سرِّها.
(٥) في (ب): ويلفتها ما كنتَ... فيعذرُهم..
(٦) في الأصل: وقد فرحت.
(٧) في (ن) و(ع): لا تجتلي عين العقول.
(٨) كلمة (عنها) ليست في الأصل، وفي (ب): عنها مسددة المذاهب.
(٩) في (ن) و(ع): وغبت بعينها.

(*) ولأبي سعيد الخرّاز، رحمة الله عليه:

قلبٌ يُحبُكَ لا يُومِي إلى أَحدٍ ... تكادُ هَمّتُهُ تلقاكَ بالخَبَرِ
فؤادُهُ بكَ مَشغوفٌ ومُهجتُهُ ... تَذوبُ من قَلَقِ التَّقريبِ والنَّظَرِ
قلبٌ بها تَجتني الأذهانُ فِطنتَهُ ... إذا سَمَتْ بكَ يا عزّي ومُفتخَري
بَريْحاتٍ[1] من الشَّجو الدَّفين لها[2] ... كوامنٌ جُمعَتْ في السَّمع والبَصَرِ
سُبحانَ مَنْ لو يَشا أبدى عَجائبَها ... حتَّى تَرى سرَّها في الوجهِ كالقمَرِ[3]

(*) جواب أبي عبد الله القُرشي للهَيْكليِّ، وهو فيما قِيل: قول أبي سعيد الخرّاز:

إذا أَلْبَسَ الحقُّ المُحقَّ حقيقةً ... مِنَ الوجدِ بانَتْ عن نُعُوتِ السَّرائرِ
وليسَ لأنَّ السِّرَّ سُمّي بمَا يلي[4] ... عليه به لكنَّ أوصافَ قادرِ
ولا تَأَبَ عن مَكنونِها[5] لفظَ عارفٍ ... ولكنْ بتمثيلِ اللَّطيفِ المآثرِ
إذا طَلعَتْ شَمسٌ عليها بنورِها ... فأنتَ خَليطٌ للشُّعاعِ المُباشرِ
بعيدٌ من الذَّاتِ العزيزِ مَكانُها ... ولم تَعْرُ مِنْ نَعتٍ لنَعتِكَ قاهرِ

(*) ولأبي الحديد كتبَها إلى القُرشي:

أَهابُكَ أنْ أَقولَ هَلكتُ وجدًا ... عليكَ وقد هَلكتُ عليك وجدا
ولو أنَّ الرُّقادَ دَنا لِطَرفي ... جلدتُ جفونَها بالدَّمعِ حدّا[6]

جواب أبي عبد الله:

ولكنّي أقولُ حَييتُ حقًّا ... إذا الوجدُ المُبرِّحُ منك يَهْدا[7]

---

(١) في الأصل: مريحات. وفي (ن)، (ع): مريْحاتٍ.
(٢) في (ب): الدّفين بها.
(٣) في (ب): سبحان من شاء لو.. يُرى سرُّها.
(٤) في الأصل: سمي بها يلن، وفي (ب): يُسْمى بها تكن.
(٥) في (ب): ولا نابَ عن مكنونها لفظ.
(٦) في (ن) و(ع): ولو أن الرقاد دنا... بالدمع جلدًا.
(٧) في (ب): منك مَهدا.

وإنْ حَلَّ الرُّقادُ بجفنِ عيني رَقَدْتُ إجابةً لك لا لأهدا

قال الشيخ رحمه الله: وهذه الأشعار فيها ما هي مشكلة، وفيها ما هي جلية، ولهم فيها إشاراتٌ لطيفة، ومعانٍ دقيقة؛ فمن نظَر فيها فليتدبَّرْها حتَّى يقفَ على مقاصدِهم ورموزهم، حتَّى لا ينسبَ قائلها إلى ما لا يَليقُ بهم، وإذا أشكلَ عليه ولم يفهمْ فليستبحثْ[1] بالسؤال عمَّن يفهم، لأنَّ لكلِّ مقامٍ مقالاً، ولكلِّ علمٍ أهلاً، ولو اشتغلنا بشرحه لطال الكتاب.

* * *



(١) في (ع): فليبحث.

باب الدعوات التي كان يدعو بها المشايخُ المتقدّمون من أهل الصفوة

١ـ دعاءٌ كان يدعو به ذو النُّون رحمه الله: اللَّهُمَّ، الحولُ حولك، والطَّوْلُ طَولك، ولك في كلِّ خلقك مددُ يدٍ وقوةٍ[١] وحول، وأنتَ الفعَّالُ لما تشاء، لا العجزُ ولا الجهلِ يعارضانك، ولاالنقصانُ والزيادةُ يحيلانك، وأنَّى يُعارضانك، وهما ما أحدثتَ، أو يَرُومان إحالتك، وهما ما خلقت، وكيف لا يكونان ممَّا أحدثتَ وما خلقت، وأنتَ الموجودُ بالدَّلائلِ عليك؟/ فلن يخلقَ خلقَك غيرُك أنت، فتباركتَ يا مَنْ كلُّ مَدروكٍ [١١٨] فمن خلْقِهِ، وكلُّ مَحدودِ المدروكات فمن صُنعِهِ، أنتَ الذي لا يُدرِكُكِ في الدُّنيا العيان، ولا يَستغني عنك مكان، ولا يعرفُكَ غيرُكَ إلاَّ بإقراره لك بالوحدانية، ولا يجهلُكَ مِنْ خلقِكَ إلا ناقصُ المعرفة، ولا يُسهيكَ شيءٌ عن شيءٍ، ولا يحدُّ قدرتَكَ أحدٌ، ولا يخلو منك مكانٌ، ولا يشغلك شأنٌ عن شأنٍ.

٢ـ دعاء آخر لذي النُّون رحمه الله: اللَّهُمَّ، اجعلِ العيونَ منَّا فوَّاراتٍ بالعبرات، والصدورَ منَّا محشوَّةً بالعبرِ والحُرقاتِ[٢]، واجعلْ قلوبَنا غوّاصةً في موجِ قرعِ أبواب السموات[٣]، تائهةً من خوفِكَ في البوادي والفلوات[٤]، افتحْ لأبصارنا بابًا إلى معرفتك، ولمعرفتنا أفهامًا إلى النظرِ في نور حكمتك، يا حبيبَ قلوب الوالهين، ومُنتهى رغبة الراغبين.

٣ـ ولذي النُّون رحمه الله: اللَّهُمَّ، أنت أُنسُ المُؤنسين لأوليائك،

---

(١) في (ن) و(ع): مَدد قوة.
(٢) في (ب): بالعبرة والحرقات.
(٣) في (ب): أبواب السمرات.
(٤) في (ب): في البراري والفلوات.

وأقربُهم بالكفاية من المتوكّلين عليك لمشاهدهم، فضمائرُهم تطّلعُ على أسرارهم.

إلهي، سرّي إليك مكشوفٌ، وأنا إليك ملهوفٌ، إذا أوحشني الذَّنبُ آنسني ذكرُك، عالمًا بأن أزمّةَ الأمور بيدك، وأنَّ مصدَرَها عن قضائك.

إلهي، من أَوْلى بالذُّلِّ والتَّقصيرِ منّي، وقد خلقتني ضعيفًا؟ ومَنْ أَوْلى بالعفو منك، وعلمُكَ بي سابقٌ، وأمرُكَ بي محيطٌ؟ أطعتك بإذنِك والمنّةُ لك عليَّ، وعصيتُك بعلمِك والحجّةُ لك عليَّ، أسألُك بوجوبِ رحمتك، وانقطاعِ حجّتي، وبفقري إليك وغناك عنّي، أن تغفرَ لي خطيئتي الظاهرة والباطنةَ.

٤ـ دعاء ليوسف بن الحسين رحمه الله: اللَّهُمَّ، إنّا نباتُ نعمك، فلا تجعلْنا حصائدَ نقمِك.

اللهم، أعطنا ما تُريده منّا، يا مَنْ أعطانا الإيمانَ به من غيرِ سؤالٍ، لا تمنعنا عفوك مع السُّؤال، فإنّا إليك آيبون، ومنِ الإصرارِ على [معصيتك][1]، فإنّا إليك راغبون تائبون[2].

اللهم، تقبّل ما مننتَ به علينا[3] من الإسلام والإيمان الذي به هديتنا، وأعفُ عنّا.

إلهي، نعمُك محيطةٌ بنا، وأنتَ المذخورُ لشُكرها، وعزّتِك ما شكرَكَ أحدٌ إلاّ بك.

٥ـ وقال يوسف رحمه الله: سمعتُ حكيمًا يقولُ في دُعائه: الحمدُ لله الذي شكرَ على ما به أنعم، وذمّ على ما لو شاءَ منه عصم، شكرَ نفسَه بنفسِه عن خلقه، لأنّه اللهُ الذي لا إله إلاّ هو.

---

(١) في (ن) و(ع): على معصيتك تائبون. ما بين معقوفين مستدرك من (ن) و(ع).

(٢) في (ن) و(ع): ذاعنون تائبون.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: ما شئت به منّا من الإسلام.

٦ـ وقال: سمعتُ بعضَ المشايخ يقولُ في مُناجاته:

أيا جودَ ربِّي ناجِ ربِّي بحاجتي فما لي إلى ربِّي سواكَ شَفيعُ

٧ـ دعاء للجُنيد رحمه الله، مُستخرجٌ من كتاب «المناجاة»: اللَّهُمَّ، إنّي أسألُكَ يا خيرَ السَّامعين، وبجودِكَ ومجدك يا أكرمَ الأكرمين، وبكرمِكَ وفضلِك يا أسمحَ السامحين، وبإحسانك ورأفتِكَ يا خيرَ المُعطين، أسألُكَ سؤالَ خاضعٍ خاشعٍ مُتذلِّلٍ متواضعٍ ضارع اشتدَّتْ إليك فاقتُهُ، وأنزلَ بك على قدرِ الضرورة حاجتَه، وعَظُمَتْ فيما عندك رغبتُه، وعلم ألاَّ يكونَ شيءٌ إلاَّ بمشيئتك، ولا يشفعُ شافعٌ إليك إلاَّ من بعد إذنك، فكم من قبيحٍ قد سترتَهُ! وكم من بلاءٍ قد صرفتَهُ! وكم من عثرةٍ قد أَقَلْتَها! وكم من زلَّةٍ قد سهّلت بها[1]! وكم من مكروهٍ قد رفعتَهُ! وكم من ثناءٍ قد نشرته! أسألُكَ يا سامعَ أصوات المستغيثين، وعالمَ خفيِّ إضمار الصامتين، ومطّلعُ في الخلوات على أفعالِ المتحرّكين، وناظرُ إلى ما دقَّ وجلَّ من آثارِ السَّاعين، أسألُكَ ألاَّ تحجبَ بسوءِ فعلي عنك صوتي، ولا تفضحني بخفيِّ ما اطّلعتَ عليه من سرِّي، ولا تعاجلني العقوبةَ على ما علمتَهُ من خلواتي، وكنْ بي في كلِّ الأحوال رافقًا، وعليَّ في كلِّ الأحوالِ عاطفًا.

إلهي وسيدي وسندي، أنا بك عائذٌ لائذ، مُستغيثٌ مُستجيرٌ من تكاثفِ تَخاوفِ عِلل[2] سرّي، ومن لزوم ذلك ضميري وقلبي، حتى يكادَ ذلك أن يملأَ صدري، ويُوقف على الانبساط إلى ذكرِك عقلي ولساني، ويمنعَ من الحركة/ في الخدمة جسمي، فأنا في حبسٍ ما يُعارضني من ذلك من النقصِ [١١٩]
والتقصير، أسألُكَ أن تُخرجَ ذلك عن فكري[3]، وتمنعَهُ من قلبي، واجعلْ أوقاتي من الليلِ والنهار بذكرِكَ معمورةً، وبخدمتِكَ وعبادتك موصولةً،

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: زلّـة قد سمحت.
(٢) في الأصل: محاوف علل.
(٣) في (ن) و(ع): عن ذكري.

حتى يكونَ الورودُ ورودًا واحدًا، والحالُ حالاً واحدًا لا سآمة فيه ولا فتور، ولا مللَ ولا تقصير، حتَّى أُسرِعَ به إليك من حينِ المبادرة، وأَسرحَ بذلك[1] إليك في ميادين المُسابقة، وارزقني من طعمِ ذلك اللذائذَ السائغةَ يا أكرمَ الأكرمين.

٨ ـ سمعتُ أبا سعيد الدِّينوري بأطْرابُلُس يدعو بهذا الدعاء في مجلسه: اللهم، إنّي أَسألُكَ بحقِّك عليك فلا حقَّ أحقُّ من حقِّك عليك، بحقِّك على أهل الحقِّ، وبحقِّ أهل الحقِّ عليك، وبحقِّ كلِّ ذي حقٍّ بأنَّ لك بقدمِك بعلمك بكلِّ شيءٍ، ومُلكك لكلِّ شيءٍ، وقدرتِك على كلِّ شيءٍ، صلِّ على محمد وعلى آله، وأن تفعلَ بي كذا وكذا.

٩ـ وحُكي عن عمرو بن بحر[2] قال: هذا دعاءٌ حفظتُهُ عن الشِّبلي أنّه كان يدعو به دائمًا: اللهم، لك الحمدُ يا ضياءَ السموات والأرض، ويا بهاءَ السموات والأرض، ويا قيُّوم السمواتِ والأرض، ويا نورَ السموات والأرض، بحقِّ أسمائك عليك، وبحقِّكَ عليك[3] فلا حقَّ أجلُّ منك عليك، وبحقِّ ما أنزلتَ، وبحقِّ من جعلتَ له فهمًا فيما أنزلتَ يا الله، ويا من لا سواك الله، ويا مَنْ أنت الله: صلِّ على محمدٍ، وعلى آل محمد، واجمعهم ولا تُشتِّتْهم، وارحمْ ظواهرَهم، وأعمرْ بواطنَهم، وقم لهم بالكلاءةِ والكِفاية، وكنْ لهم عِوضًا من كلِّ عِوض، وارحمْهم ولا تردَّهم إليهم طرفةَ عينٍ ولا أقلَّ من ذلك، بحقِّ كلِّ حقٍّ أنت ذلك الحقُّ، واجعلْهم أتقياءَ وأخلاَّءَ في معانيك[4] اللدنية، واجعلْهم ممّن إذا قالَ، قالَ على التحقيق، وإذا سكتَ فلا سِواكَ.

---

(١) في (ب): في حين المبادرة، وأسرج بذلك.

(٢) هو عمرو بن بحر السدي الصوفي، أكثر التطواف، وصحب ذا النون المصري وسمع من هشام بن عمار، ودحيم، وهو في تاريخ الإسلام للذهبي ٦/ ٩٩٠ من رجال الطبقة الثلاثين (٢٩١ـ ٣٠٠هـ).

(٣) قوله: (وبحقك عليك) ليس في الأصل.

(٤) في (ن) و(ع): وأجلاَّء في معانيك.

١٠ ـ ومن دعوات يحيى بن معاذ الرّازي رحمه الله:

إلهي وسيِّدي وأملي ومن به يتمُّ عملي.

(*) وكان يقول:

إلهي، أدعوكَ بلسانِ أملي حين كلَّ لسانُ عملي.

إلهي، ما أطيبَ واقعات الإلهام منك على خطراتِ القلوب! وما ألذّ مناجاة الإسرار إليك في وطنات الغيوب!

إلهي، إذا قلتَ لي في القيامة: عبدي، ما غرَّكَ بي؟ فأقول: سيِّدي، برُّك بي، وإنْ أدخلتني النارَ بين أعدائك لأُخبرنَّهم بأني كنتُ في الدنيا أحبُّك؛ لأنَّك مولاي، ومنْ جميع الأشياء مغناي.

(*) وكان يقول: اللهم، إنْ نجَّيتني نجَّيتني بعفوك، وإن عذَّبتني عذَّبتني بعدلك، رضيتُ ما بي لأنَّك ربّي وأنا عبدُك.

إلهي، أنت تعلمُ أنّي لا أَقوى على النار، وأنا أعلمُ أنّي لا أَصلحُ للجنة، فما الحيلةُ إلاَّ عفوك.

(*) وقال: إلهي وسيِّدي وسروري، تكرُّمُكَ شغلني عن قبيحِ عملي، وإن كان فيه شَقائي، وسروري بنعمِكَ شَغلني عن حُسْنِ عملي، وإنْ كان فيه نجاتي، وسروري بك أَنساني السرورَ بنفسي، وحجب عن الخليقة أُنسي، ولك يا مولاي نفسي[١].

(*) وكان يقول: اللهم، إنّي أتقرَّبُ بك إليك[٢]، وبك أدلُّ عليك، وحجّتي نعمُك لا عملي، وحجتي كرمُك لا أملي[٣]، وما أظنُّك تُحاسب غدًا بعدلِك مَنْ غشيتهُ اليوم بفضلك، وعفوُكَ يستغرقُ الذُّنوب، ورضوانك

---

(١) قوله: (وحجب عن... نفسي) في (ب) فقط.

(٢) في (ن) و(ع): أتقرب إليك.

(٣) قوله: (وحجتي كرمك لا أملي) من (ب) فقط.

يَستغرقُ الآمال، ولولا أنك بالعفو تجود ما كان عبدُك بالذَّنبِ يعود[١].

(*) وكان يقول: إلهي وسيّدي ومولاي، ومن جميع الأشياء مغناي، ضيَّعْتُ نفسي بالذُّنوبِ، فردَّها عليَّ بالتوبة، أنت تعلمُ أنَّ الكريمَ من عبادك يعفو عمَّن ظلمه، وقد ظلمتُ نفسي، وأنت أكرمُ الأكرمين، فاعفُ عني.

إلهي، أنت تعلمُ أن إبليسَ عدوٌّ لك ولي، وليس شيءٌ أَنكى لكمده، وأقطعَ لكيده من غفرانك لي، فاغفرْ لي يا أرحم الراحمين.

١١ـ سمعتُ عمر الملطي بأنطاكية يقول: قلت لبعض المشايخ: ينبغي أن تدعو لي. فقال: يا فتى، أنا أدعو لك، ولكن يَنبغي لكَ أيضًا أن تكونَ بالحضرة، فإذا دعوتُ لك، ولم تكنْ بالحضرة لم ينفعْ دُعائي.

١٢ـ وحُكي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنّه كان في سفينةٍ، فماج البحر، وأَمروا الناسَ أن يرموا بأمتعتهم إلى البحر، فقيل له: يا أبا إسحاق، ادعُ الله لنا. فقال: ليس هذا وقت الدعاء/ هذا وقتُ التَّسليم. [١٢٠]

١٣ـ وقال بعضهم: صدقُ الإجابةِ من ربّك في صدق الدُّعاءِ من قلبك.

١٤ـ قال: وسمعتُ جعفرًا قال: سمعتُ الجُنيد رحمه الله قال: كان سَرِيٌّ السقطي رحمه الله إذا دعا، يقول: اللهم، مهما عذّبتني بشيءٍ فلا تعذّبني بذلِّ الحجاب.

١٥ـ وعن أبي حمزة رحمه الله قال: قلتُ لسريّ السقطي رحمه الله: ادعُ لي. فقال: جمعَ الله بيني وبينك تحت شجرةِ طُوبى، فإنّه بلغني أنَّه أولُ ما يدخلُ الأولياء الجنَّةَ يستريحون تحت شجرة طوبى.

١٦ـ وفيما حُكي عن أبي محمد الجريري قال: سمعتُ إبراهيم المارستاني رحمه الله يقول: رأيتُ الخضرَ رحمه الله في المنام، فعلّمني عشرَ كلماتٍ، وأحصاها عليَّ بيده: اللهم، إنّي أسأَلُكَ حُسنَ الإقبالِ عليك،

---

(١) هنا ينتهي القسم (٤) من نسخة (ب) الذي ابتدأ صفحة (٢٩٦).

والإصغاءِ إليك، والفهمِ عنك، والبصيرةِ في أمرك، والنفاذِ في طاعتك، والمواظبةِ على إرادتك، والمبادرةِ في خدمتك، وحُسْنَ الأدب في معاملتك، وبردَّ التسليمِ إليك، والنظرِ إلى وجهك.

١٧ـ وحُكي عن أبي عُبيد البُسري رحمه الله قال: رأيتُ عائشةَ رضي الله عنها في المنام، فقلتُ لها: يا أمي، علّميني دعاءً. قال: قالت: يا أَبا عُبيد، قل: اللَّهُمَّ، أَقللْ مُؤنتي، وأَحسنْ مَعونتي، وأَعنّي على أمرِ دنياي وآخرتي. قال: قلتُ: يا أمي، زيديني. قالت: يكفيك يا أبا عُبيد.

١٨ـ وكان بعضُ المشايخ إذا دعا، يقولُ في دعائه: إلهي، أدعوكَ في الملأ كما تُدعى الأرباب، وأَدعوك في الخلاء كما تُدعى الأَحباب.

١٩ـ قال الشيخ رحمه الله: وسأَلتُ بعضَ المشايخ عن الدُّعاء: ما وجهُهُ لأهلِ التسليمِ والتفويض؟ فقال: يدعو اللهَ عز وجل على وجهين: أَحدُهما يريدُ بذلك تزيين الجوارح الظاهرة بالدعاء؛ لأن الدعاءَ ضربٌ من الخدمة، يُريدُ أن يزيّنَ جوارحَه بهذه الخدمة. والوجه الثاني أن يدعو ائتمارًا لما أمرَهُ اللهُ تعالى بالدعاء.

٢٠ـ دعاء للجنيد رحمه الله: إلهي وسيّدي ومولاي، من أَحسنُ منك حكمًا لمن أَيقنَ بك؟ ومَنْ أَوسعُ منك رحمةً لمن اتّقاك وقصدك؟ ومَنْ أسرعُ منك عطفًا ورأفةً لمن أرادك وأَقبلَ على طاعتك؟ فكلُّهم في نعمائك يتقلّبون، ولك بفضلِك عليهم يعبدون، سرتْ همومُهم بك إليك، وانفردَتْ إرادتُهم لديك، وأَقبلتْ قلوبُهم بك عليك، وفنيتْ حظوظُهم من دونك، واجتمعتْ لك وحدك، فهم إليك في اللّيلِ والنهار مُتوجِّهون، وعليك في كلِّ الأحوالِ مُقبلون، ولك على الأحوال مؤثرون[١]، فأنا أسأَلُكَ إلهي وسيدي[٢] ومولاي، أن تكونَ لي بفضلِكَ كالئًا كافيًا عاصمًا راحمًا، فإنّي

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: ولك على الأرواح مؤثرين.
(٢) هنا يبتدىء القسم (٥) من (ب) والذي ينتهي صفحة (٣٦٨).

إليكَ لاجئٌ[١]، وبك مُستغيثٌ، وإليك راغبٌ، ومنك راهبٌ، وعليك في أمورِ الدنيا والآخرة متوكّلٌ، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

فهذه طرفٌ من دعواتهم في معاني مقاصدهم وأحوالهم، محصيَّةٌ لمن أرادَ[٢] أن ينظرَ فيها، ويتبرَّكَ بذلك، وبالله التوفيق.

* * *



(١) في (ن): فإني إليك لاجٍ.

(٢) في (ب): مختصرة. وفي (ن): مختصر لمن أراد.

باب في وصاياهم التي أوصى بها بعضهم لبعض[١]

١ـ قال الشيخُ رحمه الله قال: بعضُ المشايخ: قلتُ لرُويم، رحمه الله: أَوصني بوصيةٍ. فقال لي: يا بُنَيّ، ليس غيرَ بذلِ الروح، ، فإن قدرتَ على ذلك، وإلاَّ فلا تشتغلْ بترَّهات الصوفية.

٢ـ واجتمع أصحابُ يوسف بنِ الحسين عند يوسف رحمه الله، فقالوا له: أَوصنا. فقال: اقتدوا بجميع ما رأيتم منّي إلاَّ شيئين: لا تَستدينوا على الله تعالى، ولا تَصحبوا المُردان.

٣ـ وقيل لسريّ السقطيّ رحمه الله: أَوصنا بشيء. فقال: لا تَستدينوا على الله تعالى، ولا تنظروا في وجوهِ المرد.

٤ـ وقال رجلٌ لأبي بكر البارزي: أوصني. فقال: احذر إلفَكَ وعادتك، والسكونَ إلى راحتك.

٥ـ وقال أبو العباس بنُ عطاء رحمه الله في بعض وصاياه لإخوانه: احذروا أن تكونَ غمومُكُم من أجلِ ما يظهرُ لكم، وعليكم بما شاء الله دون[٢] ما تشاؤون.

[١٢١] ٦ـ وعن جعفر الخُلدي رحمه الله أنه قال: كان الجُنيد رحمه الله يُوصي/ لرجلٍ، ويقول: قدّمْ نفسَكَ وأَخّرْ عزمك، ولا تُقدّمْ عزمك وتؤخِّرْ نفسك، فيكون فيها إبطاءٌ كثير.

٧ـ ووجدتُ في كتابٍ لأبي سعيد الخرّاز رحمه الله، يُوصي مُريدًا أو صديقًا له، فيقول: يا أخي، خالصْ أَصحابَكَ مُخالصةً، وخالطْ أهلَ الدنيا

---

(١) في (ن) و(ع): بعض لبعض.

(٢) في (ب): بما شاء الله وعليكم دون.

مخالطةً، شاهدْهم بظاهرك، وخالفْهم بفعلك، ودينك لا تثلمنّه[١]، إن ضَحكوا فابكِ، وإنْ فرحوا فاحزنْ، وإن استراحوا فجدَّ، وإن شبعوا فتجوّع، وإنْ ذكروا الدنيا فاذكرِ الآخرةَ، واصبرْ على قلّةِ الكلام والنظر والحركة والطعام والشراب واللباس حتّى يُسكنَكَ اللهُ من الفردوس حيث يشاء برحمتِهِ.

٨ ـ وقال أبو سعيد الخرّاز يُوصي بوصيةٍ لبعض أصحابه: احفظْ وصيَّتي أيّها المُريدُ، وارغبْ في ثواب الله تعالى، وإنَّما هو أن ترجعَ إلى نفسِك الخبيثة فتذيبها[٢] بالطاعة، وتُفارقها وتُميتها بالمخالفة، وتذبحها بالأياس فيما سوى الله، وتقتلها بالحياءِ من الله عز وجل، ويكون اللهُ حسبَكَ، وتسارع في جميع الخيرات، وتعمل في جميع المقامات، وقلبُكَ وجلٌ ألاَّ يُقبلَ منك، فهذا حقائقُ القبول والإخلاص والصدق، حتى تتخلَّصَ وتصيرَ إلى الله تعالى، واللهُ يفعلُ ما يشاء، ويحكمُ ما يريد.

٩ـ وصيةٌ أَوصى بها ذو النُّون لبعض إخوانه، فقال: يا أخي، اعلمْ أنّه لا شرفَ أعلى من الإسلام، ولا كرمَ أعزُّ من التُّقى، ولا عقلَ أحرزُ من الورع، ولا شفيعَ أنجحُ من التوبة، ولا لباسَ أجلُّ من العافية، ولا وقايةَ أمنعُ من السلامة، ولا كنزَ أغنى من القنوع، ولا مالَ أذهبُ للفاقة من الرضا بالقوت، ومن اقتصرَ علىَ بُلغةِ الكفافِ فقد انتظمَ الراحةَ، والرغبةُ مفتاحُ التعب ومطيّةُ النَّصَبِ، والحرصُ داعٍ إلى التهجُّمِ في الذنوب، والشَّرَهُ جامعٌ لمساوىء العيوب، ورُبَّ طمعٍ كاذبٍ وأملٍ خائبٍ ورجاءٍ يُؤدّي إلى الحرمان، وأرباحٍ تؤولُ إلى الخسران.

١٠ـ وقال الجنُيد رحمه الله في كلامٍ له لبعض أصحابه: أُوصيك بقلّةِ الالتفات إلى الحالِ الماضية عند ورُودِ الحالِ الكائنة.

---

(١) في الأصل، و(ن) و(ع): ودينك لا تثلب.

(٢) جاء في هامش الأصل: وفي نسخة: لتذيبها.

١١ـ قال: وقلت لأبي عبد الله الخيَّاط[1] الدِّينوري رحمه الله: أَوصني بشيءٍ. فقال: أُوصيكَ بخصلةٍ ما أَعلمُ أن تكونَ خصلةٌ لم تصحبْها آفةٌ غيرها. قلتُ: وما هي؟ قال: ذكرُكَ لأخيك بالجميلِ في ظهرِ الغيب، ودعاؤك له.

١٢ـ وحُكي عن أبي بكر الورَّاق رحمه الله، أنه قال: بعتُ العزَّ من شهوة العزِّ، واشتريتُ الذُّلَّ من خوفِ الذُّلِّ، هذا جزءٌ من خالفَ وصيةَ الله تعالى.

١٣ـ وأتى رجلٌ ذا النُّون[2] المِصري رحمه الله، فقال له: أَوصني. فقال له: بما أُوصيك، إنْ كنتَ أُيِّدْتَ في علمِ الغيب بصدقِ التوحيد، فقد سبقَ لك قبلَ أن تُخلقَ من لدن آدمَ إلى يومك هذا دعوةُ النَّبيِّين والمُرسلين، فذلك خيرٌ لك، وإن تكون[3] غيرَ ذلك، فأنّى يُنقذُ النِّداءُ الغرقى؟!

١٤ـ سمعتُ أبا محمد المُهلّبَ بنَ أحمد بن مرزوق المصري يقول: لما حضرتُ أبا محمد المُرتعشَ رحمه الله الوفاةُ أوصى إليّ بأن أقضي دينَهُ، وكان عليه ثمانية عشر درهمًا، فلمّا دَفناه، قُوِّمتْ[4] ثيابُ بدنه بثمانية عشر درهمًا، فبعتُها بثمانية عشر درهمًا، فخرجَ رأسًا برأس، وقضينا دينَهُ. واجتمعَ المشايخُ فأخذوا كِنفَهُ[5]، وكان فيه قماشٌ مثلُ ما يكون في الِكنْف، فأخذَ كلُّ واحدٍ منهم شيئًا وتفرّقوا.

١٥ـ ودخل رجلٌ على إبراهيم بن شيبان رحمه الله، فقال له: أَوصني بشيءٍ. فقال له إبراهيم: اذكر اللهَ ولا تَنْسَه[6]، فإن لم تستطعْ ذلك فلا تنسَ الموت.

---

(١) في الأصل: الحنَّاط. انظر الأنساب ٥/ ٢٢٢.
(٢) في (ب): أتى رجل إلى ذي النون.
(٣) في (ن): وإن تكن.
(٤) ما بين قوله: (رحمه الله الوفاة. .) إلى قوله: (فلما دفنّاه). ليس في (ب).
(٥) الكِنف: وعاء لحفظ المتاع.
(٦) في (ب): ولا تنساه.

١٦ـ قيل لبعض المشايخ: أَوصني. فقال: امحُ اسمَك من ديوان القرّاء[١].

١٧ـ وقيل لأبي بكر الواسطي رحمه الله: أوصنا. فقال: عُدُّوا أنفاسَكم وأوقاتكم، والسلام.

١٨ـ وقيل لآخرَ: أوصني. فقال: القلَّةَ والذلّةَ، واللُّحوقَ بالله عز وجل.

١٩ـ وقال ذو النُّون رحمه الله: بينا أنا أسيرُ في جبلِ المُقَطَم[٢] إذا أنا برجلٍ على باب كهفٍ، فسمعتُهُ يقول: سُبحان من عطَّل قلبي من الأياس[٣]، وعَمَرَه بالآمال، فاليأسُ منه قد فارقني، والأملُ فيه قد أوصلني. فتأمَّلْتُهُ، فإذا هو رجلٌ قد أكمدَتْهُ العبادةُ، وأَقرحته الزهادة، فدنوتُ منه، فتركني وولّى، فقلتُ له: أوصني. قال: انظر ألاَّ تقطعَ أَملَك عن الله تعالى طرفةَ عينٍ/ واجمعْ بين السرَّاء والضرَّاء، وصِلْ بينك وبين اللهِ تعالى، تر السُّرورَ في يومٍ يخسرُ فيه المبطلون[٤]. قلت: زدني. قال: حسبك حسبك. [١٢٢]

٢٠ـ وقال رجلٌ لذي النُّون رحمه الله: زوّدني كلمةً. فقال: لا تؤثرنَّ الشَّكَّ على اليقين، ولا ترضَ من نفسكِ بغيرِ التسكين، وإنْ نابتك[٥] نائبةُ الدَّهرِ، فتحمَّلْها بحُسن الصبر، وارمِ بآمالك نحو الدائم الخبير تجدْه بآمالك قائمًا، واغتنمْ مواصلةَ الله تعالى؛ فإنَّ لله عبادًا ألفوه، فاستأنسوا به، وعرفوه، فأمّلوه على معرفته، وواصلوه على عينِ يقينٍ، فسمتْ أبصارُهم نحو عظيمِ جليلِ قدرتُهُ، فسقاهم من حلاوةِ مواصلته، وألعقهم من لذاذةِ

(١) في هامش (ع): كان هناك دواوين للقراء يكتب فيها اسم القارىء، ليأخذ أجرًا شهريًا، وتكون له شهرة بأنه قارى.

(٢) المقطم: الجبل المشرف على القاهرة. انظر معجم البلدان. في الأصل، و(ب): جبل المقطب.

(٣) في الأصل: قلبي بالأياس.

(٤) في الأصل: يُحشر فيه المبطلون.

(٥) في (ن) و(ع): وإن تأتك نائبة.

مخالصته[١]، فلبكائهم حول العرشِ دويٌّ، ولدعائهم حنينٌ تتقعقعُ أبوابُ السماء لسرعةِ تَفتُّحها لإجابة دعائهم.

٢١ـ وللجُنيد في بعض وصاياه يقول: يا أخي، فاعملْ، ثم اعجلْ قبل أن يعجلَ الموت بك، وبادر، ثم بادر قبل أن يُبادرَ إليك، وقد وعظَكَ اللهُ تعالى في الماضين من إخوانك، والمنقولين من الدنيا من أقرانِك وأخدانك، فذاك حظُّك الباقي عليك، والنافعُ لك، وكلُّ ما سوى ذلك فعليك لا لك، وهذه مَوعظتي لك، ووصيَّتي إيّاك، فاقبلْها تحمدِ الأمر بقبولها، وتفوز[٢] باستعمالها، والسلام[٣].

فهذا طرفٌ من وصاياهم، وتخصيصُ مقاصدهم في ذلك، وبالله التوفيق.

* * *



---

(١) في الأصل، و(ب): عظيم جليل، فسقاهم من حلاوته، وألعقهم من لذاذته.

(٢) كذا الأصل.

(٣) هنا ينتهي القسم (٥) من (ب) الذي ابتدأ صفحة (٣٦٢).

[كتاب السّماع][١]

باب في حُسنِ الصوتِ والسماع وتفاوت المستمعين

قال الشيخُ رحمه الله: قال اللهُ عز وجل: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر: ١] قالوا في التفسير: ﴿ٱلْخَلْقِ﴾ الطيبُ[٢]، والصوتُ الحسن.

ورُوي في الحديثِ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ما بعثَ اللهُ نبيًا إلاَّ حسنَ الصوت»[٣].

وعن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ما أذِنَ الله تعالى لشيءٍ كإذنِهِ لنبيٍّ حسنِ الصوت. . .»[٤] الحديث.

وقال النبيُّ ﷺ: «للهُ أشدُّ أذنًا[٥] بالرجلِ الحسنِ الصوت بالقرآنِ منْ صاحبِ القينة بقينته»[٦].

وفي الحديث: أنَّ داودَ عليه السلام قد أُعطيَ من حُسْنِ الصوت حتىَّ كانَ

---

(١) ما بين معقوفين ليس في الأصل.

(٢) في (ن) و(ع): الخُلُقُ الطيِّبُ.

(٣) ذكره الغزالي في الأحياء ٢/ ٢٧١، في كتاب السماع والوجد، وقال الحافظ العراقي: أخرجه الترمذي في الشمائل. . . ورويناه متصلاً في الغيلانيات. . ورواه ابن مردويه في التفسير، وطرقه كلها ضعيفة.

(٤) أخرجه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢).

(٥) في (ن) و(ع): الله أشدُّ أذانًا. .

(٦) أخرجه أحمد ٦/ ٢٠، ١٩، وابن ماجه (١٣٤٠) والطبراني في الكبير١٨/ ٣٠١، وابن حبان في صحيحه ٣/ ٣١ (٧٥٤).

يستمعُ لقراءته إذا قرأ «الزّبورَ» الجنُّ والإنس، والوحش والطير. وكان بنو إسرائيل يجتمعون فيستمعون، وكانَ يُحملُ من مجلسه أربعمئة جنازة ممّن قد ماتَ، كما رُوي في الحديث(١).

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لقد أُعطي أبو موسى مزمارًا من مَزاميرِ آل داود»(٢) لما أُعطيَ من حسن الصوت.

وفي الحديث: أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ يومَ الفتح فمدَّ مدًّا، وأنَّه كان يُرجِّع(٣).

وعن مُعاذ بن جبل أنَّه قال لرسول الله ﷺ: لو علمتُ أنَّك هو ذا تسمع لحبَّرْتُهُ تحبيرًا(٤).

وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «زينُوا القرآن بأصواتِكم»(٥).

قال الشيخ رحمه الله: يحتملُ هذا معنيين، والله أعلم:

أحدُهما: أنَّه أراد بذلك أن يُزيِّنَ قراءته للقرآن، وهو رفعُ صوتِهِ بقراءة القرآن، فيحسّن الصوت عند قراءته، ويطيِّب النغمة؛ لأنَّ القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ فلا يُزيّنُ ذلك بصوتٍ مخلوقٍ ونغمةٍ مكتسبة.

والمعنى الآخر: يحتملُ أنه أرادَ بذلك أي زيِّنوا أصواتكم بالقرآن، فيكون مقدّمًا ومؤخرًا في المعنى، كقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ ـ ٢] معناه مقدّم ومؤخّر على معنى: أنزل الكتاب على عبده قيّمًا، ولم يجعل له عوجًا، ومثلُ ذلك في القرآن كثير.

---

(١) ذكره الغزالي في الأحياء ٢/ ٢٧١، في كتاب السماع والوجد. قال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣). وأبو موسى: هو الأشعري.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٣٥)، ومسلم (٧٩٤).

(٤) الحديث عن أبي موسى الأشعري، ولم أجده عن معاذ، وقد أخرجه النسائي في السنن٥/ ٢٣، وأبو يعلى في المسند ١٣/ ٢٦٦(٧٢٧٩)، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٥٢٦، ٣٨٩، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٥٨.

(٥) أخرجه أحمد في المسند٤/ ٢٩٦، وأبوداود (١٤٦٨)، والنسائي ٢/ ١٧٩.

وقد ذمَّ اللهُ تعالى الأصواتَ المُنكرة بقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٩]. وفي ذمِّه الأصوات المنكرة محمدةٌ للأصوات الطيّبة.

وقد تكلَّمَ الحكماءُ في معنى الأصوات الحسنة، والنغمات الطيّبة، وأكثروا في ذلك، فقال ذو النُّون رحمه الله، وقد سُئل عن الصَّوتِ الحسن، فقال: مخاطباتٌ وإشاراتٌ إلى الحقّ، أودعها كلَّ طيّبٍ وطيّبة.

وعن يحيى بن معاذ الرّازي رحمه الله، أنَّه قال: الصوتُ الحسن روحةٌ من الله تعالى لقلب فيه حبُّ الله تعالى.

وقال آخر: النغمةُ الطيّبة روحٌ من الله تعالى، يُروّح بها قلوبًا محترقةً بنار الله تعالى.

وسمعت أحمد بنَ علي الوَجيهي يقول: سمعتُ أبا علي الرُّوذباري رحمه الله يقول: إنَّ أبا عبد الله الحارث بنَ أسد المُحاسبي رحمه الله، كان يقول: ثلاثٌ إذا وجدنَ مُتِّعَ بهنَّ، وقد فقدناهن أجمع: حسنَ الصوت[1]/ [١٢٣] مع الديانة، وحسنَ الوجه مع الصيانة، وحسنَ الإخاء مع الوفاء.

وعن بُندار بنِ الحسين رحمه الله أنَّه كان يقول: الصوتُ الطيّبُ حكمةٌ مُجيبة، وآلةٌ سليمة بصوتٍ رخيم، ولسانٍ لطيف، ذلك تقديرُ العزيزِ العليم.

ومن اللطيفة التي جعلَ اللهُ في الأصوات الطيبة أنَّ الطفلَ في المهد يَبكي لوجودِ ألمٍ، فيسمع الصوتَ الطيِّبَ، فيسكت وينام.

ومشهورٌ أنَّ الأوائل كانوا يعالجون من به العلَّةُ من السوداء بالصَّوتِ الطيب، فيرجع إلى حال صحته.

وقال الشيخُ رحمه الله: ومن السرِّ الذي جعلَ اللهُ في الأصوات الطيِّبة التي فيها إنداءٌ: ترى في البوادي إذا عييتِ الجمالُ، وقصرَتْ عن السير

---

(١) في الأصل: حسن القول.

يَحدو لها الحادي، فتستمعُ وتمدُّ أعناقَها، وتُصغي بآذانها نحو الحادي، وتجودُ في السير، حتى تتزعزعَ محاملُها من شدَّة سيرها، وربَّما تُتلفُ أنفسَها إذا انقطعَ عنها حدو الحادي من ثقلِ حملها وسرعةِ سيرها بعدما كانت لا تحسُّ بذلك من إصغائها إلى حدوِ حاديها، واستماعِها إلى حسن نغمته، وطيبِ صوتِ حاديها.

قال الشيخ رحمه الله: وقد حكى لي في هذا المعنى الدّقّيُّ بدمشق، وقد كان سُئل عن ذلك، فقال: كنتُ في البادية، فوافيتُ قبيلةً من قبائل العرب، فأضافني رجلٌ منهم، وأدخلني خباءَهُ، فرأيتُ في الخباء عبدًا أسودَ مقيَّدًا بقيدٍ، ورأيت جمالاً قد ماتتْ بين يدي البيت، ورأيتُ جملاً قد نحلَ، وهو ذابلٌ كأنَّه هو ذا ينزعُ روحه، قال: فقال لي الغلامُ المقيَّدُ: أنتَ الليلةَ ضيفٌ لمولاي، وأنت عنده كريمٌ، فتشفَّعْ فيّ حتَّى يحلَّ عنِّي هذا القيدَ؛ فإنَّه لا يردُّك. قال: فلمَّا قدَّموا إليَّ الطعامَ، أبيتُ أن آكلَ، فاشتدَّ ذلك على صاحبي، فقال لي: ما لك؟ فقلت: لا آكلُ طعامًا إلاَّ بعد أن تهبَ لي جنايةَ هذا الغلام، وتحلَّ عنه قيده. فقال: يا هذا، إنَّ هذا الغلام قد أفقرني، وأهلَكَ جميعَ مالي، وأضرَّ بي وبعيالي. فقلتُ له: ما فعل؟ قال: إنَّ هذا الغلام له صوتٌ طيّب، وكنتُ أعيشُ من ظهرِ هذه الجمال، فحمَّلَهم[1] أحمالاً ثقيلةً، وحَدا لهم حتى قطعوا مسيرةَ ثلاثة أيام في ليلةٍ واحدةٍ من طيبِ نغمته في حدوه لهم، فلمَّا وافونا وحطُّوا أحمالهم ماتوا كلُّهم إلاَّ هذا الجمل الواحد، وأنت ضيفي، ولكرامتِك قد وهبتُهُ لك. قال: فحلَّ عنه قيدَهُ، وأكلنا الطعام، فلمَّا أَصبحنا أحببتُ أن أسمعَ صوتَه، قال: فسألتُهُ أن يُسمعني صوتَه، قال: فأمرَهُ أنْ يحدو على جملٍ كان يُسنى[2] عليه الماء من بئرٍ هناك، قال: فتقدَّمَ هذا الغلامُ، وجعل يسوقُ ذلك الجمل ويحدو، قال: فلمَّا رفعَ صوتَه، هام ذلك الجملُ، وقطعَ حباله، ووقعتُ أنا على وجهي،

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) يسنى عليه الماء: يُستقى عليه.

وما أظنُّ أنّي قطُّ سمعت صوتًا أطيبَ من صوته، وكان مولاه يصيحُ ويقول: يا رجلُ، أيشٍ تريدُ منّي؟ قد أفسدتَ عليَّ جملي، اذهبْ عنّي. حكاه الدّقي على هذا المعنى، أو كما قال، والله أعلم.

سمعتُ أحمد بنَ محمد الطّلي[١] بأنطاكية، يقول: سمعتُ أبي يقول: سمعتُ[٢] بشرًا يقول: سألتُ إسحاقَ بنَ إبراهيم الموصلي: من الحاذقُ في القول؟ يعني في الغناء، فقال: من تمكّنَ من أنفاسِه، وتفرّغ في إحباسه، ولطف في اختلاسه.

* * *



(١) في هامش الأصل: محمد الطلحي.

(٢) قوله: (أبي يقول: سمعت) ليس في (ع).

باب في السّماع واختلاف أقاويلهم في معناه

قال الشيخُ رحمه الله: بلغني أنَّه سُئل ذو النُّون رحمه الله عن السَّماعِ، فقال: واردُ حقٍّ يزعجُ القلوبَ إلى الحقِّ، فمن أصغى إليه بحقٍّ تحقَّقَ، ومن أصغى إليه بنفسٍ تزندق.

وعن أحمد بن أبي الحَواري رحمه الله أنه قال: سألتُ أبا سُليمان الدَّاراني رحمه الله عن السَّماع واستماعِ القصائد[١] التي تُنشد بالألحان، فقال: من اثنين أحبُّ إليَّ منه من واحدٍ.

وسُئل أبو يعقوب النَّهرجوري رحمه الله عن السَّماع، فقال: حالٌ يُبدي الرجوعَ إلى الأسرار من حيث الاحتراق.

وقال بعضهم[٢]: السماعُ لطفٌ، غذاءُ الأرواح لأهل المعرفة؛ لأنَّه وصفٌ يدقُّ ويرقُّ عن سائر الأعمال، ويُدْرَكُ برقَّةِ الطبعِ لرقَّته، ويُدركُ بصفاء السرِّ لصفائه ولطفه عند أهله.

[١٢٤] وعن أبي/ الحسين الدَّرَّاج أنَّه كان يقول: جالَ بي السَّماعُ في ميدانٍ من ميادين البها، فأوجدني في وجودِ الحقِّ عند العطا، فأسقاني بكأسِ الصفا، فأدركتُ به منازلَ الرِّضا، وأخرجني إلى رياض النُّزهة والفضا.

وسُئل الشِّبليُّ رحمه الله، كما بلغني، عن السَّماع، فقال: السماعُ ظاهرُهُ فتنةٌ، وباطنُهُ عبرةٌ، فمن عرفَ الإشارة حُلَّ له استماع العبرة، وإلاَّ فقد استدعى الفتنةَ، وتعرَّض للبلية.

وحُكي عن الجُنيد رحمه الله، أنه كان يقول: من سمعَ السماعَ يحتاجُ إلى ثلاثةِ أشياء، وإلاَّ فلا يسمع. قيل له: وما تلك الثلاثةُ؟

(١) في الأصل: واستماعه القصائد.
(٢) قوله: (وقال بعضهم) ليس في الأصل.

قال: الزمان، والمكان، والإخوان.

ويُقال: إنَّ كلَّ من لا يحبُّ السماع الطيب من الآدميين فلنقصٍ فيه، واشتغالٍ قد وردَ على خاطره، فأذهلَهُ.

وحُكي عن جعفرٍ، عن الجُنيد رحمه الله، أنه قال: تنزلُ الرَّحمةُ على الفقراء في ثلاثةِ مواطن: عند السَّماع؛ فإنَّهم لا يسمعون إلاَّ عن حقٍّ، ولا يقومون إلاَّ بوجدٍ[1]. [وعند مُجاراة العلم؛ فإنَّهم لا يتكلَّمون إلاَّ في أحوالِ الصدّيقين والأولياء؛ وعند أكلهم الطعام؛ فإنَّهم لا يأكلونَ إلاَّ عن فاقةٍ][2].

قال: وسُئل أبو علي الرُّوذباري رحمه الله عن السَّماع، فقال: ليتنا خلصْنا منه رأسًا برأسٍ.

وسُئل أبو الحسين النُّوري رحمه الله عن الصُّوفي، فقال: الصوفيُّ الذي سمع السماع، وآثر على الأسباب.

وسمعتُ أبا الطيب أحمد بن مُقاتل العكّي يقول: قالَ جعفر: كان أبو الحسين بن زيري من أصحابِ الجُنيد، وكان شَيخًا فاضلاً، فربَّما كان يحضرُ في موضعٍ يكون فيه السماع، فإنِ استطابه فرشَ إزارَه وجلسَ، وقال: الفقيرُ مع قلبه، أين ما وجدَ قلبَه جلس، وإن لم يستطبْ، قال: السَّماعُ لأرباب القلوب، وأخذ نعلَه وانصرف.

وسمعت الحُصْري رحمه الله يقول في بعض كلامه: أيشٍ أعملُ بالسماع؟ ينقطعُ إذا انقطعَ من يسمعُ منه، يَنبغي أن يكونَ سماعُك متصلاً غيرَ مُنقطعٍ.

وسُئل عن السَّماع فقال: ينبغي أن يكونَ ظمأٌ دائم، وشرابٌ دائم، فكلَّما ازدادَ شربُهُ ازدادَ ظمؤه.

* * *

(١) في (ن) و(ع): إلا عن وجد.

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من (ن) و(ع).

باب في وصف سماع العامة وإباحة ذلك لهم إذا سمعوا ذكرَ الترغيب والترهيب بالأصوات الطيبة ويحثّهم ذلك على طلب الآخرة

قال بُندار بنُ الحسين رحمه الله: كلُّ مَنْ لم يحبَّ السماعَ الطيِّبَ من الآدميين فلنقصٍ في حاسَّتِهِ، لأنَّ كلَّ تَمتُّعٍ يتمتَّعُ به الإنسان فيه تكلُّفٌ، وإن كان من المُباحات إلاَّ السماع؛ فإنَّه ـ إذا خَلصَ من المقاصدِ الفاسدة ـ إباحةٌ لا تحتاجُ إلى التَّكلُّفِ، وكلُّ من سمعَ السَّماعَ من طريقِ الطيبةِ والتلذُّذِ بالنغمة واستحسان الصوت فليسَ ذلك مُحرَّمًا عليهم ولا محظورًا، إن لم يكن قصدُهم في ذلك الفسادَ والمُخالفةَ، واللهوَ وتركَ الحدود، إن شاء الله تعالى.

١ ـ فصل: قال الشيخ رحمه الله: وممّا يُستدلُّ بذلك على إباحة السَّماعِ قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصّلت: ٥٣].

وما أرانا اللهُ في أنفسنا، وأبصرنا ذلك في الحواسِّ الخمس التي قد يُميِّزُ بها بين الشيءِ وضدِّه، كالعين تُميِّزُ بالنظر بين الحسنِ والقبيح، والأنفِ يُميِّزُ بين الرائحة الطيبة[1] والمنتنة، والفم يُميِّزُ بالذوقِ بين الحلاوةِ والمرارة، واليد تميِّزُ باللَّمس بين اللين والخشن، وكذلك الأذنُ تميِّزُ بين الأصوات الطيبة وغير الطيبة والمُنكرة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] ففي مذمَّتِهِ للأصوات المنكرةِ محمدةٌ للأصواتِ الحسنة، ولا يُميِّزُ بينهما إلاَّ بالسماع ـ وهو الإصغاءُ ـ والاستماعِ بحضور القلب، وإدراكِ الفهمِ، وإزالةِ الوهم.

(١) في الأصل: بين الشجرتين الرائحة الطيبة.

٢ـ فصل آخر: قال الشيخ رحمه الله: وذلك أنَّ الله تعالى وصفَ ما أعدَّ لأهلِ الجنة من النعيم، فذكرَ ما ذكر في كتابِهِ من السِّدرِ المخضود، والطَّلح المنضود، والفاكهةِ الكثيرة؛ وذكرَ لحمَ الطير، والحورَ العين، والسندسَ، والإستبرق، والرَّحيقَ المختوم، والأرائكَ، والقصور، والغُرفَ، والأشجار، والأنهار، وغير ذلك، وذكر/ أنهم: ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [١٢٥] [الروم:١٥]، قال مُجاهد: وهو السَّماعُ الذي يَسمعون في الجنّة بأصواتٍ شجيَّةٍ، ونغماتٍ شهيةٍ من الجواري الحسان، والحور العين، يقلنَ بأصواتهن: «نحن الخالداتُ فلا نموتُ أبدًا، ونحن الناعماتُ فلا نبأس أبدًا»، كما جاء في الحديث(١).

وقد ذكرَ اللهُ تعالى، تحريمَ الخمر من جميع ذلك، فقال النبيُّ ﷺ: «مَنْ شربَها في الدنيا لم يشربْها في الآخرة، إلاَّ أن يتوبَ»(٢).

فقد دخلَ السَّماعُ في جملةِ ما أباح الله تعالى للمؤمنين في الدُّنيا من جميعِ ما ذكرَ من نعيمِ أهلِ الجنة، وصارَ الخمرُ مَخصوصًا من جميع ذلك بالتحريم بنصِّ الكتابِ والأثر، وظاهرِ الخبر.

٣ـ فصل آخر: وهو أن النبيَّ ﷺ دخلَ بيتَ عائشة رضي الله عنها، فوجدَ فيه جاريتين تُغنّيان وتضربان بالدُّفِّ، فلم يَنْهَهُما عن ذلك، وقال لعمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه حين غضبَ، وقال: أمزمارُ الشَّيطانِ في بيت رسول الله؟ فقال: «دعْهما يا عمر، فإنَّ لكلِّ قومٍ عيدًا»(٣).

---

(١) رواه أحمد في المسند١/ ١٥٦، والترمذي (٢٥٦٤). وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٢٠٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٩٢٥)، ومسلم (٨٩٢). والمذكور في الحديث هو أبوبكر الصديق رضي الله عنه لاعمر كما ذكر المصنف.

جاء في هامش الأصل: قف: قوله عليه السلام: «دعهمايا عمر»... يا أبا بكر: فإنّ هذا منسوخ، كان غزوة الفتح... هالة بنت خولة عليها السلام وأصحابه بمكة. فقال لهم «بعثت بتكسير الدُّفِّ والمزمار». فصارت الصحابةُ رضي الله عنهم يأخذون الدفوف والمزامير من أيدي الصبيان ويكسرونها. هذا هو الحقّ الذي مشى عليه العارف بالله ابن=

ولو كان محظورًا لكان سواءً في العيدِ وغير العيد، والأخبارُ في مثلِ ذلك تكثرُ.

(*) ومثلُ ما رُوي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين دخلَ على عائشةَ رضي الله عنها، وقد وعكَ، وكان يقول:

كلُّ امرىءٍ مُصبَّحٌ في أهلِهِ والموتُ أدنى من شِراك نعلِهِ[(١)]

(*) ومثلُ بلال: كان يرفعُ حَنجرتَهُ إذا اشتدَّ به الوعكُ، ويقول:

ألا ليتَ شِعري هَلْ أَبيتنَّ ليلةً بوادٍ وحَوْلي إذْخِرٌ وجَليلُ
وهل أَرِدَنْ يومًا مياهَ مَجنَّةٍ وهَلْ يَبدوَنْ لي شامةٌ وطَفيلُ[(٢)]

(*) وكذلك عائشة رضي الله عنها كانت تقولُ شعرَ لَبيد:

ذهبَ الذينَ يُعاشُ في أكنافِهِم وبقيتُ في خَلْفٍ كجلدِ الأَجْرَبِ

ثم قالت: رحمةُ الله على لبيد، كيف لو أدركَ زمانَنا هذا؟![(٣)]

وقد أنشدَ الشّعرَ جماعةُ أصحابِ رسول الله ﷺ وذكرُهُ يطولُ.

(*) أنشدني أبو عبد الله الحسين بن خالويه النحوي، قال: أنشدني ابنُ الأنباري بإنشادٍ رفعه، قال: أنشد كعب بن زهير بين يدي رسول الله ﷺ هذه الأبيات[(٤)]:

= أبي جمرة، لإن إقراره عليه السلام الجاريتان [هكذا] كان ذلك الوقت فعلهما وغناؤهما مباح [هكذا] وكان الخمر مباح والغناء وغيره، ثم حرم ونسخ، والمنسوخ لا يحتجُّ به. انتهى.

(١) ديوان أبي بكر الصدّيق. (٥٢) وفي البيان والتبيين ١٨٢ من غير عزو. وفي اللسان (صبح).

(٢) البيتان لبلال، انظر أمالي القالي ١/ ٢٤٦، العقد الفريد٥/ ٢٨٢.

(٣) رواه البخاري في تاريخه الصغير ١/ ٥٦(٢١٠) والبيت في ديوان لبيد بن ربيعة، ص١٥٧.

(٤) قال العراقي: وهذه قصيدة قد رويناها من طرق لا يصحُّ منها شيء، وذكرها ابن إسحاق بسند منقطع، وعلى تقدير ثبوت هذه القصيدة عن كعب وإنشاته بين يديّ رسول الله ﷺ =

بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ مَتبولُ ... مُتيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكبولُ
وما سعادُ غداةَ البينِ إذ ظَعَنوا ... إلاَّ أغنُّ غَضيضُ الطَّرفِ مكحولُ
شُجَّتْ بذي شَبَمٍ من ماءِ مَحْنيةٍ ... صافٍ بأَبْطَحَ أضحى وهو مَشمولُ[1]
تَنْفي الرِّياحُ القَذى عنه، وأَفْرَطَهُ ... مِنْ صوبِ ساريةٍ بيضٌ يَعاليلُ
أَكرِمْ بها خُلَّةً لو أنَّها صدقَتْ ... مَوْعودَها، أو لو انَّ النُّصحَ مَقبولُ
لكنَّها خُلَّةٌ قد سِيطَ من دمِها ... فَجْعٌ ووَلْعٌ وإعراضٌ وتبديلُ
كانَتْ مَواعيدُ عُرقُوبٍ لها مَثلاً ... وما مواعيدُهُ إلاَّ الأَباطيلُ
أَرجو وآمُلُ أَنْ يَعْجَلْنَ في أَبَدٍ ... وما لهنَّ إدخالَ الدَّهرِ تَعجيلُ
ولا تَمسَّكُ بالوصلِ الذي زَعَمَتْ ... إلاَّ كما تُمْسِكُ الماءَ الغَرابيلُ
فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ وما وعدت ... إنَّ الأمانيَّ والأَحلامَ تَضليلُ
أَمْسَتْ سُعادُ بأرضٍ لن يُبَلِّغَها ... إلاَّ العِتاقُ النَّجيباتُ المَراسيلُ
ولن يُبَلِّغَها إلاَّ عُذافِرةٌ ... فيها على الأَينِ إرقالٌ وتَبْغيلُ
ضخمٌ مُقلَّدُها فعمٌ مُقيَّدُها ... في خَلْقِها عن بناتِ الفَحْلِ تَفضيلُ
حَرْفٌ أَخوها أبوها من مُهَجَّنةٍ ... وعمُّها خالُها قَوداءُ شِمْليلُ

وقد روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ من الشِّعرِ لحكمة»[2].

وقد قيل: إنَّ الحكمةَ ضالَّةُ المؤمن[3].

ولما صحَّ جوازُ الإنشادِ للشعر، فسواءٌ كان إنشادُهُ بالنَّغمةِ الطيبة

= فليس فيها مدح الخمر، وإنما فيه مدح ريقها، وتشبيهه بالراح. تحفة الأحوذي ٢/ ٢٣٣. وهي في شرح ديوانه صنعة السكري صفحة (٦).

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: وهو مشهول.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٢٥، والبخاري في صحيحه (٦١٤٥)، وأبو داود (٥٠١٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٨٧) عن أبي هريرة، والحديث ضعيف جدًا، وجاء بلفظ «إن الحكمة...» قال العجلوني في كشف الخفا ١/ ٤٣٥ (١١٥٩): قال في المقاصد: رواه القضاعي مرسلاً عن زيد بن أسلم.

والصوت الحسن، أو يكون إنشاده بالحدو، والحَدْر، والنَّصْب، والرَّمَل، [١٢٦] والرَّجزَ، إذا لم يكن لذلك مقاصدُ فاسدة، وإرادةٌ باطلة، ومجاوزةُ الحدُ/ ومخالفة ومعاندة، والله أعلم.

٤ـ **فصل آخر**: قال الشيخ رحمه الله: وقد رُخّصَ في السماع، واستجازه جماعةٌ من أئمة العلماء والفقهاء، منهم مالك بنُ أنس. ذُكر عنه أنّه سمعَ رجلاً في وقتِ الهاجرة مُجتازًا بباب داره، وهو يُغنّي ويقول:

مـا بـالُ قـومِـكِ يـا رَبـابُ خُـزْرًا كـأنَّهُـمُ غِضـابُ[١]

قال: فقال له مالك: لقد أسأتَ التأديةَ، ومنعت القائلة. قال: فسألَهُ ذلك الرجل عن تأديته، فقال له: تريدُ أن تقولَ: أخذتُها من مالك بن أنس؟

والمشهورُ عنه وعن أهلِ المدينة أنّهم كانوا لا يكرهون ذلك.

وفي تجويزِ ذلك أخبارٌ عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، وعن عبدِ الله بن عمر رضي الله عنه، وعن غيرهما من الصحابة والتابعين.

وقد أجازَ الشّافعيُّ رحمة الله عليه أيضًا السماع والترنُّمَ بالشعر ما لم يكن فيه إسقاطُ المروءة.

وقد ذُكر عن ابنِ جُريج، مع جلالته، أنّه قال: ما كان سببُ قُدومي من اليمن ومقامي بمكّة إلاّ بيتين من الشعر سمعتُهما يومًا وهما:

بالله قُولي له من غيرِ مَعتبةٍ ماذا أردتَ بطُولِ المَكْثِ باليمن
إنْ كنتَ ألممتَ ذَنبًا أو هَممْتَ به فما وجدتَ بتركِ الحجِّ مِنْ ثمنِ[٢]

وقد ذُكر عن ابنِ جُريج أيضًا أنّه كان يرخّصُ في السماع، فقيل له: إذا أُتي بكَ يوم القيامة، ويُؤتى بحسناتك وسيئاتك، ففي أيِّ الجنبتين يكون

(١) البيت لعلس ذي جدن. الأغاني ٤/ ٢١٧.

(٢) البيتان لعمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٣٩٤ (دار الكتب العلمية). ورواية الشطر الأول من البيت الثاني: إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها.

سماعُك؟ قال ابنُ جريج: لا يكونُ في الحسناتِ ولا في السيئات، لأنَّه شبيهٌ باللغو، لا يدخلُ في الحسنات ولا في السيئات، قال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

قال الشيخ رحمه الله: فهذه فصولٌ مُختصرةٌ في إباحة السماع للعامة، إذا لم يصحبْهم في ذلك مقاصدُ فاسدة.

ودخولٌ في نهي رسول الله ﷺ سماع الأوتار والمزامير والمعازف والكُوبة[1] والطبل، لأنَّ ذلك سماعُ أهلِ الباطل، وهو المحظورُ المنهيُّ عنه بالأخبار الصحاح المروية عن رسول الله ﷺ.

* * *



(١) الكُوبة: الطبل الصغير المُخصَّر. القاموس.

باب في وصف سماع الخاصة وتفاضلهم في ذلك

سمعتُ أبا عمرو إسماعيلَ بنَ نُجيد، قال: سمعتُ أبا عثمان سعيد بن عثمان الرازي الواعظ، يقول: السماعُ على ثلاثةِ أوجهٍ:

فوجهٌ منها: للمُريدين والمُبتدئين، يستدعون بذلك الأحوالَ الشريفة، ويُخشى عليهم في ذلك الفتنة والمراءاة.

والوجه الثاني: للصدّيقين، يطلبون الزيادةَ في أحوالهم، ويسمعون من ذلك ما يوافق أحوالَهم وأوقاتهم.

والوجهُ الثالث: لأهل الاستقامة من العارفين، فهم لا يعترضون، ولا يتأبَّونَ على الله فيما يرد على قلوبهم في حين السماع من الحركة والسكون، أو كما قال.

(*) وحُكي عن أبي يعقوب إسحاق بن محمد بن أيوب النَّهْرَجوري أنَّه قال: أَهلُ السماعِ على ثلاث طبقات: فطبقةٌ منهم مُطَّرحٌ[1] بحكم الوقت في سكونه وحركته، وطبقةٌ منهم صامتٌ ساكنُ الصفة، وطبقة منهم مُتخبّطٌ عند ذوقه، فهو الضعيف منهم.

(*) وعن بُندار بن الحسين أنَّه قال: السَّماعُ على ثلاثة أوجهٍ: فمنهم من يَسمعُ بالطبع، ومنهم من يسمعُ بالحال، ومنهم من يسمع بالحقِّ.

قال الشيخ رحمه الله: فمن يسمعُ بطبعِهِ اشتركَ فيه الخاصُّ والعام، وكلُّ ذي روحٍ يستطيب الصوت الطيِّبَ لأنَّه من جنس الروح روحانيٌّ، وقد تقدَّم ذكر ذلك[2].

---

(١) في الأصل: يطرح.

(٢) انظر صفحة (٣٧٦).

ومن يسمعُ بحاله، فإنَّه يتأمَّلُ إذا سمعَ حتى يَرِدَ عليه معنًى من ذكر عتابٍ أو خطاب، أو ذكرِ وصلٍ أو هجر، أو قُربٍ أو بعدٍ، أو تأسُّفٍ على فائتٍ، أو تعطُّشٍ إلى ما هو آتٍ، أو ذكرِ طمعٍ أو يأس، أو بسطٍ أو استئناس، أو خوفِ الافتراق، أو وفاءٍ بالعهد، أو تصديقٍ بالوعد، أو نقضٍ للعهد، أو ذكر قلقٍ واشتياق، أو فرحِ الاتصال، أو ترحِ الانفصال، أو التحسُّرِ على ما لم ينل، أو القنوطِ على الذي أمل، أو ذكر صفاءِ المحبّة، أو التمكّنِ من المودّة، أو ذكر اعتراضِ الصبوة بعد تمكّنه من الحظوة، أو ذكر محافظةِ الرقيب عند ملاحظة الحبيب، أو تباريحِ الشجون وفنون الفتون، وإهمالِ الجفون، وسكوب العبرات، وتردد الزَّفرات، وتجددِ الحسرات، فإذا طرقَ سمعَهُ من ذلك حالٌ ممّا يوافق حاله/ فيكون كالقادحِ يقدحُ في سرّه على قدرِ صفاء [١٢٧] وقته، وقوّةِ قادحه، فتشتعل نارٌ ترمي بشررِها، فيبين ذلك على الجوارحِ، ويظهرُ على ظاهرِ صفاته التغييرُ والحركة، والاضطرابُ والتهيّجُ، فعلى قدرِ طاقته يضبط، وعلى قدرِ قوّةِ واردِهِ يعجزُ عن الضبط، فسبحانَ من يتولّى سياستَهُمْ وحفظهم، ولولا فضلُ الله عليهم ورحمتُهُ ورفقه بهم لطارتْ عقولُهم، وتلفتْ نفوسهم، وذهبتْ أرواحهم.

ومَنْ يَسمعُ بالحقّ ومن الحقّ فإنه لا يترسَّمُ بهذه الرسوم، ولا يتلفَّتُ إلى هذه الأحوال، ولا يشهدُ هذه الأفعال؛ لأنَّها وإن كانت شريفةً فهي ممزوجةٌ بحظوظِ البشرية، مرتبطةٌ بحدود الإنسانية، وهي منقّاة مع العلل، ولا يُؤمنُ عليها الزّلل، حتى يكونَ سماعُهُ بالله ولله ومن الله وإلى الله، وهم الذين وصلوا إلى الحقائق، وعَبروا الأحوال، وفَنوا عن الأفعالِ والأقوال، ووصلوا إلى محضِ الإخلاص، وصفاءِ التوحيد، فخمدَتْ بشريَّتُهم، وفنيتْ حظوظُهم، وبقيتْ حقوقُهم، فشهدوا مواردَ الحقِّ بالحقِّ بلا علّةٍ ولا حظٍّ للبشرية، ولا تنعّم الروحِ بالنعمة، فشهدوا من موارد السماع على أسرارهم إظهارَ حكمته، وآثارَ قدرته، وعجائبَ لطفه، وغرائب علمه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

(*) وقال بعضهم: أهلُ السماع في السماعِ على ثلاثة ضروب:

فضربٌ منهم أبناءُ الحقائق، وهم الذين يرجعونَ في سماعهم إلى مُخاطبة الحقّ لهم فيما يسمعون.

وضربٌ منهم يرجعون فيما يسمعون إلى مُخاطباتِ أحوالهم وأوقاتهم ومقاماتهم، وهم مُرتبطون بالعلم، ومطالبون بالصدق فيما يُشيرون إليه من ذلك.

والضربُ الثالث هم الفقراءُ المجرّدون، الذين قطعوا العلائق، ولم تتلوّثْ قلوبُهم بمحبّة الدنيا والاشتغال بالجمع والمنع، فهم يسمعون بطيبة قلوبهم، ويليقُ بهم السماعُ، وهم أقربُ الناسِ إلى السلامة، وأسلمُهم من الفتنة، والله أعلم.

* * *



باب في ذكر طبقات المستمعين

قال الشيخ رحمه الله: اختلفَ المستمعون في السَّماعِ على طبقات:

فطبقةٌ منهم: اختاروا سماع القرآن، ولم يَرَوْا غير ذلك، واحتجّوا بقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمّل: ٤].

وقوله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨].

وقوله: ﴿مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ. . .﴾ الآية [الحشر: ٢١].

وقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]، الآيات في ذلك تكثر.

واحتجّوا بقولِ النبيِّ ﷺ: «زيّنوا القرآن بأصواتِكم»[١].

وقول النبيِّ ﷺ لابنِ مسعود رضي الله عنه: «اقرأ»، فقال: أنا أقرأُ، وعليك أُنزل؟ قال: «أنا أُحبُّ أن أسمعَ من غيري»[٢].

وقول البراء: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأُ بـ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ فما رأيتُ أحسنَ من قراءته[٣].

---

(١) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (٣٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٨٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٦٩)، ومسلم (٤٦٤).

وقوله عليه الصَّلاةُ والسلام: «شيّبتني هُودٌ وأخواتُها»(١).

وقوله لأبي موسى: «لقد أُوتي مِزمارًا من مزامير آل داود»(٢).

وقوله حين سُئل: مَنْ أحسن قراءةً؟ قال: «من إذا قرأ رأيتَ أنَّه يَخشى الله تعالى»(٣).

وأن النبيَّ ﷺ مرَّ على عصابةٍ من أهل الصُّفَّة يسترُ بعضُهم بعضًا من العُري، وقارىء يقرأُ لهم.

وأنَّ النبيَّ ﷺ قرأ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] فصعق(٤).

وأنه قرأ ﷺ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] فبكى(٥).

وأنه عليه السلام كان إذا مرَّ بآيةِ رحمةٍ دعا واستبشَر، وإذا مرَّ بآية عذابٍ دعا واستعاذ(٦).

والأخبار في ذلك كثيرة، فمن اختار استماعَ القُرآنِ، فقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا خير في قراءة ليس/ فيها تدبُّرٌ»(٧). [١٢٨]

وقد ذكرَ اللهُ تعالى المُستمعين القرآنَ في مواضعَ من كتابه على وجهين:

---

(١) أخرجه أبو يعلى في المسند ٢/ ١٨٤(٨٨٠) والترمذي في الشمائل (٤١)، وانظر سنن الترمذي (٣٢٩٣) ومجمع الزوائد ٧/ ٣٧.

(٢) تقدم، انظر صفحة (٣٧٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط ٦/ ٢٨٣ (٦٢٠٥)، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٣١٧، وابن عدي في الكامل ٢/ ٦٩٣ (ترجمة حميد بن حماد).

(٤) انظر الحاشية (١) صفحة (٤١٥).

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٦) أخرجه مسلم(٧٧٢).

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٧٧ موقوفًا على علي بن طالب رضي الله عنه، وذكره الديلمي في مسند الفردوس بمأثور الخطاب. ١/ ١٣٥ موقوفًا أيضًا.

فوجهٌ منه: قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [محمد: ١٦] فهؤلاء كانوا يستمعونَ القرآن بآذانهم، ولم يحضروا بقلوبهم، فذمَّهم اللهُ عز وجل بذلك، وطبع على قلوبهم، وهم الذين قال اللهُ عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١].

والوجه الثاني: هم الذين وصفَهُم اللهُ عز وجل فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ...﴾ الآية [المائدة: ٨٣] فهؤلاء هم الذين[١] سمعوا القرآن، لأنَّهم حضروا بقلوبهم عند استماعهم القرآن، فمدحهم الله تعالى بذلك، ومثلُ ذلك في القرآن كثير.

ولو ذكرتُ ما يَدخلُ في هذا الباب ممَّن سمعَ القرآن فصعقَ وبكى، ومن ماتَ، ومن انفصلَ بعضُ أعضائه، ومَنْ غُشي عليه من الصحابة والتابعين وبعد التابعين إلى وقتنا هذا لطالَ به الكتاب، وخرج عن حدِّ الاختصار.

إن لو ذكرنا مثلَ زُرارة بن أوفى من الصحابة[٢]: أمَّ بالناسِ، فقرأَ آيةً من كتاب الله، فصعقَ وماتَ[٣].

ومثل أبي جهير من التابعين قرأ عليه صالحُ المرّيُّ، فشهِقَ وماتَ.

(*) وقد حُكي عن الشِّبلي رحمه الله أنَّه سأله أبو علي المغازلي رحمه الله، فقال: رُبَّما تطرقُ سمعي آيةٌ من كتاب الله، فتحدوني[٤] على تركِ الأشياء، والإعراضِ عن الدنيا، ثم أرجعُ إلى أحوالي وإلى الناس، ثم

---

(١) في الأصل: فهؤلاء الذين.

(٢) قال ابن حجر في الإصابة ٢/٥٥٩: أما زراة بن أوفى قاضي البصرة فهو تابعيٌّ معروف ثقة.

(٣) أخرجه الترمذي (٤٤٥م) والآية التي قرأها: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۞ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨].

(٤) في (ن) و(ع): فتحذرني على ترك.

لا أبقى على هذا، وأدفع إلى الوطن الأولى[١]، فقال: ما طرق[٢] مسامعَكَ من القرآن فاجتذبك به إليه فذاك عطفٌ منه بك، وما رددْتَ إلى نفسِك فهو شفقةٌ منه عليك، لأنه لم يصحَّ لك التبرّي من الحول والقوّةِ في التوجُّهِ إليه.

(*) وقد حُكي عن أحمد بن أبي الحواري عن أبي سُليمان الدَّاراني رحمهما الله أنَّه قال: ربَّما أبقى في الآية خمسَ ليالٍ، ولولا أني أتركُ الفكرَ فيها ما جزتها أبدًا، وربَّما جاءتِ الآيةُ من القرآن فيطيرُ فيها العقلُ، فسبحان الذي يردُّهُ بعد ذلك.

(*) وقد حُكي عن الجُنيد رحمه الله أنه قال: دخلتُ على سريٍّ السَّقطيِّ رحمه الله فرأيت بين يديه رجلاً قد غُشي عليه، فقال لي: هذا رجلٌ سمع آيةً من كتاب الله عز وجل، فغُشي عليه. فقلتُ: اقرأ عليه هذه الآية التي قرئتْ عليه. فقرأ، فأفاقَ، فقال لي: من أين لك هذا؟ فقلتُ: رأيتُ يعقوبَ عليه السلام كان عَمَاهُ من أجلِ مخلوقٍ، فبمخلوقٍ أبصر، ولو كان عماه من أجل الحقِّ ما أبصرَ بمخلوقٍ. فاستحسنَ منّي ذلك.

(*) وحُكي عن بعض الصوفية أنَّه قال: كنتُ أقرأ ليلةً هذه الآية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فجعلتُ أُرَدِّدُها، وإذا أنا بهاتفٍ يهتفُ: إلى كمْ تُرَدِّدُ هذه الآية؟! وقد قتلتَ أربعةً من الجِّن لم يرفعوا رؤوسَهم إلى السماء منذ خلقوا.

(*) سمعتُ أبا الطيب أحمد بنَ مُقاتل العكّي يقول: كنتُ مع الشبليِّ رحمه الله في مسجدٍ ليلةً في شهر رمضان، وهو يُصلّي خلفَ إمام له، وأنا بجنبهِ، فقرأ الإمام هذه الآية: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ...﴾ الآيةَ [الإسراء: ٨٦]، فزعق زعقةً، قلتُ: قد طارتْ روحُهُ، ورأيته قد اخضرَّ وهو يرتعد، وكان يقولُ: بمثل هذا تُخاطبُ الأحباب!؟ يرددُ ذلك مِرارًا.

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: إلى الوقت الأولى.

(٢) في الأصل: فطال ما طرق.

فمن اختارَ سماع القرآنِ اختارَهُ لما ذكرنا من هذه الآيات، والأخبار.

والمعوّلُ عند استماع القرآنِ حضورُ القلب، والتدبُّرُ والتفكّرُ والتذكّر وعلى ما يصادقُ قلبُه عليه من قراءته، فيكون الغالبُ على وقته في وقتِ استماعه القرآن، فإذا لم تكن له حالٌ، ولم يكن في قلبه وجدٌ يطرقُهُ ما سمع من القرآن ويوافقهُ ويُزعجُه فمثله ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ...﴾ الآية [البقرة: ١٧١].

* * *



باب ذكر من اختار سماع القصائد والأبيات الشعر

قال الشيخ رحمه الله: فأمّا الطبقةُ التي اختارتِ السَّماع؛ سماع القصائد، وهذه الأبيات من الشعر، فحُجَّتهُم من الظاهر في ذلك قولُ النبيِّ ﷺ: «إن من الشعر لحكمة»، وقوله: «الحكمة ضالة المؤمن»[1].

[١٢٩] وزعمت هذه/ الطائفة: أنَّ القرآنَ كلامُ الله، وكلامُهُ صفتُهُ، وهو حقٌّ لا يطيقُهُ البشرُ إذا بدا، لأنَّه غيرُ مخلوقٍ، لا تُطيقُه الصفاتُ المخلوقة، ولا يجوزُ أن يكونَ بعضُه أحسنَ من بعضٍ، ولا يُزيَّنُ بالنغمات المخلوقة؛ بل به تُزيَّنُ الأشياءُ، وهو أحسنُ الأشياء، ومع حَسنِه لا تُستحسنُ المُستحسنات، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]. وقال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ...﴾ الآية[الحشر: ٢١]، فكذلك لو أنزله اللهُ تعالى على القلوب بحقائقِهِ، وكُشفتْ للقلوب ذرَّةٌ من التعظيم والهيبة عند تلاوته لتصدَّعتْ وذهلتْ، ودهشتْ وتحيَّرت.

ولما رأوا في المتعارف بين الخلق أنَّ أحدَهمُ ربَّما يختمُ القرآنَ ختماتٍ ولا يجدُ رقَّةً في قلبه عند التلاوة، فإذا كان مع القراءة صوتٌ حسنٌ، أو نغمةٌ طيبةٌ شجية وجدَ الرقَّة، وتلذَّذَ بالاستماع، ثم إنّه إذا كان ذلك الصوتُ الحسنُ والنَّغمةُ الطيبة على شيءٍ غيرِ القرآن أيضًا فوجدَ تلك الرِّقةَ وذاك التلذُّذَ والتنعّم، علموا أن الذي هو ذا يظنُّون من الرِّقة والصفاء والتلذُّذ والوجد أنَّه من القرآن، لو كان كذلك لكانَ في حين التلاوة ووقت القراءة غير منقطعٍ منهم على الدوام.

والنغماتُ الطّيبةُ موافقةٌ للطبائع، ونسبتُهُ نسبةُ الحظوظ لا نسبة الحقوق، والقرآنُ كلامُ الله، ونسبتُهُ نسبةُ الحقوقِ لا نسبة الحظوظ، وهذه الأبيات

---

(١) تقدم الحديثان مع تخريجهما، انظر صفحة (٣٧٩).

والقصائد والأشعارُ أيضًا نسبتُها نسبةُ الحظوظِ لا نسبةُ الحقوقِ.

وهذا السماع وإن كان أهلُهُ مُتفاوتين في درجاتهم وتخصيصهم فإنَّ فيه موافقةً للطبع، وحظًّا للنفس، وَتنعُّما للروح، لتَشاكُلِه بتلك اللطيفة التي جُعلتْ في الأصوات الحسنة، والنغمات الطيبة، وكذلك الأَشعارُ فيها معانٍ دقيقةٌ، ورِقَّةٌ وفصاحةٌ ولطافةٌ وإشارات، فإذا غلبتْ[1] هذه الأصواتُ والنغمات على هذه القصائدِ والأبيات يشاكلُ بعضُها بعضًا بموافقتها ومُجانستها، ويكون أقربَ إلى الحظوظ، وأخفَّ مَحملاً على السرائر والقلوب، وأقلَّ خطرًا لتشاكل المخلوق بالمخلوق.

فمن اختارَ استماعَ القصائد على استماعِ القرآن اختارَ لحُرمةِ القرآن، وتعظيمِ ما فيه من الخطر؛ لأنَّه حقٌّ، والنفوسُ تَخنسُ عندها، وتموت عن حركتها، وتَفنى عن حظوظها وتنعّمها إذا أشرقتْ عليها أنوارُ الحقوق بتشعشعها، وأَبدتْ بها عن معانيها، فقالوا: ما دامت البشريةُ باقيةً ونحن بصفاتِنا وحظوظنا وأرواحنا مُتنعِّمة بالنغمات الشجية، والأصواتِ الطَّيِّبة، فانبساطنا بمشاهدةِ بقاءِ هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا بذلك إلى كلامِ الله عز وجل الذي هو صفتُهُ وكلامُهُ الذي منه بدا وإليه يعود.

وقد كرهَ جماعةٌ من العلماءِ القراءَة بالتَّطريبِ، ووضعُ الألحان الموضوعةِ على القرآن غيرُ جائزٍ عندهم، قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمّل: ٤]، وإنمَّا فعلَ من فعلَ ذلك لأن الطبائعَ البشريةَ مُتنافرةٌ عن سماع القرآن وتلاوته؛ لأنَّه حقٌّ، فعلَّلوا على تلاوتهم[2] هذه الأصوات المصوغة ليجتذبوا بذلك طبائع العامة إلى الاستماع، ولو كانت القلوبُ حاضرةً، والأوقات معمورةً، والأسرارُ طاهرةً، والنفوس مؤدَّبةً، وطبائعُ البشرية مُنخنسةً، لما احتيجَ إلى ذلك، وبالله التوفيق.

* * *

---

(١) في (ن) و(ع): فإذا عُلِّقت هذه.

(٢) في (ن) و(ع): فعلّقوا.

باب في وصف سماع المريدين والمبتدئين

قال الشيخ رحمه الله: سمعت أبا عمرو عبد الواحد بن علوان بالرّحبة [رحبة مالك بن طوق][١]، قال: كان شابٌ يصحب الجُنيد رحمه الله، فكان إذا سمع شيئًا من الذكر يزعَقُ، فقال له الجُنيد يومًا: إن فعلت ذلك مرّةً أُخرى لم تصحبني. قال: فربما كان يتكلّمُ الجُنيد رحمه الله في شيءٍ من العلم، فيتغيّرُ، ويضبطُ عند ذلك نفسَهُ حتّى يقطرَ عن كلِّ شعرةٍ من بدنه قطرةٌ من الماء. وحكى لي أبو عمرة: أنه صاح يومًا من الأيام صيحةً، فانشقّ وتلفتْ نفسُه.

(*) ورأيتُ أبا الحسين السيرواني صاحب الخوّاص بدمياط، وكان يحكي عن الجُنيد رحمه الله قال: رأيتُ رجلاً قد سمعَ السماعَ حتى تفسّخَ، ورأيتُ رجلاً سمع الذكر حتّى مات، أو كما قال.

(*) وسمعتُ الدُّقيّ يقول: سمعت الدرّاج يقول: كنتُ أنا وابن الفُوطيّ
[١٣٠] مارّيْنِ على/ الدجلة بين البصرة والأُبُلَّةِ، وإذا بقصرٍ حسنٍ، له منظرٌ، وعليه رجلٌ بين يديه جاريةٌ تغنّي وتقول:

كــلَّ يــومٍ تَتلــوّن غيرُ هـذا بـكَ أَجمـلْ[٢]
فــي سبيــلِ اللهِ ودٌّ كـانَ منّي لـكَ يُبـذلْ[٣]

قال: وإذا شابٌ تحت المنظرِ، بيده ركوةٌ، وعليه مرقعةٌ يتسمّعُ، فقال:

---

(١) رحبة مالك: أحدثها مالك بن طوق التغلبي في خلافة المأمون، وهي بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات. انظر معجم البلدان. وما بين معقوفين مستدرك من (ن) و(ع).
(٢) سيرد البيت ثانية صفحة (٤٩٣).
(٣) في الأصل: وكان مثلي، وجاء في الهامش: وفي نسخة: كان لي منك يبذل.

ياجارية، بالله وبحياة مولاك إلاَّ أعدتِ عليَّ هذا البيت. قال: فأقبلتِ الجاريةُ عليه وهي تقول هذا البيت:

كلَّ يومٍ تتلوّن ... غيرُ هذا بكَ أجملْ

وكان الشابُّ يقول: هذا واللهِ تَلوُّني مع الحقِّ[1] في حالي. قال: فشهقَ شهقةً، وخمد[2]، فتأمَّلناه فإذا هو ميت، قال: فقلنا: قد استقبلنا فرضٌ. فوقفنا، فقال صاحب القصر للجارية: أنت حرَّةٌ لوجه الله تعالى. قال: ثم خرج أهل البصرة وصلُّوا عليه، فلمَّا فرغوا من دفنه قامَ صاحبُ القصر، وقال: أليس تعرفوني؟ أنا فلان ابن فلان أُشهدُكم أنَّ كلَّ شيءٍ لي في سبيل الله تعالى، وكلَّ جواريَّ أحرارٌ، وهذا القصرُ للسبيل. قال: ثم رمى بثيابه، واتَّزر بإزار، وارتدى بالآخر، ومرّ على وجهه والناسُ ينظرون إليه حتّى غاب عن أعينهم، وهم يَبكون، فما رآه أحدٌ بعد ذلك، ولا سُمِعَ له خبرٌ، وما رأيتُ يومًا أحسن من ذلك اليوم، أو كلامًا هذا معناه، والله أعلم.

(*) قال: وسمعتُ الوجيهي يقول: سمعت أبا علي الرُّوذباري يقولُ: دخلتُ مصرَ فرأيتُ الناس مُجتمعين أو منصرفين من الصحراء، فسألتهم، فقالوا: كنا في جنازةِ فتًى سمع قائلاً يقول:

كَبُرَتْ همَّةُ عَبْدِ ... طَمعتْ في أن تَراكا[3]

وزعقَ زعقةً ومات.

(*) وممّا حكى الدُّقي قال: سمعتُ أبا عبد الله بن الجلاَّء يقولُ: رأيتُ بالمغربِ شيئينِ عَجيبينِ، رأيتُ في جامعِ قيروان رجلاً يتخطّى الصُّفوفَ، ويسألُ الناس، ويقول: أيُّها الناسُ، تصدَّقوا عليَّ، فإنّي كنتُ رجلاً صُوفيًا

---

(١) في الأصل: مع الحال في حالي.

(٢) في (ن): و(ع): شهقة وحمَدَ.

(٣) البيت لإبراهيم بن العباس الصولي، معجم الأدباء ١/ ٨٣ (دار الغرب) وفيه: بعدت همة عين...

فضعفتُ، والآخر أنّي رأيتُ شيخين، اسمُ أحدِهما جبلة والآخر زريق، ولكلِّ واحدٍ منهما تلامذةٌ ومُريدون، فزارَ يومًا من الأيام جبلةَ زريقٌ مع أصحابه، فقرأَ رجلٌ من أصحاب زريقٍ شيئًا من القرآن، فصاحَ من أصحاب جبلةَ رجلٌ صيحةً، فماتَ، فلمَّا كان غداة يومئذٍ قال جبلةُ لزريق: أين صاحبُكَ الذي قرأ بالأمس؟ فدعاه، وقال له: اقرأ. فقرأَ شيئًا، فصاحَ جبلةُ صيحةً، فمات القارىءُ في مكانه، فقال: واحدٌ بواحدٍ والبادىء أظلم. أو كلامًا هذا معناه.

(*) وحكى محمد بنُ يعقوب عن جعفر المبرقع، وكان من الأَجلَّةِ، أنَّه حضرَ في موضعٍ فيه سماع، فقامَ وتواجدَ، وقال في قيامه: خُتم بنا المريدون.

قال الشيخُ رحمه الله: ولا يصحُّ السماعُ للمُريد حتى يعرفَ أسماءَ الله تعالى وصفاته؛ حتَّى يضيفَ إلى الله ما هو أَولى به، ولا يكون قلبُه ملوَّثًا بحبِّ الدُّنيا وحبِّ الثناء والمَحمدة، ولا يكون في قلبه طمعٌ في الناس ولا تَشوُّفٌ إلى المخلوقين، مُراعيًا لقلبه، حافظًا لحدودهِ، مُتعاهدًا لوقته، فإذا كان كذلك يسمعُ ما يكونُ داخلاً في صفة التائبين والقاصدين والطالبين والمنيبين والخاشعين والخائفين، ويسمعُ ما يحثُّهُ على المُعاملة والمجاهدة، ولا يسمعُ على الجملةِ، ولا يتكلَّف، ولا يسمعُ للاستطابة والتلذُّذِ؛ لكيلا يصيرَ عادتَهُ، فيشغله عن عبادتِهِ ورعاية قلبه، فإنْ لم يكن كذلك يجبُ عليه تركُ ذلك، والاجتنابُ والتباعدُ عن المواضع التي يحضرُ فيها ذلك، ولا يحضر السماعَ إلاَّ في مواضعَ يَجري ذكرُ ما يحثُّه على المعاملة، ويجدّدُ عليه ذكرَ الله تعالى، والثناء على الله، وما فيه رضا الله.

وإنْ كان مُبتدئًا لا يعلمُ شرائطَ السَّماعِ، فيقصدُ مَنْ يعلمُ ذلك من المشايخ حتَّى يتعلَّمَ منه ذلك، حتَّى لا يكونَ سماعُهُ لهوًا ولعبًا، ولا يَضيفُ إلى الله تعالى ما هو مُنزَّهٌ عنه، فيكفرُ ولا يدري، ولا تدعوه نفسُهُ وهواه إلى

اتِّباعِ الحظوظِ، ويُخيَّلُ إليه الهوى والشيطانُ أنَّه من الحقوق، فيهلك عند ذلكَ، والله وليّ التوفيق(١).

* * *



(١) جاء في هامش الأصل: في الأصل: سمع من. . . . جماعةٌ على أبي بكر الكوفاني. . . . الحافظ الفراوي، منهم. . . . الشافعي وابناه. . . . والطبيب، ومحمد بن. . . . سنة خمسٍ وستين وأربعمئة، وهذا المجلس لم يكن فيه. . . . في الأصل: لهذا المجلس في هذه الطبقة عليه كما شا. . . . . وانظر الحاشية (٢) صفحة (٧٣).

باب في وصف المشايخ في السّماع وهم المتوسطون العارفون

قال الشيخُ رحمه الله: سمعتُ الوجيهيَّ يقول: سمعتُ القلانسي الرازي[١]/ يقول: دخلتُ على إسرافيلَ أستاذِ ذي النُّون رحمهما الله، وهو [١٣١]
جالسٌ ينكتُ بأُصبعه على الأرض، ويترنَّمُ مع نفسِهِ بشيءٍ، فلَّما رآني قال: أَتُحسنُ تقول شيئًا؟ قلت: لا. قال: أنتَ بلا قلبٍ.

(*) سمعتُ أبا الحسين[٢] عليَّ بنَ محمد الصَّيرفي قال: سمعتُ رُويمًا، وقد سُئل عن المشايخ الذين لَقيهم: كيف كان يَجدُهم في وقتِ السماع؟ فقال: مثلَ قطيعِ الغنم، إذا وقعَ في وَسْطه الذئاب.

(*) قال: وسمعتُ قيسَ بنَ عمر الحِمصي يقول: وردَ علينا أبو القاسم بن مروان النهَّاوندي[٣]، وكان قد صحبَ أبا سعيد الخرّاز رحمه الله، وكان قد تركَ الحضور عند السماع سنينَ كثيرة، فحضرَ معنا في دعوةٍ فيها إنسانٌ يقول أبياتًا فيها هذا البيت:

واقـفٌ فـي المـاءِ عَطْشَـا نَ ولكـنْ ليـسَ يُسقـى[٤]

قال: فكان أصحابُنا يَقومون ويَتواجدون، فلّما سكتوا سألَ كلَّ واحدٍ منهم عن معنى ما وقعَ له في هذا البيت. فكان أكثرُهم يقولون على معنى التعطُّشِ إلى الأحوال، وأن يكون العبدُ ممنوعًا عن الحالِ الذي يتعطَّشُ إليه، فكان لا يَقنعُهُ منهم ذلك، فسألناه، وقلنا: هاتِ ما عندك. فقال: يكونُ في

(١) في (ن) و(ع): الطيالسي الرازي
(٢) في (ن) و(ع): أبا الحسن.
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: مردان النهاوندي.
(٤) البيت في التذكرة الحمدونية ٦/ ٢٢٨ من غير نسبة.

وسطِ الأحوال، ويُكرمُ بجميعِ الكرامات، ولا يُعطه[١] اللهُ منه ذرَّةً، أو كما قال كلامًا هذا معناه، والله أعلم.

(*) وسمعت يحيى بنَ الرِّضا العلوي ببغداد يقول: وكتبَ لي هذه الحكاية بخطِّه، قال: سمع أبو حُلْمان الصُّوفي رجلاً يطوفُ ويُنادي: يا سعترا برّي، فسقطَ وغُشيَ عليه، فلمَّا أفاقَ، سُئل عن ذلك، وقال: سمعتُهُ يقول: اسعَ ترَ برّي.

قال الشيخُ رحمه الله: فلذلك[٢] قال المشايخُ الذين هم العلماءُ بهذا الشأن، وأهلُ الفهم بهذه القصة: إنَّ السماعَ على حسب ما يقرُّ في القلوب[٣] من حيث شغلِهِ ووقتِهِ وحضوره، ألا ترى أنَّ صوتَ الصائتِ حيث أدّي إلى أبي حُلْمان سمعَهُ من حيث وقتِهِ وشغله.

(*) وما يستدلُّ بذلك على ما قلناه، والله أعلم، حكايةٌ حُكَيتْ عن عُتبة الغلام رحمه الله أنَّه سمعَ رجلاً يقول:

سُبحـــانَ جبَّــارَ السَّمـــاءِ　　　إنَّ المُحِـبَّ لفـي عَنــاءِ[٤]

فقال عُتبة رحمه الله: صدقتَ. وسمعَهُ رجلٌ آخرُ فقال: كذبت. فقال بعضُ من هو عارفٌ بهذا الشأن: كلاهما أصابا، أمَّا عُتبة رحمه الله صَدَّقَهُ لوجودِ تعبه في محبَّتِهِ، وأمَّا الآخر فكذَّبَهُ لوجود راحته وأُنسه في محبته.

(*) وعن أحمدَ بنِ مُقاتل أنَّ ذا النُّون المصري رحمه الله دخلَ بغداد، فاجتمعَ إليه قومٌ من الصوفية، ومعهم قوَّالٌ، فاستأذنوه في أن يقولَ شيئًا، فأذنَ له في ذلك، فأنشأ يقول:

صَغيــرُ هَــواكَ عَــذَّبنــي　　　فكيــفَ بــه إذا احْتَنَكــا

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: ولا يعطيهم الله.

(٢) في (ن) و(ع): فكذلك قال.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: على حسب ما يَضرمُ القلوبَ.

(٤) البيت لأبي العتاهية في حبّه لعتبة جارية الخيزران أم هارون الرشيد الديوان ٤٧٤.

وأنتَ جَمعتَ في قلبي هوًى قد كان مُشْتَركا
أَمَا تَرثي لمُكتَئِبٍ إذا ضَحِكَ الخَليُّ بكى[١]

قال: فقامَ ذو النُّون رحمه الله، ثم سقطَ على وجهِهِ، ثم قامَ رجلٌ آخرُ، فقال ذو النُّون رحمه الله: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨] قال: فجلسَ ذلك الرجل.

قال الشيخ رحمه الله: والمعنى في قوله: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أشارَ إلى قيامه ومُزاحمته لغيرِهِ بالتكلُّف، فعرَّفَهُ بأنَّ الخصمَ في دعواك بقيامِك ليس غير الله، ولو كان الرجلُ صادقًا في قيامه لم يجلسْ، وذلك أنَّ المشايخَ منهم مشرفون على أحوالِ من هو دُونهم بفضلِ معرفتهم، ولا يجوزُ لهم أن يُسامحوهم إذا جاوزوا حدودَهُم وادَّعوا حالَ غيرهم.

(*) وعن أبي الحسين النُّوري رحمه الله أنَّه حضرَ مَجلسًا فيه سماعٌ، فسمع هذا البيت:

ما زِلتُ أنزلُ من ودادِكَ مَنزِلاً تَتَحيَرُ الألبابُ عند نُزولِهِ

قال: فقامَ وتواجدَ وهامَ على وجهه، فوقع في أَجمةِ قصبٍ قد كُسحتْ، وبقي أصولُها مثلَ السيف، فأقبلَ يمشي عليها، ويُعيدُ البيتَ إلى الغداة، والدَّمُ يخرج من رجليه، ثم ورمتْ قدماه وساقاه، وعاش بعد ذلك أيامًا قلائلَ، ومات[٢].

(*) وحُكي عن أبي سعيد الخرَّاز رحمه الله أنه قال: رأيتُ عليَّ بنَ الموفق، وكان من أجلّة/ المشايخ، وقد حضرَ في وقت السماع، وقد سمعَ [١٣٢] شيئًا، فقال: أقيموني. فأقاموه، وتَواجدَ، ثم قال في تواجده: أنا الشيخُ الزفَّان[٣].

---

(١) الأبيات لابن الزيات، تقدمت مع تخريجها صفحة (٢٦١).

(٢) تقدمت القصة صفحة (٢٩٧).

(٣) الزفان: الرقّاص.

قال أبو نصر رحمه الله: والمعنى في ذلك، والله أعلم، أنَّه يُريد أن يُعطي بذلك حاله على جلسائه وقرنائه، ويقول: أنا الشيخ الزفَّان، ومن حُسن أدبِهِ أنَّه يتكلَّمُ حتَّى يجتنبَ بذلك عن التَّساكنِ والذهاب، لأنَّه من أحوال المُريدين والمبتدئين.

(*) وحكى لي بعض إخواني عن أبي الحُسين الدَّرَّاج أنه قال: قصدتُ يوسف بنَ الحسين من بغداد للزيارة والسلام عليه، قال: فلمَّا دخلتُ الرَّيَّ سألتُ عن منزله، فكلُّ من أَسألُ عنه يقولُ: أيشٍ تعملُ بذلك الزِّنديق؟ فضَيّقوا صدري، حتى عزمتُ على الانصراف، فبتُّ تلك الليلة في بعض المساجد، فلمَّا أَصبحتُ قلتُ في نفسي: قد جبتُ هذا الطريقَ كلَّه، لا أقلَّ من أَنْ أراه، فلم أزلْ أسألُ عنه حتى دُفعتُ إلى مسجده، فدخلتُ عليه، وهو قاعدٌ في المحراب، وبين يديه رجلٌ، وبين يديه مصحفٌ[1]، وهو يقرأ، وإذا شيخٌ بهيٌّ، حسنُ الوجه واللحية، فدنوتُ إليه، وسلَّمْتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام، وقعدتُ بين يديه، فأقبلَ عليَّ، وقال لي: من أين أنت؟ قلتُ: من بغداد. فقال: وما الذي جاءَ بك؟ فقلتُ: قصدتَ الشيخَ للسلام عليه. فقال لي: لو أنَّ في بعض هذه البلدان قالَ لك إنسانٌ: تقيم عندنا حتى أشتري لك دارًا وجاريةً، أو كما قال، كان يقعدُك عن هذا المجيء؟ قال: فقلتُ: ما امتحنني اللهُ بشيءٍ من ذلك، ولو امتحنني ما كنتُ أَدري كيف أَكونُ. ثم قال: تحسنُ أنْ تقولَ شيئًا؟ فقلت: نعم. قال لي: هات. فابتدأتُ أقول:

رَأيتُكَ تَبني دَائبًا في قَطيعتي ولو كنتَ ذا حَزْمٍ لهدَّمْتَ ما تَبني
كأنِّي بكم واللَّيتُ أَفضلُ قولِكُم أَلا ليتَنا كُنَّا إذِ اللَّيتُ لا تُغني[2]

قال: فأطبقَ المُصحف، ولم يزلْ يبكي حتى ابتلَّ لحيتُهُ وثوبُهُ، حتى رحمتُهُ ممَّا بكى، ثم قال لي: يا بُنيَّ، تلومُ أَهلَ الرَّيِّ يقولون: يوسفُ

(١) في (ن) و(ع): وفي حجره مصحف.
(٢) البيتان للوليد بن يزيد، الأغاني ٧/ ٨ مع اختلاف في الرواية.

زنديق، من صلاةِ الغداة هو ذا أقرأُ في المصحف، لم تقطرْ من عيني قطرةٌ، وقد قامتْ عليَّ القيامةُ بهذين البيتين.

(*) قال: وكان الشِّبليُّ رحمه الله يتواجدُ كثيرًا، إذا سمعَ هذا البيت[١]:

ودادُكُـم هَجْـرٌ، وحُبُّكُـمُ قِلَـى ووصُلُكُم صَرْمٌ، وسِلْمُكُم حَرْبُ

(*) وقام الدُّقّيُّ ليلةَ إلى شطرِ الليل، وهو يتخبَّطُ، ويسقطُ على رأسِهِ ويقوم، والخلقُ يَبكون، والقوّالون يَقولون هذا البيت:

بـالله فـارْدُدْ فُـؤادَ مُكتئـبٍ ليسَ لـه مـن حَبيبِـهِ خَلَـفُ[٢]

وأشباهُ ذلك كثيرةٌ، ولا يَخفى على العاقلِ إذا تأمَّلَ في مقاصدِهم واختلافِ شربهم وأماكنهم في السماعِ، إذا تأمَّلَ في هذا القليل الذي ذكرتُ ويقفُ على مُرادي من ذلك إن شاءَ الله، وبالله التوفيق.

* * *



(١) البيت ينسب للعباس بن أحنف، الديوان صفحة (١٩)، وللشبلي صفحة (١٣٨)، وسيرد صفحة (٤٨٢).

(٢) ديوان خالد بن يزيد الكاتب (٢٠٩) وفيه: ليس له من فؤاده خلف.

باب في وصف خصوص الخصوص وأهل الكمال في السماع

قال الشيخ رحمه الله: سمعتُ أبا الحسن محمد بنَ أحمد بالبصرة، قال: سمعتُ أبي يقول: خدمتُ سهل بنَ عبد الله ستّين سنةً، فما رأيتُهُ تغيَّرَ عند شيءٍ كان يسمعُهُ من الذِّكر والقرآن، أو غيرِ ذلك، فلمّا كان في آخرِ عمرِهِ قرأَ رجلٌ بين يديه هذه الآية: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ . . .﴾ الآية [الحديد: ١٥]، فرأيتُهُ قد ارتعدَ، وكاد أن يسقطَ، فلمّا رجعَ إلى حالِ صحوه، سألتُهُ عن ذلك، فقال: نعم يا حبيبي، قد ضعفنا.

وسمعتُ ابنَ سالم يقول: قلتُ لسهل بن عبد الله رحمه الله كلامًا هذا معناه والله أعلم: إنَّ الذي ذكرتَ أنَّه ضعفتْ حالُك تعني تغيُّرَكَ واضطرابَك، فما الذي يُوجب قوّةَ الحال؟ فقال: لا يردُ عليه واردٌ إلاَّ وهو يبتلعه بقوّةِ حاله، فمن أجلِ ذلك لا تغيُّره الوارداتُ وإن كانت قوية[1].

(*) وحكى ابنُ سالم أيضًا عن أبيه أنه قال: رأيتُ سهلاً مرّةً أخرى، وكنتُ أُصلّي بين يديه بالنهار[2]، فقرأَ رجلٌ من تلامذته سورةَ الفرقان، قال: فلمّا بلغَ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] اضطربَ، وكادَ أن يسقطَ، قال: فسألته عن ذلك لأنَّه لم يكن عهدي به ذلك، فقال: قد ضعفتُ.

قال الشيخ رحمه الله: ولذلك أصلٌ في العلم، وهو قولُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين سمعَ رجلاً وهو يبكي عند قراءة القرآن. فقال:

---

(١) هذه الفقرة من قوله: (وسمعت ابن سالم يقول: قلت. . إلى: كانت قوية) ليست في (ن) ولا في (ع).

(٢) في (ن) و(ع): كنت أصطلي بين يديه بالنار.

هكذا كُنَّا حتَّى قستِ القلوبُ. يعني اشتدَّتْ وثبتت، فلا يتغيَّرُ إذا طرقَهُ ضربٌ من السماع؛ لأنَّ حاله قبل السماع وبعدهُ سواءٌ.

[١٣٣] ومعنى/ آخر: وذلك أن سهلَ بنَ عبد الله رحمه الله قد حُكي عنه أنَّه قال: حالي في الصلاة، وقبلَ الدخولِ في الصلاة شيءٌ واحد، وذلك أنَّه يُراعي قلبَه، ويُراقبُ اللهَ تعالى بسرِّه قبل دخوله في الصلاة، ثم يقومُ إلى الصلاة بحضورِ قلبه، وجمع همِّه، فيدخلُ في الصلاة بالمعنى الذي كان به قبل الصلاةِ، فيكونُ حالُه في الصلاة وقبلَ الصَّلاة واحدًا، وكذلك حالُهُ قبلَ السَّماعِ وبعده بمعنًى واحدٍ، فيكون سماعُهُ مُتَّصلاً، ووجدُهُ مُتَّصلاً، وشربُهُ دائمًا، وعطشُه دائمًا، وكلَّما ازدادَ شربُهُ ازدادَ عطشُه، وكلَّما ازداد عطشُهُ ازدادَ شُربه، فلا ينقطعُ أبدًا.

(*) وسمعتُ أحمد بنَ عليٍّ الكرخي المعروف بالوجيهي يقول: كانَ جماعةٌ من الصوفية مُستجمعين في بيتِ حسنِ القزّاز، وعندهم قوّالون يقولون، وهم يَتواجدون، فأشرفَ عليهم ممشاد، فلمَّا نظروا إليه سكتوا جميعًا، فقال لهم ممشاد: ما لكم قد سكتُّم؟ ارجعوا إلى ما كنتم فيه، فلو جُمعتْ ملاهي الدنيا في أُذني ما شَغَلت همِّي، ولا شفَتْ بعضَ ما بي.

قال الشيخ رحمه الله: وهذا أيضًا من صفاتِ أهلِ الكمال، لا يكون فيهم فضلةٌ لطارقٍ يطرقُهم، ولواردٍ يردُ عليهم، ولم يبقَ من طبائعهم ونفوسهم وبشريَّتهم حاسَّةٌ إلاَّ وهي مُبدَّلةٌ ومهذبةٌ، لا تأخذُ من النَّغماتِ حظوظَها، ولا تتلذَّذُ بالأصواتِ الطيِّبةِ، ولا تتنعَّمُ بها؛ لأنَّ همومَهم مفردةٌ، وأسرارَهم طاهرةٌ، وصفاتَهم لا يُعارضُها كدورةُ الحسوس، وظلمات النفوس، وتغيير البشرية، ومقارنة الإنسانية ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

(*) وبلغني عن أبي القاسم الجُنيد رحمه الله أنَّه قيل له: كنتَ تَسمعُ هذه القصائدَ، وتحضرُ مع أصحابك في أوقاتِ السماع، وكنتَ تَتحرَّكُ، والآنَ فأنتَ هكذا، ساكنُ الصِّفة. فقرأ عليهم الجُنيد هذه الآية: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، فكأنه يُشير

بذلك، والله أعلم، يَعني: أنّكم تَنظرون إلى سُكونِ جَوارحي، وهُدوءِ ظاهري، ولا تدرون أين أنا بقلبي، وهذه أيضًا صفةٌ من صفات أهلِ الكمال في السماع.

قال الشيخ رحمه الله: وهؤلاء ربّما يحضرونَ في هذه المواضع التي فيها السماع لأحوالٍ شتّى، وجهاتٍ مُختلفةٍ، فربّما يَجتمعون معهم من جهةِ مُساعدةِ أخٍ من إخوانهم، وربّما يَحضرون لعلمهم وثباتهم[1] وكبر عقولهم حتّى يُعرّفوهم ما لهم وما عليهم من شرائطِ السماع وآدابه، وربّما يَجتمعون مع غير أبناءِ جنسهم من سعةِ أخلاقِهم وتحمُّلهم، فيكونون معهم بائنين منهم، ومُنفردينَ عنهم ببواطنهم، وإن كانوا مع جلسائهم بظواهرهم، وبالله التوفيق.

* * *



(١) في الأصل: لعلمهم ونياتهم.

باب في سماع الذكر والمواعظ والحكمة وغير ذلك

قال: سمعتُ أبا بكر محمد بن داود الدِّينوري الدّقيَّ يقول: سمعتُ أبا بكر الزقَّاق يقول: سمعتُ من الجُنيد رحمه الله كلمةً في التوحيد هيَّمتني أربعين سنة، وأنا بعدُ في غمارِ ذلك.

(*) وقال جعفرُ الخُلدي رحمه الله: دخلَ رجلٌ من أهلِ خُراسان على الجُنيد رحمه الله، وعنده جماعةٌ من المشايخ، فقال: يا أبا القاسم، متى يَستوي على العبدِ حامدُهُ وذامُّهُ؟ فقال بعضُ أولئك المشايخ: إذا أُدخلَ المارستان، وقُيِّدَ بقيدين. فقال له الجُنيد رحمه الله: ليسَ هذا من شأنِك. ثم أقبلَ على الرجل، فقال: يا حبيبي، إذا علمَ وتيقَّنَ أنَّه مَخلوقٌ. فشهق الرجل شهقةً وخرج.

(*) وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: الحكمةُ جندٌ من جنود الله تعالى يُقوّي بها قلوبَ أوليائه.

(*) ويُقال: إنَّ الكلامَ إذا خرجَ من القلبِ يقعُ على القلب، وإذا خرجَ من اللِّسانِ لم تجاوزْهُ الأذنان(١).

قال الشيخُ رحمه الله: ومثلُ هذا في الأخبار كثير: من ذكر من سمعَ كلمةً، أو ذكرًا، أو حكمة حسنةً راقَهُ ذلك وثارَ من ذلك في سرِّه وجدًا، أو في قلبه احتراقًا، ويقالُ: كلُّ من لا يُزهّدُكَ لحظُهُ عن لفظِهِ لم يُغنِكَ وعظُهُ عن لفظِهِ.

[١٣٤] (*) وقال/ أبو عثمان: فعلٌ من حكيمٍ في ألف رجل أنفعُ من موعظةِ ألفِ رجلٍ في رجل، وإنَّما هي مصادفاتٌ للقلوب من حيثُ صفاء القلوب، عندما يَطرقُها من ارداتِ الغيوب من المَسموعات والمَنظورات، فإذا اتَّفقتْ

---

(١) في (ن) و(ع): لم يجاوز الأذنين.

قويت، وإذا اختلفَتْ وتضادَّتْ ضَعفتْ، إلاَّ لأهلِ الاستقامة والصدق والكمال، فإنَّهم قد جاوزوا ذلك، وسقطَتْ عنهم رؤيةُ التمييز، فلا يتغيَّرون، ولكنْ ربَّما تُجدِّد لهم أذكارُهم بما يسمعون، وتصفو لهم المشاهداتُ وقتًا بعد وقتٍ، وذلك زياداتُ الصفاء تُجدِّد لهم عند سماعِ الحكمة والإصغاءِ إلى طرائفِ الحكمة.

والمرادُ فيما ذكرتُ: أنَّ مقصودَ القوم في السماعِ الذي يَسمعون من القرآن والقصائد والذِّكر وغيرِ ذلك من أنواع الحكم ليس كلُّه لحُسنِ النغمة، ولطيبِ الصوت، والتنعُّم والتلذُّذ بذلك، لأنَّ الرقّة والهيجانَ والوجدَ كامنٌ فيهم أيضًا عند فقدانِ الأصواتِ والنغمات، والسكونُ والهدوءُ كامنٌ فيهم عند وجدانِ الأصوات والنغمات.

فعلمنا أنَّ المقصودَ في جميع ما يَسمعون ما تصادف قلوبُهم من جنس ما في قلوبهم من المواجيد والأذكار، فيقوى الوجدُ بما يُصادفُهُ بمشاكلته.

* * *



باب آخر في السماع

قال الشيخ رحمه الله: قد ذكرنا أنَّ المعوّلَ والمقصود في ذلك على مقاصد المستمعينِ فيما يسمعون، وعلى حسبِ مُصادفات أسرارهم من ذلك، ومن حيث أوقاتِهم، وما يكونُ الغالبُ على قلوبهم، فإذا سمعوا شيئاً يُوافقُ ما هم به في الوقت تَقْوى بذلك مُكمناتُ سرائرِهم، وما انضمَّتَ عليه ضمائرُهم، فينطقون من حيث وَجدِهم، ويُشيرون من حيث قصدِهم وصدقهم، وإلى ما يليقُ بحالهم، ولا يخطرُ ببالهم قصدُ الشاعرِ في شعره، ومُرادُ القائل بقوله، وكذلك لا تَستظلمُهُم[١] غفلةُ القارىء عند قراءته إذا كانوا مُنتهبين[٢]، ولا يُوحشهم تشتُّتُ الذّاكرِ عند ذكره إذا كانوا مُستجمعين، وربَّما تتَّفقُ الحالان، ويتَشاكلُ الوقتان، وتتجانسُ الإرادتان، فيكونُ الفلاحُ أقوى[٣]، والوقتُ أَصفى، والعللُ أخفى، وإذا شملتْهُم العنايةُ، وصحبهُم التوفيق فهم مَحفوظون عن الزَّلل ومُبرَّؤون من العلل في جميع أحوالهم.

وبيانُ ما ذكرت في هذه الحكايات التي أذكرها إن شاء الله:

(*) ذُكرَ عن محمد بن مسروق البغدادي أنَّه قال: خرجتُ ليلةً في أيام جاهليتي، وأنا نشوانَ، وكنت أُغنّي بهذا البيت:

بِطيْزناباذَ كَرْمٌ ما مَررْتُ[٤] به ... إلاَّ تعجَّبتُ ممَّن يَشربُ الماءَ

قال فسمعتُ قائلاً يقول:

---

(١) في (ن) و(ع): لا تصطلمهم غفلة.

(٢) في (ن) و(ع): إذا كانوا منتبهين.

(٣) في (ن) و(ع): فيكون القادح.

(٤) طِيْزَنَابَاذ: موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادّة الحاج. معجم البلدان. والبيت فيه لأبي نواس، ولم أجده بديوانه.

وفـي جهنَّـمَ مـاءٌ مـا تَجـرَّعَـهُ خَلْقٌ فأبقى[١] له في الجوفِ أمعاءَ[٢]

قال: فكان ذلك سببَ تَوبتي واشتغالي بالعلم والعبادة، أو كما قال

أَلاَ ترى أنَّه حين أدركتْهُ العناية، امتحقَ الباطلُ[٣] الذي كان فيه بمصادفةِ الحقِّ له وكان باطلُهُ سببًا لنجاته حين صحبَهُ التوفيقُ، وشملتْهُ الرِّعايةُ.

(*) وقد حُكي أيضًا عن أبي الحسين بن رزعان أنَّه قال: كنتُ أمشي مع رجلٍ من أصحابنا بين بساتين البصرة، إذ سمعنا ضاربًا بالطُّنبور، وهو يقول:

يا صباحَ الوُجوهِ ما تُنْصِفُونا طُولَ ذا الدَّهرِ كُلّكُم تظلمُونا
كانَ في واجبِ الحُقُوقِ عَليكُمْ إذْ بُلينـا بُحبكـمُ تُنصفُـونـا

قال: فشهقَ صاحبي شهقةً، ثم قال: وماذا عليكَ لو قلتَ:

يا صباحَ الوُجوهِ سَوفَ تموتو نَ وتُبْلي خُدُودَكُم[٤] والعُيونا
وتَصيـرونَ بعـدَ ذلـكَ رَسْمًـا فـاعلمـوا ذاكَ إنَّ ذاكَ يَقينـا

أَلا ترى أنَّه أجابَهُ من حيثِ وقته، وأبانَ عمَّا في ضميره، ولم يحشمْهُ قبحُ مقصدِ/ القائل في قوله، لاستيلاءِ الحقائق عليه، وامتلائه بوجده. [١٣٥]

(*) وقد حُكي في هذا المعنى أيضًا عن الشِّبليِّ رحمه الله أنه سُئل عن معنى قوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] فقيل له: قد علمتَ موضعَ مكرهم، فما موضعُ مكرِ الله بهم؟ فقال: تركَهَمُ على ما هم فيه، ولو شاءَ أن يُغيِّرَ لغيَّرَ.

---

(١) في (ن) و(ع): ما تدرّعه خلْقٌ فأبقى.
(٢) البيت في المحب والمحبوب ٤/ ٣٦٧ (طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق). وفيه: وفي جهنم مهل...
(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: امتحن بالباطل.
(٤) أي: تبلي القبورُ خدودَكم.

قال: فشهدَ الشِّبليُّ رحمه الله في السَّائل أنَّه لم يُغْنِهِ جوابُه، فقال: أمَا سمعت بفلانة الطُّنْبُرانية في ذلك الجانبِ تُغنّي تقول:

وَيقْبُحُ مِنْ سِواكَ الفعلُ عندي ... وَتَفْعَلُهُ فيَحْسُنُ منك ذاكا[١]

قال الشيخ رحمه الله: فانظرْ أين تقعُ إشارتُه من قصدها، وجميعُ ذلك داخلٌ في الذي قيل: إنَّ الحكمَة ضالَّةُ المُؤمن[٢].

وصاحبُ المسألةِ والسُّؤال أبو عبد الله بن خفيف[٣] رحمه الله كما بلغني، والله أعلم.

* * *



(١) عزاه الأصفهاني في محاضرات الأدباء ٣/ ٩٠ إلى المتنبي، والبيت ليس في ديوانه. وهو في ديوان الشبلي ١٦٩.

(٢) تقدم مع تخريجه صفحة (٣٧٩، ٣٩٠).

(٣) في الأصل: أبو بكر بن خفيف.

باب فيمن كرِهَ السّماعَ والذي كره الحضور في المواضع التي يقرؤون فيها القرآن بالألحان ويقولون القصائد ويتواجدون ويرقصون

فقد كُرِهَ ذلك من جهاتٍ شتّى:

فقومٌ كرهوا ذلك لأخبارٍ رُويت عن بعضِ الأئمة المتقدِّمين والعلماء والتابعين أنَّهم كرهوا ذلك، فكرِهَ من كرهَ ذلك اقتداءً بهم، ومتابعةً لهم؛ إذ كانوا هم الأَئمةَ في أحكامِ الدين، والمقدّمين في عصرهم على جماعةِ المسلمين.

وقومٌ كرهوا ذلك للمُريدين والقاصدين والتائبين لعظمِ ما فيه من الخطر، إن استلـذُّوا ذلك وتابعوا حظوظَهم، فتنحلُّ عند ذلك عقودُهم، وتَنفسخُ عزيمتُهم، ويركنون إلى شهواتهم، ويتعرّضون للفتنة، ويقعون في البلية.

وطائفة أخرى: كرهتْ ذلك، وزعمَت أنَّ الذي يتعرَّضُ لاستماع هذه الرُّباعيات لا يخلو من أحدِ وجهين: إما هم قومٌ مُتلهُّون من أهلِ الدّعاية والفتنة[1]، أو هم قومٌ وصلوا إلى الأحوال الشريفة[2]، وعانقوا المقاماتِ الرَّضية، وأماتوا نفوسهم بالرياضاتِ والمُجاهدات، وطَرحوا الدنيا وراء ظهورهم، وانقطعوا إلى الله عز وجل في جميع معانيهم، قالوا: ولسنا نحن مِنْ هؤلاء، ولا من هؤلاء، فلا معنىً لاشتغالنا بذلك، وتركُ ذلك أَوْلى بنا، والاشتغالُ بالطاعات وأداءِ المفْترضات، واجتناب المُحرَّمات يشغلنا عن ذلك.

قال: سمعتُ أحمد بن علي الوجيهي يقولُ: سمعتُ أبا علي الرُّوذباري

---

(١) في (ن) و(ع): أهل الدُّعابة والفتنة.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: الأحوال السنية.

رحمه الله يقول: قد بلغنا في هذا الأمرِ إلى مكانٍ مثلِ حدِّ السيفِ، فإذا ملنا كذا ففي نار.

قال: وأخبرني جعفر الخُلدي فيما قرأتُ عليه، قال: سمعتُ الجُنيد رحمه الله يقول: جئتُ إلى سريِّ السّقطي رحمه الله يومًا، فقال لي: أيش خبرُ أصحابك، يقولون قصائد؟ قلتُ: نعم. قال: يقولون عاشقٌ دَنِفٌ؟ لو شئتُ أَنْ أقولَ هذا الذي بي من هذا اللون لقلتُ. قال الجُنيد رحمه الله: وكان معه هذا كثيرًا، كان يَستُرهُ وكان معوَلُه الخوفَ.

وكرهت طائفةٌ أخرى ذلك من جهةِ أنَّ العامَّةَ لا تعرفُ مقاصدَ القوم فيما يَسمعون، فربَّما غلطوا في مقاصدهم وزلقوا، فكرهوا ذلك شفقةً على العامة، وصيانةً للخاصة، وغيرةً على الوقت الذي إذا فاتَ لا يُدرك.

وطائفة أخرى كرهتْ ذلك لما قد فَقدَ من إخوانه، وعَدِمَ من أشكاله وقرنائه، ومن كان يصلحُ لذلك، ولمّا قد بُلي من الاختلاطِ بغيرِ أبناء جنسه، ولمَا قد دُفع إلى مُجالسة الأضدادِ، ومخالطة أهل العناد، فقد ترَكَ ذلك طلبًا للسلامة، لإقبالِهِ على شأنه، ومعرفتِهِ بأهل زمانه.

وطائفة أخرى كرهت ذلك لقولِ النبيِّ ﷺ فيما رُوي عنه أنَّه قال: «مِنْ حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُهُ ما لا يعنيه»[1]. فقالوا: هذا ممّا لا يعنينا[2]؛ لأنّا ما أُمرنا بذلك، وليسَ هو من زادِ القبر، ولا ممَّا يُطلبُ به النجاة في الآخرة، فكرهوا ذلك لهذا المعنى.

وطائفة أخرى من أهل المعرفة والكمال كرهوا ذلك؛ لأنَّ أحوالَهم مُستقيمةٌ، وأوقاتَهم مَعمورةٌ، وأذكارَهم صافيةٌ، وأسرارَهم طاهرةٌ،
[١٣٦] وقلوبَهم حاضرةٌ، وهمومَهم مُجتمعةٌ/، لم يخطرْ ببالهم خاطرٌ، ولا يَجري

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧و٢٣١٨)، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٣ (١٦٧٢)، وابن ماجه (٣٩٧٦).

(٢) في (ن) و(ع): هذا ما لا يعنينا.

في أفكارِهم عارضٌ إلاَّ وهم مُشرفون عليه، يَعلمون من أَين موردُهُ، وإلى أَين مَصدرُه، ليس فيهم فضلةٌ لطوارقِ سمعِ الظاهر من معارضةِ طوارق سمع الباطن من دوام المُناجاة، ولطائفِ الإشاراتِ، وخفيِّ المعاتبات والمخاطبات والمجاوبات(١)، فينكره جليسُهُ ولا يعرفُهُ أنيسُه، فهم مع الله تعالى ببواطنهم، وإن كانوا مع الخلقِ بظواهرهم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

فهذا ممَّا حضرني في هذا الوقت، وبالله التوفيق.

* * *



(١) في الأصل: والمخاطبات والتجاويات


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كتاب الوجد

باب في ذكر اختلافهم في ماهية الوجد

قال الشيخ رحمه الله: اختلفَ أهلُ التصوُّفِ في الوجد: ما هو؟ فقال عَمرو بن عُثمان المكّي رحمه الله: لا يقعُ على كيفيةِ الوجد عبارةٌ؛ لأنَّها سرُّ الله تعالى عند المؤمنين الموقنين.

وذُكر عن الجُنيد رحمه الله أنَّه قال: كما أَظنُّ أنَّ الوجدَ هو المصادفةُ بقوله عز وجل: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] يعني صادفوا، وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [البقرة ١١٠] أي تصادفوا، وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩] يعني لم يصادفه.

وكلُّ ما صادفَ القلبَ من غمٍّ أو فرحٍ فهو وجدٌ، وقد أخبرَ اللهُ تعالى عن القلوبِ أنَّها تنظرُ وتُبصر، وهو وجدٌ لها، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] أيْ عن وجدها، ففرَّق بين التي تجد وبين التي لا تجد.

وقد قيل أيضًا: إنَّ الوجدَ مُكاشفاتٌ من الحقِّ، ألا ترى أنَّ أحدَهم يكونُ ساكنًا، فيتحرَّكُ ويظهرُ منه الزَّفيرُ والشهيق؟ وقد يكونُ مَنْ هو أَقوى منه ساكنًا في وجده، لا يظهرُ منه شيءٌ من ذلك، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

قال بعضُ المشايخ من المتقدّمين: الوجدُ وجدان: وجدُ مُلْكٍ، ووجد لقاء؛ لقولِ الله عز وجل: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ [البقرة: ١٩٦] يعني من لم يملك، وقولِهِ تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] يعني لقوا.

وقال بعضُهم: كلُّ وجدٍ يجدُكَ فيملكُكَ، فذاك وجدُ مُلكٍ، وكلُّ وجدٍ تجدُهُ، فذاكَ وجدُ اللقاء، تلقى بقلبك شيئًا ولا يثبت.

وسمعتُ أبا الحسن الحُصْري رحمه الله يقول: الناسُ أربعةٌ، مدّعٍ مَكشوف، ومعترضٌ تارةً له وتارةً عليه، ومُتحقِّقٌ قد اكتفى بحقيقتِهِ، وواجدٌ قد فَني بما يجد.

وحُكي عن سهل بنِ عبد الله رحمه الله أنَّه قال: كلُّ وجدٍ لا يشهدُ له الكتابُ والسُّنة فهو باطل.

وقال أبو سعيد أحمد بن بشر بن زياد بن الأعرابي رحمه الله: أوّلُ الوجدِ رفعُ الحجاب، ومشاهدةُ الرَّقيب، وحضورُ الفهم، وملاحظةُ الغيب، ومحادثةُ السرِّ، وإيناس المفقود، وهو فناؤك أنت من حيث أنت.

قال أبو سعيد رحمه الله: الوجدُ أوّلُ درجاتِ الخصوص، وهو ميراثُ التَّصديقِ بالغيب، فلمّا ذاقوها، وسطعَ في قلوبهم نورُها، زالَ عنهم كلُّ شكٍّ وريبٍ.

وقال أيضًا: الذي يَحجبُ عن الوجدِ رؤيةُ آثارِ النفس، والتعلّقُ بالعلائق والأسباب؛ لأنَّ النفسَ محجوبةٌ بأسبابها، فإذا انقطعتِ الأسبابُ، وخلصَ الذكرُ، وصحا القلبُ، ورقَّ وصفا، ونجعت[1] فيه الموعظةُ والذكر، وحلَّ من المناجاةِ في محلٍّ غريبٍ، وخُوطبَ، وسمعَ الخطاب بأُذنٍ واعيةٍ، وقلبٍ شاهدٍ، وسرٍّ ظاهرٍ، فشاهدَ ما كان منه خاليًا، فذلك هو الوجد؛ لأنَّه وجدَ ما كان عنده عدمًا معدومًا.

* * *

(١) في الأصل: ونجحت.

باب في صفات الواجدين

قال الشيخ رحمه الله: قالَ اللهُ عز وجل: ﴿ مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣] هذه صفةٌ من صفات الواجدين.

وقوله تعالى: ﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢] فالوجل صفةٌ من صفات الواجدين.

وفي الحديثِ أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] فصعق(١).

[١٣٧] فالصَّعقةُ صفةٌ من/ صفات الواجدين.

والأخبارُ تكثرُ من مثلِ الزَّفيرِ والشَّهيقِ، والبكاءِ والغشية، والأَنين والصعقة، والصُّراخِ، والصيحة فكلُّ ذلك من صفات الواجدين.

وهم على طبقتين: واجدٌ، ومتواجدٌ.

فأما الواجدون فهم على ثلاثة أصناف:

فصنفٌ منهم: وجدُهم مَصحوبُهم، إلاَّ أنَّه يُعارضهم في الأحايين دواعي النفوس والأخلاقِ البشرية ومزاج الطبع، فيكدِّرُ عليهم الوقتَ، ويتغيَّرُ عليهم الحالُ.

والصنف الثاني: وجدُهم مَصحوبُهم إلاَّ أنَّه إذا طرأَ عليهم ما يُشاكل

---

(١) لم يصعق رسول الله ﷺ عندما استمع إلى قراءة الآية، وقد أخرج البخاري في صحيحه (٥٠٥٥)، ومسلم (٨٠٠) والترمذي (٣٠٢٤)، وأبو داود (٣٦٦٨) عن أبي مسعود أنه قرأ الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا ﴾ فقال له رسول الله ﷺ: «حسبك الآن» فالتفتُّ إليه، فإذا عيناه تذرفان.

وجدَهم من طوارق السمع، تنعَّموا بذلك، وعاشوا، وانتعشوا، ثم يتغيَّرُ عليهم الوجدُ.

والصنف الثالث: وجدُهم مصحوبُهم على الدوام، وقد أفناهم ذلك الوجدُ؛ لأنَّ كلَّ واجدٍ قد فني بما وجد، فليستْ فيهم فضلةٌ عن موجودهم؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ عندهم كالمفقودِ عند وجدهم بموجودهم بذهابِ رؤية وجدهم.

فأما المتواجدون فهم أيضًا على ثلاثة أصناف في تواجدهم:

فصنفٌ منهم: المتكلّفون والمتشبّهون وأهل الدعاية[1] ومن لا وزنَ له.

وصنفٌ منهم: الذين يَستدعون الأحوال الشريفة بالتعرُّضِ بعد قطع العلائق المُشغلة والأسبابِ القاطعة، فذلك التواجدُ يَجملُ منهم، وإن كان غيرُ ذلك أَوْلى بهم؛ لأنّهم نبذوا الدنيا وراء ظهورهم، فتواجدُهم مطايبةً وتسليًا وفرحًا وسرورًا بما قد عانقوا من خلع الرَّاحات وترك المعلومات.

قال الشيخ رحمه الله: فمنْ أنكرَ ذلك ويقول: ليسَ هذا في العلم. فيُقال له: قد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا دخلتم على هؤلاء المُعذَّبين فابكوا، فإنْ لم تَبكُوا فتبَاكوا»[2].

فالتواجدُ من الوجد، بمنزلة التباكي من البكاء، والله أعلم.

وصنف الثالث: أهلِ الضعفِ من أبناء الأحوال، وأربابِ القلوب، والمتحقّقين بالإرادات، فإذا عجزوا عن ضبطِ جوارحهم، وكتمانِ ما بهم تواجدوا ونقضوا ما لا طاقةَ لهم بحمله، ولا سبيل لهم إلى دفعِهِ عنهم وردّه، فيكونُ تواجدُهم طلبًا للتفرج والتسلّي، فهم أهلُ الضعف من أهل الحقائق.

قال: سمعت عيسى القصَّارَ يقول: رأيتُ الحُسين بن منصور حين أُخرجَ

---

(١) في (ن) و(ع): وأهل الدعابة.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٣)، ومسلم (٢٩٨٠) من حديث ابن عمر.

من الحبس ليُقتلَ، فكان آخرُ كلامِهِ أن قال: حسبُ الواجدَ إفرادُ الواحد، قال: وما سمعَ أَحدٌ من المشايخ الذين كانوا ببغداد هذا إلاَّ استحسنوا منه هذه الكلمة.

وسُئل أبو يعقوب النَّهرجوري رحمه الله عن صحَّةِ وجدِ الواجد وسقمه، فقال: صحَّتُهُ قبولُ قلوب الواجدين له، وكذلك سقمُهُ إنكارُ قلوب الواجدين له، وتبرُّم جُلسائه؛ إذ كانوا أشكالاً غير أضداد، وليس ذلك لغيرِ أبناءِ جنسهم.

* * *



باب في ذكر تواجد المشايخ الصادقين

قال الشيخ رحمه الله: حُكي عن الشِّبليِّ رحمه الله: أنَّه تواجدَ يومًا في مجلسِهِ، فقال: آه، ليس يدري ما بقلبي سواه. فقيل له: آهِ من أيِّ شيءٍ؟ فقال: من كلِّ شيءٍ.

(*) وذكر عنه أيضًا أنَّه تواجدَ يومًا، فضربَ يدَهُ على الحائط حتى عَمِلَتْ عليه يده، قال: فعمدوا إلى بعض الأطباء، فلمّا أتاه، قال للطبيب: ويلك! بأيِّ شاهدٍ جئتني؟ قال[1]: جئتُ حتّى أعالجَ يدَكَ. فلطمه الشِّبليُّ رحمه الله وطرده، قال: فعمدوا إلى طبيبٍ آخرَ ألطف منه، فلمّا أتاه قال له: ويلك، بأيِّ شاهدٍ جئتني؟ قال: بشاهده. قال: فأعطاه يده، فبطَها[2]، وهو ساكتٌ، فلما أخرجَ الدواء يجعلُهُ عليها، صاحَ وتواجدَ، وترك إصبعه على موضعِ الداء، وهو يقول:

أَنبَتَتْ صَبابَتُكُم قَرحَةً على كبدي
بتُّ من تفجُّعِكُم كالأسيرِ في الصَفَدِ[3]

(*) وذُكر عن أبي الحسين النُّوري رحمه الله: أنَّهُ اجتمعَ مع جماعةٍ من المشايخ في دعوةٍ، فجرى بينهم مسألةٌ في العلم، وأبو الحسين النُّوري رحمه الله ساكتٌ، قال: ثمّ رفع رأسه، فأنشدهم هذه الأبيات/ : [١٣٨]

رُبَّ ورقاءَ هَتُوفٍ في الضُّحى ذاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ في فَنَنِ
فبُكائي رُبَّما أَرَّقَها وبُكاها رُبَّما أَرَّقني

---

(١) من هنا يبدأ القسم السادس من (ب)، وينتهي صفحة (٤٥٢).
(٢) البطُّ: الشقُّ.
(٣) ديوان الشبلي، ص١٠٠.

هـيَ إنْ تَشْكـو فـلا أَفهمُهـا وإذا أَشكـو[١] فـلا تَفْهَمُنـي
غيـرَ أنّـي بـالجَـوى أَعـرفُهـا وهي أَيضًا بالجَوَى تَعْرِفُني[٢]

قال: فما بقي في القوم أَحدٌ إلاَّ قامَ وتواجد لمَّا أنشد النُّوري هذه الأبيات.

(*) وقال بعضُ الصوفية: هو ذا أَشتهي منذ سنين أَنْ أَسمعَ كلمةً في المحبَّةِ من رجلٍ واجدٍ يتكلَّمُ بها عن وجدِهِ.

(*) ويُقال: إن أبا سعيد الخرَّاز رحمه الله كان كثيرَ التواجد عند ذكر الموت، فسُئل عن ذلك الجُنيدُ رحمه الله فقال: العارفُ قد أيقنَ أنَّ الله لم يفعلْ به شيئًا من المكارهِ بُغضًا له ولا عُقوبةً، ويُشاهدُ في صنائعِ الله تعالى الحالَّةِ به من المكارهِ صفوَ المحبَّةِ بينه وبين الله عز وجل؛ وإنَّما يُنزلُ به هذه النوازلَ ليَردَّ روحَهُ إليه، اصطفاءً له، واصطناعًا له[٣]، فإذا كُوشفَ العارفُ بهذا وما أشبهَهُ لم يكن بعجبٍ أن تطيرَ روحُهُ إليه اشتياقًا، وتنقلبُ[٤] من وطنِها اشتياقًا، فلذلك ما رأيت من التواجدِ عند ذكرِ الموت، وربّما أتى ذلك على قُرْب مُنْيَتِهِ؛ واللهُ يفعلُ بوليّه ما يشاء وما يحبُّ.

(*) وسُئل بعضُ المشايخ عن الفَرْقِ بين الوجودِ والتَّواجدِ. فقال: الوجودُ بوادي الغيبة، وإرسالات الحقيقة، والتواجدُ داخلٌ في الاكتسابِ، راجعٌ إلى أوصافِ العبدِ من حيث العبد.

(*) والذي كرِهَ الوجدَ، لمشاهدةِ علّةٍ في الذي يتواجدُ. عن أبي عثمان الحيري الواعظِ حُكي عنه أنَّه رأى رجلاً قد تواجدَ، فقال له: إنْ كنتَ صادقًا

---

(١) في (ب): ولقد أشكو.
(٢) ديوان الشبلي، ص١٥٢.
(٣) في (ب): وفي نسخة: واصطناعًا إليه.
(٤) في (ب): وتتفلَّت من وطنها.

فقد أظهرتَ كتمانَهُ، وإنْ كنتَ كاذبًا فقد أشركتَ. واللهُ أعلم بمقصده من ذاك، ويُشبَهُ[١] أنَّه أرادَ بذلك شفقةً عليه، وحذرًا من الفتنةِ والآفةِ، والله أعلم.

* * *



(١) في الأصل: ويشتبه. وفي (ن) و(ع): ويُشبَهُ.

باب في قوة سلطان الوجد وهيجانه وغلباته

قال: أخبرني جعفرُ بن محمد الخُلدي رحمه الله فيما قرأت عليه، قال: سمعتُ الجُنيد رحمه الله يقول: قال: ذُكِرَ يومًا عند سريّ السَّقَطيِّ رحمه الله المواجيدُ الحادَّةُ في الأذكار القوية، وما جانسَ هذا ممَّا يقوى على العبد، فقال سريٌّ رحمه الله وقد سألتُهُ فيه، فقال: نعم، يُضربُ وجهُهُ بالسَّيف وهو لا يحسُّهُ.

قال أبو القاسم رحمه الله: كان عندي في ذلك الوقت أنَّ هذا لا يكون، فراجعتُهُ أنا في ذلك الوقت، فقلت له: يُضربُ بالسَّيفِ وهو لا يحسُّ؟! إنكارًا منّي لذلك. فقال: نعم، يُضربُ بالسَّيفِ ولا يحسُّ. وأقام على ذلك.

(*) وعن الجُنيد رحمه الله أنَّه كان يقولُ: إذا قَوِيَ الوجدُ يكون أتمَّ ممَّن يَستأثرُ العلم.

وذكر عنه أيضًا أنه قال: لا يضرُّ نقصانُ الوجدِ مع فضلِ العلم، وفضلُ العلمِ أتمُّ من فضلِ الوجد.

(*) وقد ذَكَرَ عنه جعفر[1] الخُلدي رحمه الله أنه قال: الحُمْلان في الوجدِ بعد الغلبة أَتمُّ من حالةِ الغلبةِ في الوجد، والغلبةُ في الوجدِ أَتمُّ من المحمولِ قبل الغلبةِ. فقيل له: كيفَ نَزَّلْتَ هذا التنزيل؟ فقال: المحمولُ عن حالِ غلبته بالحملِ بعد القهرِ أَتمُّ، والمغلوبُ بعد حملانِهِ عن نفسه وشاهدِهِ أَتمُّ.

قال الشيخ رحمه الله: وبيان ما قالَ، والله أعلم: أنَّ من يكونُ مَحمولاً يعني ساكنًا بعد غلباتِ الوجودِ وقوّةِ الواردِ يكونُ أَتمَّ في معناه ممَّن يَغلبُهُ

---

(١) في الأصل: وقد ذُكر عن جعفر الخلدي.

حتى يظهرَ على ظاهرِ صفاته، والغلبةُ لسُلطان الوجد من قوةِ الواردِ عليه، والمصادفةُ لقلبهِ تكونُ أتمَّ من حالِ السَّاكن الذي لا يقدحُ فيه القادحُ، ولا يَنجعُ فيه(١) الوارد.

(*) سمعتُ ابنَ سالم يقول عن أبيه: إنَّ سهلَ بن عبد الله كان يَقوى عليه الوجدُ حتَّى يبقى خمسةً وعشرين يومًا، أو أربعةً وعشرين يومًا لا يأكلُ فيه طعامًا، وكان يَعْرَقُ عند البردِ الشَّديدِ في الشتاء، وعليه قميصٌ واحد، وكانوا إذا سألوه عن شيءٍ من العلم يقول: لا تَسألوني، فإنكم لا تَنتفعون في هذا الوقتِ بكلامي.

[١٣٩] (*) سمعت أبا عمرو بن علوان يقول/ : سمعتُ الجُنيدَ رحمه الله يقول: الشِّبليُّ رحمه الله سكرانُ، ولو أفاقَ من سُكْرِه(٢) لجاءَ منه إمامٌ يُنتفعَ به.

(*) وحُكي عن الجُنيد رحمه الله أنَّه كان يقولُ: ذكرتُ المحبَّةَ بين يدي سَريّ السَّقطيِّ رحمه الله، فضربَ يدَهُ على جلدِ ذراعه، فمدَّها، ثم قال: لو قلتُ: إنَّما جَفَّ هذا على هذا من المحبَّةِ لصدقتُ. قال: ثم أُغمي عليه حتى غابَ، ثم تورَّدَ وجهُهُ حتى صارَ مثلَ دارةِ القمرِ، فما استطعنا أن ننظرَ إليه من حُسنِهِ حتى غطَّينا وجهَه.

(*) وقال عَمرو بنُ عثمان المكّي رحمه الله: الذي يحلُّ بالقلوبِ من الامتلاءِ والوجد، حتَّى لم يبق فيه فضلٌ لوجودِ(٣) حالٍ كان يعرفُها قبلَ ذلك، إنَّما هي زيادةٌ للنفوس في معرفتها؛ لعظمِ قدرِ الحقِّ وقدرِ ما يستحقُّ حتَّى يتبيَّن لَها عن الحالِ التي يكون هو مُنفردًا بها عن كلِّ شيءٍ حتى لا تجدَ غيرَه، فعند ذلك انقطعَ عنها حسُّ كلِّ مَحسوس(٤)، وإنَّما أدركت انقطاعه عن

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: ولا ينجح فيه.

(٢) في (ب): ولو أفاق من سكرته.

(٣) في (ب): حتى لم يكن فيها أفضل لوجود.

(٤) في الأصل: خبر كل محسوس.

المحسوساتِ بما أَوقعَهُ الحقُّ عليه منه، فلم يكن فيه فضلٌ لغيره.

(*) وعن أبي عثمان المزيِّنِ رحمه الله أنّه كان يقول:

فسُكْرُ الوجدِ في معناه صَحْوٌ وصَحْوُ الوَجدِ سُكْرٌ في الوصال

* * *



باب في الواجد الساكن والواجد المتحرك أيُّهما أتم؟

قال الشيخُ رحمه الله: قال أبو سعيد بن الأعرابي رحمه الله في كتابه في «الوجد»: إن سائلاً سألَ فقال: أيُّما أَفضلُ وأَتمُّ: الحركةُ في الوجدِ، أم السُّكون فيه؟ وقد قالَ قومٌ: إنَّ السكونَ والتمكُّن أَفضلُ وأعلى من الحركةِ والانزعاج.

قال الشيخ رحمه الله[1]: فالجوابُ في ذلك، والله أعلم: إنَّ الواردات من الأذكارِ منها ما يُوجبُ السُّكون، فالسكونُ فيها أَفضلُ من الحركة، ومنها ما يُوجبُ الحركةَ، فالحركةُ فيها أتمُّ، إذ حُكْمُها القهرُ لأهلها، فإذا لم يَقُمْ بهذا القهرِ كان الواردُ ضعيفًا في وروده، ولو وردَ بحقيقتِهِ لأَوجبَ ضرورةَ الحركةِ، والواردات من العلوم والأذكار الكائن عنها الوجدُ والاستهتار على القلوبِ، فيشاهدها.

ورأيتُ جماعَةً يُفضِّلونَ أَهلَ السُّكون؛ لكبرِ عقولهم وقوَّتها وإشرافها على ما ورد عليها، وتمكُّنها فيه، وهذا لعمري كذلك، ولكن ربَّما وردَ عليها ما لا يُلاومُ العقولَ[2] المخلوقة، فيكون نورُهُ أقوى، وبرهانُهُ أَقوى، فيقومُ شاهدُهُ منه، ويَعجِزُ العقلُ عن إدراكه، فيكون الواردُ أَقوى من العقل، فحُكْمُ هذه الحركة أتمُّ.

قال أبو سعيد: ومن الوارداتِ ما يكونُ للعقل ملاومًا[3]، فيدركُهُ ويساكنُهُ، فلا يظهرُ مع ذلك حركةٌ لتمكُّنِ العقل، لأنَّه يُشيرُ إليه بما قد[4] عرفه.

---

(١) في (ن) و(ع): قال أبو سعيد.

(٢) في الأصل: ما لا يلازم العقول. وفي هامش (ع): يلاوم: يلائم.

(٣) في الأصل: للعقل ملازمًا.

(٤) في (ب): ممَّا قد عرفه.

فمن شرّف أهلَ السكون بقوّةٍ، إنَّما شرَّفَهم بفضلِ عقولهم، وشدَّةِ تمكُّنهم، ومَنْ فضَّلَ المتحرِّكينَ فضَّلَهم بقوةِ الواردِ من الذكرِ الذي ينخنسُ دون فهم العقل، فكانَ أفضلَ لفضلِ الواردِ.

وإذا كان العقلانِ مُستويين ـ ليس أَحدُهما أفضلَ ـ فالسَّاكنُ أتمّ، وهذا ما لا أحسبه يكون أَنْ يستوي رجلانِ أو عقلان أو واردان، وقد أبى ذلك أكثرُ أهلُ العلم، وإذا بطلَ التَّساوي، رجعنا إلى ما قلنا في أول المسألة: ألاَّ معنى لتفضيلِ الساكن على المتحرِّكِ، ولا المتحرِّكِ على الساكن؛ لاختلافِ الحال الواردة التي تُوجبُ الحركة، والحالِ التي تُوجبُ السكون؛ ولأنَّ الواجدين لا يَستوون فيما كُوشفوا به[1]، ولا ما شاهدوه من حالةِ الذكر الموجبةِ إحدى الحالتين من الحركة والسكون.

وفي الواردات التي توجب السكون ما هو أعلى من الواردات التي تُوجبُ الحركة، وفي الوارداتِ التي تُوجبُ الحركةَ ما هو أفضلُ من الواردات التي توجب السكون، فليسَ الفضلُ هاهنا بالحركةِ ولا بالسكون حتَّى تُعْلَمَ الحالُ الواردةُ على المتحرِّكين وعلى الساكنين، فإنْ كانتِ الحالُ تُوجب سكونًا، فلم يَسكنْ صاحبُها، فهو ناقصٌ عن غيره، وإن كانت توجب حركةً/ فلم [١٤٠] تُحرِّكْه[2]، دلَّ ذلك على نقصِ واردِهِ، والمشاهداتُ الوارداتُ على قدرِ صفاء القلوبِ، وتخلّيها عن الحُجب المانعةِ لإدراكِ الواردات.

فهذه صفةُ الأذكار لأهلِ الأحوال، وقيامهم بها من حيث ما يُوجبه العلم.

فأمَّا أَهلُ الغلبات والسُّكر فلا يَجوزُ عليهم شيءٌ من هذا الكلام، والله أعلم.

* * *

---

(١) في الأصل: فيما لو كوشفوا به.

(٢) من هنا طمس في (ب) مقداره سبعة اسطر، ويبدأ بأول الباب القادم.

باب جامعٌ مُختصر من كتاب «الوجد» الذي ألّفه أبو سعيد بن الأعرابي رحمه الله

قال أبو سعيد بن الأعرابي رحمه الله: الوجدُ ما يكون عند ذكرٍ مُزعجٍ، أو خوفٍ مُقلقٍ، أو توبيخٍ على زَلَّةٍ، أو محادثةٍ بلطيفة، أو أشارةٍ إلى فائدة، أو شوقٍ إلى غائبٍ، أو أسفٍ على فائتٍ، أو ندمٍ على ماضٍ، أو استجلابٍ إلى حالٍ، أو داعٍ إلى واجبٍ، أو مناجاةٍ بسرٍّ، وهي مقابلةُ الظاهر بالظاهر، والباطنِ بالباطن، والغيب بالغيبِ، والسرِّ بالسرِّ، واستخراجُ ما لك بما عليكَ ممَّا سبقَ لك؛ لتسعى فيه، فيُكتبَ لك بعد كونه منك، فيثبتُ لك قَدَمٌ بلا قدمٍ، وذكرٌ بلا ذكرٍ، إذ كان هو المبتدىءَ بالنِّعم والمتولّي لها، ومُلهمَ الشُّكر عليها، والمُضيفَ إليك كسبَها، فتثبت لك بها درجةٌ عاجلةٌ، وإليه يرجع الأمرُ كلُّه، فهذا جملةٌ ظاهرٌ على الوجود.

وقال أبو سعيد رحمه الله: الوجدُ مباشرةُ روحٍ، ومطالعةُ مَزيدٍ، لا يُصبرُ عن قليلِهِ، ولا يُقدرُ على كثيره، التخييلُ منه مُتدارَكٌ، والاستحثاثُ منه إليه متواترٌ، فلذلك يقعُ اللهفُ، وربّما كان دونه التلف، فأمَّا البكاءُ والشهيقُ فلغُربةِ[1] ما يزداد، كأنْ لم يعرفْ قبل ورودِهِ، ولا أنسَ به مع سرعة مُضيِّهِ[2] مع وقوعه، حتَّى كأنَّهما جميعًا معًا، فلم يتمَّ الاستبشارُ بورودِهِ[3] حتى لحقَ الأسفُ على تقضّيه، والرِّعدة والغشية وزوال الأعضاء، والغلبة على العقل، فلعظم قدرِ الواردِ وقوّة سطوته، وكذلك كلُّ واردٍ مستغربٍ أو مُفزعٍ مهول[4]، ففي سرعةِ وروده مع سرعة تقضّيه حكمةٌ بالغةٌ، ونعمةٌ ظاهرة،

---

(١) في (ن) و(ع): فلقربه ما يزداد، إذ كان

(٢) في (ب) و(ن): مع سرعة تَقضّيه. وفي (ع) تقضّيه.

(٣) في (ب): الاستنشار بوروده.

(٤) في (ب): وارد مستغرق، أو مفرعٍ مهول.

ولولا أنَّه أَمسكَ أولياءَهُ، وألقى على كلِّ قلبٍ من ذلك ما أَطاقَهُ لطاشتْ عقولُهم، وذهلَت نفوسُهم، ولكن لآجالٍ معلومة[١]، ومناهلَ موروودةٍ، وذلك لا يدومُ لحظةً أو طرفة عين[٢]؛ رفقًا منه بأوليائه، حتى يُنسيهم فيما أرادَ كما يريد.

وقال: الوجدُ في الدنيا ليس بكشفٍ، ولكنْ مشاهدَةُ قلبٍ، وتوهُّمُ حقٍّ، وظنٌّ يقين، فيشاهدُ من روحِ اليقين، وصفاءِ الذِّكر لأنَّه مُنتبهٌ، فإذا أفاق من غمرته، فقد ما وجدَهُ، وبقي عليه علمُهُ، فتُمتِّعَ بذلك رُوحُه مع ما زِيد من اليقين بالمكاشفة، وهذا من العبدِ على حسبِ قُربه وبُعده، وعلى ما يُشهدُه من ذلك خالقُهُ.

ومنهم مَنْ ثبتَ[٣] في وجده، وشاهدَ من ذلك بتمكينه، فوصفَ بعضَ ما شاهد[٤]، فيكون ذلك حجَّةً على غيرِهم، ولولا ذلك ما خَبَّروا به توقّيًا عليه، وصيانةً له، وإشفاقًا أن يضعوه غيرَ موضعه، فيُسْلَبُوه[٥]، وربَّما وقعَ بهم الوجدُ من المسموع قبل تدبُّرِه، ومِنَ المنظورِ إليه قبلِ الفكرِ فيه، ولا يأمنون أن يكونَ ذلك منَ الطبع واستحسانِ النفس مع ما يَجدون فيه من الرقَّةِ، ويشهدون بعده من الزيادة، فيلتبسُ عليهم تمييزُ الحقِّ من الباطل، ولا يجبُ[٦] لمن يدّعي معرفةَ خالقه أن يسكنَ إلى سواه، أو يَشغلَ خاطرَهُ بناقصٍ، أو يقعَ وهمُهُ على زائل، وهذا وإن كان مُشكلاً عليه لتشابهه، فإنَّه عند أهل النظر والتحصيل مُميَّزٌ بالتفضيل، إذ ليس ما تلقَّتْهُ القلوبُ بمشاهدتها كما توهَّمَتْهُ بظنونها، ولا من كان مَتروكًا مُهملاً كمن كان

(١) في (ن) و(ع): ولكن لا حال معلومة.
(٢) في (ب): لا يدوم لحظة ولا طرفة.
(٣) في (ب): ومنهم من يثبتُ.
(٤) في (ن) و(ع): بعض ما شهده.
(٥) في الأصل: فيسلوه.
(٦) في (ب): إذ لا يجبُ.

محفوظًا[١]، ولا ما استجلب كونه، كما فاضَ عن معدنه، ولا ما نتجَ عن الفكرِ كما رشحَ عن الذِّكر، وربَّما يختلطُ ذلك على أهل التمييز لعلّةٍ، وينكشفُ لهم بعد زوالِ العلّةِ، لأنَّ المتميِّزَ بالفكرِ ليس كالمستهتر[٢] بالذكر، ولا المتخيِّرَ المختار كمن غلبَ عليه الوجدُ والاستهتارُ.

وليس هذا صفةَ كلِّ واجدٍ[٣] لاختلافِ أحوالِهم، فمنهم مَنْ وجدُهُ عن العلم، ومنهم من وجدُهُ بالعلم/، ومنهم مَنْ وجدُه علمٌ. [١٤١]

فأمّا الوجدُ الذي يكونُ لأهلِ الثبات من السكون عن الحركة، والمتعة بالخلوة[٤]؛ لأنَّ الأُنس أفناهم عن الوَحْشة، والقُربَ عن رؤيةِ المسافة، فربَّما بدا لهم بادٍ، فيتعالون[٥] في وجودهم، وربَّما ردَّهم إلى صفاتهم بُقيًا عليهم لما افتُطروا عليه[٦] من الحاجة إلى الغذاء والنساء، فيُحشِمُهم ذلك فينزعجونَ من رؤيتهم ذلك انزعاجًا يظنُّونها لعلَّةٍ، وقد خافوه زمانًا، فيلحقُهم عند ذلك الولهُ لطلبِ ما فقدوه، فيحملُهم على الاقتحامِ على كلِّ ما توهَّموه أنَّه يوصلُهم، غلبتْ رؤيتُهم التمييزَ[٧]، فبادروا مُسرعين، كلَّ ما رأوا سرابًا ظنُّوه ماءً، وكلَّ ما رأوا ماءً ظنُّوه سرابًا لغلبة الطَّمع، فهم على وجوههم ذاهبون، في كلِّ وادٍ يَهيمون، ولكلِّ بارقٍ يتبعون، سبقَ سيلُهم مطرَهم، وذكرُهم فكرَهم، إلى كل سببٍ يسمون[٨]، وعليه لا يُعوّلون، والطمعُ يطمحُ أبصارَهم، واليأسُ يزجرُهم[٩]، فلا يأسُهم يدوم فينصرفون،

---

(١) في الأصل: متروكًا مهما أنكر كان محفوظًا.

(٢) استهتر بالشيء: فُتن به، ولزمه غيرُ مبالٍ بنقد ولا موعظة. الوسيط.

(٣) في (ب): صفة كل واحدٍ.

(٤) في (ن) و(ع): والمنعة بالخلوة.

(٥) في (ن) و(ع): فيتغالون.

(٦) في (ب): لما فُطروا عليه.

(٧) في (ب): غلبت رغبتُهم التمييز.

(٨) في (ن) و(ع): سبب يسلمون.

(٩) في (ب): واليأس يزحرهم.

ولا طمعُهم يصحُّ فيأتلفون، أشبهُ شيءٍ بالمجانين، قد سمحتْ أنفسُهم بتلفِ مُهجتِهم عندما يطلبون، لو توهَّموه في تيهٍ سلكوه، أو وراء بحر سبحوه، أو وراء نار تأجَّجُ اقتحموها[١] كالفراش إذا رأى ضوءَ النارِ لا يُقصِّرُ عن تقحُّمها، أو ما رأيتهم مُشرَّدين مُهيَّمين بالمفاوز والمهالك والقفار، لا يأوون ولا يُؤون؟ إلاَّ أنَّهم في ذلك محفوظون من الزَّللِ بصدقهم في قصدهم، فهم من العلم على سنن.

وأمَّا من فارق العلوم الظاهرة، فغيرُ مأمونٍ عليه الزلل، ومَنْ سلكَ غيرَ المحجَّة، كان من السلامة على خطرٍ.

وكلُّ ما ذكرناهُ من علومِ الوجد ظاهرًا، وما لحقته العبارةُ أو أَوْمينا إليه بالإشارة، أو بدليلٍ قام عليه، أو مثالٍ قاربه[٢]، فأمَّا ما كان غيرَ ذلك فإنَّه علمُه منه، وشاهدُهُ فيه، وحقيقتُهُ كونه، ووصفُهُ ذوقُهُ، لأنَّ حججَ الله تعالى على عبادِهِ باهرةٌ، وأهلُه غيرُ محتاجين إلى علمها، لقيامِ الشاهدِ فيها، وانتفاءِ كلِّ وصفٍ عنها، لأنَّها ممّا تولّى الله كونها، وانفردَ بعلم كُنهها، ومتَّعَ أهلَ الإيمان بها، لما كاشفهم فيها، فلم يَبحثوا عمّا وراء ذلك لغناهم بها عن غيرها[٣]، لأنَّ ما أبدى لهم منه فهم له مُشاهدون ظاهرًا، وفيه مُقيمون باطنًا، وهو الغيبُ الذي وصفَ الله به المؤمنين فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣]، فهم في غيبهِ مُغيّبون، وهو وإن كان غيبًا، لا يلحقهم في ذلك شكٌّ ولا ريبٌ.

فإن سألَ سائلٌ عن الزيادةِ في وصفِ الوجد، فهيهات دون ذلك! فكيفَ يُوصفُ من ليس له صفةٌ غيره، ولا يُقام عليه شاهدٌ غيره؟ فهو شاهدُ نفسه، وحقيقتُهُ كونه، يعرفُهُ من وجدَهُ، ويُنكره من لم يعرفْهُ، ويُعجزُ الجميع، مَنْ عَرَفه، ومَنْ لم يعرفه، فهو بالذوقِ مَحسوس، وصاحبُهُ بالمُرادُ مُكاشفٌ،

(١) في الأصل: أو رأوْا بحرًا سبحوه، أو رأوْا نارًا تأجج.

(٢) في (ب): مثال قارنه.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: لغناهم به عن غيره.

وهو عزيزٌ موجود، منيعٌ مفقود، مُحتجبٌ بأنواره عن نوره، وبصفاتِهِ عن إدراكه، وبأسمائه عن ذاته. أعني: ذات الوجد واليقين، والإيمان والحقائق، وكذلك المحبة والشوق والقرب، كلُّ ذلك يدقُّ وصفُهُ، ولا يدرك كُنهَهُ إلاَّ من ذاقه، وتفضَّل عليه بارئُهُ به، فيُخيّلون فيه ولا يصفونه، ولا يدركونه، يُلبسهم إلباسًا، ويُذهبُ عنه الوحشةَ إيناسًا، فكلّما ازدادوا من صفته وصفًا كانوا من حقيقتِهِ أشدَّ بعدًا، فخرسُهم فيه أبلغُ من النُّطق، فلن يعرفَ أهلُه منه إلاَّ ما عُرِّفوه، واعترافُهم بالتقصير فيها نهايةُ العلم بها، فنطقُهم عِيٌّ، وعِيُهم بلاغةٌ، ولكنَتُهم فصاحةٌ.

فالسائلُ عن طعمِهِ وذوقه يَسألُ عن مُحالٍ؛ لأنَّ الطعمَ والذوق لا يُدركُ بالوصف دون التطعُّمِ والتذوُّق، والسائلُ عن كُنهه، فسؤالهُ دليلٌ على جهله به، ولا سبيلَ للعالم إلى جواب كلِّ سائلٍ، إذ كان بعضُهم يسألُ عمّا له، وبعضُهم يسألُ عمّا عليه، فقد أخذَ اللهُ على العلماء ألاَّ يكتموا العلمَ أهلَهِ، كما أخذَ اللهُ على العلماء أن يَصونوه عن غيرِ أهلِهِ.

وقد قلنا: إنَّ أهلَه غيرُ مرتابين فيسألون، ولا شاكّينَ فيتعرفون، وبالله التوفيق.

ولمّا كانتْ هذه الأحوالُ ليس لها نهايةٌ، كان الكلامُ فيها ليس له نهاية، فقطعناه، فلو وصلناهُ لاتّصل إلى ما لا نهاية له، لأنَّها إرادات[١] في المعارف/ وليستْ من كسب الآدميين؛ بل هي داخلةٌ في قوله عز وجل: [١٤٢]
﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

فهذا بعضُ عطاياه المعمومة[٢]، لا نهاية لها، ولا يُبلغُ وصفُها، فكيفَ باختصاصه أولياءه بما يوردُ عليهم في كلِّ وقتٍ وزمانٍ وطرفةِ عين، وأقلّ من ذلك من الأحوالِ التي هي مَذكورةٌ عندنا علمًا مفصَّلةٌ معلومة[٣].

---

(١) في (ن) و(ع): لأنها زيادات.

(٢) في (ب): عطاياه المعمرمة.

(٣) في (ن) و(ع): علماء بفضله معلومة.

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبا: ٣]، وهذه وإن كانت ليستْ باكتسابِ الآدميين؛ وإنَّما هي خصوصٌ، وبعضُها مواريثُ الأعمال، فالطالبُ من عند الله المزيد، قد أحكمَ الأَصلَ الذي يُوجبُ المزيد، فمن فرّطَ فيه فليسَ بمأمونٍ عليه أن يُسلبَ الأَصلَ الذي معه، إذ لم يَرْعَهُ حقَّ رعايته، لأنَّ التوقُّفَ مع النفوس يقطعُ الهجوم، والهجومُ مع مفارقةِ العلوم خطأٌ بيّنٌ، فإذا قَويتِ الرغبةُ عن التوقُّفِ، فالهجومُ ربَّما أوصلَ، فأمّا مَنْ كان مُطالبًا بأصلٍ فخطأٌ تخطِّيه إلى الفرعِ قبلَ إحكامِ الأصل، وبالله[1] التوفيق.

فهذا ما اختصرتُهُ من كتاب «الوجد» لابن الأعرابي، وبالله التوفيق.





(١) في (ن) و(ع): قبل إحكام الأصل، لا يؤمن عليه الزلل. وبالله.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كتاب إثبات الآيات والكرامات

باب في معاني الآيات والكرامات وذكر من كان له شيء من ذلك

قال الشيخُ رحمه الله: حُكي عن سهل بنِ عبد الله رحمه الله أنَّه قال: الآياتُ لله عز وجل، والمعجزاتُ للأنبياء، والكراماتُ للأولياء ولخيار المسلمين.

(*) وحُكي عن سهل بنِ عبد الله رحمه الله أنَّه كان يقول: من زهدَ في الدنيا أربعين يومًا صادقًا مُخلصًا في ذلك تظهرُ له الكراماتُ من الله عز وجل، ومن لم يظهرْ له ذلك؛ فلِمَا عُدِمَ في زهدِهِ من الصدقِ والإخلاص، أو كلامًا نحو ذلك.

وعن الجُنيد رحمه الله أنَّه قال: مَنْ يتكلَّمُ في الكرامات ولا يكونُ له من ذلك شيءٌ، مَثَلُهُ مَثَلُ من يمضغُ التبن.

قيل لسهل رحمه الله في الحكايةِ التي قبلَ هذه؛ فيمن زهد في الدنيا أربعين يومًا: كيف يكونُ ذلك؟ فقال: يأخذُ ما يشاء كما يشاءُ من حيث يشاء.

(*) وسمعتُ ابنَ سالم يقول: الإيمانُ أربعةُ أركان: ركنٌ منه الإيمانُ بالقدر، وركنٌ منه الإيمان بالقُدرة، وركنٌ منه التبرّي من الحَوْلِ والقوّة، وركنٌ منه الاستعانةُ بالله عز وجل في جميع الأشياء.

(*) وسمعتُ ابنَ سالم رحمه الله، وقيلَ له: ما معنى قولِكَ: الإيمان بالقُدرة؟ فقال: هو أَنْ تُؤمنَ ولا يُنكرُ قلبُكَ بأن يكونَ له عبدٌ بالمشرق،

ويكونَ من كرامةِ الله تعالى له أن يُعطيَهُ من القُدرةِ، وما يَتقلَّبُ من يمينه على يساره، فيكونَ بالمغرب. يعني تُؤمنُ بجواز ذلك وكونه.

والصحيحُ عن سهل بنِ عبد الله أنَّه كان يقولُ لشابٍّ كان يصحبُهُ: إنْ كنتَ تخافُ من السَّبعِ بعد ذلك فلا تَصحبْني.

(*) ودخلتُ مع جماعةٍ بتُستر قصرَ سهلِ بنِ عبد الله رحمه الله، فدخلنا في القصرِ بيتًا كان الناسُ يسمُّونه بيتَ السبع، فسألناهم عن ذلك، فقالوا: كانتْ تَجيءُ السِّباعُ إلى سهلِ بن عبد الله رحمه الله، فكان يُدخلُها هذا البيتَ، ويُضيِّفُها ويُطعمها اللحمَ، ثم يُخلّيها، والله أعلم بذلك، وما رأيتُ أَحدًا من صالحي أَهلِ تُستر يُنكرُ ذلك.

(*) وسمعتُ أبا الحسين البصري[1] رحمه الله يقول: كان بعبَّادانَ رجلٌ أسودُ فقيرٌ يأوي الخرابات، فحملتُ معي شيئًا وطلبتُهُ، فلمَّا وقعتْ عينُهُ عليَّ تبسَّمَ، وأشار بيده إلى الأرض، فرأيتُ يعني الأرض كلَّها ذهبًا تلمع، ثم قال لي: هاتِ ما معك. فناولتُهُ ما كان معي، وهربت منه، وهالني أمره.

(*) وسمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ الرَّازيَّ رحمه الله يقولُ: سمعتُ أبا سُليمان الخوَّاصَ رحمه الله يقول: كنتُ راكبًا حمارًا لي يومًا، وكان يُؤذيه الذُّبابُ، فيُطأطىءُ رأسَه، فكنتُ أضربُ رأسَه بخشبةٍ كانت في يدي، فرفعَ الحمارُ رأسَه إليَّ، وقال: اضربْ؛ فإنَّكَ هو ذا تُضربُ على رأسك. فقال أبو عبد الله: فقلتُ لأبي سُليمان: يا أبا سليمان، وقعَ لك ذلكَ أو سمعتَهُ؟ فقال: سمعتُهُ يقولُ كما تَسمعني.

(*) وسمعتُ أحمدَ بنَ عطاء الرُّوذباري يقولُ: كان لي مذهبٌ في أمرِ الطهارة، فكنتُ ليلةً من الليالي أستنجي أو قال: كنت أتوضَّأُ إلى أن مضى/ [١٤٣] من الليل ربعُهُ، ولم يطبْ قلبي، فضجرتُ، وبكيتُ، وقلتُ: يا ربِّ العفو. فسمعتُ صوتًا، ولم أر أحدًا يقول: يا أبا عبد الله، العفو في العلم.

---

(١) في (ب): أبا الخير البصري.

(*) وكان عند جعفر الخُلدي رحمه الله فصٌّ، وكان يومًا من الأيام راكبًا في سُمَّارية[١] في الدجلة، فأرادَ أن يُعطي الملاَّحَ قطعتَهُ، فحلَّ الشُّسْتكةَ[٢]، وكان الفصُّ فيها، فوقع الفصُّ في الدجلة، وكان عنده دعاءٌ للضالَّة مجرَّبٌ، فكان يدعو به، فوجدَ الفصَّ في وسطِ أوراقٍ كان يصفِّحها. والدعاء: اللهم، يا جامعَ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه، اجمعْ عليَّ ضالَّتي.

قال: ثم أراني[٣] أبو الطيِّب العكِّيُّ جزءً قد جمعَ فيه ذكرَ كلِّ ضالَّةٍ، ردَّ اللهُ إلى من دعا بهذا الدعاء في مدَّةٍ قليلةٍ، فنظرتُ فيه وكان أوراقًا كثيرة.

(*) وسمعت حمزة بنَ عبد الله العلوي يقول: دخلتُ على أبي الخير التِّينَاتي، وكنتُ قد اعتقدتُ في سرِّي فيما بيني وبين الله تعالى أن أُسلِّمَ عليه وأَخرج، ولا أتناولُ عنده طعامًا، ثم دخلتُ، فسلَّمتُ عليه، وودَّعتُهُ، وخرجتُ من عنده، فلمّا تباعدتُ من القرية، فإذا به وقد حملَ معه طعامًا، فقال لي: يا فتى، كلْ هذا، فقد خرجتَ الساعةَ من اعتقادك. أو كلامًا هذا معناه.

وهؤلاء القومُ مَشهورون بالصدق والدِّيانة، وكلٌّ واحدٍ منهم إمامٌ مشارٌ إليه في ناحيته، ومقتدًى به في أحكام الدين، فقد صدَّقهم المُسلمون في أحكامِ دينهم، وقبلوا شهادتَهم على رسول الله ﷺ فيما رووا عنه، وأَسندوا إليه مِن الأخبار والآثار، ولا يجوز أن يكذِّبَهم أحدٌ ويتَّهمهم في هذه الحكايات وما يُشبهُ ذلك، وإذا كانوا صادقين في واحدٍ، ففي الجميع كذلك، وبالله التوفيق.

* * *

---

(١) السمارية: ضرب من السفن.

(٢) كذا الأصل، ولعلها: الشستة: وهي عمامة صغيرة. المعجم الذهبي. وفي (ن) و(ع): الشُّتكة.

(٣) في الأصل، و(ن)، و(ع): ثم أوراني.

باب في حجّة من أنكر كون ذلك من أهل الظاهر والحجّة عليهم في جواز ذلك للأولياء والفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام في ذلك

قال الشيخ رحمه الله: قال أهل الظاهر: لا يجوزُ كون هذه الكرامات لغيرِ الأنبياء عليهم السلام؛ لأنَّ الأنبياء مخصوصون بذلك، والآياتُ والمعجزاتُ والكرامات واحدةٌ، وإنَّما سُمّيت معجزاتٍ لإعجاز الخلقِ عن الإتيان بمثلها، فمن أثبتَ من ذلك شيئًا لغيرِ الأنبياء عليهم السلامِ فقد ساوى بينهم، ولم يُفرِّق بين الأنبياء وبينهم.

قال الشيخ رحمه الله: من أنكرَ ذلك، فإنَّما أنكرها احترازًا من أن يقعَ وهنٌ في معجزاتِ الأنبياء عليهم السلام، وقد غلطَ قائلُ هذا القول؛ لأنَّ بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام في ذلك فرقًا من جهاتٍ شتّى.

١ـ فوجهٌ منها: أنَّ الأنبياءَ عليهم السلام مُستعبدون بإظهارِ ذلك للخلق، والاحتجاجِ بها على من يدعونهم إلى الله تعالى، فمتى ما كتموا ذلك، فقد خالفوا الله تعالى في كتمانِها. والأولياءُ مُستعبدون بكتمان ذلك عن الخلق، وإذا أظهروا من ذلك شيئًا للخلقِ لاتّخاذِ الجاه عندهم، فقد خالفوا الله وعَصوه بإظهار ذلك.

٢ـ والوجه الآخر: في الفرقِ بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام: أنَّ الأنبياء عليهم السلام يحتجُّون بمعجزاتهم على المشركين، لأنَّ قلوبَهم قاسيةٌ، لا يؤمنون بالله عز وجل. والأولياء يحتجُّون بذلك على نفوسهم حتّى تطمئنَّ وتوقنَ، ولا تضطربَ ولا تجزع[1] عند فوت الرِّزق؛ لأنَّها أمّارةٌ

(١) في (ب): ولا تخرج عند فوت.

بالسوء، جاحدةٌ مشركةٌ، مجبولةٌ على الشكِّ، ليس عندها يقينٌ بما ضَمِنَ لها خالقُها من الرزق، وذِكْر القَسْم عليها.

وقد سألتُ ابنَ سالم عن ذلك، فقلت له: ما معنى الكرامات، وهم قد أُكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارًا؟ فكيف أُكرموا بأَنْ يَجعل لهم الحجارةَ ذهبًا، فما وجهُ ذلك؟ فقال: لا يُعطيهم ذلك لقدرِها، ولكنْ يُعطيهم ذلك حتَّى يحتجُّوا بكون ذلك على أنفسهم عند اضطرابها وجزعِها من فوت الرزق الذي قَسَمَ اللهُ لهم، فيقولون: الذي يقدرُ على أن يُصيِّرِ تلك الحجارة[1] ذهبًا، كما هو ذا تنظر إليه، أليسَ بقادرٍ أن يسوقَ رزقَكَ إليكَ من حيث لا تحسبه؟ فيحتجّوا بذلك على ضجيجِ نفوسهم عند فوت الرزق، ويقطعوا بذلك حُجَجَ أنفسِهم، فيكون ذلك سببًا لرياضة نفوسهم، وتأديبًا لها.

وقد حكى لنا ابنُ سالم في معنى ذلك حكايةً عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال/: كان رجلٌ بالبصرة يُقال له إسحاق بن أحمد، وكان من [١٤٤] أبناءِ الدنيا، فخرجَ من الدنيا أعني: من جميع ما كان له وتابَ، وصحبَ سهلاً رحمه الله، فقال يومًا لسهل رحمه الله: يا أبا محمد، إنّ نفسي هذه ليس تتركُ الضجيجَ والصُّراخ من خوفِ فوت القوت والقوام. فقال له سهل رحمه الله: خذْ ذلك الحجر، وسلْ ربَّكَ أن يُصيِّرَهُ لك طعامًا تأكله. فقال: ومَنْ إمامي في ذلك حتَّى أفعلَ ذلك؟ فقال سهل: إمُامك إبراهيمُ حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فالمعنى في ذلك: أنّ النفسَ لا تطمئنُّ إلاّ برؤية العين، لأنَّ مِنْ جِبلَّتها الشكَّ، فقال إبراهيم عليه السلام: أرني كيف تطمئنُّ نفسي، فإنّي مؤمنٌ بذلك، والنفسُ لا تَطمئنُّ إلاّ برؤية العين.

فكذلك الأولياء يُظهرُ الله تعالى لهم الكراماتِ تأديبًا لنفوسهم، وتهذيبًا

---

(١) في (ب): أن يُصيِّرَ لك الحجارة.

لها، وزيادةً لهم[١]، ويكون في ذلك فرقٌ بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام. لأنَّهم يَعطونَ المُعجزةَ للاحتجاج بها في الدعوة، والدِّلالة على الله تعالى، والإقرار بوحدانيته تعالى.

٣ـ **والوجه الثالث في الفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام**: أنَّ الأنبياءَ كلَّما زِيدتْ مُعجزاتهم، وكثرتْ، يكونُ أتمَّ لمعانيهم، وأثبتَ لقلوبهم، كما كان نبيُّنا ﷺ قد أُعطي جميعَ ما أُعطي الأنبياء عليهم السلام من المعجزات، ثم زيادة أَشياء لم يُعطَ أحدٌ غيره؛ مثل: المعراج، وانشقاق القمر[٢]، ونبع الماء من بين أصابعه[٣].

وشرحُ ذلك يطول، ومقصودُنا من ذلك أنَّ الأنبياء عليهم السلام كلّما زيدتْ لهم من المعجزات يكون أتمَّ لمعانيهم وفضلهم، وهؤلاء الذين لهم الكرامات من الأولياء كلَّما زِيدتْ في كراماتهم يكون وجلُهم أكثرَ، وخوفُهم أكثرَ حذرًا أن يكونَ ذلك من المكر الخفيِّ لهم والاستدراج، وأن يكون ذلك نصيبَهم من الله عز وجل، وسببًا لسقوطِ منزلتهم عند الله عز وجل.

* * *

---

(١) في الأصل: وزيادة له.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٦٩)، ومسلم (٢٢٧٩).

باب في الأدلة على إثبات الكرامات للأولياء وعلّة قول من قال: لا يكون ذلك إلاَّ للأنبياء عليهم السلام

قال الشيخ رحمه الله: والدليلُ على جواز ذلك الكتابُ والأثر، قال الله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم: ٢٥] ومريم لم تكن نبيَّةً.

وحديثُ النبيِّ ﷺ في قصة جُريج الرَّاهب، وكلامِ الصبيِّ، وجريجُ لم يكن نبيًّا[١].

وقال النبيُّ ﷺ في قصة الغار: «بينا ثلاثةٌ يمشون، إذ آواهم الليلُ إلى غار...»، الحديث[٢].

وما رُوي عنه ﷺ: «بينا رجلٌ يَمشي، ومعه بقرةٌ، فركبها، فقالت: يا عبد الله، ما خُلقنا لهذا، إنَّما خُلقنا للحرث». فقال القوم: سبحان الله. فقال النبيُّ ﷺ: «آمنتُ به أنا وأبو بكر وعمر»[٣] رضي الله عنهما وليس هما في القوم. ولم يُذكر أنَّ الرَّاكبَ للبقرة كان نبيًّا.

وكذلك حديثُ الذئب الذي كلَّمَ الراعي[٤]، ولم يُذْكر أنّه كان نبيًّا.

وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ في أُمّتي مُكلَّمين ومُحدَّثين، وإنَّ عمرَ بنَ الخطاب منهم»[٥]. والمكلّمُ والمحدَّثُ أَتمُّ في معناه من جميع الكرامات التي ذكر الله عز وجل عن البُدلاء والأولياء والصالحين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٢)، ومسلم (٢٥٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧١)، ومسلم (٢٣٨٨).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٧١)، ومسلم (٢٣٨٨).

(٥) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (٢٣).

وحديثُ عمرَ رضي الله عنه أنَّه قال في خطبته: يا ساريةُ الجبلَ. فسُمعَ صوتُهُ بالعسكر على باب نَهاوند[١].

وقد رُوي في الحديث لعليِّ بنِ أبي طالب ولفاطمةَ رضي الله عنهما كراماتٌ وإجابات كثيرة.

وقد رُوي عن جماعةٍ من أصحاب رسول الله ﷺ في مثلِ ذلك أشياءَ، مثل حديث أُسيدِ بنِ حُضير، وعبَّاد بن بشر أنَّهما خَرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلةٍ مُظلمةٍ، فأَضاءَ لهما رأسُ عصا أحدِها كالسِّراج، على حسب ما رُوِيَ في الخبر[٢].

وحديث أبي الدَّرداء وسَلمان الفارسي رضي الله عنهما أنه كان بينهما قصعةٌ، فسبَّحتْ حتَّى سمعا تسبيحها[٣].

وقصة العلاءِ بن الحضرمي حيث بعثَهُ رسول الله ﷺ في غزاةٍ، فحال بينهم وبين الموضعِ قطعةٌ من البحر، فدعا الله تعالى باسمه الأعظم، ومشوا على الماءِ، كما جاء في الخبر[٤].

وكذلك دعاؤه لمَّا استقبلَهُ السَّبُعُ.

وحديث عبد الله بنِ عمرَ رضي الله عنه حين لقي الجماعةَ الذين وقفوا على الطريقِ من خوفِ السَّبُعِ، فطردَ السَّبُعَ من طريقهم، ثم قال: إنَّما يُسلَّطُ على ابن آدم مَنْ يخافه، ولو أنَّ ابنَ آدم لم يخفْ شيئًا غيرَ الله لم يُسلِّطِ اللهُ
[١٤٥] عليه شيئًا يخافه غيره/ . ومثله في الأخبار كثير.

والصحيحُ عن رسول الله ﷺ ما قال: «رُبَّ أشعثَ أغبَر ذي طِمرين، لو أقسمَ على الله لأبرَّ قسمه، وإنَّ البراءَ بن مالك منهم»[٥]، ولا يكونُ في

(١) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٧٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٨٠٥)، وفي الأصل، و(ب)، و(ن)، و(ع): عتاب بن بشير.
(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ١/ ٢٢٤.
(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ١/ ٨٧.
(٥) تقدم الحديث، انظر صفحة (٢٣).

الكراماتُ شيءٌ أتمَّ من أن يُقسِمَ العبدُ على الله تعالى فيُبرَّ قسمه، وقد قالَ الله عز وجل: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ولم يقل في شيءٍ دونَ شيء.

وقد رُوي أيضًا لجماعةٍ من التابعين بالأسانيد الصَّحيحة كراماتٌ وإجابات يطولُ ذكرها إن ذكرنا بعضَها، فكيف كلّها؟! وقد صنَّفَ العلماءُ في ذكرِها وروايتها عنهم مُصنفاتٍ.

وقد رُويتْ أشياءُ في الحديث من الكراماتِ كثيرةٌ؛ من ذاك لعامرِ بن عبد القيس، وللحسن بن أبي الحسن البصري، ولمسلم بنِ يسار، ولثابت البُناني، ولصالح المُرّي، ولبكر بنِ عبد الله المُزني، ولأُويس القَرَني، ولهرم بن حيَّان، ولأبي مُسلم الخولاني، ولصِلةَ بن أشيم، وللربيع بن خُثيم، ولداود الطائي، ولمُطرّف بن عبد الله بن الشخِّير، ولسعيد بنِ المسيب، ولعطاء السُّلمي ولغيرهم من التابعين، قد رووا عن كلٍّ واحدٍ من هؤلاء وغيرِ هؤلاء كراماتٍ كثيرةً، وإجاباتٍ وأشياءَ قد ظهرت لهم، لا يتهيَّأ لأحدٍ أن يدفعَ ذلك لصحَّتها عند أهل الرواية.

وكذلك لطبقةٍ أُخرى بعدهم، مثل: مالك بنِ دينار، وفرقد السَّبَخي، وعُتبة الغلام، وحبيب العجمي، ومحمد بن واسع، ورابعة العدوية، وعبد الواحد بن زيد، وأيوب السَّختياني، وغير ذلك ممَّن كان في عصرهم.

فإذا روى عنهم العلماءُ والأئمة الذين كانوا في عصرهم، وقد صحَّ عنهم ذلك عندهم، وقد حدّثوا بها، مثل أيوب السَّختياني، وحمَّاد بن زيد، وسُفيان الثوري وغيرهم من الأئمةِ والثقات، ولم يُنكر ذلك واحدٌ منهم، وهم أئمَّتنا في الدِّين، وبرواياتهم صحَّ عندنا علمُ الحدود والأحكام، وعلمُ الحلال والحرام، فكيف يجوزُ أن نصدِّقَهم في بعضِ ما يروون، ولا نصدِّقهم في بعض ذلك؟!

وقد رأيتُ جماعةً من أهلِ العلم جمعوا ما يُشاكلُ هذا الذي ذكرنا من كرامات الأولياء والإجابات والذي ظهر لهم في الوقت في هذا المعنى،

فذكروا أنَّهم قد جمعوا في ذلك أكثرَ من ألفِ حكايةٍ، وألفِ خبرٍ، فكيف يجوزُ أن يُقالَ: ذلك كلُّه كذبٌ موضوع!

وإن صحَّ من الجميع واحدٌ، فقد صحَّ الكلُّ، فإنَّ القليلَ والكثيرَ في ذلك سواء، والذي يحتجُّ بأنَّ الذي كان قبل النبيِّ ﷺ من ذلك كان إكرامًا لنبيِّ ذلك الزمان الذي كان في ذلك الوقت[1]، والذي كان لأصحابِ رسولِ الله ﷺ كان ذلك إكرامًا للنبيِّ ﷺ، فيُقال له: فالذي كانَ أيضًا للتابعين ولمن بعدهم، وما يكون من مثلِ ذلك إلى يومِ القيامة من الكرامات، فكلُّ ذلك إكرامًا للنبيِّ ﷺ لأنَّه أفضلُ الأنبياء عليه السلام، وأُمّتُهُ خيرُ الأمم.

وكما استحالَ أنْ يكونَ لنبيٍّ من الأنبياء عليهم السلام شيءٌ من المعجزات إلاَّ وقد كان للنبيِّ ﷺ مثلُ ذلك أو أتمُّ من ذلك وأكثر، فكذلك يَستحيلُ أن يكونَ في الأُمم السَّالفة لقومٍ منهم شيءٌ من الكرامات إكرامًا لأنبيائهم إلاَّ ويكونُ في أمّةِ محمدٍ ﷺ أيضًا لطائفةٍ منهم أكثر من ذلك إكرامًا لمحمّد ﷺ مع ما إنّ في أمّة محمّدٍ ﷺ من لا يرى ذلك حالاً ولا مرتبةً ولا كرامةً، ويرى ذلك اختبارًا، أومحنةً موضوعةً على طُرقِ أصفيائه والمَخصوصين من أوليائه، فهم يَخشون من ذلك إذا ظهرَ لهم سقوطَ منزلتهم عند الله تعالى، ونكوصهم على عقبهم، ونزولهم عن درجتهم، ولا يُعَدّون من رَكَن إلى ذلك ورَضي به حالاً أنّه من أهلِ الخصوص، ونحن نذكر في ذلك بابًا نبيّنُ فيه ذلك إنْ شاء الله، وإنّما أردنا بذكر ذلك جواز كونه، وبطلان قول من زعمَ أنَّ كون[2] ذلك غيرَ جائزٍ في الأمة.

* * *

---

(١) في (ب): الذي كان ذلك في وقته.

(٢) في (ب): أن يكون.

باب في ذكر مقامات أهل الخصوص في الكرامات وذكر من ظهر له شيء من الكرامات فكره ذلك وخشي من الفتنة

قال الشيخ رحمه الله: ذُكر عند سهل بنِ عبد الله رحمه الله الكراماتُ، فقال: وما الآياتُ وما الكرامات شيءٌ تَنقضي لوقتها، ولكنَّ أكبرَ الكرامات أن تُبدِّلَ خُلقًا مذمومًا/ من أخلاقِ نفسك بخلقٍ محمود. [١٤٦]

(*) وعن أبي يزيد البِسطامي رحمه الله أنه قال: كان في بدايتي يُريني الحقُّ الآياتِ والكراماتِ، فلا أَلتفتُ إليها، فلمَّا رآني كذلك جعلَ لي إلى معرفته سبيلاً.

(*) وقيل لأبي يزيد رحمه الله: فلانٌ يُقال إنَّه يمرُّ في ليلةٍ إلى مكة! فقال: الشيطانُ يمرُّ في لحظةٍ من المشرق إلى المغرب، وهو في لعنة الله.

وقيل له: يُقالُ إنَّ فلانًا يَمشي على الماء. فقال: الحيتانُ في الماء، والطيرُ في الهواء أَعجبُ من ذلك.

(*) سمعتُ طيفورَ بنَ عيسى يقول: قال موسى بنُ عيسى قال أبي: قال أَبو يزيد رحمه الله: لو أنَّ رجلاً بسطَ مُصلاَّه على الماءِ، وتربَّعَ في الهواء، فلا تغترُّوا به حتى تنظروا كيف تجدونَهُ في الأمرِ والنهي.

(*) قال الجُنيد رحمه الله: حجابُ قلوبِ الخاصَّةِ المُختصَّةِ برؤية النِّعمِ والتلذُّذ بالعطاء والسكون إلى الكرامات.

(*) سمعتُ ابنَ سالم يقول: سمعتُ أبي يقول: كان رجلٌ يصحبُ سهلَ ابنَ عبدالله رحمه الله يقال له عبد الرحمن بن أحمد، فقال يومًا لسهل: يا أبا محمد، رُبَّما أتوضَّأُ للصلاة، فيسيلُ الماءُ من يدي، فيصيرُ قضبانَ ذهبٍ

وفضّةٍ[١]. فقال له سهل: يا حبيبي، أما علمتَ أنَّ الصبيان إذا بكوا يُناوَلونَ خُشخاشةً[٢] حتى يشتغلوا بها، فانظرْ أيشٍ هو ذا تعمل.

(*) وفيما حكاه جعفر الخُلدي رحمه الله قال: حدَّثني أبو بكر الكتّاني، قال: قال لي أبو الأزهر وغيرُ واحدٍ من إخواننا: حُكي عن أبي حمزة قال: اجتمعوا على بابٍ يفتحونَهُ، فلم ينفتحْ لهم. فقال أبو حمزة: تنحّوا. فأخذ المغلقَ، فحرّكه بيده[٣]، فقال: بكذبي إلاَّ فتحته[٤]. فانفتح الغلق.

(*) وذُكر عن النُّوري رحمه الله أنّه وافى ليلةً إلى الدجلة، قال: فوجدتُها وقد التزقَ الشطُّ بالشطِّ، قال: فقلت: وعزّتِك لا عبرتُها إلاَّ في زورق.

(*) وحُكي عن أبي يزيد البِسطامي رحمه الله أنه قال: دخلَ عليَّ أبو عليّ السّندي رحمه الله، وكانَ أستاذَهُ، وكان معه جرابٌ، فصبَّه بين يدي، فإذا هو ألوانُ الجواهر، فقلت له: من أين لك هذا؟ قال: وافيت واديًا هاهنا، فإذا هي تُضيءُ كالسّراج، فحملتُ هذا منها. قال: فقلتُ له: كيف كان وقتُكَ، وقت ورودك الوادي؟ قال: كان وقتي وقتَ فترةٍ عن الحال الذي كنتُ فيه قبل ذلك، وذكر الحكاية. والمعنى في ذلك: أنَّ في وقتِ فترته شغلوه بالجواهر.

(*) قال: أملى علينا أحمدُ بن علي الوجيهي بالرّملة حكايةً عن محمد بن يوسف[٥] البنّاء قال: كان أبو تُراب النَّخْشَبي رحمه الله صاحبَ كراماتٍ، فسافرتُ معه سنةً، فاجتمع معنا أربعون رجلاً، وكان يُظهرُ لهم من الإرفاقِ ما شاء الله، قال: ثم دلَّهم أبو تُراب رحمه الله على الطريقِ،

---

(١) في (ب): قضبان الذهب والفضة.

(٢) الخشخاشة: لعبة للأطفال، إذا حُرّكت تصدر أصواتًا (خشخشة).

(٣) في (ب): فأخذ الغلق بيدهِ فحرّكه.

(٤) في (ن) و(ع): بكذا إلا فتحته.

(٥) في الأصل: أحمد بن يوسف، وانظر تتمة الخبر.

وعدلنا، فلم يبقَ معنا إلاَّ شابٌّ نحيلٌ، فقال أبو تراب: ليسَ فيهم أقوى إيمانًا من هذا. قال: فسرنا أيامًا، واحتجنا إلى طعامٍ نأكله، قال: فعدلَ أبو تُراب عن الطريق ساعةً، ثمّ جاءَ ومعه عِذْقٌ من الموز، فوضعَ بين أيدينا، ونحن في وسط الرمال، قال: فجهدَ أبو تراب بهذا الفتى أن يأكلَ من ذلك الموز، فلم يأكلْ، فقلنا له: لِمَ لا تأكلُ؟ فقال: الحالُ الذي أعتقدُهُ فيما بيني وبين الله تعالى تركُ المعلومات، وأنتَ قد صرتَ مَعلومي، فلا أصحبُكَ من بعد ذلك. قال محمد بن يوسف: قلتُ لأبي تُراب رحمه الله: إن شئتَ أعزمُ عليه، وإن شئت أتركه. فقال له أبو تُراب: كن مع ما وقعَ لك من ذلك[1]، أو كما قال، والله أعلم.

(*) سمعتُ ابن سالم يقول: لما ماتَ إسحاق بنُ أحمد دخلَ سهل بنُ عبد الله صومعتَهُ، فوجد فيها سفطًا فيه قارورتان، في واحدةٍ منهما شيءٌ أحمر، وفي الأُخرى شيءٌ أصفر، ووجد شوشقةَ ذهبٍ وشوشقةَ فضّة[2]، قال: فأمر أبي حتى رمى بالشوشقتينِ في الدجلة، وخلطَ ما في القارورتين في التُّراب، وكان على إسحاقَ بنِ أحمد دينٌ، قال ابن سالم: قال أبي: قلتُ لسهل رحمه الله: أَيشٍ كان الذي في القارورتين؟ قال: أمّا الأحمرُ فلو طُرِح وزنُ درهمٍ منه على مثاقيلَ من النحاسِ لصار ذهبًا، وأمّا الأصفرُ فلو طُرِح وزنُ درهمٍ منه على مثاقيلَ من النحاسِ لصار فضّةً، والشوشقتان كانت تجربةً/ قال: فقلتُ له: أَيشٍ منعه من أن يعملَ ذلك، ويُؤدّي دَيْنَه؟ قال: [١٤٧]
يا دوست[3]، خافَ على إيمانه. قلت أنا لابن سالم: فلو أدّى من ذلك دينَهُ سهل بنُ عبد الله رحمه الله، ألم يكنْ أولى من إفساده؟ فقال ابن سالم: كان

---

(١) في (ب): كن معنا وقع لك من ذلك.

(٢) جاء في هامش الرسالة القشيرية ٤٩٨ (باب كرامات الأولياء) تفسير الشوشقة: يعني القطعة، وفي الأصل: سوسقة.

(٣) دوست: صديق، محبٌ. وفي الأصل: يا درست. والكلمة ليست في (ع).

سهلٌ رحمه الله أَخوفَ على إيمانِ نفسه منه. ثم قال: منعَهُ من ذلك الورع، لأنَّ ذلك يتغيَّرُ بعد سبعين سنة.

(*) وذُكر عن أبي حفص، أو عن غيره أنَّه كان جالسًا، وحوله أصحابُهُ، قال: فنزل ظبيٌ من الجبل، وبركَ عندهم، قال: فبكى أبو حفص أو الشيخ وسيَّبَ ذلك الظبيَ، فسُئل عن بكائه، فقال: كنتم حولي فوقعَ في قلبي أَنْ لو كان لي شاةٌ لذبحت لكم، فلمَّا بركَ هذا الظبيُ عندنا، شَبَّهْتُ نفسي بفرعون حين سأل الله تعالى أن يُجري معه النيلَ، فأجراه، فبكيتُ، وسألتُهُ الإقالةَ ممَّا تمنَّيتُ، وسيَّبْتُ الظبيَ.

(*) وقال بعضُ المشايخ: لا تتعجَّبوا ممَّن لم يضعْ في جيبهِ شيئًا، فيُدخلُ يَدَهُ، فيُخرجُ من جيبه ما يُريد، ولكن تعجَّبوا ممَّن وضعَ في جيبهِ شيئًا، فيدخلُ يدَهُ في جيبه فلا يجده، فلا يتغيَّرُ.

(*) قال ابنُ عطاء: سمعتُ أبا الحسين النُّوري يقول: كان في نفسي من هذه الكراماتِ شيءٌ، فأخذتُ قصبةً من الصبيان، وقمتُ بين زورقين، ثم قلتُ: وعزَّتِك، لئن لم تَخرجْ لي سمكةٌ فيها ثلاثةُ أرطالٍ، فلأُغرقنَّ نفسي. قال: فخرجَ لي سمكةٌ فيها ثلاثة أرطال، قال: فبلغَ ذلك الجُنيد رحمه الله، فقال: كان حكمُهُ أن تَخرجَ له أفعىً تلدغُهُ. يعني: أنَّه لو لدغته حيَّةٌ كان أنفعَ له في دينه من ذلك؛ لأنَّ في ذلك فتنةً، وفي لدغِ الحيَّةِ تطهيرٌ وكفَّارة.

(*) قال يحيى بن معاذ رحمه الله: إذا رأيتَ الرجلَ يُشيرُ إلى الآياتِ والكرامات، فطريقُهُ طريقُ الأبدال، وإذا رأيتَهُ يُشير إلى الآلاء والنعماء، فطريقُهُ طريقُ أَهلِ المحبَّة، وهو أعلى من الذي قبلُ، وإذا رأيتَهُ يُشير إلى الذِّكر، ويكون معلَّقًا بالذكر الذي ذكره، فطريقُهُ طريقُ العارفين، وهو أعلى درجةً من جميع الأحوال.

* * *

باب في ذكر من كان له شيء من هذه الكرامات فأظهرها لأصحابه لصدقه وطهارته وسلامة قلبه وصحته

قال الشيخ رحمه الله: أخبرني جعفر الخُلدي رحمه الله فيما قرأتُ عليه قال: حدّثني الجُنيد رحمه الله قال: دخلتُ على سريّ السَقطي رحمه الله يومًا، فقال لي: أُعجّبُك من عصفورٍ يَجيءُ، فيسقط على هذا الرُّواق، فآخذُ لقمةً، فأفتُّها في كفّي، فيسقطُ على أطرافِ أناملي، فيأكلُ، فلمّا كان في وقتٍ من الأوقات سقطَ على الرُّواق، فَفَتتُّ الخبزَ[1] في يدي، فلم يسقطْ على يدي كما كان قبلَ ذلك، ففكّرتُ في سببِ العلّة في وحشته عنّي، فذكرتُ أني أكلتُ مِلحًا بأبزارٍ، فقلتُ بسرّي: أنا تائبٌ من الملحِ المطيّبِ. فسقطَ على يدي، فأكلَ وانصرفَ.

(*) وعن أبي محمد المُرتعش قال: سمعتُ إبراهيمَ الخوّاص رحمه الله يقول: تهتُ في البادية أيامًا، فإذا بشخصٍ وافاني، فقال لي: السلامُ عليك. فقلتُ: وعليك السلام. فقال: تهتَ؟ فقلتُ: نعم. فقال لي: ألا أدلُّكَ على الطريقِ؟ فقلتُ: نعم. قال: فمشى بين يديَّ خطواتٍ، وغاب عن عيني، فإذا أنا على الجادَّةِ، ومنذُ فارقتُ الشخصَ ما تهتُ، ولا أصابني الجوعُ ولا العطش.

(*) وفي حكايةِ جعفر الخُلدي عن الجُنيد رحمه الله، قال: جاءني أبو حفص النيسابوري رحمه الله مرّةً، ومعه عبدُ الله الرّباطيُّ رحمه الله، وجماعةٌ، وكان فيهم رجلٌ أصلعُ قليلُ الكلام، فقال يومًا لأبي حفص رحمه الله: قد كان فيمن مضى لهم الآياتُ الظاهرة يعني به الكرامات وليسَ لك شيءٌ من ذلك. فقال له أبو حفص رحمه الله: تعالَ. فجاء به إلى سوقِ

(١) في (ب): ففتيت الخبز.

الحدَّادين إلى كورٍ عظيمٍ مُحمًّى، فيه حديدةٌ عظيمة، فأدخلَ يدَهُ في الكُور، فأخذَ الحديدةَ المُحمَّاة، فأخرجَها، فبردَتْ في يده، فقال له: يُجزئُك هذا؟ فسُئل بعضُهم عن معنى إظهار ذلك من نفسه، فقال: كان مُشرفًا على حاله، فخشي على حاله أن يتغيَّر عليه إن لم يُظهرْ ذلك له، فخصَّه بذلك شفقةً عليه، وصيانةً لحاله/ وزيادةً لإيمانه. [١٤٨]

(*) وحُكي عن إبراهيم بن شيبان أنَّه كان في حداثتِهِ يَصحبُ أبا عبد الله المغربي، قال: فبعثني يومًا إلى موضعٍ أَحملُ له الماء، قال: فوافيتُ الماءَ، وإذا أنا بالسَّبُعِ قد قصدَ الماء، قال: فالتقينا جميعًا في مضيقٍ بيننا وبين الماء، قال: فكنتُ مرَّةً أُزاحمُهُ ومرَّةً يُزاحمني حتَّى سبقتُهُ، ووصلتُ إلى الماء قبله.

(*) وعن أحمد بن محمد السُّلمي، قال: دخلتُ على ذي النُّون المصري رحمه الله، فرأيتُ بين يديه طشتًا من ذهبٍ، وحوله النَّدُّ والعنبرُ يُسْجَرُ، فقال لي: أنتَ ممَّن يدخلُ على الملوك في أوقاتِ بسطهم. ثم أَعطاني درهمًا، فأنفقتُ منه إلى بلخ.

(*) وحُكي عن ذي النون رحمه الله أنَّه كان ربَّما يَقضمُ الشَّعيرَ قضمًا مثل الدواب.

(*) وعن أبي سعيد الخرّاز رحمه الله أنَّه قال: كان حالي مع الله عز وجل أن يُطعمني في كلِّ ثلاثة أيامٍ، قال: فدخلتُ الباديةَ، فمضى عليّ ثلاثةٌ ما طعمتُ شيئًا، فلمَّا كان اليومُ الرَّابعُ وجدتُ ضعفًا، فجلستُ مكاني، فإذا أنا بهاتفٍ يقول: يا أبا سعيد، أيُّما أَحبُّ إليك سَبَبٌ أو قوًى؟ قال: فصحتُ وقلت: لا، إلاَّ القُوى، فقمتُ من وقتي، وقد استقللْتُ، فمشيتُ بعد ذلك اثنا عشر يومًا ما طعمتُ شيئًا، ولا وجدتُ ألمًا لذلك.

(*) وعن أبي عمر الأنماطي قال: كنتُ مع أُستاذي في البادية، فأخذنا المطرُ، فدخلنا مسجدًا نُكنُّ فيه من المطر، وكان فيه خَسْفٌ في سقفه،

فصعدتُ أنا والشيخ لنُصلحَهُ، وكانت معنا خشبةٌ، فذهبنا لنجعلها على الحائط، فقصرَتْ، فقال لي الشيخُ: مدَّ. فمدَدْتُها، فركبتِ الحائطَ من هاهنا ومن هاهنا

(*) قال عمر: وكنتُ عند خيرِ النسَّاج رحمه الله، فجاءَهُ رجلٌ، فقال: أيُّها الشيخ، رأيتُكَ يومَ أَمس، وقد بعتَ الغَزْلَ بدرهمين، فجئتُ خلفك فحللتُهما[١] من طرفِ إزارك، وقد صارتْ يدي مُنقبضةً على كفّي. قال: فضحك، وأومأ بيده إلى يده[٢]، ففتحَها، ثم قال: امض، واشترِ به شيئًا لعيالك، ولا تعد لمثل ذلك.

* * *



---

(١) في الأصل: فجئت فحللتها.

(٢) في (ب): فأومأ بيده إلى يدي.

باب في ذكر الخصوص وأحوالهم التي لا تعد من الكرامات وهي في معانيها أتمُّ وألطف من الكرامات

قال: سمعتُ طلحةَ العصائدي البصري بالبصرة يقول: سمعتُ المفتحيَّ[١] صاحبَ سهل بنِ عبد الله، رحمه الله يقول: كان سهلُ بن عبد الله يَصبرُ عن الطعام سبعين يومًا، وكان إذا أكلَ ضعفَ، وإذا جاع قوي.

(*) وعن أبي الحارث الأُولاسي رحمه الله أنَّه قال: مكثتُ ثلاثين سنةً ما يسمعُ لساني إلاَّ من سرّي، ثم حالتِ الحالُ، فمكثتُ بعد ذلك ثلاثين سنةً لا يسمعُ سرّي إلاَّ من لساني.

(*) وعن أبي الحسن المزيّن قال: كان أبو عُبيد البُسري رحمه الله، إذا كان أولُ يوم من رمضان يدخلُ البيتَ، ويقولُ لامرأته: طيّني عليَّ الباب، وألقي لي[٢] كلَّ ليلةٍ رغيفًا في الكوة. فإذا كان يومُ العيد رفسَ الباب، ودخلتِ امرأتُهُ البيتَ، فإذا بالثلاثين رغيفًا موضوعةً في زاويةِ البيت، فلا أكل ولا شربَ، ولا تهيَّأ للصلاة، ولا فاتته ركعةٌ من صلاة.

(*) وحُكي عن أبي بكر محمد بن علي الكتاني رحمه الله قال: ما استودعتُ قطُّ قلبي شيئًا فخانني.

(*) وعن أبي حمزةَ الصوفي قال: دخلَ عليَّ رجلٌ من أهل خُراسان، فسألني عن الأمنِ، قال: فقلتُ له: أعرفُ من لو كان على يمينه سَبُعٌ وعلى يساره قسورةٌ[٣] ما ميَّزَ على أيِّهما يتكِي. قال: فقال الرجل: هذا علمٌ، هات حقيقةً لجوابِ مسألتي. قال: فسكتُّ[٤]، قال: فخذْها

(١) كذا في الأصل، وفي (ب)، و(ن) و(ع): المقحي.
(٢) في (ب): وألقي إليَّ.
(٣) في هامش (ب): قسورة: سبع أنثى، وفي (ن) و(ع): مسورة.
(٤) في (ب): فسكتَ.

يا بَذْبَخْت[١]، أعرفُ من لو خرجَ من المغربِ يُريدُ المشرقَ ما تغيَّرَ عليه سرُّه بين ذلك. قال أبو حمزة: فبقيتُ أربعين يومًا وليلةً لم آكلْ ولم أشرب، ولم أنمْ حتى تبيَّنَ لي علمُ ما قال.

(*) وسمعت أبا عمرو بن علوان يقول: كان شابٌّ يَصحبُ الجنيد رحمه الله، وكان له قلبٌ فطنٌ، وربَّما كان يتكلَّمُ بخواطرِ الناس، وما يعتقدون في سرائرهم، فقيل للجُنيد ذلك، فدعاه، وقال له: أيشٍ هذا الذي يَبلغني عنك؟ فقال: لا أدري، ولكنِ اعتقدْ في قلبك ما شئتَ. قال الجُنيد رحمه الله: اعتقدتُ. فقال الفتى: اعتقدتَ كذا وكذا[٢]. فقال/ [١٤٩]
الجُنيد رحمه الله: لا. فقال: اعتقدْ مرَّةً أُخرى. فقال الجُنيد رحمه الله: اعتقدتُ. فقال الشابُّ: هو كذا وكذا. فقال الجُنيد رحمه الله: لا. قال: فاعتقدْ ثالثًا. فقال الجُنيد رحمه الله: اعتقدتُ. فقال الشابُّ: هو كذا وكذا. فقال الجُنيد رحمه الله: لا. فقال الشابُّ: هذا واللهِ عجيبٌ، أنت عندي صادقٌ، وأنا أَعرفُ قلبي، وأنت تقول لا! قال: فتبسَّمَ الجُنيدُ رحمه الله، ثم قال: صدقتَ يا أخي في الأوَّلِ، وفي الثاني، وفي الثالث، وإنَّما أمتحنُكَ، هل تتغيَّرُ عمَّا أنتَ عليه.

(*) وعن جعفر الخُلدي رحمه الله، قال: سمعتُ جُنيدًا رحمه الله يقول: دخلَ الحارثُ المُحاسبيُّ رحمه الله داري، فلم يكنْ عندي شيءٌ طيِّبٌ أُطعمهُ، قال: فمضيتُ إلى دارِ عمّي، فأخرجتُ منها شيئًا، وجعلتُهُ لقمةً[٣]، ففتحَ فمَهَ، فجعلتُ في فمِهِ، فكان يُحوِّلُه من جانبٍ إلى جانب، ولا يبتلعُهُ، ثم قامَ، وخرجَ، فألقاه في الدِّهليز، فذهبتُ خلفَهُ، وقلتُ: يا عمّي، رأيتُكَ لم تبتلعْ، ثم قمتَ وألقيتَهُ في الدِّهليز، قال: نعم بُنَيَّ، وذلك أنَّ بيني

---

(١) بَذْبَخْت: منحوس، سيِّءُ الحظ، تعيس. المعجم الذهبي، وفي (ن) بذبخت بالذال. وفي (ع): يا أبا بَذْبَخت. وسيُذكر الخبر ثانية صفحة (٤٦٩) و(٥٥٠).

(٢) في (ب): فقال الشاب: هو كذا وكذا.

(٣) في (ن) و(ع): وحملتُ لقمةً.

وبينَ الله تعالى آيةً إذا كان[١] شيءٌ من غير وجههِ لا يتهيّأُ لي بلعُهُ [وكنت فتحتُ فمي لإدخالِ السرورِ عليك، ولم يتهيأْ لي أن أبلعه][٢] فقمتُ فألقيتُهُ في الدّهليز.

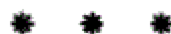
(*) وعن أبي حفص الحدَّاد أنَّه قال: أشرفَ عليَّ أبو تُراب رحمه الله في البادية، وأنا جالسٌ على بركةٍ، ولي ستةَ عشرَ يومًا لم آكلْ ولم أشربْ من البركةِ الماءَ، وأنا جالسٌ، فقال لي: ما جلوسُكَ هاهنا؟ فقلت: أنا بين العلمِ واليقين، أنتظرُ مَنْ يغلبُ، فأكون معه. قال: سيكونُ لك شأن.

(*) قال أبو عبد الله الحُصْري رحمه الله: رأيتُ إنسانًا يعني من الصوفية مكثَ سبعَ سنين لم يأكلِ الخبز، ورأيتُ رجلاً مكثَ سبعَ سنين لم يشربِ الماء، ورأيتُ رجلاً إذا مدَّ يدَهُ إلى طعامٍ فيه شُبهةٌ جفَّت.

(*) وعن جعفر المُبرقع أنَّه قال: منذ ثلاثين سنة ما عقدتُ مع الله عقدًا مخافةَ أن يفسخَ ذلك عليَّ[٣]، فيكذبني[٤] على لساني.

(*) وقال أبو بكر الزقَّاق رحمه الله: سافرنا مع إسماعيل السُّلمي، فوقعَ من رأسِ جبلٍ، فكُسرتْ قصبةُ ساقه، فبكينا، فقال: ما لكم؟ لا تغتمُّوا، إنما هو ساقٌ من قطعة طين، فإذا جفَّ فركناه.

ومثلُ ذلك في الحكاياتِ كثيرٌ، وما لم نذكرْه أكثرُ، وجميعُ ذلك أحسنُ معانِيَ وألطفُ من الكراماتِ التي ذكرناها، وفي ذلك كفايةٌ لمن عقلَ وأنصف وفهم[٥].



(١) في (ن) و(ع): أنهُ إذا كان.
(٢) ما بين معقوفين ليس في الأصل، ولا في (ب). وهو مستدرك من (ن) و(ع).
(٣) في (ب): يفسخ ذلك عليَّ فيكذبُه.
(٤) هنا ينتهي القسم السادس من (ب) الذي بدأ صفحة (٤١٨).
(٥) في هامش الأصل: في أصل ما شاهدتُه: سمع... وصف المشايخ إلى هنا من... بقراءة الفزاري جماعة منهم... الشافعي، وابناه وابن... وعبد الأول بن عيسى... ابن الطبيب في شهور... وستين وأربعمئة... نقله أحمد بن محمد الظاهري... شاهده بخط ابن يحيى ونقله من أصل أبي الوقت. وانظر الحاشية (٢) صفحة (٧٣).

كتاب البيان عن المشكلات

باب في شرح الألفاظ المشكلة الجارية في كلام الصوفية

مثل قول القائل: الحقُّ بالحقِّ للحقِّ، ومنه به له، والحال، والمقام، والمكان، والوقت، والبادي، والبادِهُ، والخاطر، والواقع، والقادح، والعارض، والقبض، والبسط، والغيبة، والحضور، والصحو، والسُّكر، وصفو الوجد، والهجوم، والغلبات، والفناء، والبقاء، والمبتدىء، والمريد، والمراد، والواجد، والتواجد، والتساكن[١]، والمأخوذ، والمستلب، والدهشة، والحيرة، والتحيُّر، والطوالع، والطوارق، والكشف والمشاهدة، واللوائح، واللوامع، والحق، والحقوق، والتحقيق، والتحقّق، والحقيقة، والحقائق، والخصوص، وخصوص الخصوص، والإشارة، والإيماء، والرمز، والصفاء، وصفاء الصفاء، والزوائد، والفوائد، والشاهد، والمشهود، والموجود، والمفقود، والمعدوم، والجمع، والتفرقة، والشّطح، والصّول، والذهاب، وذهاب الذهاب، والنّفس، والحسّ، وتوحيد العامّة، وتوحيد الخاصّ، والتجريد، والتفريد. وهمٌّ مفرّد، وسرٌّ مجرّد، والاسم، والرّسم، والوسم، والمحادثة، والمناجاة، والمسامرة، ورؤية القلوب، والروح، والتروح/ ، والنعت، [١٥٠]
والصفة، والذات، والحجاب، والدعوى، والاختيار، والبلاء، واللسان، والسرّ، والعقد، والهمّ، واللّحظ، والمحو، والمحق، والأثر، والكون، والبون، والوصل، [والفصل، والأصل]، والفرع، والطّمس، والرّمس،

---

(١) في الأصل: والساكن.

والدمس، والسبب، والنّسبة، وصاحب قلب، وربُّ حالٍ، وصاحب مقام، وفلان بلا نفس، وفلان صاحب إشارةٍ، وأنا بلا أنا، ونحن بلا نحن، وأنت أنت، وأنا أنا، وأنت أنا، وأنا أنت، وهو بلا هو، وقطع العلائق، وبادي بلا بادي، والتجلّي، والتخلّي، والتحلّي، والعلّة، والأزل، والأبد، والأمد، ووقتي مسرمد، وبحري بلا شاطى[1]، ونحن مسيّرون، والتلوين، وبذل المهج، والتّلف، واللجأ، والانزعاج، وجذب الأرواح، والوطر، والوطن، والشرود، والقصود، والاصطناع، والاصطفاء، والمسخ، واللطيفة، والامتحان، والحدث، والكلّية، والتلبيس، والشّرب، والذّوق، والعين، والاصطلام، والحرّيّة، والرّين، والغين، والوسائط، وما يشاكل هذه من الألفاظ.

* * *



(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: بلا شط.

باب بيان هذه الألفاظ

قال الشيخ رحمه الله: وأمّا معنى قولهم:

الحقُّ بالحقّ للحقّ: فالحقُّ هو الله عز وجل، وفي التفسير عن أبي صالح في قوله عز وجل: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المؤمنون: ٧١] قال: الحقُّ هو الله تعالى.

قال أبو سعيد الخرّاز رحمه الله، في بعض كلامه: عبدٌ موقوفٌ مع الحقّ بالحقّ للحق. يعني: موقوفٌ مع الله بالله لله.

وكذلك: **منه به له**: يعني: من الله بالله لله، وربَّما يكونُ في مواضعَ يعنى به ما يكون من اكتسابِ العبد بالعبد للعبد، كما قال أبو يَزيد رحمه الله: قال: قال لي أبو علي السِّندي: كنتُ في حالٍ منّي بي لي، ثم صرتُ في حالٍ منه به له.

والمعنى في ذلك: أنَّ العبدَ يكونُ ناظرًا إلى أفعاله، ويضيفُ إلى نفسه أفعالَهُ، فإذا غلبَ على قلبه أنوارُ المعرفة يَرى جميعَ الأشياء من الله قائمةً بالله، معلومةً لله، مردودةً إلى الله.

والحال: نازلةٌ، تنزلُ بالعبد في الحين، فتَجلي[١] من القلبِ من وجودِ الرضا والتفويض وغيرِ ذلك، فيصفو له في الوقتُ في حاله ووقته ويزول، وهذا كما قال الجُنيد رحمه الله.

وعند غيره: **الحال**: ما يحلُّ بالأسرار من صفاءِ الأذكار، ولا يزول، فإذا زالَ فلا يكونُ ذلك حالاً.

والمقام: هو الذي يقومُ بالعبد في الأوقات، مثلُ مقام الصابرين

---

(١) في (ن) و(ع): فيحلُّ بالقلب.

والمتوكّلين، وهو مقامُ العبد بظاهره وباطنه في هذه المعاملات والمجاهدات والإرادات، فمتى أقامَ العبدُ في شيءٍ منه على التَّمامِ فهو مقامه حتى ينتقلَ منها إلى مقامٍ آخر، كما ذكرتُهُ في باب المقامات والأحوال(١).

والمكان: هو لأهلِ الكمال والتمكين والنهاية، فإذا كملَ العبدُ في معانيه تمكَّنَ له المكانُ، لأنه قد عبرَ المقاماتِ والأحوالَ، فيكون صاحبَ مكانٍ، قال بعضهم:

مكانُكَ من قلبي هو القَلبُ كلُّه   فليسَ لشيءٍ فيه غيرِكَ مَوضعُ(٢)

والمشاهدة: بمعنى المُداناة والمحاضرة. والمكاشفة والمشاهدة، تتقاربان في المعنى، إلاَّ أنَّ الكشفَ أتمُّ في المعنى.

قال عمرو بن عثمان المكّي رحمه الله: أوّلُ المشاهدة زوائدُ اليقين سطعتْ بكواشفِ الحضور، غيرُ خارجةٍ(٣) عن تغطية الغيب، وهو التماسُ القلبِ دوام المحاضرة لما وارتْهُ الغيوبُ(٤)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] يعني: حاضرٌ.

واللوائح: ما يلوحُ للأسرار الظاهرة لزيادة السموّ، والانتقال من حالٍ إلى حالٍ أعلى من ذلك.

قال الجُنيد رحمه الله: لقد فازَ قومٌ دلَّهم وليُّهم على مختصرِ الطريق، فأوقفَهُم على محجَّةِ المُناجاة، ولوَّحَ لهم على فهمِ الدَّعوة إلى المسارعة بالمناسبة إلى فهمِ الخطاب، إذ يقول عز وجل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾/ [آل عمران: ١٣٣] فنهضتِ العقولُ مُستجيبةً بحُسْنِ التوحيد(٥) [١٥١]
لإقامةِ ما به يحظون عنده.

---

(١) انظر الصفحة: (٦١).
(٢) البيت للحلاج، الديوان ص٥٤.
(٣) في الأصل: غير جاحدة.
(٤) انظر اختلاف رواية قوله ص (٤٦٠).
(٥) في (ن) و(ع): بحسن التوجه.

واللوامع: معناه قريبٌ من **اللوائح**: وهو مأخوذٌ من لوامعِ البرق، إذا لمعت في السحاب طمع الصادي والعطشانُ في المطر.

قال عمرو بن عثمان المكّي رحمه الله: إنَّ الله تعالى يُوردُ في صفاءِ الأوهامِ كمثلِ لوامع البرق، بعضها في إثر بعض، ويُبدي ذلك لقلوبِ أوليائه بلا توهّمٍ بأصلِ ما عقدَتْ عليه القلوب من التصديق والإيمان بالغيب، وما بدا للقلوب لوامعُهُ من زيادةِ النورِ، حتى لا يُمكن النفوسُ توهُّمَ ذلك النور في صفاءِ الأوهام، ولو تَوهَّمتِ انقطعَ ذلك، وقال القائل:

واغترَّ ذو[1] طمعٍ بلمع سَرابِ

والحق: هو الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

والحقوق: معناه الأحوال والمقامات والمعارف، والإرادات والقصود، والمعاملات والعبادات. قال [جعفر] الطَّيالسيُّ[2] الرّازي رحمه الله: إذا ظهرتِ الحقوقُ غابتِ الحظوظ، وإذا ظهرتِ الحظوظُ غابتِ الحقوق.

ومعنى الحظوظ: حظوظُ النفسِ والبشرية لا تجتمعُ مع الحقوق، لأنَّهما ضدّانِ لا يجتمعانِ.

والتحقيق: تكلّفُ العبد لاستدعاء الحقيقةِ جهدَهُ وطاقته.

قال ذو النُّون رحمه الله: قلتُ لبعضِ الحكماء الذين لقيتهم: لِمَ وقفَ سالكُ الطَّريقِ في كبدِ فِجاجِ المضيق؟ فقال: مِنْ ضعفِ دعائم التصديق، وأخذ القلوب بالتحقيق.

والتحقّق: معناه معنى التحقيق، وهو مثل التعلّم والتعليم، والحقيقة اسم، والحقائق جمعُ الحقيقة، ومعناه وقوفُ القلب بِدوام الانتصاب بين يدي مَنْ آمن به، فلو داخلَ القلوبَ شكٌّ أو مخيلة فيما آمنتْ به حتى لا تكونَ

(١) في الأصل: واعتدَّ ذو طمع.
(٢) في الأصل: الطلاس الرازي. وانظر خبره صفحة (٤٨٤).

به واقفةً وبين يديه منتصبةً لبطَلَ الإيمان، وهو قول النبيِّ ﷺ لحارثة: «لكلِّ حقٍّ حقيقةٌ، فما حقيقةُ إيمانك؟»[١] فقال: عزفتْ نفسي عن الدنيا، فأَسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكأنّي أنظرُ إلى عرشِ ربيِّ بارزًا. و(كأني) يعبرِ عن مشاهدةِ قلبه، ودوامِ وقوفه وانتصابه بين يدي الله تعالى لما آمنَ به حتى كأنَّه رأي العين.

قال الجُنيد رحمه الله: أَبتِ الحقائقُ أن تدعَ للقلوبِ مقالةً للتأويل.

والخصوص: أهل الخصوص: هم الذين خصَّهُم اللهُ تعالى من عامَّةِ المؤمنين بالحقائق والأحوال والمقامات.

وخصوص الخصوص: هم أهلُ التفريد، وتجريد التوحيد، ومَنْ عَبَرَ الأحوال والمقامات وسلكها، وقطعَ مَفاوزَها، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢] فالمقتصدُ خصوصٌ، والسابقُ خصوصُ الخصوص.

حُكي عن الشِّبليِّ رحمه الله أنَّه قال: قال لي الجُنيد رحمه الله: يا أبا بكر، ما ظنُّك بمعنى خصوصِ الخصوص فيما تجري إليه من القول عموم؟ ثم قال: خصوصُ الخصوص في نعتِ الإيماء إليه عموم.

والإشارة: ما يخفى عن المتكلّم كشفُه بالعبارة للطافةِ معناه.

قال أبوعلي الرُّوذباري. رحمه الله: علمُنا هذا إشارةٌ، فإذا صار عبارةً جفا[٢].

والإيماء: إشارة بحركةٍ جارية.

قال الجُنيد رحمه الله: جلستُ عند ابن الكُرَّيْني، فأوميتُ برأسي إلى الأرض، فقال: بَعُدَ. ثم أَوميتُ برأسي إلى السماء، فقال: بَعُدَ[٣].

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٧).

(٢) في (ن) و(ع): عبارة خفي.

(٣) تقدم القول مع شرحه صفحة (٢٩٧).

وقال الشِّبلي رحمه الله: ومن أَوْمَى إليه فهو كعابدِ وثنٍ؛ لأنَّ الإيماءَ لا يصلحُ إلاَّ إلى الأوثان، وقال القائل:

ولـي عنـدَ اللِّقـاءِ وفيـه عَتْـبٌ ... بـإيمـاءِ الجُفُـونِ إلـى الجفـونِ
فـأبهـتُ خيفـةً وأذوبُ خـوفًـا ... وأفنى عن حِراكٍ أو سُكُونِ[1]

و الرَّمز: معنًى باطل مَخزونٌ تحت كلامٍ ظاهر، لا يظفرُ به إلاَّ أَهلُه، قال القنّاد:

إذا نَطقوا أَعْجَزْكَ مَرْمَى رُموزِهِمْ ... وإنْ سَكَتوا هَيهاتَ مِنكَ اتِّصالُهُ[2]

وقال بعضُهم: من أرادَ أن يقفَ على رموزِ مشايخنا، فلينظرْ في مُكاتباتهم ومُراسلاتهم، فإنَّ رموزَهم فيها لا في مُصنَّفاتهم.

والصفاء: ما خلصَ من مُمازجة الطبع، ورؤية الفعل من الحقائق في الحين.

قال الجريري رحمه الله: ملاحظةُ ما صفا بالصفاء جفاءٌ، لأنَّ معه ممازجةَ الطَّبعِ ورؤيةَ الفعل.

قال ابنُ عطاء رحمه الله: لا تغترُّوا بصفاءِ العبودية، فإنَّ فيها نسيانَ الرُّبوبية، لأنَّها مَمزوجةٌ[3] بالطبع ورؤية الفعل/ ، والله أعلم. [١٥٢]

وسُئل الكتَّانيُّ رحمه الله عن الصفاء، فقال: مُزايلةُ المذموماتِ.

وسئل عن صفاء الصفاء: فقال: مُزايلةُ الأحوال والمقامات، والدخولُ إلى النِّهايات.

وصفاء الصفاء: إبانةُ الأسرارِ عن المُحدثاتِ، لمشاهدة[4] الحقِّ بالحقِّ على الاتِّصال بلا علّةٍ، قال القائل:

---

(١) البيت الثاني: ليس في الأصل.
(٢) ذكر البيت صفحة (٥٥٨)، وروايته وإن صمتوا.
(٣) في (ن) و(ع): لأنها ممازجة.
(٤) في الأصل: مشاهدة الحق.

صفْوُ الصَّفا في صَفْوِه إذعانُ وصفاؤه في كَوْنِه إيقانُ
مَنْ بانَ بيِّنَ ما أَبانَ به له حقَّ البيانِ بواضحِ التبيانِ[1]
هذا حقيقةُ وَجْدِهِ مِنْ وَجْدِهِ وَلِوجْدِهِ هل فوقَ ذاكَ بيانُ

والزوائد: زياداتُ الإيمان بالغيب واليقين، كلَّما ازدادتِ الإيمانُ[2] واليقينُ زادَ الصدقُ والإخلاصُ في الأحوالِ والمقاماتِ والإرادات والمعاملات.

قال عَمرو بن عثمان المكّي رحمه الله: زوائدُ اليقين إذا سطعت بكواشفِ الحضورِ عن تغطيةِ القلوب لما وارته الغيوب[3].

والفوائد: تحفُ الحقِّ لأهلِ مُعاملته في وقتِ الخدمة بزيادةِ الفهم للتنعُّمِ بها.

قال أبو سُليمان الدَّاراني رحمه الله: رأيتُ الفوائد تردُ في ظُلَم الليل.

والشاهد: ما يُشهدُك بما غاب عنك. يعني: يحضر قلبك لوجوده، قال القائل:

وفي كلِّ شيءٍ له شاهدٌ يَدلُّ على أنَّه واحدُ[4]

والشاهد، أيضًا بمعنى الحاضر.

وسئل الجُنيد رحمه الله عن الشاهد، فقال: الشاهدُ الحقُّ شاهدٌ[5] في ضميرك وأسرارك مُطلعٌ عليها، والمشهودُ ما يشهدُهُ الشاهد.

قال أبو بكر الواسطي: الشاهدُ الحقُّ والمشهودُ الكون، قال عز وجل: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣].

---

(١) كذا في الأصل، وفي إقواء، ويستقيم بقولنا: حقَّ البيان وأوضحَ التبيانُ.
(٢) في الأصل: كلما ازدادوا اليقين.
(٣) تقدم القول مع اختلاف فيه ص (٤٥٦).
(٤) تقدم البيت مع تخريج صفحة (٤٨).
(٥) ليس في (ن) ولا في (ع) كلمة: شاهد.

والموجود والمفقود: اسمان متضادان، فالموجود: ما خرجَ عن حيِّز العدمِ إلى حيِّز الوجود، والمفقودُ: ما خرجَ من حيِّزِ الوجودِ إلى حيِّزِ العدم.

قال ذو النُّون رحمه الله: لا تحزنْ على مفقودٍ، ويكونُ ذكرًا لعبدٍ موجود.

والمعدوم: الذي لا يوجد، ولا يمكنُ وجوده، فإذا عدمتَ شيئًا، ويمكنُ وجودُهُ فذاك مفقودٌ، وليس بمعدوم.

قال بعضُ أهلِ المعرفة: العالمُ وجودٌ من بين طرفَيْ عدمٍ، لأنَّه موجودٌ، كان عدمًا معدومًا، ويَصيرُ عدمًا معدومًا، ولا يَشهدُهُ العارفُ إلاَّ بعدمٍ معدومٍ، فيجعل له عند رؤية عدمه معرفةَ وحدانية خالقه.

والجمع: لفظٌ مُجمل، يعبّرُ عن إشارةِ مَنْ أشارَ إلى الحقِّ بلا خلقٍ قبلُ، ولا كونٍ كان، إذِ الكونُ والخلقُ مكوّنان لا قَوام لهما بنفسهما، لأنَّهما وجودٌ بين طرفَيْ عدم.

والتفرقة: أيضًا لفظٌ مُجملٌ، يُعبِّرُ عن إشارةِ مَنْ أشارَ إلى الكونِ والخلق. وهما أَصلانِ لا يَستغني أحدُهما عن الآخر، فمن أشارَ إلى تفرقةٍ بلا جمعٍ فقد جحدَ البارىء، ومن أشارَ إلى جمعٍ بلا تفرقةٍ، فقد أنكرَ قدرة القادر، فإذا جمع بينهما فقد وحَّدَ. وقال القائل:

جَمعــتُ وفَــرَّقْــتُ عنّــي بــه وفَــرْدُ التَّــواصُــلِ مَثْنــى العَــدَدْ

يعني: جَمعتُ به، وفرَّقْتُ عنّي، وفردُ التَّواصُلِ في الجمع مثنى العدد في التفرقة.

والغيبة: غيبة القلبِ عن مُشاهدةِ الخلقِ بحضوره، ومشاهدتُهُ للحقِّ بلا تغييرِ ظاهر العبد.

والغشية: هي غيبةُ القلبِ بما يردُ عليه، ويظهرُ ذلك على ظاهر العبد.

والحضور: حضورُ القلبِ لما غابَ عن عيانه بصفاءِ اليقين، فهو كالحاضرِ عنده، وإن كان غائبًا عنه، قال القائل:

أنـتَ وإنْ غُيِّبْـتَ عَنـــــ ـــنِي سيِّدي كالحـاضرِ

وقال النُّوري:

إذا تَغيَّبْـــــتُ بَـــــدا وإنْ بَـــــدَا غيَّبنــــــي

وكذلك **الصحو والسكر**: معناهما قريبٌ من معنى الغيبةِ والحضور، غيرَ أنَّ الصَّحْوَ والسُّكر أقوى وأتمُّ وأقهرُ من الغيبة والحضور، وقد قال في ذلك بعضُهم:

فحالانِ لي حَالانِ صَحْوٌ وسَكْرَةٌ فلا زِلْتُ في حالَيَّ أَصْحوُ وأَسكَرُ
كفاكَ بأنَّ الصَّحوَ أوجدَ كَأْبتي فكيفَ بحالِ السُّكرِ والسُّكرُ أجدرُ
جَحدتُ الهوى إنْ كُنتُ مَذْ جَعَلَ الهوى عيونَكَ لي عينًا تُغَضُّ وتُبصرُ
نَظرتُ إلى شيءٍ سِواكَ وإنَّما أَرى غيـرَنـا أَحْـلامَ نَـومٍ يُقَـدَّرُ

[١٥٣] / والفرقُ بين **السُّكرِ والغشية**، أنَّ السُّكرَ ليس نشأتُهُ من الطبع، لا يتغيَّرُ عند وروده الطبع، والحواسّ. والغشيةُ نشأتُها ممزوجةٌ بالطبع، تتغيَّرُ عند ورودها الطبع والحواس، وتنقص منها(١) الطهارة. والغشيةُ لا تدوم، والسُّكرُ يدوم.

والفرقُ بين **الحضورِ والصحو**: أن الصَّحوَ حادثٌ، والحضور على الدوام.

ومعنى **صفو الوجد**: ألاَّ يعارضَهُ في وجدِهِ شيءٌ غير وجوده، كما قال القائل:

تحقَّقَ صَفْوُ الوجدِ مِنَّا فما لنا علينا سِوانا مِنْ رقيبٍ يُخبِّرُ

والهجوم والغلبات: متقاربا المعنى إلاَّ أنَّ الهجومَ فعلُ صاحبِ الغلبات، وذلك عند قوّة الرغبة، والانفلات من دواعي الهوى والنفوس عند قوةِ رغبةِ الطالب إذا لاحَ له أعلامُ المزيد في حال طلبه المطلوب؛ فلو ظنَّ أنَّ

(١) في الأصل: والغشية تنشئته ممزوجة بالطبع يتغير عند وروده الطبع.

مطلوبَهُ وراءَ بحرٍ سبحه، أو في تيهٍ سلكه بالهجوم عند غلبات الإرادةِ وقوّةِ سلطانِ المطالبةِ عليه، لو رأى نارًا اقتحمَها بالهجوم بتلفِ الروح، وبذلِ المُهجة سواءٌ أوصلَه ذلك إلى مطلوبِهِ أو لم يوصله، فذلك معنى الهجوم والغلبات.

والفناء والبقاء: قد ذكرته في باب[1]. ومعنى الفناء: فناءُ صفةِ النفس، وفناء المنع والاسترواحُ إلى حالٍ وقع، والبقاء: بقاءُ العبدِ على ذلك.

وأيضًا: **فناء**: هو فناءُ رؤيا العبد في أفعاله لأفعالِهِ بقيام اللهِ له في ذلك. والبقاءُ بقاءُ رؤية العبد بقيامِ الله له في قيامه لله قبل قيامه لله بالله.

والمبتدى: هو الذي يَبتدىء بقوة العزمِ في سُلوكِ طرقاتِ المُنقطعين إلى الله تعالى، ويتكلَّفُ لآداب ذلك، ويتأهَّبُ للتأدُّب بالخدمة[2] والقبول من الذي يعرفُ الحالَ الذي ابتدأ به وأشرف عليه من بدايته إلى نهايته.

والمريد: الذي صحَّ له الابتداء، وقد دخلَ في جُملة المُنقطعين إلى الله تعالى بالاسم، وشهدَ له قلوبُ الصادقين بصحَّة إرادته، ولم يترسَّمْ بَعْدُ بحالٍ ولا مقامٍ، فهو في السير مع إرادته.

والمراد: العارفُ الذي لم تبق له إرادةٌ، وقد وصلَ إلى النهايات، وعبرَ الأحوالَ والمقامات، والمقاصدَ والإرادات، فهو مرادٌ، أُريد به ما أُريد، ولا يُريدُ إلاَّ ما يريد.

والوجد: مصادفة القلوب لصفاءِ ذكرٍ كان عنه مفقودًا.

والتواجد، والتساكر: قريبا المعنى، وهو ما يُمتزج من اكتسابِ العبد بالاستدعاء للوجد والسكر، وتَكَلُّفُهُ للتشبُّه بالصادقين من أهلِ الوجد والسكر.

والوقت: ما بينَ الماضي والمستقبل.

---

(١) انظر الصفحة (٣٠١).

(٢) في الأصل: ويتأهب المتأدب بالخدمة.

قال الجُنيد رحمه الله: الوقتُ عزيزٌ، إذا فاتَ لا يُدرك. يعني: نفسك ووقتك الذي بين النَّفَسِ الماضي والنَّفَس المستقبل، إذا فاتك بالغفلةِ عن ذكر الله تعالى فلا تلحقه أبدًا.

والبادي: هو الذي يبدو على القلب في الحين من حيثُ حالِ العبد، فإذا بدا بادي الحقِّ يُبيدُ كلَّ[1] بادٍ غير الحقِّ.

قال إبراهيم الخوَّاص رحمه الله: إذا بدا بادي الحقِّ أَفنى كلَّ بادٍ.

والوارد: ما يردُ على القلوب بعد البادي، فيستغرقُها، والواردُ له فعلٌ وليس للبادي فعلٌ، لأنَّ البوادي بدايات الواردات.

قال ذو النُّون رحمه الله: واردُ حقٍّ جاءَ يُزعجُ القلوب.

والخاطر: تحريكُ السرِّ، لا بداية له، وإذا خطر بالقلبِ فلا يثبتُ، فيزول بخاطرٍ آخرَ مثلِهِ.

والواقع: ما يثبتُ، ولا يزولُ بواقعٍ آخر.

سمعتُ بعضَ المشايخ، وهو أبو الطيِّب الشِّيرازي رحمه الله قال: سألتُ شيخًا من مشايخي مسألةً، فقال لي: أرجو أن يقعَ جوابه.

قال الجُنيد رحمه الله لخيرِ النسّاج رحمه الله حين خرجَ إليه: هلاَّ خرجتَ مع أوّلِ خاطرك؟ وذلك أنَّه خطرَ بقلبِهِ بأنَّ الجُنيد رحمه الله على بابِ داره، فكان يدفع خاطرَهُ مِرارًا؛ فلمّا خرجَ، قال له الجُنيد ذلك.

ويُقال: إنَّ الخاطرَ الصحيح أوّلُ الخاطر. أي أوّلُ ما يَخطرُ.

ومعنى الخاطر أيضًا: ما لا يكونُ للعبدِ نسبةٌ في ظهوره في الأسرار.

والخاطر أيضًا: قهرٌ يستوعبُ الأسرار.

والقادح: قريبٌ من الخاطر إلاَّ أنَّ الخاطرَ لقلوبِ أهل اليقظة، والقادحُ لأهلِ الغفلة؛ فإذا تقشّعَ عن قلوبهم غيومُ الغفلة، قدحَ فيها/ قادحُ الذكر، [١٥٤]

---

(١) في الأصل: يبيد لكلّ.

وهي لفظةٌ مأخوذةٌ من قدحِ النار بالزِّناد، والقادحُ الذي يستوقدُ النارَ[١]، قال القائل:

يا قادحَ النَّارِ بالزّنادِ[٢]

وقال بعضُهم: ليسَ ما قدحتْهُ الحقيقةُ كما ساكنَتْه البشرية.

والعارض: ما يعرضُ للقلوبِ والأسرار[٣] من إلقاءِ العدو والنفْس والهوى، فكلُّ ما يكونُ من إلقاءِ النفس والعدوِّ والهوى فهو العارضُ؛ لأنَّ الله تعالى لم يجعلْ لهؤلاء الأعداءِ طريقًا إلى قلوب أوليائه إلاَّ بالعارضِ دون الخاطرِ والقادحِ والبادي والوارد، قالَ: أُنشد:

يُعارضني الوَاشونَ قلبي بكلِّ ما   يُقَلْقِلُـهُ فـي سـرِّهِ والعـلانيَـهْ

والقَبضُ والبسط: حالان شريفان لأهلِ المعرفة، إذا قبضهم الحقُّ أحشمَهُم عن تناول القوام والمباحات، والأكلِ والشرب والكلام، وإذا بسطَهُم ردَّهم إلى هذه الأشياء، وتولّى حفظَهُم في ذلك.

فالقبض: حالُ رجلٍ عارفٍ ليس فيه فضلٌ لشيءٍ غير معرفته.

والبسطُ: حالُ رجلٍ عارفٍ بسطَهُ الحقُّ وتولّى حفظه حتى يتأدَّبَ الخلقُ به، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقال الجُنيد رحمه الله في معنى القبض والبسط: يعني الخوفُ والرجاء، فالرجاءُ يبسطُ إلى الطاعة، والخوفُ يقبضُ عن المعصية.

وقد قالَ القائلُ في صفة حالِ العارف المُنقبضِ، وصفة حال العارف المنبسط فقال:

---

(١) في الأصل: بالزناد، وإذا قدحه القادحُ الذي يستوقد النار.

(٢) صدر بيت ذكره ابن أبي داود في الزهرة ١/ ٣٢٠ (ط مكتبة المنار) من غير عزو، والعاملي في الكشكول (٣/ ١٩٨)، ونسبه إلى السلامي، وفيهما: يا موقد النار. وعجزه: وطالب الجمر في الرماد.

(٣) في الأصل: والمعارض ما يعارض للقلوب والأسرار.

معارفُ الحقِّ تَحويها إذا نُشرت ثلاثةٌ بعدَها الأَرواحُ تُخْتَلَسُ
فعارفٌ بحظوظِ الحقِّ ليسَ له عنه سِواهُ ولا منه له نَفَسُ
وعارفٌ بولا المِليكِ(١) مُعتَرِفٌ يحثُّهُ الوجدُ ما ولِّي له الغَلَسُ
وعارفٌ غابَ عنه العُرْفُ فاعتسفَتْ منه السَّرائرُ مَطويَّ الذُّرى شَرِسُ
حتى استلانَ وغاب(٢) الوعْثُ في مَهَلٍ فطارَ شيئان عنه النُّطقُ والخَرَسُ
أغاثَهُ الحقُّ عمَّا دونه فلهُ منه إليه سِرارٌ وَحْيُها خَنِسُ

يذكرُ أنَّ العارفين على ثلاثةِ أصناف:

صنفٌ منهم ليس لهم منه نَفَس(٣).

وصنف منهم يحثُّهم الوجدُ إلى الحالِ الذي يتولأهم الحقُّ بالكلاية فيها.

وصنفٌ منهم غابَ عنهم العُرْفُ والعادةُ، واستوى عندهم النطقُ والصَّمتُ وغيرُ ذلك بعناية الحقِّ لهم، فإن سكتوا فللّهِ يسكتون، وإن نَطقوا فعن اللهِ ينطقون.

والغيبة والحضور، والصحو والسُّكر، والوجد والهجوم والغلبات، والفناء والبقاء، فاعلم أنَّ ذلك من أحوال القلوب المتحقِّقةِ بالذِّكر والتَّعظيمِ لله عز وجل.

والمأخوذ والمستلب(٤): بمعنًى واحد، إلاَّ أنَّ المأخوذَ أتمُّ في المعنى، وهم العبيدُ الذين وصفهم في الحديثِ المرويِّ عن النبيِّ ﷺ الذي قال: «يظنُّ الناسُ أنَّهم قد خُولطوا، وما خولطوا، ولكن خالطَ قلوبَهم من عظمةِ الله تعالى ما أذهبَ بعقولهم»(٥).

---

(١) في الأصل: وعارف بولا التمليك معترفًا.
(٢) في (ن) و(ع): حتى استكان وغاب.
(٣) في الأصل: ليس لهم منهم تعيين.
(٤) في الأصل: المأخوذ والمسلوب. وانظر تتمة التعريف.
(٥) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

وفي الحديث رُوِيَ أيضًا عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لا يبلغُ العبدُ حقيقةَ الإيمان حتَّى يظنَّ الناسُ أنَّه مجنون»(١).

وقد رُوِي عن الحسنِ في الخبرِ: كنت إذا رأيتُ مجاهدًا كأنَّه خَرْبَنْدَجُ قد ضلّ حماره(٢)، لما كانَ فيه من الولَهَ.

والأخبارُ تكثر في وصف المأخوذِ والمستلب، وقال القائل:

فلا تَلُمْني على ما كانَ من قَلَقي إنّـي بحبِّـكَ مَـأخـوذٌ ومُسْتَلَـبُ

والدهشة: سطوةٌ تصدمُ عقلَ المُحبِّ من هيبة محبوبه إذا لقيَهُ عند الأياس، لم يجدْ لها عاهةً(٣) إذا انقضت.

وقد رُوِي عن بعضِهم أنّه قال: اللهم، إنَّك لا تُرى في الدنيا، فهبْ لي من عندك ما يسكنُ إليه قلبي. قال: فغُشي عليه، فلمّا أفاقَ قال: سبحان الله. فقيل له: ممَ سبَّحتَ؟ قال: ألقى إليّ سكينته(٤) بدلاً من النظر إليه، وهل لذلك من بدلٍ؟ فقلتُ: يا رب، دهشتُ من حبِّك، فلم أتمالَكْ أنْ قلتُ ما قلتُ.

ولبعضهم يقول:

إنَّ مَـنْ أَهــواه قــد أَدهشَنــي لا خلوتُ الدّهرَ من ذاكَ الدَّهَشْ(٥)

---

(١) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي، وقد روى الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٦٨ عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون».

(٢) مجاهد: هو مجاهد بن جَبْر شيخ القراء والمفسرين (١٠٤٢١هـ). والخبر في سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٢ عن الأعمش (انظر تخريجه هنالك) قال: كنت إذا رأيت مجاهدًا ازدريته متبذلاً كأنه. . . الخربندج: حارس الحمار أو مؤجره، واللفظة فارسية.

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: لم يجد لها علّةً.

(٤) في الأصل: ألقى إليّ تسلبةً.

(٥) ذكره ابن حبيب في عقلاء المجانين ٣٣٧، والسراج القاري في مصارع العشاق ١/ ٢٥، و٢٦٩ كلاهما منسوبًا لرجل مجنون.

وكان الشِّبليُّ رحمه الله يقول: يا دهشًا كُلَّه. معناه كلُّ شيءٍ مع الخلقِ منك دَهِشٌ كله/ . [١٥٥]

والحيرة: بديهةٌ تردُ على قلوبِ العارفين عند تأمُّلِهم وحضورهم وتفكُّرِهم، تحجبُهم عن التأمُّلِ والفكرة.

قال الواسطيُّ رحمه الله: حيرةُ البديهة أَجلُّ من سكونِ التولّي عن الحيرة.

والتحيُّرُ: منازلةٌ تتولّى قلوبَ العارفين بين اليأسِ والطَّمعِ في الوصول إلى مطلوبه ومقصوده، لا تُطمعُهُم في الوصول فيرتجوا ولاَ تُؤيسهُم عن الطلب فيستريحوا، فعند ذلك يتحيَّرون.

وقد سُئل بعضُهم عن المعرفة: ما هي؟ فقال: التحيُّرُ، ثم الاتِّصال، ثم الافتقار، ثم الحيرة، قال قائل:

قد تحيَّرْتُ فيكَ خُذْ بيدي ... يا دليلاً لمن تحيَّرَ فيكا[١]

والطوالع: أنوارُ التوحيد، تطلعُ على قلوبِ أهل المعرفة بتشعشُعِها، فيطمئنُّ ما في القلوب من الأنوارِ بسلطانِ نورها، كالشمسِ الطالعة إذا طلعتْ، يَخفى على الناظرِ من سطوةِ نورها أنوارُ الكواكب، وهي في أماكنها.

قال الحسينُ بنُ منصور في هذا المعنى[٢]:

قد تجلَّتْ طوالعٌ زاهراتٌ ... يَتَشَعْشَعْنَ والطَّوالعُ بَرْقُ[٣]

خصَّني واحدي بتَوْحيدِ صدْقٍ ... ما إليها مِنَ المسالكِ طَرْقُ

والطوارق: ما يطرقُ قلوبَ أهل الحقائق من طريق السمع، فيجدّدُ لهم حقائقَهم.

---

(١) ذُكر في نفح الطيب من غير نسبة ٥/ ٣٢٤.

(٢) ديوان الحلاج ٥٧.

(٣) في الأصل، و(ن) و(ع): يتعشعشن في لوامع برق. والمثبت من الديوان.

حُكي عن بعضِ المشايخ أنه قال: يطرقُ سمعي علمٌ من علوم أهلِ الحقائق، فلا أدَعُ أن يدخلَ قلبي إلاَّ بعد أن أَعرضَها على الكتاب والسُّنَّة.

والطوارق في اللغة: ما يطرق بالليل.

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه كان يدعو: «وأعوذُ بك من شرِّ طوارقِ اللَّيلِ والنهار إلاَّ طارقًا يطرقُ بخيرٍ»[1].

والكشف: بيانُ ما يستترُ على الفهم، فيُكشفُ عنه للعبد كأنَّه رأيُ عينٍ.

قال أبو محمد الجريري: من لم يعملْ فيما بينه وبينَ اللهِ تعالى بالتقوى والمراقبة، لم يصلْ إلى الكشفِ والمشاهدة.

وقال النُّوري رحمه الله: مكاشفاتُ العيونِ بالإبصار، ومكاشفاتُ القلوبِ بالاتِّصال.

والشطح: كلامٌ يترجمُهُ اللِّسانُ عن وجدٍ يفيضُ عن معدنِه مقرونٌ بالدعوى إلاَّ أن يكونَ صاحبُه مُستَلَبًا ومحفوظًا.

قال أبو حمزة: سألني رجلٌ خراسانيٌّ عن الأمن، فقلتُ: أعرفُ من لو كان على يمينه سَبُعٌ، وعلى يساره قسورةٌ ما ميَّزَ على أيِّهما اتَّكى؟ فقال لي: هذا شطحٌ، فهاتِ العلمَ[2].

وكان بعضُهم إذا سأله إنسانٌ مسألةً فيها دعوًى، يقول: أعوذُ بالله من شطحِ اللِّسان.

وقد فسَّرَ الجُنيد رحمه الله شطحاتِ أبي يزيد رحمه الله؛ ولو كان أبو يزيد رحمه الله في ذلك عنده معلولاً ما فسّرها، وقد قال القنّاد:

شَطْحُ الحقيقةِ والأحوالُ بينَهُمَا شَطْحٌ لِذا البينِ يَزْهو بين هاتَيْنِ
فالحالُ كالحالِ في التَّلوينِ شاطِحُها والعينُ تُدْني إلى شَطْحِ اللَّقائين

(١) أخرجه أحمد في المسند٣/ ٤١٩، والطبراني في الكبير٢٥/ ١٢، والأوسط ١/ ٥٢.
(٢) تقدم الخبر صفحة (٤٥٠).

والصّول: الاستطالةُ باللسان من المُريدين والمتوسّطين على أبناء جنسهم بأحوالهم، وهو مذموم.

قال أبو علي الرُّوذباري رحمه الله: إنَّ مِنْ أعظمِ الكبائر أن تخونَ الله في نفسك، وتتوهَّمَ أنَّ الذي أنالك لم يُنلْ غيرَكَ، فتجعلَ دعواك صولَكَ على من يستحي من الله تعالى أنْ يُخبرَكَ بحاله، وتأنَفُ من الصّول؛ لأنّه قِحَةٌ إذا كان على من فوقك، وقلَّةُ معرفةٍ إذا كان على من هو دونك، وسوءُ أدبٍ إذا كان على من هو مثلك.

فأمّا الصادقون وأهلُ النِّهاياتِ يصولون بالله لقلَّةِ المُساكنة إلى ما سوى الله.

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنّه كان يقول في دعائه: «اللهمّ بك أَصولُ وبك أَحول»[1].

وقال إبراهيم الخوّاص رحمه الله في كتابٍ له: ثمّ إنّي أقولُ وباللهِ أَصول.

وقال قائل:

وكيفَ يَطيبُ العيشُ من بَعْدِ مَنْ به على نائباتِ الدَّهرِ كنتُ أَصولُ

والذهاب: بمعنى الغيبة، إلاّ أنَّ الذهابَ أتمُ من الغيبة، وهو ذهاب القلبِ عن حسّ المحسوسات بمشاهدة ما شاهد، ثمّ يذهبُ عن ذهابه

والذهاب عن الذهاب: هذا ما لا نهاية له.

قال الجُنيد رحمه الله في تفسيرِ قول أبي يزيد رحمه الله في كلامه: (ليس بليس) قال: هو ذهاب ذلك كلّه عنه/ ، وذهابه عن ذهابه، وهو معنى قوله: [١٥٦]
(ليس في ليس) يعني: قد غابت المحاضر[2]، وتلفتِ الأشياء، فليس يوجدُ

---

(١) تقدم مع تخريجه صفحة (١٥٨).
(٢) في الأصل: غابت المحاضرة.

شيءٌ، ولا يحسّ، وهو الذي يُسمّيه قومٌ الفناء، **والفناء عن الفناء، وفقد الفقد في الفقد**. فهو الذهابُ عن الذهاب.

والنَّفس: تروّح القلبَ عن الاحتراق.

قال بعضُ المشايخ: النفس روحٌ من ريح الله المُسلّطةِ على نار الله تعالى.

وكذلك التنفس. قال ذو النُّون رحمه الله[1]:

من لاذَ بالله نجا بالله وسرَّهُ مرُّ قضاءِ اللهِ
للهِ أنفاسٌ[2] جَرَتْ للهِ لا حولَ لي فيها بغيرِ اللهِ

والنفس أيضًا: نفس العبد.

قال الجُنيد رحمه الله: أُخِذَ على العبدِ حفظُ أنفاسه على ممرِّ أوقاته. قال قائل:[3]

وما تَنَفَّسْتُ إلاَّ كنتَ مع نَفَسي تَجري بكَ الرُّوحُ منِّي في مَجاريها

والحسُّ: رسمُ ما يبدو من صفة النفس.

وقال عَمرو المكّي رحمه الله: من قالَ: إنِّي لم أجدْ حسًّا عندَ غلباتِ الوجد، فقد غلطَ؛ لأنَّه لم يدركْ فقدَ الحسوس إلاَّ بحسٍّ.

والوجد والفقد: يدركان بحاسَّةٍ، وهما مَحسوسان.

وتوحيد العامة: معناه توحيدُ الإقرارِ باللِّسان، والتحقيق بالقلب لما يُقرُّ به اللسان بإثباتِ الموحَّدِ[4] بجميع أسمائه وصفاته بإثباتِ ما أَثبتَ، ونفي ما نفى، بإثباتِ ما أَثبتَ اللهُ لنفسه، ونفي ما نفى اللهُ عن نفسه.

---

(١) تقدم ذكر البيتين صفحة (٣٤٣).
(٢) في صفحة (٣٤٣): لله أنقاد بوجد الله.
(٣) ديوان الحلاج، ص١٠٤. وجاء في حاشية الديوان: وقال ماسينيون: إنّ هذه القطعة جرت على لسان الحال، وإنَّ الحلاَّج لم يقلها.
(٤) في الأصل: بإثبات الموجد.

وتوحيد الخاصّة: قد ذكرنا في باب التوحيد[1]، وهو وجودُ عظمةِ وحدانية الله تعالى، وحقيقةُ قربه بذهابِ حسِّ العبد، وحركته لقيامِ الله تعالى له فيما أراد منه.

وقد حُكي عن الشِّبليِّ رحمه الله أنه قال لرجلٍ، وقد جرى ذكرُ التَّوحيد، فقال: هذا توحيدُكَ أنت؟ قال: فأيشٍ عندي غير ذا؟ فقال الشبليُّ رحمه الله: توحيدُ الموحِّد، وهو أن يُوحِّدَكَ الله به، ويُفردَكَ له، ويُشهدَكَ ذلك، ويُغيِّبَكَ به عمَّا يشهدك، وهذا صفة توحيد الخاصِّ.

والتفريد: إفراد المُفْرَدِ برفع الحدث، وإفراد القِدمَ بوجودِ حقائق الفردانية.

قال: بعضُهم الموحِّدون لله من المؤمنين كثيرٌ، والمُفرِّدون من الموحِّدين قليل.

قال الحسين بنُ منصور رحمه الله في بعضِ ما تكلَّمَ به عند قتله: حسبُ الواجدِ إفرادُ الواحدِ.

والتَّجريد: ما تجرَّد للقلوب من شواهدِ الألوهية إذا صفا من كدورة البشرية.

وقال بعضُ الشيوخ، وقد سُئل عن التجريد، فقال: إفرادُ الحقِّ من كلِّ ما يُجري، وإسقاطُ العبد في كلِّ ما يُبدي.

والتجريد والتفريد والتوحيد: ألفاظٌ مُختلفة لمعانٍ مُتَّفِقةٍ، وتفصيلها على مقدار حقائقِ الواجدين وإشارتهم، قال القائل:

حقيقةُ الحقِّ حقٌّ ليسَ يَعرفُهُ ... إلاَّ المجرِّدُ فيه حقَّ تجريدِ

والهمُّ المفرَّد والسرُّ المجرَّد: بمعنىً واحد، وهو همُّ العبدِ[2] وسرُّه إذا

---

(١) انظر صفحة (٤٢) وبعدها.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: وهي همُّ العبد.

تجرَّدَ من جميع الأشغال، وتفرَّدَ بمراقبة ذي الجلال، فلا تُعارضُهُ خواطرُ قاطعةٌ، ولا عوارضُ مانعةٌ عن التوجُّهِ والإقبال، والقرب والاتصال.

قال الجُنيد رحمه الله: قال لي إبراهيمُ الآجرّيُّ: يا غلام، لأن تردَ بهمِّكَ إلى اللهِ طرفةَ عينٍ خيرٌ لك ممَّا طلعتْ عليه الشمس.

وقال الشِّبليُّ رحمه الله لرجلٍ هَيمَان الهِممِ في فضاءِ العدم: همُّكَ همٌّ هائجٌ[1]، وهمّي همٌّ هائم.

والمحادثة: وصفٌ لنهاية الصدّيقين.

سُئل أبو بكر الواسطي عن أعلى حالٍ لنهايةِ الصدّيقين، فقال: هو الطالع والمحدّث.

وقال: النبيُّ ﷺ، فيما رُوي عنه: «إنَّ في أمتي مُكلَّمون ومُحدَّثون؛ وإنَّ عمرَ رضي الله عنه لمنهم»[2].

وقال سهلُ بنُ عبد الله رحمه الله: خلقَ اللهُ الخلقَ ليُسارَّهم ويُسارُّوه، قال الله عز وجل: «خلقتُكم لتسارُّوني، فإنْ لم تفعلوا فكلِّموني وحدِّثوني، فإن لم تَفعلوا فناجوني، فإن لم تفعلوا فاسمعوا مني»[3].

والمناجاة: مخاطبةُ الأسرار عند صفاءِ الأذكار للملكِ الجبار.

قال أبو عمرو بن علوان: سمعتُ الجُنيد رحمه الله ليلةً/ إلى الصباح [١٥٧] يقول في مُناجاته: إلهي وسيِّدي، تريدُ أن تقطعني عنك بوصلِكَ، أو تريدُ أن تخدعني عنك بتركِ؛ هيهات. قلتُ لأبي عمرو: ما معنى هيهات؟ قال: التمكين.

والمسامرة: عتابُ الأسرارِ عند خفِّي التذكار، قال الرُّوذباري:

سَامرتُ صَفْو صَبابتي، أَشجانُها حَـرَقُ الهـوى وغَليلُهـا نيـرانُهـا

---

(١) في الأصل: همٌّ جانح.

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (٢٣).

(٣) لم أجده في المصادر التي بين يدي.

وسُئل بعضُ المشايخ عن المسامرة، فقال: استدامةُ طولِ العتاب، مع صحّةِ الكتمان.

ورؤيةُ القلوب: هو نظرُ القلوب إلى ما توارثْ في الغيوب[١] بأنوارِ اليقين عند حقائقِ الإيمان. وهو على معنى ما قالَ أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه حين سُئل: هل تَرى ربَّنا؟ فقال: وكيفَ نَعبدُ مَنْ لم نرَهُ، ثم قال: لم تَرهُ العيونُ يعني في الدنيا ـ بكشفِ العيان؛ ولكنْ رأته القلوبُ بحقائقِ الإيمان، قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] فأثبتَ الرّؤيةَ بالقلبِ في الدنيا.

وقال النبيُّ ﷺ: «اعبدِ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكنْ تَراه فإنَّه يراك»[٢].

والاسم: حروفٌ جُعلتْ لاستدلالِ المُسمَّي بالتسميةِ على إثبات المسمَّى، فإذا سقطتِ الحروفُ، معناه لا ينفصلُ عن المُسمَّى.

حُكي عن الشبليِّ رحمه الله أنه كان يقول: ليسَ مع الخلقِ منه إلاَّ اسمه.

وكان يقول: هاتِ منْ يقولُ الاسم باستحقاقه قولاً.

وكان أبو الحسين النُّوري رحمه الله يَستشهدُ في إشارته بهذا البيت:

إذا أُمُّ طفلٍ مسَّها جوعُ طفلِها غذَتْهُ بإسمِ الفضلِ فاستعصمَ الطّفلُ[٣]

وكان الشّبلي رحمه الله يقول: أُريدُ مَنْ قالَ الاسم، وهو يتحقَّقُ ما يقول.

وكان يقول: تاهتِ الخليقةُ في العلم، وتاه العلمُ في الاسم، وتاه الاسمُ في الذات.

والرّسم: ما رُسِمَ به ظاهرُ الخلقِ برسم العلم، ورسم الخلق، فيمتحي بإظهارِ سُلطانِ الحقِّ عليه.

---

(١) في الأصل: إلى ما توارت الغيوب.

(٢) تقدم، انظر الصفحة (٨).

(٣) في (ع) والمثبت في (ن): باسم الطفل.

سُئل الجُنيد عن رجلٍ غابَ اسمُهُ، وذهبَ وصفُه، وامتحى رسومه، فلا رسمَ له، قال: نعم، عند مشاهدته قيامَ الحقِّ له بنفسه لنفسه في ملكه، فيكون ذلك. معنى قوله: (امتحى رسومه) يعني: علمه وفعله المضاف إليه بنظرِهِ إلى قيامِ الله له في قيامه. قال القائل:

برسومٍ دارساتٍ وطَلَلْ

والوسم: ما وسمَ اللهُ به المخلوقين في سابقِ علمه، بما شاءَ، كيف شاءَ، فلا يتغيَّرُ عن ذلك أبدًا، ولا يطَّلعُ على علمِ ذلك أحدٌ.

قال أحمد بن عطاء رحمه الله: يظهرُ الوسمانُ على المقبولينِ والمطرودين؛ لأنَّهما نعتانِ يَجريان على الأبد بما جريا في الأزل.

والرَّوح والتروّح: نسيمٌ تَنَسَّمُ به قلوبُ أهلِ الحقائق، فيتروَّحُ من تعبِ ثقلِ ما حُمِّلَ من الرعايةِ بحسُنِ العناية.

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: الحكمةُ جندٌ من جنودِ الله، يُرسلُها إلى قلوب العارفين حتَّى تُروّحَ عنها وهجَ الدُّنيا.

وقال: رُوحُ ولّي الله في القدس تشغلُه بمولاه.

وقال سفيان: مجالُ قلوبِ العارفين بروضةٍ سماوية، من دونِها حُجُبُ الربِّ مُعَسْكَرُها فيها، ومُجْنَى ثمارها بنعيم رَوْحِ الأُنس بالله من القرب.

والنعت: إخبارُ الناعتين عن أفعالِ المنعوتِ وأحكامِهِ وأخلاقِهِ.

ويحتملُ أن يكونَ النَّعتُ والوصفُ بمعنىً واحدٍ إلاَّ أنَّ الوصف يكون مجملاً، والنعتُ يكونُ مبسوطًا، فإذا وَصَفَ جَمَعَ، وإذا نَعَتَ فرّق.

والصفة: ما لا ينفصلُ عن الموصوفِ، ولا يُقال هو الموصوف، ولا غيرُ الموصوف.

والذات: هي الشيءُ القائمُ بنفسه. والاسم والنعت والصفة معالمٌ للذَّاتِ، فلا يكون الاسمُ والنعتُ والصِّفةُ إلاَّ لذي ذاتٍ، ولا يكونُ ذو ذاتٍ

إلاَّ مُسمًّى مَنعوتًا موصوفًا، وذلك أنَّ القادرَ اسمٌ من أسماء الله تعالى، والقدرةُ صفةٌ من صفاتِ الله تعالى، والتقديرُ نعتٌ من نعوتِ الله تعالى، والمتكلِّمُ اسمٌ من أسماء الله عز وجل، والكلامُ صفةٌ من صفات الله تعالى، والغفرانُ نعتٌ من نعوت الله تعالى.

قال الواسطي: ليسَ مع الخلق منه إلاَّ اسمٌ أو نعتٌ أو صفة، والخلقُ مَحجوبون بأسمائه عن نعوته، وبنعوتهِ عن صفاته، وبصفاتِهِ عن ذاته، فمتى
[١٥٨] ما ذكر العبدُ تدبيرَه/ وتصويرَه وفضلَه وطَوْلَه ذَكَرَ نعوتَه، ونعتَهُ بنعوته، وإذا ذَكَرَ علمَهُ وقدرته وكلامَهُ ومشيئته ذَكَرَ صفاتَهُ، ووصفَهُ بصفاته، وقال:

إذا طَلَعتْ شمسٌ عَلَيْكَ بنُورها ... وأنتَ خَليطٌ للشُّعاعِ المُباشرِ
بعيدٌ من الذَّاتِ العزيزِ مَكَانُها ... ولم تَعْرَ مِنْ نَعْتٍ لنفسِكَ قاهرِ

والحجاب: حائلٌ يحولُ[١] بين الشيءِ المطلوب المقصود وبين طالبهِ وقاصده.

كان سريٌّ السَّقطيُّ رحمه الله يقول: اللَّهم، مهمًّا عذَّبتني بشيءٍ فلا تُعذِّبني بذلِّ الحِجاب.

وقال محمد بنُ علي الكتّاني رحمه الله: رؤيةُ الثّوابِ حجابٌ [عن الحجاب][٢] ورؤيةُ الحجابِ حجابٌ عن الإعجاب. معناه، والله أعلم: أنَّ رؤيةَ العبدِ الثَّوابَ لعبادته وذكره حجابٌ له عن الحجابِ المنهي عنه، ورؤيتُهُ للحجابِ حجابٌ له عن إعجابه بعملِهِ.

والدعوى: إضافةُ النفسِ إليها ما ليس لها.

قال سهل بنُ عبد الله: أغلظُ حجابٍ بين العبد وبين الله الدعوى.

وقال:

---

(١) في الأصل: حالٌ يحول.
(٢) ما بين معقوفين مستدرك من (ن) و(ع).

ولما ادّعيْتُ الحبَّ قالتْ كَذَبْتَني فما لي أَرى الأَعضاءَ منكَ كَواسيا[١]

وكان أبو عَمرو الزُّجاجي رحمه الله يقول: من ليسَ له دَعوى فليس فيه معنًى. وكان يعني بذلك: أن تُضيفَ النفسُ إليها من الطَّاعات التي ليستْ من أخلاقها، وتكون معها بيّنة لما تدّعي.

والاختيار: إشارةٌ إلى ما يختارُ الله للعبد؛ ويختارُ العبدُ ذلك بعنايةِ الله له، حتى يختارَ باختيارِ الله له لا باختيارِ نفسه.

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: ما دامَ العبدُ يتعرَّفُ يُقال له: لا تختر؛ فإنَّك لستَ بأمينٍ في اختيارك حتى تعرفَ، فإذا عرفَ يُقال له: إنْ شئتَ فاخترْ، وإنْ شئتَ فلا تخترْ، فإنَّك إن اخترتَ فبنا اخترتَ، وإن تركتَ اختيارَكَ فباختيارنا تركتَ؛ فأنتَ بنا فيما تختار، وفيما لا تَختار.

والاختيار: امتحانُ الحقِّ للصادقين، ليعمرَ بذلك منازلَ المخصوصين، ويَستخرجَ بامتحانِهِ لهم منهم صدقَهم، إثباتًا لحجَّتِهِ على المؤمنين؛ ليتأدَّبَ بهم المريدون.

ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أُخْبُرْ تَقْلَهْ»[٢]، يعني اخبرْ من شئتَ وامتحنْهُ حتى تقلاهُ عند استخراجك بالامتحان صدقَهُ عن الحال الذي هو فيه.

والبلاء: ظهورُ امتحانِ الحقِّ لعبدِهِ في حقيقة حالِهِ بالابتلاء؛ وهو: ما ينزلُ به من التعذيب.

قال أبو محمد الجريري رحمه الله: الإنسانُ حيثُ ما كان بلاءٌ.

ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «نحن معاشرَ الأنبياء أشدُّ الناسِ بلاء...» الحديث[٣].

---

(١) تقدم البيت صفحة (٣٤٨).

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ٢/ ٣٥٨. قال الهيثمي: في مجمع الزوائد ٨/ ٩٠: فيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف.

(٣) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (١٤٠).

وقال بعضُهم في البلاء:

دائـراتُ البـلا علـيَّ تـدورُ ... وإلـى مـا تـرى علـيَّ[1] تثـورُ
مـا أرى للبـلا بـلاءً سـوايَ ... وبـلائـي علـى البـلاءِ كُـدورُ
فـأنـا مِحْنَـةُ البـلا وبـلائـي ... حـاضِـنٌ للبـلا عليـه غيـورُ
يا بلائي على البلا لا تَعَدَّى ... كنْ به مالكًا رحيمًا غفورُ[2]
يـا مُعيـنَ البـلا علـيَّ أعنِّـي ... في البلا؛ فالبلا عليَّ سَعيرُ[3]

واللسان: معناه: البيانُ عن علمِ الحقائق.

كتب أبو الحسين النُّوري رحمه الله إلى الجُنيد كتابًا، فقال فيه: يا سيِّدي، لك في علمِ البلاءِ لسانٌ، وفي علم بلاء البلاء سنان. يعني: بيانٌ عن علمه.

وسُئل الشِّبليُّ رحمه الله عن الفرقِ بين لسانِ العلمِ، ولسانِ الحقيقة، فقال: لسانُ العلمِ ما تأدّى إلينا بواسطةٍ، ولسانُ الحقيقةِ ما تأدَّى إلينا بلا واسطةٍ. فقيل له: ولسانُ الحقِّ ما هو؟ قال: ما ليس للخلقِ إليه طريق. يريد به إذا قال: اللسان، يعني بيانَ علمِهِ، والكشفَ عنه بالعبارة.

والسِّرُّ: خفاءٌ بين العدمِ والوجودُ موجود في معناه.

وقد قيل: السرُّ ما غيَّبَهُ الحقُّ، ولم يشرفْ عليه الخلقُ؛ فسرُّ الخلقِ ما أشرفَ عليه الحقُّ بلا واسطة، وسرُّ الحقِّ ما لا يطلِّعُ عليه إلاَّ الحق.

وسرُّ السرِّ: ما لا يحسُّ به السرُّ، فإن أحسَّ به، فلا يُقال له سر.

قال سهل بنُ عبد الله رحمه الله: للنفسِ سرٌّ ما أَشاعها الحقُّ إلاَّ على لسان فرعون، فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

---

(١) في الأصل: وإلى ما مني علي.
(٢) أي: ياغفور.
(٣) البيت ليس في الأصل.

وقال القائل[١]:

يـا سـرَّ سـرٍّ يـدقُّ حتَّـى ... يَخْفَـى علـى وَهْـمِ كـلِّ حـيِّ
وظـاهـرٌ بـاطـنٌ تجلَّـى ... مـن كـلِّ شـيءٍ لكـلِّ شـيِّ/ [١٥٩]

والعقد: عقدُ السرِّ[٢]، وهو ما يعتقدُ العبدُ بقلبه بينه وبين الله تعالى أَنْ يفعلَ كذا، أو لا يفعلَ كذا.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١].

وقيل لحكيمٍ: بمَ عرفتَ الله تعالى؟ فقال: بحلِّ العقود، وفسخِ العزائم.

وقال محمد بن يعقوب الفرجي[٣] فيما حُكيَ عنه: منذ ثلاثين سنة ما عقدتُ بيني وبين اللهِ عز وجل عقدًا، مخافةَ أن يفسخَ عليَّ ذلك، فيكذبُني على لساني.

ويُقال: إنَّ الفرقَ بين الخاصِّ والعام: أنَّ العامةَ من المؤمنين قد أَوجبَ اللهُ عليهم الوفاء إذا عهدوا بألسنتهم عهدًا، والخاصُّ: قد أَوجبَ اللهُ عليهم الوفاء إذا عقدوا بقلوبهم عقدًا.

والهمُّ: إشارةٌ إلى جمعِ الهمومِ، وجعلها همًّا واحدًا.

قال أبو سعيد الخرّاز رحمه الله: اجمعْ همَّك بين يدي الله تعالى.

وذكر بعضُهم أنَّه قال: ينبغي للعبدِ أن يكونَ همُّهُ تحت قدمه. يعني: لا يهمُّ بحالٍ ماضٍ، ولا بحالٍ مستقبل، ويكون مع وقتِهِ في وقته.

واللحظ: إشارةٌ إلى ملاحظةِ أبصارِ القلوب لما يلوحُ لها من زوائد اليقين، بما آمن به في الغيوب. قال الرُّوذباري:

لاحظتُهُ فرآني في مُلاحَظَتي ... فغبتُ عن رُؤيتي مِنّي بمعناهُ

---

(١) البيتان للحلاج، وقد تقدما مع تخريجهما صفحة (٣٢٤).
(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: عهد السّر.
(٣) في الأصل: الفرخي. وقد تقدم الخبر (٤٥٢) عن جعفر المبرقع.

وصادَفَتْ همَّتي لُطفَ الخفيِّ بما تَمَكَّنَتْ من تَكَنٍّ دونَ مَنْشاهُ
فلا إلى أَحدٍ همّي ولا فَطَني ولا إلى راحةٍ أَسلو فأَنساهُ
اللهُ يعلمُ أنّي لستُ أذكرُهُ وكيف أَذكرُهُ إذْ لستُ أَنساهُ(١)

والمحو: ذهابُ الشيءِ إذا لم يبقَ له أثرٌ، وإذا بقي له أثرٌ فيكون طَمْسًا.

قال النُّوري رحمه الله: الخاصُّ والعامُّ في قميصِ العبودية، إلاَّ مَنْ يكونُ منهم أرفعَ، جذبَهم الحقُّ ومحاهم عن نفوسهم في حركاتِهم، وأثبتهم عند نفسه. قال الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرّعد: ٣٩].

معنى قوله: (جذبهم الحق): يعني جمَعهم بين يديه. (ومحاهم عن نفوسهم): يعني عن رؤيةِ نفوسهم. (في حركاتهم وأثبتهم عند نفسه) بنظرهم إلى قيام الله لهم في أفعالهم وحركاتهم.

والمحق: بمعنى المحو؛ إلاَّ أنَّ المحقَ أتمُّ، لأنَّه أَسرعُ ذهابًا من المحو.

قال رجلٌ للشِّبليِّ رحمه الله: ما لي أراك قلقًا أليس هو معك وأَنت معه؟ فقال الشبليُّ رحمه الله: لو كنتُ أنا معه فاتني، ولكن محوٌ فيما هو. يعني: ليس منّي شيءٌ، ولا بي شيءٌ، ولا عنّي شيء، والكلُّ منه، وبه، وله، كقول القائل:

كلٌّ لهُ وبهِ ومِنْهُ فأَينَ لي شيءٌ فأُوثرَهُ فطاحَ لسانُها

والأثر: علامةٌ لباقي شيءٍ قد زال.

قال بعضُهم: مَنْ مُنِعَ من النّظرِ استأنسَ بالأثر، ومَنْ عُدمَ الأثر، تعلَّلَ بالذكر، قال قائل:

فما عندي لَكُم أَثَرُ ولم أَسمعْ لكم خَبَرُ(٢)

---

(١) البيت الرابع في ديوان علي بن الجهم صفحة (١٠٤).
(٢) كذا الأصل. والبيت إما أن يكون: ولم يُسمع... أو: لكم خبرا.

ويُقال: إنَّه وجِدَ على قصرٍ لبعضِ الملوك مكتوبٌ:

إنَّ آثارَنا تَدُلُّ علينا فانظروا بعدَنا إلى الآثارِ

وقال الخوّاصُ رحمه الله في معنى الأثر، وسُئِل عن توحيدِ الخاصِّ، فقال: التفريدُ لله عز وجل في كلِّ الأشياء بالإعراضِ عمَّا يلحقُ نفوسَهم من آثار الأشياء.

وقال[١]:

لو أنَّ دونَكَ بَحرَ الصِّينِ مُعترضًا لخلتُ ذاكَ سَرابًا ذاهبَ الأثرِ.

والكون: اسمٌ مُجملٌ لجميع ما كوَّنَهُ المكوِّن بين الكاف والنون.

والبون: معناه البينونة.

والكون والبون: معناهما في علم التوحيد ما قالَ الجُنيد رحمه الله في كتابِ «مسألة التوحيد[٢]» يصف الموحّدين، فقال: كانوا بلا كونٍ، وبانوا بلا بونٍ. معناه: أنَّ الموحّدين يكونون في الأشياء كأنَّهم لا يكونون، ويبينون عن الأشياء كأنَّهم لا يثبتون[٣]؛ لأنَّ كونَهم في الأشياء بأشخاصهم، وبونهم عن الأشياءِ بأسرارهم، فهذا معنى الكونِ والبون. قال:

لقد تاهَ في تِيْهِ التَّوحُّدِ وحدَهُ وغابَ بعزٍّ منكَ حينَ طلبتَهُ
ظهرتَ لمنْ أَثبتَّهُ بعد بَوْنِهِ فكانَ بلا كَوْنٍ كأنَّكَ كُنْتَهُ

والوصول: معناه لحوق الغائب.

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: من لم/ يُغَمِّ عينيه عن النَّظرِ إلى ما تحت [١٦٠]

(١) البيت لمحمد بن داود الظاهري، الديوان. وفي الزهرة لابن داود الظاهري ١/ ٢٨٩ من غير عزو. وسيرد ثانية صفحة (٤٩٢).
(٢) في (ن) و(ع): في جواب مسألةٍ في التوحيد.
(٣) في (ن) و(ع): كأنهم لا يبينون.

العرش، لم يصل إلى ما فوق العرش. يعني: لم يلحقْ إلى ما فاته من مراقبة الذي خلق العرش.

وقال الشِّبليُّ رحمه الله: مَنْ زعمَ أنَّه واصلٌ، فليس له حاصلٌ.

وقال بعضُهم: إنَّما حُرموا الوصول لتضييع الأُصول.

وقال:

ووصلُكُمْ هَجْرٌ وودُّكُمْ قِلاً وقُربكُمْ بُعْدٌ وسِلْمُكُمْ حَرْبُ[1]

والفصل: فوتُ الشيءِ المرجوِّ من المحبوب.

ذُكر عن بعض الشيوخ: أنَّه كان يقولُ: مَنْ زعمَ أو ظنَّ أنَّه قد وصلَ فليَتَّقِنْ[2] أنَّه قد انفصل.

وقال آخر: فرحُ اتِّصالِكَ مَمزوجٌ بترحِ الانفصال.

وقال قائلٌ:

فَلا وَصْلٌ ولا فصلُ ولا يأسٌ ولا طَمَعُ

والأصل: هو الشيءُ الذي يكون له تزايدٌ، فأَصلُ الأُصول[3] الهداية.

والأصول: أصول الدين؛ مثلُ التوحيد، والمعرفة، والإيمان، واليقين، والصدق، والإخلاص.

والفرع: ما تزايدَ من الأَصل، فإذا تزايدَ من الفرعِ زيادةٌ تسَمَّى باسم الأصل.

فالأصل: حجةٌ للزيادات التي هي الفروع، والزيادات التي هي الفروع مردودةٌ إلى الأصول؛ والأصل: الهدايةُ والتوحيد، والمعرفة والإيمان، والصدق والإخلاص، زياداتُها بزيادة الهداية، والأحوال، والمقامات،

---

(١) تقدم البيت مع تخريجه صفحة (٤٠٠).

(٢) في هامش (ع): قوله: (فليتقن) هكذا في الأصل، ولعلّ الصواب فليتيقن.

(٣) في الأصل: فأصل الوصول.

والأعمال، والطاعات: زياداتُ هذه الأصول وفروعها، وهي مسمَّاة باسم الأصول[١] لتزايدِها وتَزايدِ فروعها.

قال عمرو بن عثمان المكّي رحمه الله: إقرارنا بالأصول[٢] لزومُ الحجّةِ علينا في التقصير، ولزوم الحجّةِ بالإنكار بعد الإيمان، والإقرار بالأصول.

وقال بعضُ العلماء: ما دعَا إليه الرسول ﷺ، فهو الأصلُ، وما تزايدَ عن ذلك الأصلِ فهو فرعٌ مردودٌ إلى الأصل.

والطمس: محو البيان عن الشيءِ البيّن.

وقال الجُنيد رحمه الله في رسالتِهِ إلى أبي بكر الكتّاني[٣]: وأنتَ في سبلٍ مُلتبسةٍ، ونجومٍ مُنطمسةٍ.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨] يعني: ذهب ضوؤها.

وقال عَمرو المكي رحمه الله: وإنَّك لا تصلُ إلى حقيقةِ الحقِّ حتَّى تَسلُكَ تلك الطُّرقاتِ المُنطمسةَ. يعني: تُنازلُ تلك الأحوالَ التي لم يُنازلْها أحدٌ غيرك؛ وقد ذهبَ أثرُها.

والرمس والدمس: يعني الدفن: ويُقالُ للمقبرة: الدِّيماس.

قال الجُنيد رحمه الله، في رسالته إلى يحيى بن معاذ رحمه الله: ثم أَدْمَسَ شاهدَهُ في دَمْسِ الاندماس، وأَرْمَسَ مَرْمَسَهُ في غيبِ غافرِ الارتماس، وأَخفى في إخفائه عن إخفائه، ثم قطعَ النِّسبةَ عن الإشارة إليه، وعن الإيماء بما تفرّد له[٤] منه به. وهذه إشارةٌ إلى حقيقةِ التوحيد بذهاب الخلقِ فيما كان، كأنَّه لم يكن.

---

(١) في الأصل: باسم الوصول.
(٢) في الأصل: إقرارنا بالوصول.
(٣) في (ن) و(ع): أبي بكر الكسائي. وقد تقدَّم الخبر صفحة (٣٣٥).
(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: بما تقرَّبَ له منه.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: إذا دفنْتَ نفسَكَ تحت الثرى، وصلَ قلبُكَ فوق العرش. يعني: إذا خالفتها وفارقتها.

والقصم: الكسر.

حُكي عن أبي بكر الزقّاق رحمه الله: أنّه قال: لو أنَّ المعاصي كانت شيئًا اخترتُهُ لنفسي ما أحزنني ذلك؛ لأنَّ ذلك يُشْبِهني(١)، وإنَّما قصمَ ظهري حينَ سبق لي منه ذلك.

وقال الواسطيُّ: ظهرتِ الأمورُ كلُّها في حقائقها على الدُّهور، فمن شاهدَها بشاهدِ القِدَمِ انقصم مقابلته لذلك.

والسبب: الواسطة. والأسبابُ والوسائط: التي بين الخلقِ وبين الله تعالى.

قال أحمدُ بنُ عطاء رحمه الله: مَن شهدَ صُنعَ المُسبِّبِ في السببِ أوصلَهُ مشاهدةُ صنع المسبِّب إلى السبب؛ لأنَّ من شهِدَ السببَ امتلأ قلبُهُ من زينة الأسباب، ومن عرفَ الأسبابَ الشاغلةَ عن الطاعات انقطعَ عنها، واتَّصلَ بالأسباب الداعية إلى صالح الأعمال.

ولأبي عليّ الرُّوذباري رحمه الله:

مَنْ لم يكنْ بكَ فانيًا عن حبِّهِ ... وعنِ الهوى والأُنسِ بالأَحبابِ/ [١٦١]
أو تَيَّمتْهُ صبابةٌ جَمَعَتْ له ... ما كانَ مُفترقًا من الأَسبابِ
فكأنَّهُ بين المَراتبِ واقفٌ ... لمنالِ حظٍّ أو لحُسْنِ مآبِ

والنسبة: الحالُ الذي يتعرَّفُ به صاحبُه. بمعنى: انتسابه إليه.

قال جعفر الطيالسي(٢) الرازي رحمه الله: النسبةُ نسبتان: نسبةٌ

(١) في الأصل تقرأ: يشهّيني.
(٢) في الأصل: جعفر الطلاش.

الحظوظ، ونسبةُ الحقوق؛ إذا غابتِ الخليقةُ ظهرتِ الحقيقةُ، وإذا ظهرت الخليقةُ غابتِ الحقيقةُ.

وسُئِل القنَّاد عن الغريب، فقال: الذي ليسَ له في العالمِ نسيب.

وقال النُّوريُّ رحمه الله: كل ما رأتْهُ العيونُ نُسبَ إلى العلم، وكلُّ ما علمتْهُ القلوبُ نُسبَ إلى اليقين.

فلذلك قلنا: معنى النسبة الاعتراف.

وقال عمرو بن عثمان رحمه الله: صفة الكسوف للأسرار ألاَّ يكونَ قائمًا في رؤيةٍ، ولا مُتجلِّيًا في نسبةٍ. يعني في الاعتراف.

وفلان صاحب قلبٍ: معناه: أن ليس[1] له عبارةُ اللِّسان وفصاحةُ البيان عن العلمِ الذي قد اجتمع في قلبه.

حُكي عن الجُنيد رحمه الله أنَّه كان يقول: أَهلُ خُراسان أَصحابُ قلوبٍ.

ورَبُّ حال: معناه: أنَّه مَربوطٌ بحالٍ من الأحوال التي ذكرنا من المحبَّةِ والخوف والرجاء والشوق وغير ذلك؛ فإذا كان الأغلبَ على العبد حالٌ من هذه الأحوال، يُقال له: رَبُّ حالٍ.

وصاحب مقام: معناه: أن يكونَ مُقيمًا في مقامٍ من مقامات القاصدين والطالبين، مثل التوبة، والورع، والزهد، والصبر، وغير ذلك؛ فإذا عُرِفَ بالمقامِ في شيءٍ من ذلك، يُقال له: صاحبُ مقام.

حُكي عن الجنيد رحمه الله أنَّه قال: لا يبلغُ العبدُ إلى حقيقةِ المعرفةِ وصفاءِ التَّوحيدِ حتى يعبرَ الأَحوالَ والمقامات.

وذُكِرعن بعض المشايخ أنَّه قال: وقفتُ على الشبليِّ رحمه الله غيرَ مرَّةٍ، فما رأيتُهُ تكلَّمَ إلاَّ في الأحوال والمقامات.

وفلان بلا نَفْسٍ: معناه: أنَّه لا تَظهرُ عليه أَخلاقُ النَّفْسِ، لأنَّ من أخلاقِ

---

(١) في الأصل: أي ليس.

النفس الغضبُ، والحدَّةُ، والتكبُّر، والشَّرَه، والطَّمع، والحسد.

فإذا كان عبدٌ قد سلمَ من هذه الآفات وما شاكلَ ذلك، يُقال له: بلا نفس. يعني: كأنَّه ليس له نفسٌ.

قال أبو سعيد الخرّاز رحمه الله: عبدٌ رجعَ إلى الله عز وجل فتعلَّقَ بالله، وركدَ في قرب الله، فقد نسي نفسَه وما سِوى الله تعالى، فلو قلتُ له: من أنت؟ وإلى أين؟ لم يكنْ له جوابٌ غيرَ أَنْ يقولَ: الله؛ لأنَّه لا يعرفُ سوى الله تعالى، لِمَا قد وجدَ في قلبه من التعظيم لله عز وجل.

وفلان صاحبُ إشارة: معناه: أن يكونَ كلامُه مُشتملاً على اللطائف والإشارات، وعلم المعارف.

قال الرُّوذباري:

فإنْ تحقَّقَ صَفْوُ الوجدِ مُشتملاً على الإشاراتِ لا يَلوي على أَحَدِ

وأما قول القائل: **أنا بلا أنا، ونحن بلا نحن**، يعني بذلك تخلّيه من أفعاله في أفعاله.

سُئل أبو سعيد الخرّاز رحمه الله عن معنى قوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] قال: أخلاهم من أفعالِهم في أقوالهم.

وأمَّا قولُ القائل لصاحبه: **أنا أنت وأنت أنا**، فمعناه معنى الإشارةِ إلى ما أشار إليه الشبليُّ رحمه الله حيث قالَ في مجلسه: يا قوم، هذا مجنونُ بني عامرٍ كانَ إذا سُئل عن ليلى، فكان يقول: أنا ليلى، فكان يغيبُ بليلى عن ليلى، حتَّى يَبقى بمشهدِ ليلى، ويُغيِّبُهُ عن كلِّ معنىً سوى ليلى، ويشهدُ الأشياءَ كلَّها بليلى، فكيف يدَّعي من يدَّعي محبَّتَهُ، وهو صحيحٌ مُميِّزٌ يرجعُ إلى معلوماته ومألوفاته وحظوظه! فهيهات أنَّى له ذلك، ولم يزهدْ في ذرَّةٍ منه، ولا زالتْ عنه صفةٌ من أوصافه؟! مَعَما أنَّ بَذْلَ المجهودِ للمعبودِ أدْنى رتبةً عند القوم.

قال الشلبيُّ رحمه الله: إنَّ مُتحابَّيْنِ ركبا بعضَ البحار، فسقطَ أَحدُهما في البحر وغرق، فألقى الآخرُ نفسَه إلى البحر، فغاصَ الغوّاصون، فأخرجوهما سالمينِ، فقال الأوّلُ لصاحبه: أما أنا فقد سقطْتُ في البحر، أنتَ لِمَ رميْتَ نفسَك في البحر؟ فقال له: أنا غائب بك عن نفسي/ ، توهّمتُ أنّي أنتَ. [١٦٢]

وقال بعضُهم: وقفَ غلامٌ على حلقةِ الشِّبلي رحمه الله، فقال: يا أبا بكر، أَخذني منّي، وغيّبني عنّي، وردَّني إليَّ كما أنا بلا أنا! فقال له الشِّبليُّ رحمه الله: ويلكَ مِنْ أَين لك هذا؟ أعماكَ الله. فقالَ الغلام: يا أبا بكر، من أين لي أَنْ أَعمى فيه. ثم هرب من بين يديه.

وقال بعضُهم:

ذَكرْنا وما كنّا نَسينا فنَذْكُرُ   ولكنْ نَسيمُ القُربِ يَبدو فيَبْهَرُ
فأَفْنَى به عنّي وأَبقى به له   إذِ الحقُّ عنه مُخبرٌ ومُعبِّرُ

وقال بعضُهم:

أنا مَنْ أَهوى ومَنْ أَهوى أنا   فإذا أَبصرتَني أبصرتَنا
نَحنُ رُوحانِ معًا في جَسَدٍ   أَلْبَسَ اللهُ علينا البدنا(١)

وقال غيرُه:

يا مُنيةَ المُتَمَنّي   أَفنيتني بكَ عنّي
أَدنيتَني منكَ حتّى   ظَننْتُ أَنَّك أَنّي(٢)

وهذه مخاطبةُ مخلوقٍ لمخلوق في هواه، فكيف لمن أدّعى محبّةَ مَنْ هو أَقربُ إليه من حبلِ الوريد؟!.

وأمّا قول القائل: هو بلا هو: فهي إشارةٌ إلى تفريدِ التوحيد، كأنّه يقول:

---

(١) كذا الأصل، وللحلاج أبيات تماثلها في ديوانه ص٦٥ مع اختلاف الألفاظ.
(٢) الشطر الأول من البيت الأول ينسب إلى الشبلي، الديوان ص١٣٠، وللحلاج الديوان ص٦٨.

هو بلا قول القائل هو، ولا كتابة الكاتب هو، وهو بلا ظهور هذين الحرفين. يعني الهاء والواو، بمعنى: هو.

قال الجُنيد رحمه الله في وصف التوحيد، فقال: حكمُها على ما جرتْ عليه جارٍ، وسلطانُها على كلِّ حقٍّ عالٍ، ظهرتْ فقهرت، وخفيتْ فاستترتْ، وصالتْ فغالت؛ هي هي بلا هي، تبدي فتُبيدُ ما بَدَتْ عليه، وتُفني ما أَشارت إليه، قريبُها بعيدٌ، وبعيدُها قريبٌ، وقريبُها مريبٌ.

وقد أشارَ الجُنيد رحمه الله إلى معنى ما ذكرتُ، والله أعلم.

وأما قطع العلائق: فمعنى العلائق: الأسبابُ التي قد علقَ على العبدِ، وشغلَهُ بذلك حتى قطعَهُ عن الله تعالى.

قال أبو سعيد الخرّاز رحمه الله: أهلُ التوحيد قطعوا منه العلائقَ، وهَجروا فيه الخلائق، وخلعوا الرَّاحات، وتوحَّشُوا من كلِّ مأنوسٍ، واستوحشوا من كلِّ مألوفٍ.

وبادي بلا بادي: يريدُ بذلك ما يَبدو على قلوبِ أهل المعرفة من الأحوالِ والأنوارِ وصفاء الأذكار؛ فإذا قال: البادي أشار إلى ذلك، فإذا قال: وبلا بادي أشارَ إلى أن البادي مُبدىء، هو مبدي هذه البوادي على القلوب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣] فإذا شاهدَ الحالَ الذي أبدأ به هو المبدىء، فقال: بادي وأثبته، وإذا شاهد المُبدىء الذي منه البوادي يقول بلا بادي.

قال الخوَّاص رحمه الله، في كتاب «معرفة المعرفة»: الحقُّ إذا بدا، بدا بلا بادي، ولا بادي، من حيث لا بادي؛ لأنَّ البادي أفنى كلَّ بادي، من حيث البادي، فلا بادي، وهو بادي، من حيث لا بادي؛ وإنَّما ذلك على قدْرِ قرب مُشاهدة الحقِّ منهم.

والتَّجلِّي: التلبُّس، والتشبُّه بالصادقين، بالأقوال، وإظهار الأعمال.

رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ليس الإيمانُ بالتحلّي ولا بالتمنّي، ولكنْ ما وَقَرَ في القلبِ وصدَّقته الأعمال»(١).

قال بعضُهم:

مـن تحلّـى بغيـرِ مـا هـو فيـه فضحَتْـهُ شَـواهـدُ الامتحـانِ(٢)

والتَّجلِّي: إشراقُ أنوارِ إقبالِ الحقِّ على قلوبِ المُقبلين عليه.

وقال النُّوري رحمه الله: تجلّى لخلقِهِ بخلقه، واستتر عن خلقِهِ بخلقه.

وقال الواسطي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن: ٩] قال: تغابنُ أهلِ الحقِّ على مقاديرِ الفناء والرؤية والتجلّي.

وقال النُّوريُّ رحمه الله: بتجلّيه حسنَتِ المَحاسنُ وجَملتْ، وباستتاره قَبحَتْ وسمجت.

وقال بعضُهم:

قـدْ تجلّـى لقلبِـهِ منـه نـورٌ فـاستضـاءَتْ بـه مـن الظُّلمـاتِ

والتَّخلِّي: هو الإعراضُ عن العوارضِ المُشغلة بالظاهر والباطن، وهو اختيارُ الخلوة، وإيثارُ العزلةِ، وملازمةُ الوحدة.

[١٦٣] قال الجُنيد رحمه الله/: القلوبُ المحفوظةُ لا يعرضُها وليُّها؛ لمجانبة محادثةِ غيرِه، ضنًّا منه لها، ونظرًا منه لها، وإبقاءً عليها؛ ليتخلّص لهم(٣) ما أصفاهم به، وما جمعهم له، وما عاد به عليهم.

هذه بعضُ صفاتِ من أرادَهُ اللهُ للخلوة به، وجمعه للأنس، وحال بينه وبين ما يكرهه له.

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ٦/ ٢٢٩٠. (ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن مجبر).
وهومن قول الحسن البصري، في المصنف لابن أبي شيبة ٧/ ١٩٦ (٣٥٢٠١)، وفي شعب الإيمان للبيهقي ١/ ٨٠.

(٢) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد ٢/ ٢١٨، وقال: أنشد أبو عمرو بن العلاء...

(٣) في الأصل: ليخلص لهم.

وعن يوسف بنِ الحسين رحمه الله، في معنى التّخلّي قال: هو العزلةُ، لأنَّه لم يقوَ على نفسِهِ وضعفَ، فاعتزلَ من نفسِهِ إلى ربّه.

وقال بعضُهم:

إنّ قلبَ الفَتَى ولو عاشَ دَهْرًا   في الهوى لا يَكادُ أَنْ يتخلّى

والعلة: كنايةٌ عن بعضٍ ما لم يكنْ فكان.

حُكي عنِ الشِّبليِّ رحمه الله أنَّه كان يقول في صفةِ الخلقِ: إنَّ الذلَّ كائنُهم، والعلَّةَ كونُهم.

وقال ذو النُّون المِصري رحمه الله: علَّةُ كلِّ شيءٍ صنعُهُ، ولا علَّة لصنعهِ. معناه والله أعلم: أنَّ وجودَ النقصانِ في كلِّ شيءٍ مصنوعٍ كائنٌ؛ لأنَّه لم يكنْ فكان، وليسَ في صنعِ الصانعِ لمصنوعاته علَّةٌ[١].

وقال بعضُهم:

يـا شِفـائـي مَـن السَّقـا   مِ وإن كُنـتَ عِلَّتـي[٢]

والأزل: معناه معنى القِدَم؛ لأنَّ القديمَ يُسمّى به غيرُ الباري؛ ويُقالُ: شيءٌ أَقدمُ من شيءٍ. والأزلُ والأزليّةُ لله تعالى، لا يتسمّى بالأزلِ شيءٌ غير الله جلّ جلاله.

والأزلُ: اسمٌ من أسماءِ الأولية، فهو اللهُ الأوّلُ القديمُ الذي لم يزل ولا يزال، والأزليةُ صفةٌ من صفاته.

قال بعضُ المتقدّمين:

الحـقُّ فيمـا لـم يـزلْ   كـالهـو فيمـا لا يـزل[٣]

فقومٌ استحسنوا هذه المقالة، لنفي التغييرِ عن الحقِّ؛ لأنَّه بجميعِ أسمائه

---

(١) في الأصل: لمضيق غاية علة.
(٢) البيت لأبي بكر الشبلي، الديوان ص٩١.
(٣) في (ن) و(ع): كهو فيما لا يزال.

وفعاله لم يزلْ، وقومٌ قالوا: يلزمُ القائلَ لهذا القولِ بقدمِ الأشياء؛ وفرّقوا بين أسماءِ الفعل وأسماءِ الذات، وصفاتِ الفعلِ وصفاتِ الذات، والله أعلم.

والأبد والأبدية: نعتٌ من نعوتِ الله تعالى.

والفرقُ بين الأزلية والأبدية: أنَّ الأزليَّةَ لا بداية لها ولا أَولية، والأبديةُ لا نهايةَ لها ولا آخرية.

وسئل الواسطيُّ عن الأبد، فقال: إشارةٌ إلى تركِ انقطاعِ في العدد، ومَحوُ الأوقات في السّرمد.

وقال: **الوسم والرسم**: نعتان يَجريان في الأبدِ بما جريا[١] في الأزل.

وقال آخر: الأزلُ والقِدَمُ والأبدُ غيرُ مرتفعة في حقيقةِ الأحدية؛ لأنَّها عباراتٌ وإشاراتٌ تعرّف بذلك إلى خلقِهِ لخلقه.

وحُكي عن الشِّبليِّ رحمه الله أنَّه قال: سبحانَ من كانَ ولا مكان، ولا زمان، ولا أوان، ولا دهر، ولا أبد، ولا أزل، ولا أوّل، ولا آخر؛ وهو في حالِ ما أَحْدَثَ الأشياء، غيرُ مشغولٍ عنهم، ولا مستعين بهم، عدلٌ في جميعِ ما حكَمَ عليهم.

وقال عمرو بن عثمان المكّي رحمه الله: سبحانَ الصَّمدِ، القديمِ في أزل، لم يزلْ في سرمدِ الأبد.

ووقتي مُسَرْمَدٌ: وأمّا قولُ القائل: وقتي مُسَرْمَدٌ، يعني بذلك أنَّ الحالَ الذي بينه وبين الله لا يتغيَّرُ في جميعِ أوقاته، وهو كلامُ واجدٍ خبَّرَ عن نعتِ سرِّه لا عن نعتِ صفاته؛ لأنَّ الصفاتِ كائنةُ التغيير، وهي متغيِّرةٌ لأنَّها إذا لم تتغيَّرْ فقدْ تُغيِّرَ عن الحالِ الذي جُبلتْ عليه.

قال بعضُهم، وهو الشِّبليُّ[٢]:

---

(١) في الأصل: لما جريا.
(٢) الديوان ص٩٤، وفيه: فعدتُ مُحدَّدا.

تَسَرْمَدَ وَقتي فيكَ وهو مُسَرْمَدٌ وأفنيتني عنّي فَصِرْتُ مُجرَّدا(١)

و بحري بلا شاطئ: وقولُ القائل: بحري بلا شاطىء، معناه أيضًا قريبٌ من المعنى الذي ذكرنا في الوقتِ المُسرمد.

وهذه لفظةٌ قد حُكيت عن الشِّبليِّ رحمه الله أنَّه قال يومًا في مجلسِهِ في عقيبِ كلام جَرى له، قال: أتمُّ أوقاتكم مقطوعةٌ، ووقتي ليسَ له طرفان، وبحري بلا شاطى. يعني بذلك: أنَّ الحالَ الذي خصَّني الله تعالى به من التعظيمِ لله، وخالصِ الذكر له، والانقطاعِ إليه لا نهايةَ لها ولا انقطاع؛ والشيءُ إذا لم تكنْ له نهايةٌ ولا غاية، فلا يُعبَّرُ عنه بأكثرَ من ذلك.

قال الله عز وجل: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩] لم يجعل لها غايةً؛ لأنَّ الموصوفَ بها ليس له نهاية/. [١٦٤]

وقال بعضُهم: مَنْ عرفَ الله أحبَّهُ، ومن أحبَّه غرقَ في بحرِ الهمِّ.

وقال آخرُ:

لو أنَّ دُونَكَ بَحرَ الصِّينِ مُعترِضًا لخِلْتُ ذاكَ سَرابًا ذاهبَ الأثَرِ(٢)

وقول القائل: نحن مُسيَّرون: يُريدُ بذلك تَسييرَ القلوبِ وسيرَها عند انتقالها من حالٍ إلى حالٍ، ومن مقامٍ إلى مقام.

وقال يحيى بنُ معاذ رحمه الله: الزاهدُ سيّار، والعارفُ طيّار. يعني: في سرعة الانتقالِ في المقامات والأحوال عند الزوائدِ وطُرَفِ الفوائد.

قال بعضُهم؛ وهو الشِّبليُّ(٣):

لستُ مِنْ جُملةِ المُحبِّينَ إنْ لم أجعلِ القلبَ بيتَهُ والمَقاما

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: فصرت محدًدا.

(٢) تقدم البيت مع تخريجه صفحة (٤٨١).

(٣) الديوان ص١٢٢.

وطَـوافـي إخـالُـهُ السَّيـرَ فيـه   وهـو رُكني إذا أَردْتُ اسْتِلاما

يُريد بذلك: سيرَ القلب.

والتلوين: معناه: تلوُّن العبدِ في أحواله.

قال قومٌ: علامةُ الحقيقةِ التلوين[١]؛ لأنَّ التلوينَ ظهورُ قدرةِ القادرِ، ويُكْتَسَبُ منه الغيرة. ومعنى التلوين: معنى النفس[٢].

فمن أشار إلى تلوينِ القلوبِ وتَغيُّرِ الأحوال فقال: علامة الحقيقة رفع التلوين. ومن أشارَ إلى تلوينِ القلوبِ والأسرار الخالصةِ لله تعالى في مشاهدتها، وما يَردُ عليها منَ التعظيمِ والهيبةِ وغيرِ ذلك من تلوينِ الواردات، فقال: علامة الحقيقة التلوين؛ لأنَّهم في كلِّ سيرٍ مع الله تعالى في زيادةٍ من تلوينِ الواردات على أسرارِهم.

وأمَّا تلوينِ الصفات فهو كما قال قائل:

كُـلَّ يـومٍ تَتَلـوَّنْ   غيـرُ هـذا بـكَ أجمـلْ[٣]

قال الواسطيُّ رحمه الله: مَن تخلَّقَ بخُلُقِهِ، لم تقعْ به طَوارقُ التَّلوينِ في طبعِهِ.

ولبعضهم هذان البيتان في صفةِ المُسيَّرين يلحق في موضعه:[٤]

زجـرتُ فـؤادي فلَـمْ يَنـزجِـرْ   ويَطْلـبُ شيئًـا ومنْـهُ يَفـرْ
يَسيـرُ إلـى الحـقِّ مُستظهـرًا   وإنِّـي عليـه شَفيـقٌ حَـذِرْ

وبذل المهج: معناه: بذلُ مجهودِ استطاعةِ العبد على قدرِ طاقته في توجُّهِهِ إلى الله تعالى، وإيثاره الله عز وجل على جميعِ مَحابِّه.

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: التلوين يظهر الاستقامة. وقال قوم علامة الحقيقة.
(٢) في (ن) و(ع): معنى التغيير.
(٣) تقدم البيت صفحة (٣٩٢).
(٤) قوله: (يلحق في موضعه) ليس في (ن) ولا في (ع).

قال الخوَّاص رحمه الله: كلُّ مُتوجِّهٍ يتوجَّهُ إلى الله عز وجل، ومواضع[(١)] الاستراحة فيه قائمة، فلا ينفذُ في تَوجُّهِهِ.

قال القائل:

يـا مَليـحَ الـدَّلِّ والغَـنَـجِ لـكَ سُلطـانٌ علـى المُهَـجِ[(٢)]

ومعنى المهج: جميعُ المحبوبات إليك، من النفس، والمال، والولد.

والتلف: معناه معنى الحتف. والحتفُ والتَّلفُ: ما يُنتظر منه الهلاك في حينه.

وقد حُكي عن أبي حمزةَ الصُّوفي أنَّه قال: وقعتُ في بئرٍ، فطَمُّوا رأسَها، فأيستُ من نفسي، وسلّمتُ الأمر إلى الله تعالى واستسلمتُ؛ فإذا بسَبُعٍ قد نزلَ البئر، فتعلَّقْتُ برجلِهِ، فأخرجني من البئر، فسمعتُ هاتفًا يقولُ: يا أبا حمزة، هذا حَسَنٌ، نجَّيناك من التلف بالتَّلف. فقال أبياتًا، وفيها هذان البيتان:

أَراكَ وبي من هَيبتي لك وَحْشةٌ فتُؤْنِسُني باللُّطْفِ منكَ وبالعطفِ
وتُحْيي مُحبًا أنتَ في الحبِّ حَتْفُهُ وذا عَجَبٌ كَوْنُ الحياةِ مع الحَتْفِ[(٣)]

قال الجريري رحمه الله: من يَقِفُ على علمِ التوحيد بشاهدٍ من شواهدِهِ، زلَّ به قدمُ الغُرور في مهواةٍ من التلف.

واللجأ: توجُّهُ القلوبِ إلى الله تعالى بصدقِ الفاقةِ والرَّجاء.

قال الواسطي رحمه الله: منْ لم يكنْ في صدقِ الفاقةِ واللجأ إلاَّ عند الموتِ، بقيتِ الذلَّة عليه على دوام الأوقات.

---

(١) في الأصل: فمواضع.

(٢) البيت ينسب لديك الجن، الديوان ٢٥٣، ولعبد الصمد ابن المعذل، الديوان ٧٧، ولأبي بكر الشبلي، الديوان ٧٣، وللحلاج الديوان ٨٥.

(٣) البيتان للخيز أرزي، تقدما صفحة (٣٥٢). وإنما استشهد بهما أبوحمزة.

وقال بعضُ أهلِ الفهمِ في معنى قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] قال: أظهرَ محمد ﷺ من نفسِهِ صدقَ اللجأ بصدقِ الفاقة بين يدي الله تعالى، وبصدقِ اللجأ تَرتَّبَتِ السرائر.

والانزعاج: تحرُّكُ القلب للمُراد باليقظة من سِنَةِ الغفلة.

ذُكر عن الجُنيد رحمه الله أنَّه قال في بعضِ كلامه: كيفَ لا تَسمو إليه السَّرائرُ، وتنزعجُ بما فيها إليه الضمائرُ! وكيف لا تُسرعُ إليه الأقدامُ بالطاعة/ [١٦٥] وتنهضُ إليه بالجدِّ والمُبادرة أُنسًا منها ببلاياه[1] وسرورًا بعظيم عطاياه!.

والانزعاج والازدعاج بمعنى الانكساب والاكتساب[2].

وقد قيل لبعضِ المشايخ، أظنُّه إبراهيمَ الخوَّاص رحمه الله: أصحابُك يَقولون: نحن نأخذُ من الله إذا أخذنا، ولا نَراهم إلاَّ يأخذون من الناس! فقال: من ذا الذي يُزعجُ قلوبَ النَّاسِ حتى يُعطوهم من غيرِ أن يطلبوا منهم شيئًا ويسألوهم؟!.

وجذب الأرواح: فأمَّا جذبُ الأرواح، وسموُّ القلوب، ومشاهدةُ الأسرار، والمناجاةُ والمخاطبة وما يُشاكلُ ذلك فإنَّ أكثرَ ذلك عباراتٌ تُعبِّرُ عن التوفيق[3] والعناية، وما يبدو على القلوبِ من أنوارِ الهدايةِ على مِقدار قُربِ الرَّجلِ وبعده، وصدقِهِ وصفائه في وجده.

قال أبو سعيد الخَراز: إنَّ اللهَ تعالى جذبَ أرواحَ أوليائه إليه، ولذَّذَها بذكره، والوصولِ إلى قربه، وعجَّلَ لأبدانهم التلذُّذَ بكلِّ شيءٍ؛ فعيشُ أبدانهم عيشُ الحيوانيين، وعيشُ أرواحهم عيشُ الرَّبانيين.

وقال الواسطي رحمه الله: إنَّما أشهدَهم ألطافَهُ التي بها جَذَبَ سرائرَهم إلى نفسه.

---

(١) في الأصل: أنسًا منها ببداياه.

(٢) في الأصل: بمعنى الاكتساب والاكساب.

(٣) في الأصل: غير عن التوفيق.

وقال: إذا جذبَ الأَرواح عن الأشباح، ثبّتَ الأشباحَ مع العقولِ والصفات؛ لأنَّه حجبَها بشرطِ العقول، وآيسهم أن يكونَ لهم شيءٌ من غيرِ سرائرها بقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٥٨].

والوَطر: مُنْيةٌ وتمتُّعٌ محمودةٌ خارجةٌ عن نعت البشريةِ وحظوظِ النفسانية، ويُقال: فلانٌ هو المُتمكِّن في وطنه، والمُعلَّى في وطره.

قال القائل:

تَرَحَّلْتُ يا ليلى ولم أَقضِ أَوطاري ... وما زلتُ مَحزونًا أَحِنُّ إلى داري

وقال ذو النُّون رحمه الله:

أَموتُ وما ماتَتْ إليك صَبابتي ... ولا قُضيتُ عن وِرْدِ حبِّك أَوطاري

مُنايَ المُنى كلُّ المُنى أنتِ لي مُنًى ... وأَنتِ الغنى كلُّ الغِنى عند إقتاري(١)

وقيل لحكيمٍ: أيُّ المواطن أحبُّ للسكونِ والتوطُّن فيه؟ فقال: أحبُّ المواطن على صاحبه موطنٌ إذا دعا فيه أوطارَهُ أجابته، والوطنُ وطن العبد حيث انتهى به الحال واستقرَّ به القرار.

ويُقال: قد توطَّن في حالِ كذا ومقام كذا.

قال الجُنيد رحمه الله في كلامٍ له: إنَّ للهِ عبادًا على وطنات مطيّ حُمْلانه يركبون، وبالسرعةِ والبَدارِ إليه يَستبقون.

وقال النُّوريُّ رحمه الله:

أَمــا تــرى هَيَمنــي ... شَــرَّدَنـي عــن وَطَنـي

إذا تغيَّبْــتُ بــدا ... وإنْ بَــدَا غَيَّبَنــي

يقــولُ لا تَشْهَــدُ مــا ... تَشْهَــدُ أَو تَشْهَـدَنـي(٢)

---

(١) ذكرهما ابن الملقن في طبقات الأولياء٢٢٣.

(٢) الأبيات في الوافي بالوفيات ١/ ٣٤٥ لأبي حمزة الصوفي، والبيتان الأوليان في ديوان أبي بكر الشبلي ص١٢٨. أما البيت الأخير فهو مستدرك من (ن) و(ع).

وقال أبو سُليمان الدَّاراني رحمه الله: الإيمانُ أَفضلُ من اليقين؛ لأنَّ الإيمانَ وطناتٌ، واليقينَ خطرات[١].

وإنَّما وصفَ قدرَ ما شاهدَ من يقينه[٢]، ووصفَ نفسَه بذلك، وأراد بذلك غربتَهُ عنده، لأنَّ اليقينَ صفاءُ العلم في القلب واستقرارُه فيه، والنَّاسُ فيه متفاوتون.

والشرود: نَفْرُ الصِّفاتِ من مُنازلات الحقائق، وملازمة الحقوق.

قال ابنُ الأعرابي رحمه الله: أَوما تَراهم مُشرَّدين، في كلِّ وادٍ يهيمون، ولكلِّ بارقٍ يتّبعون؟!.

قال الواسطي: غذَّاهم بتربيةِ الأحوال، ونَعَمهم بالملاحظةِ لهم في الأعمال. يجبُ على المرءِ أن يكونَ في صدقِ الفاقة واللجأ في أيام حياته؛ لئلاَّ يَرِدَ عليه ذلك الشرودُ، فيحسَّ بذُلِّ الشُّرودِ، ويطلبَ من كلِّ أحدٍ عوناً بدعاءٍ وبكلمةٍ؛ ولو كانتْ صحّةُ الوجد في الوجد في الأوقات مصحوبةً، ما أصَابَهُ ذلك الشرود[٣].

والقصود: معناه: الإرادات، والنيّاتُ الصادقةُ المقرونةُ بالنهوض إليه.

حُكي عن أحمد بن عطاء رحمه الله أنَّه قال: مَنْ قصدَ في قصوده غيرَ الحقِّ، فقد عَظمتِ استهانتهُ[٤] بالحقِّ.

وقال الواسطيُّ رحمه الله: خواطرُ القصودِ جحودٌ للمعبود، وكيفَ يشهدُ

---

(١) في الأصل: والنفس خطرات.

(٢) في الأصل: من نفسه.

(٣) جاء في هامش الأصل: سُمع من باب... إلى هنا على أبي بكر... الفراوي أبو طالب... وهبة الله... سمكويه، وأبو... وعبد الأول بن عيسى السجزي في بعض... سنة خمسين وست... نقلته مختصرًا... الظاهري... هبة على...، وانظر الحاشية (٢) صفحة (٧٣).

(٤) في الأصل: فقد عظّم استهانته.

القصودَ من هو في معاني المقصود؟ معناه: أنَّ من يُشاهدُ المقصود في قصده سقطَ عنه رؤيةُ قصدِهِ في قصده.

والاصطناع: مرتبةٌ خُصَّ بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والصدّيقون.

وقال قَومٌ: الاصطناعُ خُصَّ به موسى من جميعِ الأنبياء عليهم السلام
[١٦٦] لقوله/ : ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١].

وقال قومٌ: هي مرتبةُ الأنبياء عليهم السلام دونَ غيرهم.

قال أبو سعيد الخرّاز رحمه الله: أولُ بادٍ من الحقِّ قد أخفاهم في أنفسهم، وأماتَ أنفسَهم في أنفسِهم، واصطنعهم لنفسه؛ وهذا أوّلُ دخولٍ في التوحيد من حيث ظهورِ التوحيد بالدّيمومية.

وسُئل بعضُهم عن قوله جلَّ جلاله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩] فقال: ما نجا نبيٌّ ولا وليٌّ من محنته، ولا سلمَ أحدٌ في منّتِهِ من فتنته.

والاصطفاء: معناه: الاجتباءُ في سابقِ العلم، وهو اسمٌ مُشتركٌ، قال الله تعالى: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [الأنعام: ٨٧]. وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [الحج: ٧٥].

وقال الواسطي رحمه الله: ابتدأكَ بنفسِهِ، واصطفاكَ لنفسِهِ، فمن استعظمَ ذلك حَسُنَتْ إخطارُ نفسه فيما بذلَتْ؛ فإن قابلتَهُ بنفسِ العناية تضمَّنَكَ ما منه من الهداية.

والمسخ: معناه مسخ القلوب؛ وذلك للمَطرودين من الباب؛ كانت لهم قلوبٌ مُتوجّهةٌ، فمُسختْ بالإعراض عنها، وجَعلتْ توجُّهها إلى الحظوظِ دون الحقوق؛ فإذا قالَ القائل: فلان قد مسخ به، معناه: أي أعرض بقلبه.

واللطيفة: إشارةٌ تلوحُ في الفهم، وتلمعُ في الذّهنِ، ولا تَسعُها العبارةُ لدقّةِ معناها.

قال أبو سعيد ابن الأعرابي رحمه الله: الحقُّ يُريدك بلطيفةٍ من لدنه، تُدركُ بها ما يُريدُ بك إدراكه.

وقال أبو حمزةَ الصوفي رحمه الله:

تلطَّفتَ في أمْري فأبدأتَ شاهدي[1] إلى غائبي واللُّطفَ يُدركُ باللُّطفِ

والامتحان: ابتلاءٌ من الحقِّ يحلُّ بالقلوب المُقبلةِ على الله تعالى. ومحنتُها: انقسامُها وتشتُّتها.

حُكي عن خيرِ النسَّاج رحمه الله أنَّه قال: دخلتُ بعضَ المساجد، فتعلَّقَ بي شابٌّ من أصحابنا، فقال لي: يا شيخ، تعطَّفْ عليَّ؛ فإنَّ محنتي عظيمة. فقلت: وما محنتُكَ؟ فقال: افتقدتُ البلاء، وقورنتُ بالعافية، وأنتَ تعلمُ أنَّ هذه محنةٌ عظيمةٌ.

والامتحان على ثلاثةٍ: لقومٍ منهم عقوبةٌ، ولقومٍ منهم تمحيصٌ وكفَّارة، ولقومٍ استدعاء الزيادة، وارتفاع درجة.

والحَدَث: اسمٌ لما لم يكن فكان.

قال بعضُهم: إذا أرادَ اللهُ تعالى تنبيهَ العامَّةِ أحدثَ في العالمِ آيةً من آياته، وإذا أراد تَنبيه الخاصَّةِ أزالَ عن قلوبهم ذِكْرَ حَدَثِ الأشياء.

والكُلِّية: اسمُ لجماعِ الشيءِ الذي لم يبقَ منه بقيةٌ؛ فإذا قالَ القائل: (الكلُّ)، يُريدُ بذلك أنْ لم يبقَ منه بقيَّةٌ إلاَّ بمعناه.

قال بعضُهم: لا يكونُ العبدُ عبدًا بالكلِّية، ويكونُ منه[2] لغيرِ الله بقيةٌ.

وقال آخرُ: إن أقبلْتَ عليه بكُلِّيتكَ أقبلَ عليك بكلِّ الكلِّ.

---

(١) كذا في الأصل وفي (ن) و(ع). وتقدم البيت صفحة (٣٥٢) بلفظ: فأبديتُ وهو للخبزأرزي.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: ويكون فيه.

وقال:

بل كلُّ ما كلُّ من كُلّي عليك كما بكلِّ كُلّكَ كُلّي كان منشاه

والتلبيس: تحلّي الشيء بنعت ضدِّه.

حُكي عن الواسطي رحمه الله، أنه قال: التَّلبيسُ عينُ الربوبية. معناه: أنَّ المؤمنَ يُظهره في زيِّ الكافر، والكافر في زيِّ المؤمن، قال الله تعالى: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩].

وقال الجُنيد رحمه الله: امتزجَ بالالتباس، واختلطَ مُتلوِّنًا في الإحساس، وما يتغيَّرُ عنها في الالتباس يُؤخَذ عنه كأسرعِ مأخوذٍ ومختلس.

وللقنّاد في هذا المعنى:

بنا يُكْشَفُ التَّلْبيسُ في كلِّ ماكرٍ[١] إذا طاحَ في الدّعوى وطاحَ انتحالُهُ

والشرب: تلقّي الأرواحِ والأسرارِ الطاهرةِ لمَا يردُ عليها من الكرامات، وتنعُّمها بذلك، فشُبِّه[٢] ذلك بالشّرب، لتهنّيه وتنعّمه بما يردُ على قلبه من أنوارِ مُشاهدة قُربِ سيِّده.

قال ذو النُّون رحمه الله: وردتْ قلوبُهم على بحرِ المحبّة، فاغترفتْ منه ريًّا من الشراب، فشربَتْ منه بمخاطرةِ القلوبِ، فسهل عليهم كلُّ عارضٍ عرضَ لهم دون لقاءِ المحبوب.

وقال القائلُ في هذا المعنى:

شَربْتُ كاسًا على ذكراكَ صافيةً فما وجدتُ لشيءٍ عنكَ لي شُغُلا

وقال:

فما يُعَلِّلُ فيكَ القلبَ تَعْليلُ لاَ عشْتُ إنْ قلتُ: إنّي عنكَ مَشغولُ

[١٦٧] الذوق/: ابتداء الشّرب.

---

(١) ذكر البيت صفحة (٥٥٧) وروايته: بيانًا لشف اللبس.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: فيشبّه ذلك.

قال ذو النون رحمه الله: لمّا أرادَ أن يسقيَهُم من كأسِ محبَّتِهِ ذَوَّقَهم من لذاذتِهِ وألعقَهُم[1] من حلاوته.

قال قائل في هذا المعنى:

يَقولون ثُكْلَى ومَنْ لم يَذُقْ فِراقَ الأحبَّةِ لم يَثْكلِ[2]

والعين: إشارةٌ إلى ذات الشيء الذي تَبدو منه الأشياء.

قال الواسطيُّ رحمه الله: وقومٌ علموا مصادرَ الكلامِ من أين، فوقعوا على العين، فأَغناهم عن البحثِ والطلب.

وقال الجُنيد رحمه الله: حكاياتُ أبي يزيد البسطامي رحمه الله تدلُّ أنّه كانَ قد بلغَ إلى عينِ الجمع.

وعينُ الجمع: اسمٌ من أسماء التوحيد، له نعتٌ ووصفٌ يعرفُهُ أهلُه.

وقال النُّوري:

مضى الجميعُ فلا عينٌ ولا أثَرٌ مُضِيَّ عادٍ وفقدان الأُولى إرَمِ[3]

والاصطلام: نعتُ غَلَبَةٍ تَرِدُ على العقول، فيستلبها بقوَّةِ سلطانِهِ وقهره.

قال بعضُهم: قلبٌ مُمتحنةٌ، وقلب مصطلمةٌ، وإن وقَع الاصطلامُ فهو ذهابُهُ وطمسُهُ. قال:

إذا ما بَدَتْ لي تَعاظَمْتُها فأَصْدُرُ في حالِ مَنْ لم يَرِدْ
فيُصْطَلمُ الكلُّ منّي بها ويُحْجَبُ عنّي بها ما أَجِدْ

والحرية: إشارةٌ إلى نهاية التحقُّقِ بالعبودية لله تعالى، وهو ألاَّ يملِكَكَ شيءٌ من المكونات وغيرها، فتكونَ حرًّا إذا كنتَ لله عبدًا.

كما قال بشرٌ لسريٍّ رحمهما الله فيما حُكي عنه أنّه قال: إنّ الله تعالى

---

(١) في الأصل: ذوقهم من إرادته.

(٢) البيت لجعفر الخلدي، طبقات الصوفية ٤٣٧.

(٣) البيت في ديوان الحلاج ص٩٨.

خلقَكَ حرًا، فكنْ كما خلقَكَ، لا تُرائي أهلَكَ في الحضر، ولا رفقتَكَ في السّفر، اعملْ لله، ودعِ الناس عنك.

قال الجُنيد رحمه الله: آخرُ مقامِ العارفِ الحرّية.

وقال بعضُهم: لا يكونُ العبدُ عبدًا حقًّا ويكون لِمَا سوى اللهِ مُسترقًّا.

والرين: هو الصّدأ الذي يَقعُ على القلوب.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

وقال بعضُ أهل العلم: حجبُ القلوبِ على أربعة أوجه[1]: فمنها الختمُ والطبع، وذلك لقلوبِ الكفّار. ومنها الرّينُ والقسوة، وذلك لقلوبِ المُنافقين. ومنها الصدأ والغشاوة، وذلك لقلوب المؤمنين.

سُئل ابن الجلاَّء: لِمَ سُمّيَ أبوك الجلاَّء؟ فقال: ما كان بجلاَّءِ الحديد، ولكن كانَ إذا تكلَّمَ على القلوب جلاها من صدأ الذّنوب.

والغين: قد أكثروا في وصفه، وهو خَبرٌ ضعيفٌ، وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنّه لَيُغَانُ على قلبي، فأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليوم مئة مرة»[2].

فقالوا: الغينُ الذي كانَ يُعارضُ قلبَ النبيِّ ﷺ وكانَ يتوبُ منه، مَثلُه مَثلُ المرآة إذا تنفَّسَ فيها الناظرُ، فينقصُ من ضوئها، ثمّ تعودُ إلى حالة ضوئها.

وقال قومٌ: هذا محالٌ؛ لأنَّ قلبَ النبيِّ ﷺ لا يَلحقُهُ قهرٌ من الخلق، لأنَّه مخصوصٌ بالرؤية.

قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، وليسَ لأحدٍ أن

---

(١) ذكر منها ثلاثة أوجه فقط.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٢)، وأبوداود (١٥١٥)، والأمام أحمد ٤/ ٢١١. قال ابن الأثير في جامع الأصول (٢٤٤٣): (ليغان على قلبي) أي ليُغطى ويُغشى، والمرادبه السهو، لأنه كان ﷺ لايزال في مزيد من الذكر والقربة، ودوام المراقبة، فإذا سها عن شيء منها في بعض الأوقات أونسي عدّه ذنبًا على نفسه، ففزع إلى الاستغفار.

يحكمَ على قلبِ النبيِّ بوصفٍ، أو نعتٍ، أو يشبِّهُهُ بشيءٍ[١]، أو يضربَ له مثلاً، أو يُعلِّلَهُ بعلّةٍ خفيّةٍ أو جليّةٍ.

وقال أبو علي الرُّوذْباري رحمه الله في معنى الإغانة:

الغَيْنَ يُخْبَسُ عن تَحصيلِ لُبْسَتِهِ ... لقلبِ لابسِ حقٍّ بانَ عن عِلَلِهْ
فإنْ تراءتِ بسبقِ الحقِّ رُؤيتُها ... كانَ التَّغَيُّنُ في التصريفِ عن ثِقَلِهْ
لكنَّني قلتُ ما لاحَتْ طوالعُهُ ... مِـن المُـؤمَـل تَنبيـةَ إلـى أَمَلِـهْ
والثَّوبُ منه على مَعْنَى الوفاقِ وما ... تُبْدي سرائرُها غينًا لمُحْتَمِلِهْ

والوسائط: الأسبابُ التي بينَ الله تعالى وبين العبد من أسبابِ الدُّنيا والآخرة.

سُئل بعضُ المشايخ عن الوسائطِ، فقال: الوسائطُ على ثلاثةِ أوجهٍ: وسائط مواصلات، ووسائط/ متّصلات، ووسائط منفصلات. [١٦٨]

فالمُواصلاتُ بوادي الحقِّ، والمتّصلات العبادات[٢]، والمُنفصلات حظوظ النفس.

وقال أبو علي الرُّوذباري رحمه الله: وهو الذي جعلَ الوسائطَ رحمةً للعارفين؛ ليؤثروه عليها[٣].

وهذه الألفاظُ قد شرحناها على حسبِ ما فتح الله به على قلبي في الوقتِ، والذي بقي أكثرُ، وإنِ استقصيتُ في شرحِها يطولُ به الكتاب، ويخرجُ عن الاختصار.

ونذكرُ بعد ذلك شرحَ الشَّطحيات من كلامهم الذي يكون ظاهرُهُ مُستشنعًا، وباطنُهُ صحيحًا مُستقيمًا، والله الموفق للصواب.

---

(١) في الأصل: أو بشبهة شيء.
(٢) في الأصل: والمتصلات العادات.
(٣) في الأصل، و(ع) جاء شرح كلمة (الوسائط) بعد قوله: والله الموافق للصواب، والمادة كلها لم ترد في (ن).



كتاب تفسير الشطحات والكلمات التي ظاهرها مُستشنع وباطنها صحيحٌ مستقيم[١]

باب في معنى الشطح والرد على من أنكر برأيه

إن سألَ سائلٌ فقال: ما معنى الشّطح؟ فيقال: معناه عبارةٌ مُستغربةٌ في وصف وجدٍ فاضَ بقوّته، وهاج بشدّة غليانه وغلبته.

وبيان ذلك أنَّ الشَّطحَ في لغةِ العرب[٢]: هو الحركة، يُقال: شطحَ يشطحُ إذا تحرّك، ويقال للبيت الذي يحوزون فيه الدّقيق: المشّطاح، قال الشاعر:

قَفْ بشطِّ الفراتِ مَشْرَعَةِ الخَيْـ ـلِ قُبيل الطَّريقِ بالِمشْطاحِ
بالطَّواحِين من حجارةٍ بطريـ ـقٍ بديرِ الغِزْلانِ دَيْرِ المِلاحِ
وإذا لاحَ بالمسنَّاةِ ظبيٌ قد كَسَاهُ الإشراقُ ضوءَ الصّباحِ
فاقْرِ ذاكَ الغزالَ منّي سلامًا كلّما صاحَ صَائحٌ بفلاحِ

وإنما سُمّي ذلك البيت[٣] المشطاح من كثرةِ ما يحرّكون فيه الدقيق فوق ذلك الموضع الذي ينخلونه به؛ وربّما يفيضُ من جانبيه من كثرة ما يحرّكونه.

فالشطحُ: لفظةٌ مأخوذةٌ من الحركةِ؛ لأنّها حركةُ أسرارِ الواجدين إذا قويَ وجدُهم، فعَبّروا عن وجدِهم ذلك بعبارةٍ يستغربُ سامعُها؛ فمفتونٌ هالكٌ بالإنكار والطعن عليها إذا سمعها، وسالمٌ ناجٍ برفعِ الإنكار عنها، والبحث

---

(١) في الأصل: ظاهرها مستشنعة وباطنها صحيحة.

(٢) انظر الحاشية (٥) صفحة (٥٠٧).

(٣) في الأصل: لذلك البيت.

عمّا يشكلُ عليه منها بالسؤال عمَّن يعلمُ علمَها، ويكون ذلك من شأنها.

ألاَ ترى أنَّ الماءَ الكثيرَ إذا جرى في نهرٍ ضيِّقٍ فيفيض من حافتيه[١]. يُقال: شطَحَ الماءُ في النهر. فكذلك المريدُ الواجدُ إذا قويَ وجدُه ولم يطقْ حملَ ما يَردُ على قلبه من سطوةِ أنوارِ حقائقه، سطعَ ذلك على لسانِهِ، فيترجمُ عنها بعبارةٍ مُستغربةٍ مُشكلةٍ على فهومِ سامعيها؛ إلاَّ من كان من أهلها، ويكونُ متبحّرًا في علمها، فسُمّيَ ذلكَ على لسانِ أهل الاصطلاح شطحًا.

وبعد، فإنَّ اللهَ تعالى فتحَ قلوبَ أوليائه، وأَذِنَ لهم بالإشرافِ على درجاتٍ مُتعاليةٍ، وقد جاد الحقُّ تعالى على أهلِ صفوته والمتحقّقين بالتوجُّه والانقطاع إليه بكشفِ ما كان مُستترًا عنهم قبل ذلك من مراتبِ صفوته، ودرجات أهل الخصوص من عباده.

فكلُّ واحدٍ مِنهم يَنطقُ بحقيقةِ ما وجدَ، ويصدُق عن حاله[٢]، ويصفُ ما وردَ على سرِّه بنُطْقِهِ[٣] ومقاله؛ لأنهم لا يرون حالاً أعلى من حالِهم حتَّى يُحكموها، فإذا أحكموها، فعند ذلك يَسمون بهممِهم إلى حالةٍ أعلى من ذلك، حتَّى تنتهي الطُّرقُ والأحوال والأماكنُ إلى غايةٍ ونهايةٍ هي أعلى النهايات وغاية الغايات.

قال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

وقال: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وقال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٢١].

وليسَ لأحدٍ أن يبسطَ لسانَهُ بالوقيعة في أوليائه، ويُفسّرَ بفهمِهِ[٤] ورأيه

---

(١) من هنا يبدأ القسم (٧) من النسخة (ب)، وينتهي صفحة (٥٠٨).

(٢) في الأصل: ويصدق من حاله، والمثبت من (ب).

(٣) في (ب): سره لنطقه.

(٤) في (ن) و(ع): ويقيس بفهمه.

ما يسمعُ من ألفاظهم، وما يُشْكِلُ على فهمه من كلامهم، لأنَّهم في أوقاتهم مُتفاوتون، وفي أحوالهم مُتفاضلون ومتشاكلون ومُتجانسون بعضهم لبعضٍ، ولهم أشكالٌ ونُظراءُ مَعروفون، فمن بانَ شرفُهُ[١] وفضلُه على أشكاله بفضلِ علمه وسعةِ معرفته، فله أن يتكلَّمَ في عللهم وإصابتهم، ونقصانهم[٢] وزيادتهم، ومن لم يَسلُكْ سبلَهم[٣]، ولم يَنْحُ نحوهم، ولا يقصد مقاصدهم؛ فالسلامةُ له في دفعِ الإنكار[٤] عنهم، وأن يَكلَ أمورَهم إلى الله تعالى، ويتَّهمَ نفسَه بالغلطِ فيما يَنسبهم إليه من الخطأ، وبالله التوفيق[٥].

* * *



(١) في (ب): فمن بان بشرفه.
(٢) كلمة: (ونقصانهم) ليست في (ب).
(٣) في (ب): سبيلهم.
(٤) في (ن) و(ع): في رفع الإنكار.
(٥) قال الزبيدي في «التاج»: لم يتعرّض لها أكثر أئمة اللغة... وذكر عن شيخه قوله: لم يقف على لفظ الشطحات فيما رأيت من كتب اللغة، كأنها عاميّة.
وفي «القاموس المحيط» الشِّطَّح: بالكسر، وتشديد الطاء زجر للعريض من أبناء المعز.
وفي «المعجم الوسيط»: شطح في السير أو القول: تباعد واسترسل.

باب تفسير العلوم وبيان ما يُشكل على فهمِ العلماء من علوم الخاصة وتصحيح ذلك بالحجة/ [١٦٩]

قال الشيخ رحمه الله: اعلمْ أنَّ العلمَ أكثرُ من أن يحيطَ به فهمُ الفهماء، أو تُدركَهُ عقولُ العقلاء، وكفاك بقصَّةِ موسى والخَضِرِ عليهما السلام، مع جلالةِ موسى عليه السلام، وما خصَّهُ الله[١] به من الكلام والنبوة والوحي والرّسالة.

وقد ذكرَ اللهُ تعالى في المُحكم الناطقِ على لسان نبيِّه الصادقِ عجزَ موسى عليه السلام عن إدراك علم عبدٍ من عباده، إذ قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا...﴾ الآية [الكهف: ٦٥] حتَّى سألَهُ فقال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ...﴾ الآية [الكهف: ٦٦]. مع تأييدِ موسى عليه السلام وشرفه وعصمته من الإنكارِ عليه؛ على أنَّ الخضرَ عليه السلام لم يلحقْ درجةَ موسى عليه السلام في النبوّة والرسالة والتكليم أبدًا.

وقال النبيُّ ﷺ: «لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتُم قليلاً ولبكيتم كثيرًا، ولَما تلذَّذْتُم بالنساء، ولا تقاررتم على فُرُشِكم، ولخرجتم إلى الصُّعداتِ تجأرون إلى الله تعالى، واللهِ لوددتُ أنّي كنتُ شجرةً تُعضد». رواه إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مُجاهد عن مورّق عن أبي ذرٍّ عن النبيِّ ﷺ[٢].

وفي هذا الخبرِ دليلٌ على أن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] ولم يقل: ما تعرّفنا به إليك.

وقوله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم» لو كانَ من العلوم التي أُمِرَ بالبلاغ لبلَّغهم، ولو صلح لهم أن يعلموه لعلَّمَهم؛ لأنَّ اللهَ تعالى خصَّ النبيَّ ﷺ

---

(١) هنا ينتهي القسم (٧) من (ب) الذي بدأ صفحة (٥٠٦).

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (٢٨).

بعلومٍ ثلاث: علمٌ بيِّنٌ للخاصَّة والعامة: وهو علمُ الحدودِ، والأمر، والنَّهي.

وعلمٌ خُصَّ به قومٌ من الصحابة دون غيرهم: هو العلمُ الذي كان يعلمُ حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه، حتَّى كان يسألُهُ عمر بنُ الخطاب رضي الله عنه مع جلالته وفضله، ويقول: يا حذيفة، هل أنا من المنافقين؟[١]

وكذلك رُوي عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّه قال: علّمني رسول الله ﷺ سبعين بابًا من العلم، لم يعلمْ ذلك أحدٌ غيري[٢].

قال: وكان أصحابُ رسول الله ﷺ، إذا أشكلَ على أحدِهم شيءٌ، يلتجئون في ذلك إلى عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وعلمٌ خُصَّ به[٣] رسولُ الله ﷺ، لم يشاركْه فيه أحدٌ من أصحابه: وهو العلمُ الذي قال: «لو تعلمون ما أعلم»[٤].

فمن أجل ذلك قلنا: لا يَنبغي لأحدٍ أن يظنَّ أنَّه يحوي جميعَ العلوم، حتى يُخطِّىء برأيه كلامَ المخصوصين، ويكفِّرهم ويزندقهم، وهو متعرٌّ من مُمارسة أحوالهم، ومنزلة حقائقهم وأعمالهم.

وعلومُ الشريعةِ على أربعة أقسام:

فالقسمُ الأول منها: علمُ الرِّواية والآثار والأخبار، وهو العلمُ الذي ينقله الثِّقاتُ عن الثقات.

والقسم الثاني منها: علمُ الدِّراية، وهو: علمُ الفقه والأحكام، وهو العلمُ المُتداول بين العلماء والفقهاء.

والقسم الثالث: علمُ القياس والنظرِ والاحتجاج على المُخالفين، وهو

---

(١) تقدم، انظر الصفحة (٢٨).
(٢) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (٢٨).
(٣) في الأصل: وعلم خير به.
(٤) تقدم في الصفحة السابقة. وانظر الحديث مع تخريجه صفحة (٢٨).

علم الجدلِ وإثباتِ الحجَّة على أهلِ البدعِ والضلالةِ نصرةً للدين.

والقسم الرابع: هو أعلاها وأشرفُها، وهو علمُ الحقائق والمنازلات، وعلمُ المعاملة والمجاهدات، والإخلاصِ في الطاعات، والتوجّهِ إلى الله عز وجل من جميعِ الجهات، والانقطاعِ إليه في جميع الأوقات، وصحّةِ القصود والإرادات، وتصفيةِ السرائر من الآفات، والاكتفاءِ بخالقِ السموات، وإماتةِ النفوس بالمخالفات، والصدقِ في مُنازلة الأحوال والمقامات، وحسنِ الأدب بين يدي الله في السرّ والعلانية في الخلوات، والاكتفاءِ بأخذِ البُلغة عند غلبة الفاقات، والإعراضِ عن الدنيا وترك ما فيها طلبًا للرِّفعة في الدرجات، والوصولِ إلى الكرامات.

فمن غلطَ في علمِ الرِّواية غلطًا، لم يسألْ عن غلطه أحدًا من أهل الدارية.

ومن غلط في علم الدارية شيئًا، لا يسألُ عن غلطهِ أحدًا من أهل علم الرواية.

ومن غلط في شيءٍ من علمِ القياس والنظر، فلا يسأل عن غلطِهِ أحدًا من أهلِ علم الرواية والدارية.

وكذلك من غلطَ في شيءٍ من علمِ الحقائق والأحوال، فلا يسأل عن غلطِهِ إلاّ عالمًا منهم كاملاً في معناه[1].

ويُمكن أن تُوجدَ هذه العلوم كلُّها في أهل الحقائق، ولا يُمكنُ أن يوجدَ علمُ الحقائق في هؤلاء إلاّ ما شاء الله؛ لأنَّ علمَ الحقائق ثمرةُ العلوم كلِّها، [١٧٠] ونهايةُ جميع العلوم، وغايةُ/ جميع العلوم إلى علم الحقائق؛ فإذا انتهى إليها وقع في بحرٍ لا غايةَ له، وهو علمُ القلوب، وعلمُ المعارف، وعلم الأسرارِ، وعلم الباطن، وعلمُ التصوف، وعلمُ الأحوال، وعلم المعاملات، أيّ ذلك شئت، فمعناه واحد.

---

(١) من هنا يبدأ القسم (٨) من (ب) والذي ينتهي صفحة (٥١٤).

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

أَلا ترى أنَّ هؤلاء لا يُنكرون شيئًا من علومهم، وهم يُنكرون علومَ هؤلاء إلاَّ ما شاء الله؟.

وكلُّ صنفٍ من هؤلاء إذا تبحّر في علمه، فصار مُتقنًا في فهمه، فهو السيّدُ لأصحابه، لا بدّ لهم من الرجوع إليه فيما يُشكل عليهم.

فإذا اجتمعتْ هذه الأقسامُ الأربعةُ في واحدٍ فهو الإمامُ الكامل، وهو القُطبُ والحجّة والداعي إلى المنهجِ والمحجَّة.

كما رُوي عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّه قال في كلامٍ له لكُميل بنِ زياد: اللّهم، بَلَى لا تخلو الأرضُ من قائمٍ لله بحُججِهِ[1]؛ لئلاَّ تُبْطَلَ آياتُه، وتُدحضَ حجّتُهُ، أُولئك الأقلّون عددًا، الأعظمون عند الله تعالى قدْرًا.

وقد رجعتُ إلى معنى الشطح، وتفسيرِ الشطحيات، وأَقلُّ ما يُوجدُ لأهلِ الكمال الشَّطحُ؛ لأنَّهم مُتمكّنون في معانيهم، وإنَّما وقعَ في الشطح من كان في بدايةٍ، وكان مُرادًا بالوصول إلى الكمال والغاية، فتكون بدايتُهُ نهايةَ الإرادات، وهي في معناها بدايةُ الغايات والكمال والنهايات. والله أعلم بالصواب.

* * *

---

(١) في (ب): قائم لله بحجَّتِهِ.

باب في كلمات شطحيات تُحكى عن أبي يزيد [قد فسّر الجُنيد(١)] طرفا منه

قال الشيخ رحمه الله: قد فسَّرَ الجُنيد رحمه الله شيئًا قليلاً من شطحيات أبي يزيد رحمه الله، والعاقل يستدلُّ بالقليلِ على الكثير، ومن المُحال أنْ أجدَ للجُنيد رحمه الله تفسيرًا لكلامه، فأدَعُ ذلك، وأتكلَّمُ من عندي له جوابًا غيرَهُ.

قال الجُنيد رحمه الله: الحكاياتُ عن أبي يزيد مُختلفةٌ، والناقلون عنه فيما سمعوه مُفترقون؛ ذلك، والله أعلم، لاختلافِ الأوقاتِ الجارية عليه فيها، ولاختلاف المواطنِ المُتداولة(٢) بما خُصَّ منها؛ فكلٌّ يَحكي عنه ما ضبطَ من قوله، ويؤدِّي ما سمعَ من تفصيل مواطنه(٣).

وقال الجُنيد رحمه الله: وكان من كلامِ أبي يزيد رحمه الله لقوَّتِهِ وغورِهِ، وانتهاءِ معانيه مُغترفٌ من بحرٍ قد انفردَ به؛ وجُعلَ ذلك البحرُ له وحدَهُ.

قال الجُنيد رحمه الله: ثم إنّي رأيتُ الغايةَ القصوى من حاله يعني من حال أبي يزيد رحمه الله حالاً قلَّ مَنْ يَفهمُها عنه، أو يُعبِّرُ عنها عند استماعها؛ لأنَّه لا يحتملُهُ إلاَّ من عرفَ معناه، وأدركَ مُستقاه، ومن لم تكن هذه هيئتهُ عند استماعه، فذلك كلُّه عنده مردود.

وقال الجُنيد رحمه الله: رأيتُ حكاياتِ أبي يزيد رحمه الله، على ما نَعَتَهُ يُنبيء عنه: أنَّه قد غَرِقَ فيما(٤) وجدَ منها، وذهبَ عن حقيقةِ الحقِّ، إذا لم

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من (ن) و(ع).
(٢) في الأصل: المواطن المبذولة.
(٣) في (ب): من تفضيل مواطنه.
(٤) في الأصل: غرق فيها.

يَرِدْ[١] عليها، وهي معانٍ غرَّقَتْهُ على تاراتٍ من الغرقِ[٢]، كلٌّ واحدٍ منها غيرُ صاحبتها.

وقال الجُنيد رحمه الله: أمَّا ما وُصِفَ من بداياتِ حاله، فهو قويٌّ مُحكم، قد بلغَ منه الغاية، وقد وصفَ أشياءَ من علمِ التوحيد صحيحةً، إلاَّ أنَّها بداياتٌ، فيما يطلب منها المرادون لذلك.

وهذه الكلماتُ التي أُريدُ أن أذكرَها ليستْ هي مما يُكتبُ في المصنَّفات؛ لأنَّها ليستْ من العلوم المثبوتةِ[٣] عند العلماء، ولكنْ رأيتُ الناسَ قد أكثروا الخوضَ في معانيها: فواحدٌ قد جعله حجَّةً لباطله، وآخرُ قد اعتقَد في قائلها الكفر، والجميعُ قد غَلطوا فيما ذهبوا إليه، والله الموفق للصواب.

* * *



(١) في (ب): إذ لم يرد.

(٢) في (ب): وهي معانٍ عرفتها على تاراتٍ من الفرق.

(٣) في (ن) و(ع): العلوم المبثوثة.

باب في ذكر حكاية حكيت عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله(١)

وقد شاعَ في كلامِ الناس أنَّه قال ذلك، ولا أدري: يصحُّ منه، ذلك أم لا؟

(*) ذُكر عن أبي يزيد أنَّه قال: رَفعني مرَّةً، فأقامني بين يديه، وقالَ لي: يا أبا يزيد، إنَّ خلقي يحبُّون أن يروك. فقلتُ: زيّني بوحدانيَّتك، وألبسني أنانيَّتَكَ، وارفعْني إلى أَحَدِيَّتِك، حتى إذا رآني خلقُكُ قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هناك/ . [١٧١]

فإن صحّ عنه ذلك، فقد قالَ الجُنيد رحمه الله في كتاب تفسيرِهِ لكلامِ أبي يزيد رحمه الله: هذا كلامٌ من لم يلبسْهُ حقائقَ وجد التفريد في كمالِ حقِّ التَّوحيد، فيكون مستغنيًا بما ألبسه عن كون ما سأله.

وسؤالُهُ لذلك يدلُّ على أنَّه مُقاربٌ لما هناك، وليسَ المُقاربُ للمكان بكائنٍ فيه على الإمكان والاستمكان.

وقوله: (ألبسني، وزيّني، وارفعني(٢)): يدلُّ على حقيقةِ ما وجدَهُ ممّا هذا مقدارُهُ ومكانه، ولم ينلِ الحظوةَ إلاَّ بقدرِ ما استبانه.

قلتُ: فهذا الذي فسَّرَ الجُنيد رحمه الله، فقد وصفَ حالَهُ فيما قال، وبيَّنَ مكانهُ فيما أشار إليه أبو يزيد رحمه الله.

فأمَّا ما يجدُ المتعنِّتُ والمُعاندُ مقالاً بالطعن على مَنْ يقولُ مثلَ ذلك فلم يبيّن. وإلى ذلك المعنى والمقصد، وبالله التوفيق.

---

(١) هنا ينتهي القسم (٨) من (ب) الذي بدأ ص (٥١٤).
(٢) في الأصل: وزيّني وافعل لي.

وقوله: (رفعني مرَّةً، فأقامني بين يديه) يعني: أَشهدني ذلك، وأَحضرَ قلبي لذلك؛ لأنَّ الخلقَ كلَّهم بين يدي الله تعالى، لا يذهبُ عليه منهم نَفَسٌ ولا خاطر، ولكن يَتفاضلون في حضورِهم لذلك ومشاهدتهم، ويَتفاوتون في صفاتهم من كدورةٍ ما تَحجُبُ بينهم وبين ذلك من الأَشغالِ القاطعة، والخواطرِ المانعة.

وقد رُوي في الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا أرادَ أن يدخلَ في الصلاة يقول: «وقفت بين يدي الملك الجبار»[(١)].

وأما قوله: (قال لي، وقلت له) فإنَّه يُشيرُ بذلك إلى مُناجاةِ الأسرار، وصفاءِ الذِّكر عند مشاهدة القلب لمراقبة الملك الجبار في آناء الليل والنهار.

فقسْ على ما بيَّنْتُ لك؛ فإنَّ الجميعَ يُشبهُ بعضُه بعضًا، واعلمْ أنَّ العبدَ إذا تيقَّنَ بقُربِ سيِّدِهِ منه، ويكون حاضرًا بقلبه، مُراقبًا لخواطره؛ فكلُّ خاطرٍ يخطرُ بقلبه فكأنَّ الحقَّ يُخاطبُهُ بذلك، وكلُّ شيءٍ يتفكَّر بسرِّه فكأنَّه يُخاطبُ الله تعالى به؛ إذِ الخواطرُ[(٢)] وحركاتُ الأسرار وما يقعُ في القلوبِ، بدوُّهُ من الله، وانتهاؤه إلى الله. فهذا على هذا المعنى، والله أعلم بالصواب.

وقد قالَ القائل:

مَثَّلْتُهُ المُنى فظَلَّ نَديمي فتنعَّمْتُ فاقدًا للنَّعيمِ[(٣)]
مَثَلْتُهُ حتَّى كأنِّي أناجيـ ـه بسرِّي وسرِّه المَكتومِ[(٤)]

---

(١) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

(٢) في الأصل: إذا الخواطر.

(٣) في الأصل: حين رأيته.

(٤) البيتان لعبد الصمد بن المعذل، المستدرك على صناع الدواوين ١/ ٢٨٧، وروايتهما فيه:

مَثَّلَتْهُ المُنى فظَلَّ نَديمي فتنعَّمْتُ قاهرًا للهمومِ
ثم مكَّنتُ منه حتَّى أناجيـ ـه بسرِّي وسرِّه المَكتومِ

وقال آخر:

قـــالَ لـــي حَبـــنَ رِمْتُـــهُ   كـــلُّ ذا قـــد عَلِمْتُـــهُ
لـــو بَكـــى طـــولَ عُمْـــرِهِ   بـــدمٍ مـــا رَحمْتُـــهُ[١]

يُريدُ مناجاةَ الأسرار. ومثلُ ذلك كثيرٌ في الشِّعر وغيره.

وأما قوله: (**زيّني بوحدانيّتك، وألبسني أنانيّتك، وارفعني إلى أحديّتك**): يُريدُ بذلك الزيادة والانتقالَ من حالِهِ إلى نهايةِ أحوال المُتحقّقين بتجريدِ التوحيد، والمُفرّدِين لله بحقيقة التفريد.

وقد ذُكِرَ عن رسول الله ﷺ، فيما رُوي عنه: «سبقَ المفرّدون»، قيل: يا رسول الله، ومِنَ المُفرّدون؟ قال: «الحامدون الله في السّرّاء والضرّاء»[٢].

وأما قوله: (**ألبسني أنانيتك حتى إذا رآني خلقُك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هناك**): فهذا وأشباهُ ذلك تصف فناءه، وفناءَهُ عن فنائه، وقيامَ الحقِّ عن نفسِهِ بالوحدانية، ولا خَلْقَ قبل، ولا كون كان.

وكلُّ ذلك مُستخرجٌ من قوله: يقول الله تعالى: «ما زال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتَّى أُحبَّه، فإذا أحببتُهُ كنتُ عينَهُ التي يُبصرُ بها[٣]، وسمعَهُ الذي يسمعُ به، ولسانَهُ الذي يَنطقُ به، ويَدهُ التي يُبطشُ[٤] بها...»، كما جاء في الحديث[٥].

---

(١) البيت لمحمد بن عبد الملك الزيات، الأغاني ٢٣/ ٦٩.

(٢) رواه أحمد في المسند ٢/ ٤١١، ومسلم (٢٦٧٦)، والترمذي (٣٥٩٦): بلفظ «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات» بدل: «الحامدون على السّرّاء والضرّاء».

(٣) في هامش الأصل: وفي نسخة: كنت عينه الذي يبصر بها.

(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: ويده الذي يبطش.

(٥) رواه البخاري (٦٥٠٢). وهذا الحديث أشرف حديث في صفة الأولياء. وانظر ما قاله ابن رجب في جامع العلوم والحكم (الحديث: ٣٨)، وابن حجر في فتح الباري.

وقد قالَ القائلُ في وجده بمخلوق مثلهِ، وقد وصفَ وجدَهُ بمحبوبِهِ حتى قال[١]:

أنَا مَنْ أَهوى ومَنْ أَهوى أنا ... فـإذا أبْصـرتنـي أبصـرْتَنـا
نحـنُ رُوحـان معًـا فـي جسـدٍ ... ألبـسَ اللهُ علينـا البَـدَنـا[٢]

فإذا كان مَخلوقٌ يجدُ بمخلوق، حتّى يقولَ مثل ذلك، فما ظَنُّكَ بما وراء ذلك؟

وبلغني عن بعضِ الحكماء أنَّه قال: لا يَبلغُ المُتحابّان حقيقةَ المحبّةِ حتّى يقولَ الواحدُ للآخر: يا أنا.

وشرحُ ذلك يطول إن استقصيتُ، وفيما ذكرتُ كفايةٌ، وبالله التوفيق.





(١) من هنا يبدأ القسم (٩) من (ب) والذي ينتهي صفحة (٥١٩).
(٢) تقدم البيتان، انظر صفحة (٤٨٧).

باب آخر في تفسير حكاية ذكرت عن أبي يزيد رحمه الله

[١٧٢] قال الشيخ/ رحمه الله: قلت: وقد حُكي أيضًا عنه أنَّه قال: أوّلُ ما صرتُ إلى وحدانيَّته، فصرتُ طيرًا جسمُهُ من الأَحدية، وجناحاه من الدّيمومية؛ فلم أزلْ أطيرُ في هواءِ الكيفية عشرَ سنين، حتَّى صرتُ إلى هواءِ مثلِ ذلك مئة ألف ألف مرَّة، فلم أزلْ أطير إلى أن صِرتُ في ميدان الأزلية، فرأيتُ فيها شجرةَ الأحدية.

ثم وصفَ أرضَها وأَصلها، وفرعها وأَغصانها، وثمارها، ثم قال: فنظرتُ فعلمْتُ أنَّ هذا كلَّه خدعة.

قال الجُنيد رحمه الله: أمَّا قوله: (أول ما صرتُ إلى وحدانيَّته): فذاك أوَّلُ لحظه إلى التوحيد، فقد وصفَ ما لاحظَ من ذلك، ووصف النهايةَ في حالِ بلوغه، والمستقرَّ في تناهي رسوخه.

وهذا كلُّه طريقٌ من طريقِ المطلوبين بالبلوغ إلى حقيقة علم التوحيد بشواهدِ[١] معانيها، منظورًا إليها، متراثيًا بأهلها[٢] فيها، مرسلين في حقِّ ما لاحظوه ممَّا شهدوه.

وليس لذلك إذا كانَ كذلك غايةُ كنهٍ يَقوى عليه المطلوب به، ولا رسوبٌ في إرماس يصيرون إليه[٣]، بل ذلك على شاهد التأبيد فيه[٤]، وإيثار التخليد فيما وجدوا منه.

(١) في (ب): لشواهد معانيها.
(٢) في (ن) و(ع): متوهًا بأهلها.
(٣) في (ب): مما شهدوه، وليس يصيرون إليه.
(٤) في (ب): على شاهد التأييد فيه.

وقال الجُنيد رحمه الله: وأما قول أبي يزيد (ألف ألف مرة) فلا معنًى له؛ لأنَّ نَعتَهُ أجلُّ وأَعظمُ ممَّا وصفه وقاله، وإنَّما نعتَ من ذلك على حسبِ ما أمكنه، ثم وصفَ ما هناك، وليس هذا بَعْد الحقيقة المطلوبة، ولا الغاية المستوعبة، وإنَّما هذا بعض الطريق.

فهذا ما فسَّره الجُنيد رحمه الله، وفيه بلغةٌ وكفاية لمن يفهم، والله الموفق للصواب.

(*) قال الشيخ رحمه الله: غَير أَنّ الجُنيد قد تكَلّمَ على حال أبي يزيد رحمه الله، فيما شطحَ[1] به، وما نطقَ بذلك عن وجده.

فأمّا ما يجدُ المُتعنّتُ مطعنًا فيما قال أبو يزيد، فلم يذكره؛ وهو قوله: (صرتُ طيرًا، ولم أزل أطير)، فكيف يتهيّأُ للمرء أن يصيرَ طيرًا ويطير؟

والمعنى، فيما أشارَ إليه: سموُّ الهِمَمِ وطيرانُ القلوب، وذلك موجودٌ في لغة العرب أن يقول القائلُ: كدتُ أنْ أطيرَ من الفرح، وقد طارَ قلبي، وكاد يطيرُ عقلي[2].

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: الزّاهِدِ سيَّار، والعارفُ طيّار. يريدُ بذلك: أنَّ العارفَ في قصده إلى مطلوبِهِ أسرعُ من الزّاهِدِ[3]، وهذا جائز.

وقال قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣].

رُوي عن سعيدِ بن جبير رحمة الله عليه في معنى تفسيره: ألحقنا به ما سَبَقَ له من السعادة والشقاوة.

وقال الشاعر:

ربَّ يوم كأنَّه يومَ بانُوا ... من دُمُوعِ الفِراقِ يَومٌ مَطيرُ
لو تَراني رأيتَ يومَ تولَّوا ... جَسدًا وَاقِفًا وقلبًا يَطيرُ

---

(١) في الأصل: مما شطح به.
(٢) في (ب): كاد أن يطير.
(٣) هنا ينتهي القسم (٩) من (ب) الذي بدأ صفحة (٥١٧).

وأما قوله: وما يضيفُ جناحيه وجسَمَه إلى الأحدية والديمومية، يُريد بذلك تَبرّيهِ مِنْ حولِهِ وقوّته في طيرانه، يعني في قصدهِ إلى مطلوبه، وأن يضيفَ فعلَه وحركتَه، في قصدهِ إلى الأحدِ الدائم، بلفظةٍ مُستغربة.

ومثل ذلك موجودٌ في كلامِ الواجدين والمستهترين[١]، وإذا كان الغالبُ على سرِّ الواجد وقلبه ذِكْرَ مَنْ يَجِدُ به، يَصِفُ جميعَ أحواله بصفاتِ محبوبهِ، مثل مجنون بني عامر كان إذا نظرَ إلى الوحشِ يقول: ليلى! وإن نظرَ إلى الجبالِ يقول: ليلى! وإن نظر إلى الناس يقول: ليلى! حتى إذا قِيل له: ما اسمكُ وما حالُك؟ يقول: ليلى، وفي ذلك قال[٢]:

أَمُرُّ على الدِّيارِ ديارِ ليلى أُقَبِّلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا
وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قلبي ولكنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارا

وقال[٣] غيره:

أُفتِّشُ سرّي عن هواكم فلا أرى سِواي وأنّي أنت[٤] والكُنْهُ أَكْبَرُ
فإنْ وَجَدَتْ أنّي ففي الوجدِ أنّها فإنْ عَبَرَتْ عنّي فَعَنها تُعبّرُ

ومثل ذلك كثير، ومُستحسنٌ من القائلين في معنى ما قالوا في وصف وجدهم بمخلوقٍ، وفي هوًى باطل، والإشارةُ في معنى المراد من ذكرِ ذلك تُغني عن العبارة، وبالله التوفيق.

وأما معنى قوله: (عشر سنين، وألف ألف مرة، وميدان الأزلية، وهواء الكيفية): فذاك قد قال الجُنيد رحمه الله: إنَّه وصفُ[٥] بعض الطريق.

وفيما قال الجُنيد رحمه الله كفايةٌ عن كلامنا، وتكرارنا في هذا.

---

(١) استُهتر: بالشيء: فُتن به، ولزمه غير مبالٍ بنقدٍ ولا موعظة. القاموس (هتر).
(٢) ديوان مجنون ليلى، ص١٧٠.
(٣) من هنا يبدأ القسم (١٠) من (ب) وينتهي ص (٥٢١).
(٤) في الأصل: جعل فوق كلمة (أنت) كلمة (عنك).
(٥) في (ب): إنَّه وَصَفَ.

وأما قولُه: (**فنظرتُ فعلمتُ أنَّ ذلك كلَّه خدعة**) معناه واللهُ أعلم: أنَّ الالتفاتَ والاشتغال بالملاحظة[(١)] / إلى الكون والمملكة خدعةٌ عند وجودِ [١٧٣] حقائقِ التفريد[(٢)] وتجريد التوحيد.

فمن أجلِ ذلك قال الجُنيد رحمه الله: لو أنَّ أبا يزيد رحمه الله، على عظيمِ إشارته خرجَ من البداية والتوسّط، ولم أسمعْ له نُطقًا يدلُّ على المعنى الذي يُنبىءُ عن الغاية.

وذلك ذكرُه للجسم، والجناح والهواء، والميدان. وقوله: (**فعلمتُ أن ذلك كلَّه خدعة**)؛ لأنَّ عند أهلِ النهاية أنَّ الالتفاتَ إلى أيِّ شيءٍ سوى الله خدعةٌ، فمن أنكرَ[(٣)] ذلك، فقد قال سيِّد الأوَّلين والآخرين ﷺ: «أصدقُ كلمةٍ قالَتْها العربُ قولُ لبيد:

أَلاَ كلُّ شيءٍ ما خَلاَ اللهَ باطلُ[(٤)]»

* * *



---

(١) في (ب): والملاحظة.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: دقائق التفريد.

(٣) هنا ينتهي القسم (١٠) من (ب) الذي بدأ صفحة (٥٢٠).

(٤) تقدم الحديث، انظر صفحة (١٥٦).

باب أيضًا في شرح كلام حُكي عن أبي يزيد رحمه الله

قال الشيخ رحمه الله: وقد ذُكِرَ عن أبي يزيد أيضًا أنَّه قال: أشرفتُ على ميدان الليسية، فما زلتُ أطيرُ فيه عشر سنين، حتى صرتُ مِنْ ليس في ليس بليس، ثم أَشرفتُ على التضييع وهو ميدان التوحيد فلم أزلْ أَطيرُ بليس التضييع، حتى ضعتُ في الضَّياعِ ضياعًا، وضعتُ، فضعتُ عن التضييعِ بليس في ليس في ضياعة التضييع[١]، ثم أشرفتُ على التوحيد في غيبوبة الخلق [عن العارف][٢]، وغيبوبة العارف عن الخلق.

قال الجُنيد رحمه الله: هذا كلُّه وما جانسَهُ داخلٌ في علم الشواهدِ على الغيبة عن استدراك الشاهد، وفيها معانٍ من الفناء بتغيّب الفناء عن الفناء.

ومعنى قوله: (أشرفتُ على ميدان الليسية، حتى صرت من ليس في ليس بليس): فذاك أوّلُ النزول في حقيقةِ الفناء، والذهاب عن كلِّ ما يُرى ولا يُرى، وفي أوّل وقوعِ الفناء انطماسُ آثارها.

وقوله: (ليس بليس)، هو ذهابُ ذلك كلّه عنه، وذهابه عن ذهابه، ومعنى (ليس بليس): أي ليس شيءٌ يُحسُّ ولا يُوجد، قد طُمسَ على الرسوم، وقُطعتِ الأسماء، وغابتِ المحاضر، وبُلعتْ الأشياء عن المشاهدة، فليسَ شيءٌ يُوجد، ولا يُحسُّ بشيءٍ يُفقد، ولا اسمٌ لشيءٍ يُعهد، ذهب ذلك كلُّه بكلِّ الذهاب عنه، وهو الذي يُسمّيه قومٌ الفناء، ثم غابَ الفناءُ في الفناء، فضاعَ في فنائه، فهو التَّضييعُ الذي كان في ليس به، وبه في ليس.

وذلك حقيقةُ فقدِ كلِّ شيءٍ، وفقدِ النَّفسِ بعد ذلك، وفقدِ الفقدِ في

(١) في (ن): في ضياعه التضييع.

(٢) ما بين معقوفين ليس في الأصل. مستدرك من (ن) و(ع).

الفقد، والارتماس في الانطماس، والذهاب عن الذهاب، وهذا شيءٌ ليسَ له أَمدٌ ولا وقتٌ يُعهد.

وقال الجُنيد رحمه الله: ذكره لـ(عشرِ سنين): هو وقته[1]، ولا معنى له؛ لأنَّ الأوقاتِ في هذا الحال غائبةٌ، وإذا مضى الوقتُ غابَ بمعناه عمَّن غيّب عنه، فعشر سنين ومئةٌ وأكثرُ من ذلك كلُّه في معنىً واحد.

قال الجُنيد رحمه الله: فيما بلغني: ثم قال أبو يزيد رحمه الله: **(أَشرفتُ على التوحيدِ في غيبوبة الخلق عن العارف، وغيبوبة العارف عن الخلق)** يقول: عند إشرافي على التوحيدِ تحقَّقَ عندي غيبوبةُ الخلقِ كلِّهم عن الله تعالى، وانفراد الله عز وجل بكبريائه عن خليقته.

ثم قال الجُنيد رحمه الله: هذه الألفاظُ التي قال أبو يزيد رحمه الله معروفةٌ في إدخال المراد فيما أُريدَ منها.

فهذا ما بلغني عن الجُنيد رحمه الله في تفسير هذه الكلمات لأبي يزيد رحمه الله والذي فسَّرَ الجُنيدُ رحمه الله أيضًا مُشكلٌ إلاَّ عند أهله؛ فإنَّما يُشكلُ ذلك وأشباهُهُ على من لم يتبحَّرْ في العلم، ولم ينظرْ في الروايات، وما دُوّنَ في الكتبِ عند العلماء في وصفِ عظمةِ الله تعالى وكبريائه، حتى يستدلَّ بذلك على ما لم يُدوّنْ في الكتبِ ممّا انفردَ، وخصَّ به قلوبَ أوليائه وخاصَّته وخالصته.

على أنَّ الفُهماء من العلماء بالله يعلمون أنَّ كلَّ من شاهد زيادته في حاله الذي خصّ به من أحوالِ المنقطعين إلى الله تعالى، فهو في زيادةِ الحالِ معَ الله عز وجل في كلِّ نَفَسٍ وطرفةِ عينٍ من المزيد، كائنةٍ في كلِّ نَفَسٍ فيما ربطَ به من الحال، فهو في الانتقال في كلِّ نَفَسٍ من حالٍ إلى حالٍ إلى ما لا نهاية له، حتّى يبلغَ وطنَه في مكانِهِ إلى محلِّه الذي هو مُرادٌ بذلك، فكلُّ حالٍ هو منقولٌ إليه، فهو فانٍ به عن الحالِ الذي انتقل منه. وهذا معنى قوله:

---

(١) في الأصل: هو نعته.

[١٧٤] (الفناء، والفناء عن الفناء، والذهاب، والذهاب عن/ الذهاب، وضعتُ فضعتُ عن التضييع ضياعًا)، وإن كانت عباراته مُختلفةً، فإنَّ معانيه مُتفقةٌ، وحقائقَهُ مُتَّسقة.

وبيان ذلك فيما رُوي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصّلت: ١١]. قال: «فقالتِ الملائكةُ: يا ربّ، فلو لمَ تأتك، ما كنتَ صانعًا بهما؟ قال: كنتُ أُسلِّطُ عليهما دابةً من دوابي تَبتلعُهما في لقمةٍ. قالت: يا رب، وأين تلك الدَّابةُ؟ قال: في مرجٍ منْ مُروجي. قالتْ: يا ربُّ، وأين ذلك المرجُ؟ قال: في غامض علمي»[١].

ألا ترى أنَّ في الدابة واللُّقمة ذهاب السموات والأرض، وفي المرج ذهابُ الذَّهاب، وفي الذهابِ تنبيهُ قلوب[٢] العارفين. فما شاهد بقلبه ذلك، فكيفَ يشهدُ نفسَهَ، والمُلْك، وجميعَ ما خلق الله تعالى؟

ويُقال: إنَّ في بعض الكتبِ: أنَّ اللهَ أوحى إلى جهنَّم: إنْ لم تأتمري ما آمرُكِ به لأحرقنَكِ بنيراني الكبرى.

فقيل لبعضِ العارفين: ما معنى قوله: (لأحرقنَّك بنيراني الكبرى)؟ قال: يطالع بذرّة من حُبِّه قَدَمَهُ، فيكون مثلُ جهنم، فيها كتنُّورِ خبَّازٍ في حريق الدنيا؛ بل أقلَّ من ذلك.

ومعنى قوله: (ليس بليس في ليس): فإنَّه يُشيرُ إلى ليسيّته فيما هو فيه؛ إذِ الأشياءُ كلُّها في معانيها، ووجودها أشباحٌ فيما لله تعالى، فهي، وإن كانتْ بالإيجاد مرسومةً في حقائقها بالعدم والتلاشي، مرسومةٌ، ولأهلِ الحقائق في مشاهدتها مَراتبُ مقسومة، ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].



---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٨/ ٢٤٧) والقرطبي ١٥/ ٣٤٤، وفيهما: في علم من علمي.

(٢) كلمة (قلوب) ليست في الأصل.

باب آخر في شرح ألفاظ حُكيت عن أبي يزيد رحمه الله وكان يكفـره في ذلك ابنُ سـالم بالبصـرة وذِكرُ مُناظـرةِ جرت بيني وبينه في معنى ذلك

قال الشيخ رحمه الله: سمعتُ ابنَ سالم يقولُ في مجلسه يومًا: فرعونُ لم يقلْ ما قالَ أبو يزيد رحمه الله، لأنَّ فرعونَ قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، والرَّبُّ يُسمَّى به المخلوق، فيقال: فلان ربُّ دارٍ، وربُّ مالٍ، وربّ بيتٍ. وقال أبو يزيد رحمه الله: (سُبحاني سبحاني)، وسبّوح. وسبحان اسمٌ من أسماء الله تعالى الذي لا يجوزُ أن يُسمّى به غيرُ الله تعالى.

فقلتُ له: هذا الكلامُ قد صحَّ عندك عن أبي يزيد رحمه الله، وصحَّ عندك أنَّ اعتقادَهُ في ذلك كان كاعتقادِ فرعون في قوله: أنا ربُّكم الأعلى؟ فقال ابنُ سالم: قد قالَ ذلك حتّى يصحَّ عندي أنَّه أيشٍ أرادَ بذلك؟ يلزمه الكفر.

فقلتُ: إذا لم يتهيَّأْ لك أن تشهدَ عليه بما اعتقدَ عند قوله ذلك، فبطلَ أن تُكفِّرَهُ، لأنَّه يُحتمل أن يكونَ لهذا الكلامِ مقدماتٌ، فيقولُ يعقُبُهُ: سُبحاني سُبحاني. يحكي عن اللهِ تعالى بقول: «سبحاني سبحاني»[1] لأنَّا لو سمعنا رجلاً يقول: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ما كان يَختلجُ في قلوبِنا شيءٌ غير أن نعلم أنَّه هو ذا يقرأُ القرآن، أو هو ذا يصفُ اللهَ تعالى بما وصفَ به نفسَه.

وكذلك لو سَمعنا دائبًا أبا يزيد رحمه الله أو غيره، وهو يقول: (سُبحاني سُبحاني): لم نشكَّ بأنَّه يُسبِّحُ اللهَ تعالى، ويصفُهُ بما وصفَ به نفسَهُ.

---

(١) قول الله جلَّ وعزّ: «سبحاني» مرة واحدة جاءت في صحيح البخاري (٤٤٨٢)، وفي المعجم الكبير ١٠/٣٠٩، وفي مسند الشاميين (٢٩٣٨).

وإذا كان الأمرُ هكذا وعلى ما قلناه، فتكفيرُكَ لرجلٍ مَشهورٍ بالزهد، والعبادةِ، والعلم، والمعرفة من أعظمِ المحالات.

وقد قصدتُ بِسطامَ، وسألتُ جماعةً من أهلِ بيت أبي يزيد رحمه الله عن هذه الحكاية فأنكروا ذلك، وقالوا: لا نعرفُ شيئًا من ذلك. ولولا أنَّه شاعَ في أفواهِ الناس ودوّنوه في الكتبِ ما اشتغلتُ بذكر ذلك.

(*) وسمعتُ ابنَ سالمٍ أيضًا وهو يَحكي في مجلسه عن أبي يزيد رحمه الله، أنَّه قال: (ضربتُ خَيمتي بإزاء العرش، أو عندَ العرشِ). وكان يقولُ: هذه الكلمة كُفرٌ، ولا يقولُ مثلَ هذا إلاَّ كافرٌ.

(*) وكان يقولُ أيضًا: إنَّ أبا يزيد رحمه الله اجتازَ بمقبرةِ اليهود، فقال: مَعذورون. ومرَّ بمقبرة المُسلمين، فقال: مَغرورون.

ومع جلالةِ ابنِ سالمٍ كان يُسرفُ في الطعنِ على أبي يزيد رحمه الله، وكان يُكفِّرُهُ من أجلِ أنَّه قال ذلك.

فقلتُ له: عافاك الله، إنَّ علماءَ نواحينا يتبرّكونَ بتُربةِ أبي يزيد رحمه الله إلى يومنا هذا، ويحكون عن المشايخِ المُتقدِّمين أنَّهم كانوا يَزورونه، وكانوا يتبرّكونَ بدعائه، وهو عندهم/ من أَجلَّةِ العبَّاد والزُّهاد وأهلِ المعرفة بالله، [١٧٥]
ويذكرونَ أنَّه فاقَ أهلَ عصره بالورع والاجتهاد، ودوامِ الذكر لله تعالى، حتى حَكى عنه جماعةٌ أنَّهم رأوه قد ذكرَ الله تعالى، حتَّى بالَ الدَّمَ من خشية الله تعالى، ودوام تعظيمه لله عز وجل. وكيف يجوزُ أن نعتقدَ فيه الكُفْرَ بحكايةٍ تُحكى عنه، ولم نعرفْ إرادته فيما قال، ولا نطَّلع على حاله في الوقتِ الذي قال؟! وهل يجوزُ لنا أن نحكمَ عليه فيما يبلغنا عنه إلاَّ بعد أن يكونَ لنا حالٌ مثلَ حاله، ووقتٌ مثلَ وقته، ووجدٌ مثلَ وجده؟ أوليسَ قد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

فهذا كلامٌ جرى بيني وبين ابنِ سالم في مجلسِهِ في الحكايات التي حكاها عن أبي يزيد رحمه الله، أو كلام هذا معناه، أو قريبٌ من معناه.

فأما قوله: (ضربتُ خيمتي بإزاء العرش أو عند العرش) فإنْ صحَّ عنه أنَّه قالَ ذلك، فهذا غيرُ مجهولٍ أنَّ الخلقَ كلَّهم، والكونَ، وجميعَ ما خلق الله تعالى تحتَ العرش، وبإزاء العرش.

ومعنى قوله: (ضربت خيمتي بإزاء العرش) يعني: وجَّهتُ خيمتي نحو مالِكِ العرشِ، ولا يوجد في العالمِ موضعُ قدمٍ إلاَّ وهو بإزاء العرش، فلا سبيلَ للمُتعنِّتِ في هذا بالطعن.

وأما قوله عند اجتيازه بمقبرة اليهود وقوله: (معذورون) أيْ كأنَّهم معذورون، فكأنَّه، لما نظرَ إلى ما سبقَ لهم من الله بالشقاوة واليهودية من غيرِ فعلٍ، كان موجودًا في الأزل، وأنَّ الله تعالى جعل نصيبَهم منه السَّخطَ عليهم، فكيف يتهيَّأُ لهم أن يكونوا مُستعملين إلاَّ بعملِ أهل السخط؟ فقال: كأنَّهم معذورون، وهم غيرُ معذورين من حيثُ ما رسمَ القلم، ونطق به الكتاب، وما وصفَهُم اللهُ تعالى بقولهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] و﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

واللهُ عدلٌ في جميع ما حكمَ، حكيمٌ في جميع ما رسم ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وأما قوله لمَّا مرّ بمقبرة المسلمين فقال: (مغرورون) إنْ صحَّ عنه ذلك، كأنَّه لمَّا نظرَ إلى المُتعارفِ بين عامَّةِ المسلمين في نظرهم إلى أعمالهم، وطمعهم في النجاةِ باجتهادهم، وقلّة من يخلص[1] من ذلك، فسمَّاهم مغرورين، لأنَّ أعمالَ الخلقِ كلَّها لو جُعلتْ بإزاء نعمةٍ ممّا أنعمَ اللهُ تعالى على الخلق بأنْ دلَّهم عليه، وزيّن قلوبَهم بالإيمان به، والمعرفة بوحدانيته لبطلَ واضمحلَّ ذلك.

وليس من جميعِ الخلقِ حركةٌ ولا نَفَسٌ إلاَّ وبدؤها من الله سبحانه، وانتهاؤها إلى الله عز وجل.

---

(١) في (ن) و(ع): وقلّة من تخلّص.

فمن ظنّ أنَّ أحدًا ينجو إلاَّ بفضلِ اللهِ وسعةِ رحمته فهو مغرورٌ هالك.

ألا ترى سيِّدَ الأنبياء، وإمامَ الأتقياء ﷺ يقول: «ليس منَّا أحدٌ يُنجيه عملُهُ»، قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله؟ فقال: «ولا أنا، إلاَّ أن يتغمَّدَني اللهُ منه برحمةٍ»[1].

فالتعنُّتُ والجَسارة بالطَّعنِ والوقيعةُ، بين[2] العلماء فيمن تكونُ جوارحُه مَضبوطةً مُقيَّدةً بالعلم والأدب، بحكايةٍ أو بكلامٍ لا يُحيطُ به الفهمُ في الوقت زلَّةٌ من العالم، وهفوةٌ من الحكيم، وخطأٌ بيِّنٌ من العاقل؛ لأنَّهُ ربَّما تَصحَّفَ على الحكيمِ، لأنَّ الحكمةَ ربَّما تَجري، ويحضرُها من لا يقفُ على معانيها، ولا يلحقُ فهمُهُ مقاصدَ المُتكلِّم بها، فعند ذلك تجري على الألسنةِ بضدِّ معناها، فيلحقُ الحكيمَ عند ذلك نقصٌ عند من لا يقفُ على مَراميه، ويُشكلُ عليه معانيه، ولم يشرفْ على مكانه، ولا يسألُ عن بيانه؛ لأنَّ الغامضَ من العلوم لا يُدركُ إلاَّ بالغامضِ من الفهوم.

والتَّصحيفُ الذي يقعُ في الحكمة، يقع من وجهين:

فوجهٌ منها تصحيفُ الحروف، وذلك أيسرُهُ.

والوجه الثاني تَصحيفُ المعنى، وهو: أن يَتكلَّمَ الحكيمُ بكلمةٍ من حيث وقته وحاله، فلا يكونُ للمستمع لذلك الحال والوقت، فيصحِّفُ معناه، فَيعبِّرُ عنها من حيث ما يليقُ بحالِهِ ووقته ومقامِهِ ووجدِهِ، فيغلطُ في ذلك ويهلك.

سمعت أبا عمرو بنَ علوان يقول: سمعتُ الجُنيد رحمه الله يقولُ: كنتُ أَصحبُ هذه الطائفةَ، وأنا حَدَثٌ، فكنتُ أَسمعُ منهم كلامًا لم أفهم عنهم[3] ما يقولون، إلاَّ أنَّ قلبي قد سلمَ من الإنكارِ عليهم، فبذلك نلتُ ما نلتُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) في (ن) و(ع): من العلماء.

(٣) في الأصل: كلامًا لأفهم عنهم.

وممَّا يُقوّي هذا الذي ذكرتُ: أنّي كنتُ في مجلسِ ابن سالمٍ بالبصرة بعد هذا الخوض الذي جرى بيني وبينه في كلامِ أبي يزيد، رحمه الله، فحَكى يومًا عن سهل بن عبد الله/ رحمه الله أنَّه قال: ذكرُ الله تعالى باللِّسان هذيان، [١٧٦] وذكرُ اللهِ تعالى بالقلبِ وسوسة. فسئل عن ذلك، فقال: كأنَّه أرادَ بذلك: أن يكونَ قائمًا بالمَذكور لا بالذِّكرِ.

ثم حَكى في مجلسٍ آخرَ عن سهل بنِ عبد الله رحمه الله أيضًا أنه قال: مولاي لا ينامُ، وأنا لا أنام. فقلتُ لبعضِ أصحابه ممَّن كان يخصُّه: لولا أنَّ الشيخَ أَميلُ إلى سهل بن عبد الله رحمه الله، منه إلى أبي يزيد رحمه الله، لكانَ يُخطِّئه أيضًا فيما قد حُكي عنه، كما خطَّأَ أبا يزيد رحمه الله، وكفَّرَهُ بين يديك في الكلامِ الذي حُكي عنه؛ لأنَّ في هذا الذي قد حُكي عن سهل رحمه الله وهو إمامُهُ، وأفضلُ الناس عنده يجدُ المتعنِّتُ مقالاً إنْ قصدَ إلى ذلك، والذي يعلمُ أنَّ لهذا الذي حكاه عن سهل بنِ عبد الله، رحمه الله وجهًا غير ما يجدُ المتعنِّتُ فيه مطعنًا، فلذلك يجوزُ أن يكونَ لكلامِ أبي يزيد رحمه الله الذي حكاهُ عنه وجهٌ غيرَ الوجه الذي هو ذا يُكفِّرُهُ به ويخطِّئهُ فيما قال، فلم يكن له جوابٌ عند ذلك أو كلامٌ. هذا قريبٌ من معناه، وبالله التوفيق.

ويقال: لولا ما خصَّ اللهُ تعالى موسى عليه السلام بالعِصمة والتأييد، وما شملتْهُ من أنوارِ النبوة والكلام والرسالة حتَّى وفَّقَ وسُدِّدَ من الإنكار على الخضر ممَّا كان يرى منه قَتلَ النفسِ التي حرَّمَ اللهُ تعالى، وهي من أعظمِ الكبائر! فما كان يرضى أن يقولَ له: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]، حتى كان يردُّ عليه: ﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥]، فيقول: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦] بعد ما عاينَ منه قتلَ النَّفْسِ التي حرَّمَ الله تعالى، وأمرَ فيه بالقِصاص، فكان يجبُ على موسى عليه السلام أن يطالبَهُ بالقَوَدِ ويهجرَهُ، ولايستحلَّ مُجالستَهُ ومصاحبته؛ غيرَ أنَّ عنايةَ الله تعالى

وتخصيصَهُ، وتَسديده وتوفيقَهُ الذي كان مصحوبهُ حَجَزَ بينه وبين ذلك.

فكذلك دَأبُ كلِّ وليٍّ وصدِّيقٍ إلى يوم القيامة، ولا يجوزُ لواحدٍ منهم أن يلحقَ درجةً من درجات النبوة، والله الموفق للصواب.

وحُكي عن أبي يزيد رحمه الله: أنَّه لم يستندْ قطُّ إلى جدارٍ إلاَّ أن يكونَ جدارَ مسجدٍ أو رباطٍ، ويُقال: إنَّه ما رأوْه مُفطرًا[1] قطُّ إلاَّ أيامَ العيد، حتى لحقَ بالله عز وجل. ويكثر في مثلِ هذا عنه الأخبار.

* * *



(١) في الأصل: ما رئي مُفطرًا.

باب في ذكر كلامٍ حُكي عن الشبلي رحمه الله وشرحِهِ عن ذلك

قال الشيخُ رحمه الله: سمعتُ أبا عبد الله بن جابان يقولُ: دخلتُ على الشِّبليِّ رحمه الله، في سنة القحط[١]، فسلّمتُ عليه، فلمّا قمتُ على أن أخرجَ من عنده، فكانَ يقولُ لي ولمن معي، إلى أن خرجنا من الدار: مُرُّوا أنا معكم حيثُ ما كنتم، أنتم في رعايتي وفي كلاءتي.

قلتُ: أرادَ بقول ذلك: أنَّ الله تعالى مَعكُم حيثُ ما كنتم، وهو يَرعاكم ويكلؤكم، وأنتم في رعايته وكلاءته.

والمعنى في ذلك: أنَّه يَرى نفسَه مَحْقًا فيما غلبَ على قلبه من تجريدِ التَّوحيدِ، وحقيقةِ التفريد، والواجد إذا كان وقتُهُ كذلك؛ فإذا قال: (أنا)، يُعبِّرُ عن وجده، ويُترجمُ عن الحالِ الذي قد استولى[٢] على سرِّه، فإذا قال: (أنا) يُشيرُ بذلك إلى ما غلبَ عليه من حقيقةِ صفةِ مُشاهدته قرب سيّده.

وسمعت الحُصْري رحمه الله يَحكي عنه: أنَّهُ كان يقولُ: لو عَرضْتُ ذُلّي على ذلِّ اليهود والنصاري لكان ذُلّي أذلَّ من ذلِّهم.

فإنْ قال قائل: أينَ تقعُ هذه الحكاية من ذلك؟ فيُقال له: الحكايتان صَحيحتان، والوقتان مختلفان[٣]؛ فوقتًا خُصَّ بصفاءِ المُشاهدة، فنطقَ عن وجده وحقيقته بمحضِ الإخلاص، وخالصِ التوحيد، ووقتًا رُدَّ إلى صفتِهِ، وعجزِ بشريته، وذُلِّ آدميَّتِهِ، فنطقَ بما وجد من ذلك.

كما قال يحيى بنُ معاذ الرازي رحمه الله: العارفُ إذا ذكرَ ربَّه افتخرَ،

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: في شدة القحط.

(٢) في الأصل: قد استدلّ.

(٣) في الأصل: والوقت مختلفين.

وإذا ذكرَ نفسَهُ افتقرَ واحتقر. وهذا المعنى موجود في العلم[١].

رُويَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: [«لي وقتٌ لا يَسعني شيءٌ غير الله»[٢]، و: «أنا سيّدُ ولدِ آدم ولا فخر»[٣].

وروي عنه ﷺ أنَّه قال][٤]: «لا تُفضّلوني على يونس بن متّى عليه السلام»[٥]، «أنا ابنُ امرأةٍ كانتْ تأكلُ القديد»[٦]/ [١٧٧]

فكم بين الخبرين! وتفاوت ما بين الوقتين؟! والله أعلم.

(*) وممَّا يُضاهي هذا الذي قُلناه ما حُكي عنه يعني عن الشبليِّ رحمه الله: أنَّه أخذَ من يد إنسانٍ كسرةَ خبزٍ، فأكلها، ثم قال: إنَّ نفسي هذه تَطلبُ منّي كِسرةَ خبزٍ، ولو التفَتَ سرِّي إلى العرشِ والكرسي لاحترق. أو كما قال.

يريد بذكر الالتفات بسرِّه إلى العرشِ والكرسي: أنْ يجدَ له في سرِّه أثرًا في الوحدانية والقِدَم؛ لأنَّ العرشَ والكرسي مُحدثانِ مَخلوقان ممَّا لم يكن، فكان.

(*) وحُكي عن الشِّبلي رحمه الله: أنَّه سُئل عن أبي يزيد البِسطامي رحمه الله، وعُرِضَ عليه ما حُكي عنه ممّا ذكرناه، وغير ذلك، فقال الشِّبلي رحمه الله: لو كانَ أبو يزيد رحمه الله هاهنا لأَسلمَ على يدِ بعضِ صبياننا. وقال: لو أنَّ أحدًا يَفهمُ ما أَقولُ لشددْتُ الزنانير.

قلتُ: قد أشار إلى ما قال الجُنيد رحمه الله: إنَّ أبا يزيد رحمه الله، مع

---

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: في العلم خبر إن هو يصحُّ إلاَّ بهما.
(٢) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٦٣).
(٣) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٣٩).
(٤) ما بين معقوفين ليس في الأصل.
(٥) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٣٩).
(٦) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٣٩).

[عظم] حاله وعلوّ إشارته، لم يخرجْ من حال البداية، ولم أسمعْ منه كلمةً تدلُّ على الكمال والنهاية.

والمعنى في ذلك: أنَّ هؤلاء المخصوصين بهذا العلم فكأنَّه قد أخذَ عليهم أنَّ كلَّ واحدٍ منهم يُرى أنَّ حالَهُ أَعلى الأحوال، وذلك غيرةٌ من الحقِّ عليهم، حتَّى لا يَسكنَ بعضُهم إلى بعض. ألا تَرى أنَّ أبا يزيد رحمه الله تكلَّمَ بأشياءَ عجزَ عن فهم ذلك فُهماءُ زمانه، وأهلُ عصره.

ثم قال الجُنيد رحمه الله: إنَّه لم يخرجْ من حدِّ البداية، ولم أسمعْ له لفظًا يدلُّ على أنَّه وصل إلى النهاية.

ثم يقول الشِّبليُّ رحمه الله: لو كان أبو يزيد رحمه الله عندنا لأَسلمَ على يد بعضِ صبياننا. يعني لاستفادَ من المُريدين الذين هم في وقتنا.

(*) وحُكي عن بعض المشايخ أنَّه قال: وقفتُ على الشِّبليِّ عشرين سنة ما سمعتُ منه كلمةً في التوحيد، كان كلامُهُ كلُّه في الأحوال والمقامات.

وهذا كلُّه قليلٌ في عظم ما أشاروا إليه من الحقيقة؛ لأنَّ حقيقةَ التوحيد لا غاية لها ولا نهاية، وكلُّ واحدٍ منهم قد غرقَ في بحرٍ لا يُوصف حدُّه، ولا يُدركُ مُنتهاه: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الجمعة: ٤].

* * *

باب في معنى حكاية حُكيت عن الشبليّ رحمه الله

قال الشيخُ رحمه الله: قال بعضُهم: وقفتُ على الشِّبلي رحمه الله، فسمعتُهُ يقول: أَمَرَ اللهُ تعالى الأرضَ أن تبتلعني، إنْ كانَ فيَّ فضلٌ منذ شهرٍ أو شهرين لذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام.

وسمعت الحصْري يقول: كان الشبليُّ رحمه الله يقول لي: إنْ مرَّ بخاطرِكَ ذكرُ جبريل وميكائيل عليهما السلام أشركت. فرأيتُ جماعةً قد أنكروا هذا، مع تخصيصِ جبريل وميكائيل عليهما السلام من الملائكةِ المُقرَّبين.

وفي الخبرِ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «رأيتُ جبريلَ عليه السلام مثلَ الحِلْس البالي، فعلمتُ به فضلَ علمه، وخشيتَهُ عليَّ» أو كما قال[١].

فقالوا: إذا كان رسولُ الله ﷺ يُفضِّلُه على نفسه، فكيفَ يجوز لقائلٍ أن يقولَ مثل ذلك؟!

فأقولُ، وبالله التوفيق: إنَّ كلامَ الواجدين والمُستهترين بذكرِ[٢] الله تعالى يكونُ مُجملاً وتَفصيلاً، وإنَّما يجدُ المتعنِّتُ فرصةً بالوقيعةِ والطعن في الكلام المُجمل دون المُفصَّلِ؛ لأنَّ المُجمل ربَّما يكون له مقدِّماتٌ لم تبلغْ المُستَمع، والمُفصَّلُ يكونُ مشروحًا مبيَّنًا محترزًا، والمُجملُ لا يكونُ كذلك، وهذا الكلام الذي حُكي عن الشِّبلي رحمه الله كلامٌ مُجملٌ له مُقدِّماتٌ، فإذا سمعَ العاقلُ مُقدِّماتِهِ، لم يَتشنَّعَ عليه ما قالَهُ الشّبلي

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ٦/ ٢٨٧ (٦٢١٤) بلفظ: «فإذا جبريل عليه السلام كأنه حلس لاطى...». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٧٥: رواه البزار والطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح. والحلس: الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب. (النهاية)

(٢) تقدم شرح اللفظة صفحة (٥٢٠) الحاشية (١).

رحمه الله، وإذا لم يسمعْ بالمقدّماتِ التي تقدّمتْ قبل هذا الكلام، فأحرى أن يَتشنَّعَ عليه، ويُنكرَ قلبُهُ ذلك.

وبيانُ ما ذكرتُ في حكايةٍ حكاها أبو محمد النَّساج، وهو الذي ذكر مُقدِّماتِ هذه الحكاية بتمامها، حتى أَوضحَ معناها، وأَزالَ الإنكار عنها، وذلك أنَّه قالَ: وقفَ رجلٌ على الشّبليِّ رحمه الله، فسأَلَهُ عن صورة جبريل عليه السلام، فقال الشِّبليُّ رحمه الله: سمعت/ في الرواية: أنَّ لجبريلَ عليه [١٧٨] السلام سبعمئة لغة، وسبعمئة جناح: منها جناحان، إذا نشرَ واحدًا غطَّى به المشرقَ، وإذا نشر الآخر غطّى به المغربَ، فأيش تَسألُ عن مَلَكٍ تَغيبُ الدُّنيا بين جناحَيْهِ[١]. ثم قالَ الشِّبليُّ رحمه الله للرجل: نعم[٢].

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنه: أنَّ صورةَ جبريل عليه السلام في قائمةِ الكُرسيِّ مثلُ الزّردة في الجوشن، والكرسيُّ وجبريلُ والعرشُ كلٌّ ذا مع الملكوتِ الذي ظهرَ لأهل العلم مثلُ الرَّملةِ في أرضٍ فلاة[٣].

ثم قال: أيُّها السائل، وهذه علومٌ أظهرها، فهل تحملُها الأجساد، أو تُطيقها البُنية، أو يحويها المعقول، أو تحدُّها الأبصار، أو تخرقُ في الأسماع؟ يدلُّ بها منه، وعليه وإليه، استأثرَ الحقُّ بمُلْكٍ هو له غيبٌ، لا يسعُ سواه، لو كُشفَ منه ذرَّةٌ ما وقفَ على الأرض ديَّارٌ، ولا حملتِ الأشجار، ولا جرتِ البحار، ولا أَظلمَ ليلٌ، ولا أَشرقَ نهارٌ، ولكنَّه حكيمٌ عليم، إنهم لا يُطيقون هذا.

ثم قال: أيُّها السائل، إنك سألتني عن جبريلَ عليه السلام وأحوالِهِ، فأمرَ اللهُ تعالى الأرضَ أن تَبتلعني إنْ كان فيَّ فضلٌ منذُ شهرٍ ولا شهرين لذكرِ جبريل وميكائيل عليهما السلام. فإذا كانَ كلامًا يحتاجُ أن يكونَ له مثلُ هذه

---

(١) في (ع): جناحيه، رآه على صورتِهِ قد سدَّ الأفق؟ ثم قال الشبلي.

(٢) تقدم الخبر صفحة (٤٩).

(٣) تقدم الخبر صفحة (٤٩).

المقدمات التي ذكرنا؛ حتى يتبيَّنَ معناه، فيقصدُ المتعنّتُ إلى آخرِ الكلام منها، وينقلها إلى من لا يَفهمُ ذلك، حتى يبسطَ لسانَهُ بالوقيعة والطعنِ في أولياء الله تعالى وأهلِ خاصَّته، فيكون ذلك من أكبرِ الكبائر، وأعظمِ الإثم. وبالله التوفيق.

* * *



باب آخر في معنى أحوالٍ كانوا ينكرون على الشبلي رحمه الله

قال الشيخُ رحمه الله: وممّا يُنكرون على الشبليِّ رحمه الله أيضًا: أنَّه كان رُبَّما يلبسُ ثيابًا مثمَّنَةً، ثم ينزِعُها ويضعُها فوق النار.

وذُكر عنه أنَّه أخذَ قطعةَ عنبرٍ، فوضعها على النار، فكان يُبخِّرُ بها تحت ذنب حمارٍ.

وأنَّه كان يقولُ: لو كانتِ الدُّنيا لقمةً في فمِ طفلٍ لرحمنا ذلك الطفل.

وقال بعضُهم: دخلتُ عليه، فرأيتُ بين يديه اللَّوزَ والسُّكَّر، وهو يحرقُهما بالنار.

وحُكي عنه أيضًا أنه كان يقولُ: وددتُ أنْ لو كانتِ الدُّنيا لقمةً، والآخرةُ لقمةً، أَجعلُهما في فمي، حتى أتركَ هذا الخلقَ بلا واسطةٍ.

وحُكي عنه أيضًا: أنَّه باعَ عِقارًا بمالٍ كثير، فما قامَ من موضعِهِ حتى نثرَها وفرَّقَها على الناس، وكان له عيالٌ، لم يدفعْ إليهم شيئًا من ذلك.

فقالوا: هذا واشباهُ هذا مخالفةٌ للعلم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعةِ المال[١]، ومَنْ إمامُهُ في الذي كان يَدفعُ إلى الناسِ، ولم يتركْ لعيالِهِ؟

فيقال: إمامُهُ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، إنَّه خرجَ من جميع ما كان يملُك، فلمَّا قالَ الرسولﷺ: «ما خلَّفْتَ لعيالك؟» قال: اللهَ ورسولَهُ[٢].

فلم يُنكر عليه رسول الله ﷺ ذلك.

وإضاعةُ المالِ أن يُنفقَها في معصيةِ الله تعالى، فلو أَنفقَ رجلٌ دَانقًا في

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣).

(٢) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (١٧٥) و(٢٢١).

معصيةٍ يكونُ ذلك من إضاعةِ المال، ولو أنفقَ مئةَ ألف درهم في غيرِ المعصيةِ لم يكنْ ذلك من إضاعة المال، وأمَّا الذي كان يحرقُهُ بالنار، فلأنه كان يَشغَلُ قلبَهُ عن الله تعالى.

وقد ذكرَ اللهُ تعالى في قصَّةِ سليمان بن داود عليه السلام فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٠ـ ٣٣]، يُقال: إنَّه كان له ثلاثمئة فرس عربيات لم يكنْ لأحدٍ من الملوكِ مثلُها قبلَهُ ولا بعده، فكان يعرضُ عليه ذلك، فاشتغلَ قلبُهُ لذلك حتى فاتَتْهُ صلاةُ العصرِ عن وقتها، فعند ذلك قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]، فعرقَبَ الجميع[١] وضربَ أعناقَهم، فشكرَ اللهُ له ذلك، وردَّ له الشمسَ إلى موضعها/ الذي تكون فيه وقتَ [١٧٩] العصر، حتَّى صلاَّها كما جاءَ في الخبر[٢].

وقد رُوي أيضًا عن رسول الله ﷺ في هذا المعنى أنَّه لما فاتَتْهُ صلاةُ العصر يوم الخندق، وجدَ رسولُ الله ﷺ لذلك وجدًا شديدًا، حتى قال: «شغلونا عن الصلاةِ الوسطى صلاة العصر، ملأ اللهُ قلوبَهم وبيوتَهم نارًا»[٣]، وكانوا قد آذوه قبلَ ذلك أذًى كثيرًا، وضربوه، وطردوه، وشتموه، وطرحوا عليه الكرشَ والدَّمَ، ولم يدْعُ ﷺ، ولم يزدْ على أنْ قال: «اللهم، اغفرْ لقومي فإنَّهم لا يعلمون»[٤] فلما اشتغلَ قلبه بما فاتَهُ من الصلاة عن وقتها، دعا عليهم من شدَّةِ وجدِهِ بذلك.

وهذا أتمُّ في معناه ممَّا فعلَ سُليمان عليه السلام.

---

(١) في الأصل: فأعقب الجميع. وعرقب: قطع عرقوبها، وهو الوتر الذي خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق. النهاية؟

(٢) أورد هذا الطبري في التفسير ٢٣/ ٩٩، وابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ١٨٥.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٣١)، ومسلم (٦٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (٧٩٢).

فإنْ سألَ سائلٌ فقال: أيشِ المعنى في ردِّ الشمسِ لسُليمان إلى موضعها، ولم تُردَّ للنبي ﷺ؟

فيقال: لأنَّ النبيَّ ﷺ بُعثَ بالحنيفية السَّمحة، فسُومح له بذلك، لأنَّ فرضًا منعَهُ عن الفرض، لأنَّ حفرَ الخندق كان من أمرِ الجهاد في سبيل الله، فلمَّا حبسَهُ فرضُ الجهادِ عن فرضِ الصلاة سُومحَ له بذلك، وسُليمان عليه السلام لم يَحبسْهُ عن فرضِ الصلاة فرضٌ ولا تطوُّعٌ، فمن أجلْ ذلك لم يُسامحْ له، وإكرامُ نبيِّنا ﷺ بالمسامحةِ له أتمُّ من ردِّ الشمسِ لسليمان عليه السلام، ولو سامحَهُ لم تردَّ عليه الشمس.

وبعد، فإنَّ عند أهلِ الحقائق أنَّ كلَّ شيءٍ شغلهم عن الله تعالى، من الدنيا والآخرة، فذاك عدوُّهم، يطلبونَ الخلاصَ منه بجميعِ ما يُمكنهم، ولا يَنبغي أن يكونَ فيهم فضلٌ لسواه، فهذا على هذا المعنى، وبالله التوفيق.

والذي قالَ: وددتُ أنَّ الدنيا لقمةٌ، أَجعلُها في فمِ يهوديٍّ، فذاك من هوانها عنده.

وقد رُوي في هوانِ الدُّنيا عن النبيِّ ﷺ أكثرُ من ذلك.

ورُوي عنه ﷺ أنه قال: «الدُّنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها»[1].

ورُوي عنه ﷺ أنَّه قال: «لو أنَّ الدُّنيا تزنُ عند اللهِ جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربةً من ماء[2]. . .» الحديث[3].

* * *

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٦٩).

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (٧٠) بلفظ: «لو كانت الدنيا. . .».

(٣) جاء في هامش الأصل: في أصله: سَمعَ من موضع القصود والإرادات إلى هنا على أبي بكر الكوفاني بقراءة الفراوي جماعةٌ منهم: أبوطالب الشافعي، وابناه، وعبد الواحد الطبيب، وابن سمكويه، وهبةُ الله الفضلي، وعبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي في شهور. . . وستين وأربعمئة. . . نقله أحمد بن محمد الظاهري بمشاهدة. . . أحمد بن. . .، وانظر الحاشية (٢) صفحة (٧٣).

بـاب آخـر فـي شـرح كـلام تكـلّم بـه الشّبـليُّ رحمه الله وهو ممّا يُشكل فهمُه على قلوب العلماء والفقهاء وألفاظ جرتْ بينه وبين الجُنيد رحمه الله

قال الشيخُ رحمه الله: حُكي عن الشبليِّ رحمه الله أنَّه قال يومًا لأصحابه: يا قوم، أَمُرُّ إلى ما لا وراء، فلا أرى إلاَّ وراء، وأَمُرُّ يمينًا وشمالاً إلى ما لا وراء، فلا أرى إلاَّ وراء، ثم أرجعُ، فأرى هذا كلَّه في شعرةٍ من خنصري.

قال: فأشكلَ على جماعةٍ من أصحابه إشارتُهُ فيما قال.

قال الشيخ أبو نصر: إشارتُهُ فيما قال، واللهُ أعلم، إلى الكون، لأنَّ الكرسيَّ والعرشَ مُحْدَثٌ...[١]، وليسَ في الدُّنيا وراءه وراءٌ، ولا تحته تحتٌ لا نهاية له، ولا يقدرُ أحدٌ من الخلقِ أن يُحدَّهُ أو يَصفَهُ إلاَّ بما وصفَهُ الله تعالى به، ولا يُحيطُ بذلك علمُ الخلق، قد انفردَ بعلمِ ذلك خالقُهُ وصانعُهُ.

ثم قال: (أرجعُ، فأرى هذا كلَّه من شعرةٍ[٢] من خنصري). يُريد بذلك: أنَّ قدرةَ القادرِ في خلق هذا كله، وفي خلقِ شعرةٍ من خنصري واحدٌ.

ويحتملُ وجهًا آخرَ، وهو أن يقول: إنَّ الكونَ وجميعَ ما خلقَ، وإنْ كانت مسافتُهُ بعيدةً، وطولُه وعرضه عظيمًا، في كبرياء خالقه وعظمةِ صانعه، كشعرةٍ من خنصري؛ بل أقلّ من ذلك.

(*) وحُكي عنه أنَّه قال: إنْ قلتُ كذا فالله، وإن قلتُ كذا فالله، وإنَّما أتمنّى[٣] منه ذرَّةً. كأنَّه يُشير إلى قوله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]

---

(١) في جميع الأصول كلمة مطموسة.
(٢) تقدم قوله قبل: (في شعرة).
(٣) في الأصل: وأنا أتمنّى.

وأنَّه حاضرٌ لا يغيب، وهو بكلِّ مكانٍ، لا يسعُهُ مكانٌ، ولا يخلو منه مكان.

وقوله: (إنَّما أتمنَّى منه ذرة) يعني أنَّ الخلقَ محجوبون عنه بأسمائه وصفاته، وما أعطاهم منه غير اسمه وذكره؛ لأنهم لا يُطيقون أكثرَ من ذلك. وفي ذلك كان ينشدُ الشِّبليُّ رحمه الله ويقول[١]:

فقلتُ أَليسَ قَدْ فَضُّوا كِتابي   فقالَ نعم فقلتُ فذاكَ حَسْبي

(*) وله أيضًا[٢]:

أَليسَ مِنَ السَّعادةِ أَنَّ داري   مُجاورةٌ لِدارِكَ في البلادِ؟

وأنشد[٣]:/ [١٨٠]

أظلَّتْ علينا مِنكَ يَومًا غَمامةٌ   أَضاءَتْ لنا برقًا وأبطى رشاشُها

فلا غَيمُها يَجلو فَيَيْئَسُ طامعٌ[٤]   ولا غيثُها يأتي فَتُروى عِطاشُها

(*) وقال الشِّبليُّ رحمه الله: كتبتُ الحديثَ والفقه ثلاثين سنة حتى أَسفرَ الصُّبحُ، فجئتُ إلى كلِّ من كتبتُ عنه، فقلت: أُريد فقهَ الله تعالى، فما كلَّمني أَحَدٌ.

ومعنى قوله: (حتى أسفر الصبح)، يعني به: حتى بدَتْ أنوارُ[٥] الحقيقةِ، ومنازلةُ ما دعَتْ إليه حقيقة الفقهِ والعلمِ والمعرفة.

ومعنى قوله: (هات فقه الله تعالى)[٦]، يعني: التفقُّه في علمِ الأحوال الذي بينَ العبدِ والله تعالى في كلِّ لحظهِ وطرفةِ عين.

(*) قال: وقال الشِّبليُّ للجُنيد رحمهما الله: يا أبا القاسم، ما تقولُ

---

(١) ديوان الشبلي، ص٨٩.

(٢) ديوان الشبلي، ص٩٨.

(٣) تقدم ذكرهما مع التخريج صفحة (٣٤٨).

(٤) في الأصل: يجلو اقتباس طامع

(٥) في الأصل: حتى بدا.

(٦) ساق كلامه بالمعنى، وقد ورد قوله: (أُريد فقه الله) قبلُ.

فيمن كانَ اللهُ حسبَهُ قولاً وحقيقة؟ فقال له الجُنيد رحمه الله: يا أبا بكر، بينكَ وبين أكابرِ الناس في سؤالك هذا عشرةُ آلاف مقام، أوّلُه مَحوُ ما بدأتَ به.

والمعنى في ذلك: أنَّ الجُنيد رحمه الله، كان مُتشرّفًا على حاله بفضلِ علمه وتمكينِهِ، فأراه موضعَ ما يَخشى عليه من الدعوى فيما يقول؛ لأنَّ من كان اللهُ حسبَهُ قولاً وحقيقة يستغني عن السؤال، فسؤالُهُ للجُنيد رحمه الله عن ذلك يُنبىءُ عن[1] أنّه مُقاربٌ لما هناك.

وهكذا سمعتُ ابنَ علوان يقول: كان الجنيدُ رحمه الله يقولُ: قد أُوقفَ الشِّبليُّ رحمه الله في مكانه فما بَعُدَ، ولو بَعُدَ لجاءَ منه إمام.

(*) وقال أبو عمرو: رُبَّما كان يَجيء الشِّبليُّ رحمه الله إلى الجنيد رحمه الله، فيسألُهُ مسألةً، فلا يُجيبه، ويقول: يا أبا بكر، هو ذا أُشفقُ عليك وعلى ثباتك؛ لأنَّ هذا الاضطرابَ، والانزعاجَ، والحدَّةَ، والطيش، والشطحَ ليستْ هي من أحوال المتمكّنين، وهي مَنسوبةٌ إلى أحوال أهلِ البدايات والإرادات.

(*) وكذلك حُكي عن الشِّبليِّ رحمه الله، أنَّه قال: قالَ الجُنيد يومًا: يا أبا بكر، أيشٍ تقول؟فقلتُ: أنا أقول الله. فقال: مرَّ، سلَّمكَ الله.

يعني بذلك: أنَّك في خطرٍ عظيم، فإنْ لم يُسلِّمْكَ اللهُ في قولك: (الله) من الالتفاتِ إلى شيءٍ سوى (الله)، فما أسوأ حالك!

(*) وكان الشِّبليُّ رحمه الله، يقول: ألفُ عامٍ ماضية، في ألفِ عامٍ واردة، هو ذا الوقتُ، ولا تغرَّنَّكُمُ الأشباح.

(*) وكان يقول: أنتمُ أوقاتُكم مَقطوعةٌ، ووقتي ليس له طرفان.

وربَّما كان يشطحُ ويقول: أنا الوقتُ، وقتي عزيزٌ، وليس في الوقتِ غيري، وأنا مَحْقٌ.

---

(١) في الأصل: ينبىء على أنّه.

(*) وكان يُنشد هذين البيتين(١):

مَكِينٌ فـي مُعـامِلِـهِ مَكيـنُ أَميـنُ الحـقِّ آمَنَـهُ أَميـنُ
تَعـازَزَ عـزُّهُ فـاعتـزَّ عِـزًّا فقدْ فـاتَ اليقيـنُ متى اليقيـنُ

(*) وربَّما كان يقولُ: نظرتُ في كلِّ عزٍّ(٢)، فزاد عزِّي عليهم، ورأيتُ عزَّهم ذلك في عزِّي، ثم قال يتلو في إثره: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] ثم يقول(٣):

مـن اعتـزَّ بـذي العِـزِّ فـذو العـزِّ لـه عـزُّ

قال الشيخ رحمه الله: أما قوله: (الوقت)، فإنَّه يُشير إلى النَّفَسِ الذي بين النَّفَسينِ، والخاطرِ الذي بين الخاطرينِ، إذ كان بالله ولله، وهو الوقت، وإذا فاتَ نَفَسٌ، ولو في ألفِ سنة، فقد فاتَ ما لا يُلحقُ ولا يُدرك بالتأسُّفِ عليه.

يعني: أنَّ ألفَ عامٍ ماضية، وألفَ عامٍ واردة، وفيك نَفَسُك الذي بين نَفَسَيْك يجبُ ألاَّ تفوتَك، والعزيزُ: من أعزَّه الله به، فلا يلحقُهُ أحدٌ في عزِّه؛ وكذلك الذَّليل: مَنْ شغله اللهُ عنه بغيرِهِ، لا يلحقُهُ أحدٌ في ذلِّهِ.

وقوله: (لا تَغرَّنَّكم الأشباح)، فكلُّ شيءٍ سوى الله تعالى أشباح، إنْ سكنتَ إليه فقد غرَّكَ.

وقوله: (أنا مَحَقٌ) يعني: في قولي أنا الوقت، أنا المَحَقُ؛ لأنَّ قوله (أنا)لا يُشير بذلك إلى إيَّاه.

وقوله: (وقتي ليس له طرفان) لأنَّ في كلِّ شيءٍ مُسامحةٌ إلاَّ في الوقت؛ فإنَّ الاشتغال بغيرِ الله، والسكونَ إلى جميعِ ما خلقَ الله تعالى في الوقت، ليس فيه مُسامحةٌ، ولو في نَفَسٍ في ألف سنة.

---

(١) ديوان الشبلي، ص١٢٩. وفي الأصول: من اليقين. قال محقق الديوان: أثبتنا (متى) في عجز البيت الثاني بدل (من) التي لا يستقيم بها الروي ولا المعنى لمناسبتها للسياق.

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة: عن كل عزٍّ.

(٣) ديوان الشبلي، ص١٠٦.

(*) وحُكي عن الشِّبليّ أنَّه قال أيضًا: اللهم، إنْ كنتَ تَعلمُ أنَّ فيَّ بقيةً لغيرِك، فأحرقني بنارك، لا إله إلاَّ أنت.

فهذا وما يُشبه ذلك غلباتُ وجدٍ عبَّرَ عنه على حسبِ ما وجدَ في وقته، ولا يكونُ ذلك على الدوام؛ لأنَّ ذلك حالٌ، فيه الحالُ نازلةٌ، تنزلُ
[١٨١] بالعبد في الحين، ولا تلبث/ به على الدوام، وذلك رفقٌ من الله عز وجل بأوليائه وخاصّته، ولو دامَ ذلك لبَطلوا عن الحدود والحقوق، وتعطَّلوا عن الآداب والأخلاق ومعاشرةِ الخلق. ألا ترى أنَّ أصحابَ رسول الله ﷺ سألوا عن ذلك رسول الله، فقالوا: يا رسول الله، إنَّا إذا كنَّا عندك، وسمعنا منك ترقُّ قلوبُنا، فإذا خرجنا من عندك، نرجعُ إلى الاشتغالِ بالأهل والولد. فقال رسول الله ﷺ: «لو بقيتمُ على الحالِ الذي تكونون عندي لصافحتكم الملائكةُ»[١] كما جاء في الحديث.

(*) وذُكر عنِ الشِّبليِّ رحمه الله أنَّه كان يقول: لو خطرَ ببالي أنَّ الحجيمَ بنيرانِها وسعيرِها تحرقُ منّي شعرةً لكنتُ مُشركًا. أو كما قال.

فكذلك نقول نحن أيضًا: إنَّ جهنَّمَ ليس إليها شيءٌ من الإحراق؛ لأنَّها مأمورةٌ، وإنَّما يُوصلُ ألمُ الاحتراقِ إلى أهلِ النار بقدرِ ما قُسِمَ لهم[٢].

(*) فأمّا ما حُكي عنه أيضًا أنه قال: أيشٍ أعملُ بلظًى وسقر؟ عندي أنَّ لظًى وسقرَ فيها تَسكنُ. يعني في القطيعةِ والإعراض؛ لأنَّ من عرَّفه الله بالقطيعةِ، فهو أشدُّ عذابًا ممَّن عذَّبه بلظًى وسقر.

(*) وذكرُ عنه: أنه سمعَ قارئًا يقرأُ هذه الآية ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فقال الشِّبليُّ: ليتني كنتُ واحدًا منهم. كأنَّه أشارَ إلى ردِّ جوابه إليهم، فقال: ليتني كنتُ ممَّن يردُّ جوابي ولو في النار، من شدَّةِ وَجَلِهِ؛ لأنَّه لا يَدري ما سبقَ له منه بالسَّعادة والشقاوة، والإعراض عنه أو بالإقبال عليه.

---

(١) تقدم، انظر الصفحة (١٩٩).
(٢) جاء في حاشية (ع): هذا من أدقِّ الأوصاف لجهنّم، وينبغي أن يفهم.

(*) وذُكر عنه أيضًا أنَّه قالَ في مجلسه: إنَّ لله عبادًا لو بزقوا على جهنَّمَ لأَطْفَؤوها. فصعبَ ذلك على جماعةٍ ممَّن كان يسمع ذلك.

وقد رُوي عنِ النبيِّ ﷺ، أنَّه قال: «تقولُ جهنَّمُ يومَ القيامة للمؤمن: جزْ يا مؤمن، قد أطفأَ نورُكَ لهبي»(١).

وفيما يُحكى عن الشِّبليِّ رحمه الله مثلُ هذا كثير، لا يتهيَّأُ ذكرُه لكراهةِ التطويل، والعاقل يستدلُّ بالقليلِ على الكثير.. وبالله التوفيق.

* * *



(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٢/٢٥٩، وابن عدي في الكامل ٦/٢٣٩٠ (ضمن ترجمة منصور بن عمار)، وأبونعيم في الحلية ٩/٣٢٩. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٦٠: وفيه سليم بن منصوربن عمار وهو ضعيف.

باب في ذكر أبي الحسين النُّوري رحمه الله وما شهدوا[١] عليه بالكفر عند الخليفة وغير ذلك

قال أبو نصر: وفيما بلغني أنَّ أبا الحسين أَحمد بن محمد النُّوري رحمه الله كان في أيَّام المُوفَّقِ[٢]، وكان يُنكرُ عليه غلامُ الخليل، فرُفعَ إلى الموفَّق، وهو يومئذٍ أَميرُ المؤمنين: أنَّ ببغداد رجلاً من الزنادقة دمُهُ حلال، فإنْ قتلَهُ أميرُ المؤمنين، فدمه في عنقي. قال: فبعثَ الخليفةُ في طلبه، فحُمل إليه، فشهدَ عليه غلامُ الخليل: أنا سمعتُهُ يقول: أنا أَعشقُ الله، وهو يَعشقني. فقال النُّوريُّ رحمه الله: سمعتَ اللهَ تعالى ذكرُه يقول: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وليسَ العشقُ بأكثرَ من المحبَّةِ؛ غيرَ أنَّ العاشقَ ممنوعٌ، والمحبُّ يتمتَّعُ بحبِّه، قال: فبكى الموفَّقُ من رقَّةِ كلامه!

(*) وشهدوا عليه أيضًا أنَّه سمعَ أذانَ المؤذِّنِ، فقال: طعنةٌ، وسَمُّ الموت. وسمعَ نُباحَ الكلاب، فقال: لبَّيكَ وسعديك.

فقيل له في ذلك، فقال: أمَّا المؤذِّنُ فأنا أغارَ عليه أن يذكرَ اللهَ وهو غافلٌ، ويأخذ عليه الأجرة، ولولا الأُجرةُ القليلُ من حطام الدنيا التي يأخذها، لما ذكرَ اللهَ؛ فلذلك قلتُ له: طعنةٌ، وسَمُّ الموت، وقد قال اللهُ جلّ ذكره: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] فالكلبُ، وكلُّ شيءٍ يَذكرونَ اللهَ بلا رياءٍ ولا سمعة، ولا طلبٍ للعوض؛ فلذلك قلتُ ما قلت.

(*) قال: وحُمل النُّوريُّ مرَّةً أُخرى إلى الخليفة، وشهدوا عليه بأنَّه

---

(١) من هنا حتى صفحة (٥٦٧) ليس في الأصل، ولا في (ن)؛ إنما هو مستدرك من (ع).

(٢) الموفق بالله سلمة بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم العباسي: أمير من رجال السياسة والإدارة والحزم، لم يلِ الخلافة اسمًا، ولكنه تولاَّها فعلاً. مات سنة ٢٧٨هـ.

قال: كنت البارحةَ في بيتي مع الله. فسُئل عن ذلك. فقال: صدق! وأنا الساعةَ مع الله، وإذا كنتُ في البيتِ فأنا مع الله، وإذا كنتُ في بريّةٍ فأنا مع الله، ومن كانَ في الدُّنيا مع الله فهو في الآخرة مع الله. أليسَ يقولُ جلّ ذكره: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. قال: فغلّقهُ الخليفةُ بيده، وقال: تكلّم بما شئت. فتكلّمَ النوريُّ بكلامٍ لم يَسمعوا به قطُّ، فبكى الخليفة، وبكوا جميعًا، وقالوا: هؤلاء أعرفُ بالله من غيرهم.

(*) وسمعتُ أبا عمرو بن علوان يقول: حُمل إلى أبي الحسين النُّوري ثلاثمئة دينار ثمنَ عقارٍ بِيعَ له، فصعِدَ قنطرةَ الصراة[١]، وكان يَرمي واحدًا واحدًا منها إلى الماء، ويقول: حبيبي، تُريدُ تَخدعني منكَ بمثل هذا؟!.

فقال بعضُ الناس: بئسَ ما فعل. لو أنفقَها في سبيل الخيرِ كانَ خيرًا له. فقلتُ: إنْ علمَ أنَّ تلك الدنانيرَ كانت تَشغلُهُ عن الله طرفةَ عينٍ لكان الواجبُ عليه أن يرميَها في الماء بدفعةٍ واحدة؛ حتى يكونَ أسرعَ بخلاصِهِ من فتنتِهِ، كما أخبر اللهُ جلَّ ذكرُه عن سُليمانَ عليه السلام حيث يقول: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]، وقد ذكرتُ ذلك في موضعه[٢].

(*) قال أبو نصر: وأبو الحسين النُّوري من الواجدين، ومن أهلِ الإشاراتِ اللطيفة، وله كلامٌ مُشكلٌ وأَشعارٌ كثيرةٌ، وكان يغرفُ من بحرٍ كبير.

ذُكر عنه أنَّه قال: قربُ القرب. في معنى ما أشرنا[٣] إليه نحن: بعد البعد. هذا كلامٌ معناه مفهومٌ عند أهله، وهو قريبٌ من قول القائل: ذنوبُ المقرَّبين حسناتُ الأبرار[٤]. وقولِ القائل: إخلاصُ المريدين رياءُ العارفين.

---

(١) انظر الخبر، وتعريف القنطرة صفحة (٢٧٢).

(٢) انظر صفحة (٥٣٨).

(٣) انظر صفحة (٨٥).

(٤) تقدم القول مع تخريجه صفحة (٦٥).

(*) ولأبي الحسين النُّوري أبياتٌ كتبها إلى أبي سعيد الخرَّاز:

لعمريَ ما استودعْتُ سرِّي وسرَّه ... سِواهُ حَذارًا أن تَشيعَ السَّرائرُ[1]
ولا لاحظتْــهُ مُقلتــاي بنظــرةٍ ... فتشهدُ نجوانا العيونُ النواظرُ
ولكنْ جعلتُ الوهمَ بيني وبينه ... رسولاً فأدَّى ما تُكنُّ الضَّمائرُ[2]

وفيه إشاراتٌ غريبةٌ، ومعانٍ عجيبة يشيرُ إلى سرّه الذي هو مخصوصٌ به، ويَنطقُ عن وَجْدِهِ الذي لا يضيفُ ذلك إلى صفته ولا ينسبه إلى مكان ليس ذلك من نعته.

وللنُّوريِّ مثلُ ذلك كثير، وفيما ذكرنا كفاية؛ وبالله التوفيق.

* * *



---

(١) في (ع) سواه حذارًا. وعلّق عليها في الحاشية بقوله: من معاني السواء: الغير. وأثبتُّ مارأيته مناسبًا.

(٢) الأبيات لجميل بثينة، وقد تقدمت مع تخريجها صفحة (٣٢٤). وذكروا أيضًا صفحة (٣٤٤) ورواية عجز البيت الثاني فيها: (القلوب النواظر).

باب في ذكر أبي حمزة الصوفي رحمه الله

فأمَّا أبو حمزة الصوفي فكانَ من أجلَّة المشايخ، وكانَ من أهل الإشارة والعبارة، وله أيضًا كلامٌ وألفاظ مُشكلة.

سمعت أحمدَ بنَ علي الوجيهي يقول: سمعتُ أبا علي الرُّوذباري رحمه الله يقول: أُطلقَ على أبي حمزة أنَّه حلولي؛ وذلك أنَّه كان إذا سمعَ صوتًا مثلَ هبوب الرياح، وخريرِ الماء، وصياح الطيور فكانَ يصيحُ ويقول: لبيك. فرموه بالحلول؛ لبُعْدِ فهمهم في معنى إشارتِهِ، وذلك أنَّ أربابَ القلوب، ومن كان قلبُهُ حاضرًا بين يدي الله، ويكون دائمَ الذِّكرِ لله، ولا يكونُ ذلك الحالُ إلاَّ لعبدٍ مَجموعٍ على الله. لا ينصرفُ منه جارحةٌ إلى سوى الله؛ فعند ذلك يقعُ له حقائقُ الفهم عن الله في جميعِ ما يسمعُ، وجميعِ ما يرى من الأشياء.

(*) وبلغني عن أبي حمزة أنَّه دخلَ دارَ حارث المحاسبي، وكان لحارثٍ دارٌ حسنٌ، وثيابٌ نظاف، وفي داره شاة مرغ[1]، فصاحَ الشاةُ مرغيًا، فشهقَ أبو حمزة شهقةً وقال: لبَّيك يا سيدي. قال: فغضبَ الحارثُ، وعمدَ إلى سكينٍ، فقال: إنْ لم تَتُبْ من هذا الذي أنت فيه أَذبحك. قال: فقال له أبو حمزة: أنتَ لم تُحسنْ أن تسمعَ هذا الذي أنت فيه، فلِمَ لا تأكلُ النّخالة بالرماد؟ أيشٍ بينك وبين أكلِ الطيبات، والتوسّع في الدار والثياب؟ يُريد بذلك: أنَّ إنكارَكَ عليَّ يُشبهُ أحوالَ المُريدين والمبتدئين، وتوسُّعُكَ على نفسِك، وبسطُك في الدخول في السعات يُشبهُ حالَ الأنبياء والصدِّيقين الذين لا يَضرُّهم الدُّخولُ في السعات.

(*) وبلغني عن أبي حمزة رحمه الله أنَّه دخلَ عليه رجلٌ من أهل

---

(١) الرُّغاءُ: صوت الشاة.

خراسان، فسألَهُ عن مسألةٍ من الأمن، فشطحَ أبو حمزة، وقال: أَعرفُ رجلاً لو كانَ على يمينه قسورة[١]، وعلى يسارِهِ سَبُعٌ لم يُبالِ على أيِّهما يتكيء. وكأنَّه أشارَ إلى نفسه بذلك، وزعمَ أنَّ الأمنَ لا يصحُّ إلاَّ لمن يكون بهذه الصفة.

قال: فقال له الخراسانيُّ: هذا شطحٌ، هاتِ العلم. ثم قال: خذْها يا بدبخت[٢]، أَعرفُ مَنْ لو كان بالمغربِ، وهو يُريدُ المشرقَ، لم يتغيَّرْ سرُّه فيما بين ذلك. ثم خرج.

قال: قال أبو حمزة: فبقيتُ أربعينَ ليلةً لا آكلُ ولا أنام؛ حتى يَتبيَّنَ لي علمُ ما قال ذلك الرجل، فكأنَّه أشارَ بأنَّ الأمنَ لا يَصحُّ إلاَّ لمن يكونُ حاله كذلك. فزادَ في المعنى على ما قالَ أبو حمزة. فإنْ قال قائل: هذا دعوى من الجميع، فيُقالُ له: لِمَ لا يَجوزُ أن تُعَلَّ[٣] أقوالُ المتقدّمين، ويوجدُ لما يذكرُ عنهم وجه. وقد قال الله جلّ ذكر: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] وقال النبيُّ ﷺ: «إذا أنعمَ اللهُ على عبدٍ نعمةً، أحبَّ أنْ يَرى أثرَها عليه»[٤]. وهذا من أعظمِ النِّعَمِ، فيجوزُ أنَّهم قد تحدَّثوا بما أنعمَ اللهُ عليهم، ومن قال غيرَ ذلك فيحتاجُ إلى بيانٍ ودليل.

* * *

---

(١) في (ع): المسورة وجاء شرحها في حاشية (ع): المتكأ من الجلد. وقد تقدم الخبر صفحة (٤٥٠) و(٤٨٤). وفيه: قسورة.

(٢) جاء في حاشية (ع): بدبخت: عظيم. انظر معناها صفحة (٤٥١).

(٣) جاء في حاشية (ع): قوله: (تعل): أي تعلل.

(٤) أخرجه أحمد في المسند٣/ ٤٧٣، وابن حبان (٥٤١٧)، والطبراني في الكبير١٩/ ٢٨٣.

باب ذكر جماعة المشايخ الذين رموهم بالكفر ونصبوا العداوةَ معهم، ورفعوهم إلى السُّلطان

قال أبو نصر: فأمَّا الذين نصبوا العداوةَ مع هؤلاء القوم، واعتقدوا فيهم الباطل، فعلى وجهين:

فمنهم: قومٌ لم يفهموا معاني ما أشاروا إليه في كلامهم من غامضِ العلمِ، وجليل الخطب، ولم يكنْ لهم زاجرٌ من العقل، ولا واعظٌ من الدين أن يستبحثوا عن المعاني التي أَشكلتْ عليهم، ويسألوا ذلك عن أهلها، وقاسوا ما يسمعون من ذلك بما علموا من العلومِ المبثوثةِ بين عوامِ الناس حتى هلكوا، فمنهم مَنْ رجعَ عن ذلك وتابَ وأَناب، ومنهم من ماتَ على ذلك، فأمرُهُ إلى الله إنْ شاء عذَّبه، وإنْ شاء عفا عنه.

ومنهم: من علمَ مقاصدَهم ومعانيهم فيما قالوا، أو قد صحبَهم بُرهةً من الدهر، فلم يصبرْ على حالهم، ودعاه شيطانُهُ وهواه إلى طلب الرياسة، وجمعِ الدنيا، وأكلِ أموال الناس بالباطل، فجعل المعاداةَ والمنافاةَ معهم، والطعنَ والوقيعةَ فيهم، والسفاهةَ والإنكارَ عليهم سُلَّمًا إلى جمعِ الدنيا، وسببًا إلى قبولِ قلوبِ الجهلة من العامة له، فلا يُبالي بعد ما أَسَرَتْهُ أهواؤه، واستحوذَتْهُ شياطينُهُ أن يسفكَ الدماء، ويأكلَ الحرام، ويرتكبَ المآثم، ويشهدَ بالزور، ويَكذبَ على الله وعلى رسوله، ويبسطَ بالوقيعة والطعن على أوليائه وأصفيائه؛ وينسبهم إلى الكفر والزندقة والبدعةِ والضلالة، ويهيجَ على سفك دمائهم الغاغة[1]، والجهلةَ من العامة، فكمْ من وليٍّ لله قد قتلوا من هؤلاء! وكم جمعٍ في طاعةِ الله ورضاه قد فرّقوه! وما خلقَ اللهُ على وجهِ الأرض قومًا شرًّا من هؤلاء.

---

(١) في حاشية (ع): الغاغة: الغوغاء من الناس، كما يستفاد من القاموس.

ولو ذكرتُ قصصَ هؤلاء، وما أعلمُ من اعتدائهم على هذه الطائفة قديمًا وحديثًا يطول[1]؛ ولكنْ نذكرُ من ذلك طرفًا على الاختصارِ والإيجاز إنْ شاء الله.

١ـ **فمنها** ما وقعَ لذي النُّون المصري رحمه الله، حيث شهدوا عليه بالكُفر والزندقة، ورفعوه إلى السُّلطان، حتى أُشخصَ، وسُئل وأجاب عمَّا سُئل، وردُّوه إلى موضعِهِ عَزيزًا مكرمًا.

ذُكر عن ابن الفرجي أنه قال: كنتُ مع ذي النُّون في الزَّورقِ، وإذا بزورقٍ آخرَ فيه جماعةٌ من الناس، فقيل لذي النون: هؤلاء هم ذا يَمضون لِيَشهدوا عليك عند السُّلطان بالزَّندقةِ. فقال ذو النون: اللهم، إن كانوا كاذبين فخذْهم. قال ابنُ الفرجي: فما استتمَّ كلامَه حتى انقلبَ الزورقُ، وغرقَ القوم، قال: فقلت لذي النون: أحسبُ أنَّ القومَ فسقوا في مَمشاهم، فما ذنبُ الملاَّح؟ قال: لِمَ حمل الفُسَّاق؟ ثم قال: إذا قامَ هؤلاء يوم القيامة شهداء الغرق خيرٌ لهم من أن يقوموا شهداء الزور. قال: ثم انتفضَ انتفاضةً، وقال: وعزَّتِك وجلالك لا أَدعو على خلقِكَ أبدًا.

٢ـ **فصل آخر**: وسمنون: كان يقال له: سمنون المُحبُّ، وكان مَوصوفًا بحُسن الوجه، وحُسنِ الكلام في المحبَّة، وعذوبة المنطق، بلغني أنَّ امرأةً مالتْ إليه وهويَتْهُ، فلمّا علمَ سمنون بذلك طردَها من مجلسه، قال: فجاءتْ هذه المرأةُ إلى الجنيد رحمه الله، فقالتْ: ما تقولُ في رجلٍ كان طريقي إلى الله؟ فذهبَ اللهُ وبقي الرجل؟. فعلمَ الجُنيد أَيشٍ مُرادها، فلم يُجبْها وقال: حسبنا الله ونعمَ الوكيل! ثم عرضتْ نفسَها بالتزويج على سمنون، فأبى ذلك عليها سمنون.

فعلمتْ أنَّ غلامَ الخليل هو مُنكرٌ على هؤلاء وهو يُعاديهم فقصدتْ إليه، وقالت: إنَّ هؤلاء صوفية فلان وفلان، وذكرتهم؛ يجتمعون معي كلَّ ليلةٍ

---

(١) في حاشية (ع): الأولى أن يقال: لطال الكلام.

على الحرام. فشهدَ عليهم غلامُ الخليل بذلك، وقال: هؤلاء زنادقة، ودمُهُم في عُنقي. فبلغني أنَّ السُّلطان أمرَ بضربِ أعناقهم حتى كشفَ اللهُ عنهم ذلك، ونجَّاهم وخلَّصهم.

٣ـ **فصل آخر**: وأمَّا أبو سعيد أحمد بنُ عيسى الخرَّاز أنكرَ عليه جماعةٌ من العلماء، ونسبوه إلى الكُفر بألفاظٍ وجدوها في كتابٍ صنَّفَهُ وهو: «كتاب السر» فلم يفهموا معناه؛ وهو قوله: عبدٌ رجعَ إلى الله، وتعلَّقَ بالذكر، وذكرَ في قُربِ الله، وطالعَ ما أَذنَ له من التعظيم لله، ونسي نفسَهُ وما سوى الله، فلو قلتَ: من أين أنت، وأين تريد؟ لم يكنْ له جوابٌ غيرَ قول: الله.

وأشباهُ ذلك موجود في كتبه وكلامه، وقد شرحتُ ذلك في بابه.

٤ـ **فصل آخر**: وأمَّا عمرو بن عثمان المكّي كان عنده حروفٌ فيه شيءٌ من العلوم الخاصة، فوقعَ في يدِ بعضِ تلامذته، فأخذَ الكتابَ وهرب، فلمَّا علمَ بذلك عَمرو بن عثمان قال: سوفَ يقطع يديه ورجليه، وتُضرب رقبته. يقالُ: إنَّ الغلامَ الذي سرقَ منه ذلك الكتاب، كان الحسينَ بنَ منصور الحلاَّج، وقد هلَكَ في ذلك، وفُعلَ به ما قالَ عمرو بنُ عثمان.

٥ـ **فصل آخر**: وأمَّا سهل بنُ عبد الله مع علمه وشدَّة اجتهاده، فقال: التوبةُ فريضةٌ على العبد مع كلِّ نَفَسٍ، وكان في ناحيةٍ رجلٌ ممَّن يُنسب إلى العلمِ والعبادة، فهيَّجَ عليه العامة، وكفَّرَهُ، ونسبَه إلى القبائحِ عند العامة، حتى وثبوا عليه؛ وكان ذلك سببَ خروجه عن تُستر، وانتقالِهِ إلى البصرة رحمه الله.

٦ـ **فصل آخر**: وكذلك أبو عبد الله الحسين بنُ مكّي الصُّبيحي تكلَّمَ في شيءٍ من علم الأسماء والصفات وعلم الحروف، فكفَّرَهُ أبو عبد الله الزبيري، وهيَّج عليه العامة، فقال: إنَّ سهل بنَ عبد الله قال له: نحن فتحنا

للناس جرابَ الحِلْتِيت[١]، فلم يصبروا علينا، فلِمَ كلَّمتَهم أنتَ ممَّا لا يعرفون؟ فكان ذلك سببَ خروجه من البصرة، ومات بمدينة شوشتر، وبها قبره.

بلغني عن أبي عبد الله الصُّبيحي أنَّه لم يخرجْ ثلاثين سنة من بيتٍ من تحت الأرض من كثرةِ اجتهادِهِ وتعبُّده، وكان إذا تكلَّمَ بعلومِ المعارف يُدهشُ العالم؛ فحسدوه على ذلك.

٧ ـ **فصل آخر**: وأما أبو العباس أحمد بن عطاء مع جلالته، وسعةِ معرفته، وكثرةِ علمه، وحُسنِ ألفاظه رُفِعَ إلى السلطان، ونُسبِ إلى الكفر والزندقة، فدعاه الوزيرُ وهوعلي بن عيسى، فزجره وجفا عليه في الكلام، فقال له ابن عطاء: ارفق يا رجل. فغضب عليه كما بلغني، فأمر حتى نزعوا خفَّه، وصفعوه به؛ وكان ذلك سببَ موته.

٨ ـ **فصل آخر**: وكذلك الجُنيد مع كثرةِ علمه، وتبحُّره وفهمه، ومواظبته على الأورادِ والعبادات، وفضلِهِ على أهلِ زمانه بالفهم، والعلم، والدين؛ حتى يُقال له: طاووس العلماء، فكمْ مِنْ مرَّةٍ قد طُلب، وأُخذ، وشهدوا عليه بالكفر والزندقة.

وذكر ذلك يطول، وإنَّما أردنا أن نذكرَ ذلك حتَّى لا يتعجَّبَ من أهلِ عصرنا مَنْ يبسطُ لسانَه بالوقيعة في هذه العصابة؛ فإنَّ الشيءَ قديم، فأوَّلُ من امتُحنَ بذلك عامر بن عبد قيس من التابعين، رُفِعَ إلى عثمان بن عفان أنَّه يقول: إنه خيرٌ من إبراهيم، وإنه يُحرِّمُ ما أحلَّ الله. حتى كَتَبَ عثمان بنُ عفان رضي الله عنه، إلى معاويةَ بنِ أبي سفيان في ذلك، وأُشخِصَ عامر بنُ قيس إلى معاويةَ على ظهر قتبٍ، فلمَّا سُئل عن حاله، وعرفَ محلَّهُ ومكانه،

---

(١) الحِلْتِيت: صمغ شجرة الأنجذُان، وهو نوعان: أحدهما أبيض، وهو المأكول، والآخر أسود، منتن الرائحة. ومنه أحمر طيب الرائحة، إذا حلَّ في الماء ذاب سريعًا وصار كاللبن. انظر نهاية الأرب في فنون الأدب ١١/ ١٢، ٣١٣.

أكرمَهُ وردَّهُ إلى موضعه، وكذلك مَنْ بعده في كلِّ وقتٍ مقصودون بالأذى، والطعن والوقيعة، والإنكار، والشنعة، والسفاهة؛ فليس هذا إلاَّ كما رُوي عن النبيِّ ﷺ: أنه قال: «نحن معاشرَ الأنبياء أَشدُّ الناسِ بلاءً، ثمَّ الأَمثلُ فالأمثل، ويُبتلى الرَّجلُ على حسبِ دينه؛ فإنْ كانَ في دينِهِ صلابةٌ فيكون بلاؤه أشدَّ»[1] أو كما قال، والله أعلم.

فمن امتُحنَ بشيءٍ من ذلك فعليه بالصبر؛ فإنَّ اللهَ مع الصابرين، والصَّبرُ مفتاحُ الفرج، وأُنشد لعليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه وكرَّمَ وجهَهُ في الصبر:

ما أحسنَ الصَّبر في مواطنِهِ! والصَّبرُ في كلِّ موطنٍ حَسَنُ
حسبُك من حُسنِهِ عواقبُهُ؛ عاقبةُ الصَّبرِ ما لها ثَمَنُ[2]

* * *



(١) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (١٤٠).

(٢) ذكر البيتان التنوخي في الفرج بعد الشدة ٥/ ٦٣ من غير عزو.

باب في ذكر أبي بكر علي بن الحسين بن يزدانيار[(١)]

سمعتُ أبا سعيد بن عبد الوهاب يقول: كنتُ ببغداد وقتَ الذي وردَ ابنُ يزدانيار، فهجره المشايخ من أَجلِ أنَّه رماهم بالكُفر والإنكار عليهم، فأنكروا ذلكَ، فقال: لم أَقلْ شيئًا من ذلك. حتى مشى النَّاسُ فيما بينهم، ووقعَ بينهم الصلح.

قال أبو نصر: وكان أبو بكر بن يزدانيار ممَّن قد صحبَ المشايخ، وسافرَ معهم وتكلَّمَ، وأجابَ عن المسائل الكبيرة في علومِ المعارف والأحوالِ والمقامات، فمضى على ذلك برهةٌ من الدهر، فلمَّا رجعَ إلى ناحيته وأَسَرَتْهُ أهواؤه، ومالَ إلى الرِّياسة وإلى جمعِ الناس عليه، وانصرافِ الوجوه إليه، واستحلى جمعَ الناس والسياسة؛ فبسطَ لسانَهُ في مشايخِهِ بالوقيعة، ونسبهم إلى البدعة والضلالة، وإلى الغلطِ والجهالة، ونصبَ معهم العداوةَ والمناوأة من التمرُّدِ، والمباهاة، فحلَّ به البلاء، ونُزِعَ منه الحياء، وصار من المطرودين. وقد كان قبل ذلك من المعدودين، فبعد المعرفة أنكرهم، ومنْ بعْدِ المُواصلة هجرَهم، فضيَّعَ الأمانةَ، وحالفَ الخيانة، وتركَ المحجَّةَ، وركبَ اللُّجَّة، فما تركَ في كنانتِهِ سهمًا إلاَّ رماهم به، ولا اهتدى إلى مكروهٍ إلاَّ قصدَهم به، حتى كتبَ إلى البلاد يُحذِّرُ منهم العبادَ، ويَنسبهم إلى الكفر والبدع، كلُّ ذلك لطلبِ الرياسة، واتِّخاذِ الجاه عند العامة، فلم يكتسبْ من جميعِ ذلك إلاَّ فرحةً قليلةً، أعقبها ترحةٌ طويلةٌ، وبقي عليه التبعة والعار والشنار والنار والندامة والملامة إلى يومِ القيامة.

وهؤلاء المشايخُ السادة، والأئمةُ القادة قد زادَ اللهُ بذلك في مناقبهم،

---

(١) في (ع): يازدانيار. وأثبتُّ اسمه الصحيح، وانظر باقي أخباره.

ورفعَ في مراتبهم، ولم ينقصوا لمطعنِ الطاعنين، وتعنُّتِ المتعنِّتين عند العقلاء والأدباء، وعند الفقهاء من العلماء؛ بل زادوا بذلك عندهم محاسنَ وفضائل، فرفعَ اللهُ بذلك أقدارَهم وأخطارهم إلى الأبد بلا زوالٍ ولا أمد.

وهؤلاء المتعنِّتون مأثومون مذمومون، خاسرون خاسئون، موسومون بذلك إلى يومِ الدين، لقد ضلّوا ضلالاً بعيدًا، وخسروا خُسرانًا مبينًا. أعاذنا الله وإيَّاكم من مثلِ ذلك.

وفي ذلك يقول عليُّ بن عبد الرحيم القنَّاد رحمه الله يصفُ ابنَ يزدانيار، ويذكر المشايخَ الذين طعنَ عليهم، ويقول:

تكلَّفْتَ أمرًا ضلَّ عنكَ احتمالُهُ ... فكيفَ تسامى والمعاناةُ مالُهُ
سموتَ بأحوالِ البطالة شامخًا ... تـزلُّ بمـن كُنْـهُ البطـالـةِ حـالـُهُ
فمنهـم جُنيـدٌ قـدَّسَ اللهُ روحَـهُ ... وأضحى نسيمَ القُدس وهو طلالُهُ
فكيفَ منالاً لستَ تعرفُ عينَهُ ... فعلمُكَ[١] أرضٌ والجُنيدُ هلالُهُ
وطعنك في النُّوريِّ أعجبُ ما بدا ... لنا منكَ يا مَنْ يَزدريه مَقالُهُ
تَبَغَّضْتَ أشياخَ التصوُّفِ عائبًا ... فإنَّك [لا يُدنيكَ منهم][٢] رجالُهُ
فكيفَ طمعتَ الآنَ في عيبِ مثلِهم ... فأنتَ شنارُ الجيشِ وهو جمالُهُ
وسمنونُ والمِصريُّ ذو النون بعدَهُ ... فراميهما بالنَّقصِ ضلَّ ضلالُهُ
إذا جعفرُ الخُلديُّ لم تَرْعَ حقَّه ... فكيف يُرجَّى خيرُ مَنْ ذا فعالُهُ[٣]
وكيف يُرجَّى خيرُ مَنْ سبَّ سيِّدًا ... أشـادَ لنـا ذِكـرًا بطيّبًـا زوالُـهُ
فإنَّ لسانَ الحقِّ يُبديه مَعشرٌ ... إذا نَطقـوا عنـه تَجلّـى جـلالُـهُ
أَسرّهم سرًّا فلا السرُّ ظَاهرٌ ... على مُستقرِّ السرِّ يَخفى مجالُهُ

---

(١) ما بين معقوفين في الأصل بياض.
(٢) في (ع): من ذي.
(٣) تقدم البيت صفحة (٥٠٠) وفيه: بنا يكشف التلبيس...

قد استشعروا كتمَ السَّرائرِ وامتطوا لموعدِهِ حجرًا فماتَ ابتذالُهُ
إذا نطقوا أعجزكَ مرمى رموزِهم وإنْ صَمتوا هيهاتَ منك اتِّصالُهُ[1]
بيانًا لكشفِ اللَّبْسِ من كلِّ ماكرٍ[2] إذا طاحَ في الدَّعوى وطاحَ انتحالُهُ

(*) وبلغني أنَّ ابن يزدانيار وقفَ على الشِّبليِّ، فقال: يا أبا بكر، أُريدُ أن أسأَلَكَ مسألةً، وقد قصدتُكَ لهذا. فقال الشِّبليُّ: لو كان بيننا وصلةٌ ما أردت أن نَتعنَّى، ولكننا اثنان غيران. قال: فلمَّا بلغَ الشِّبليُّ ما قد أعدَّ من الطعنِ والإنكار عليهم، والإطباقِ على المشايخ المتقدِّمين، فكان يُسمِّيه ثورَ الأَرمني، وكان إذا جاءَ من ناحيتِهِ إنسانٌ، يقول: أيشِ خبرُ ذاك ثور الأرمني؟

(*) وسمعت الوجيهي يقول: سمعتُ أبا علي الرُّوذباري يقول: رأيتُ ابن يزدانيار ببغداد، فسألتُهُ مسألةً في العلم، فأحسنَ الجواب. ثم سألتُهُ مسألةً في اليقين، فتعسَّفَ فيها، ولم يُحسنْ جوابَه، فقلتُ له: ردَّ الجواب، رحمك الله. فقال: لا أُجيبُكَ حتَّى تقضي دينَك. وكان يعلمُ أنَّ أبا عليٍّ ربَّما يستدين. قال أبو علي: فقلتُ لأصحابنا: يا أصحابَنا، لا تَظنُّوا أنَّ هذا فراسةٌ؛ لأن هذا عادة. قال: فخجلَ من الجماعة وانقطع.

(*) وسمعتُ الحسينَ بنَ عبد الله الفارسي يقول: سمعتُ أبا بكر الفارسي يقول: دخلتُ على ابن يزدانيار، فحضرتُ مجلسَهُ، فلمَّا فرغَ ناداني، فقال: ما تقولُ في هؤلاء العراقيين؟. يعني: الجُنيد، والنُّوري، والشِّبليّ قال: فقلتُ: أربابُ التوحيد. قال: فغضبَ من كلامي، وقامَ، وقال لي بعضُ من كان يسمعُ كلامنا: يا رجل، اتَّقِ الله، قمْ واخرجْ من هاهنا، ومن هذا البلد أيضًا، ولا تَقُمْ الليلة؛ فإنَّكَ إنْ أَقمتَ الليلةَ هاهنا نالك مكروهٌ، ويكون دمُكَ في عنقك، وهذه أمانةٌ بيني وبينك. قال: فقمتُ وخرجتُ، أو كما قال.

---

(١) تقدم البيت صفحة (٤٥٩) وفيه: وإن سكتوا.
(٢) في أصل (ع): فعالمك. وأثبتُّ ما يناسب الوزن.

وإنَّما ذكرتُ هذه الحكاية حتى يعلمَ النَّاظرُ في هذا الكتاب أنَّ هؤلاء الذين يَطعنون على هذه العصابة لا يكونُ منهم أحدٌ يَرجعُ إلى دينٍ وأمانةٍ، وكلُّهم يكونون مُستحلّين مُنسلخين من الدين، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

* * *



باب في ذكر محمد بن موسى الفرغاني، وبيان ما ذكر عنه من الكلام الذي ظاهره مستشنع وباطنه صحيح مستقيم

قد نظرتُ في كلام الواسطي أكثره، فوجدتُ كلامًا فصيحًا، وأصولاً صحيحة؛ إلاَّ أنَّ عامَّةَ ما تكلَّمَ به استقاه من منابعِ العراقيين، ووجدتُ كثيرًا من كلامه مدوَّنًا في دواوين العراقيين، وفي كلامه مدخلُ المتعنِّت[1] بالطعن والإنكار؛ غير أنِّي وجدتُ مغزاه ومقصدَهُ مَقصدًا صحيحًا، ومراميه مراميًا موجودةً في الأصول، ونادرًا في الفصول، مثل ما ذكرنا لغيرهِ من المشايخ المتقدّمين.

وبلغني أنَّه سكن مَرْوَ، وذكر أنَّه لم يجدْ بخراسان قومًا أوسعَ فهمًا منهم لإدراكِ علمِهِ، والاستنباط لمعاني ألفاظه وفضوله[2]، وإشارته تكثر إنْ ذكرنا ذلك؛ غير أن المُحْكَمَ من العلمِ يدلُّ قليلُهُ على كثيره، ويُستنبطُ جليلُهُ من يسيره، وبالله التوفيق.

(*) ذُكر عن محمد بنِ موسى المعروف بالواسطي أنَّه قال: مَنْ ذكر افترى، ومن صبر اجترى، ومن شكر انبرى.

وقد حُكي هذا الكلام بعينه لابنِ عطاء، إلاَّ أنَّ المشهورَ المُستفاض المدوَّنَ في الكتب للواسطي.

وهذا الكلامُ ظاهرُهُ مُستشنعٌ، ولأهلِ التعنُّتِ فيه مقالٌ، إلاَّ أنَّ إشارتَهُ فيما نطقَ به صحيحة.

أما قوله: (من ذكر افترى) يحتمل وجوهًا:

---

(١) في حاشية (ع): الأولى: للمتعنِّت.
(٢) كذا، ولعلَّها: وفصوله.

وجه منها: يحتملُ أنَّه أرادَ بذلك أنَّ مَنْ ظنَّ أنَّه قد ذكرَ الله باستحقاقِ ذكرِهِ، فقد افترى، وإنْ كان ذكرًا لله.

والوجه الثاني: يحتملُ أنَّ يقول: من ذكرَ الله بلسانه، ولم يذكرْهُ بقلبه، فكأنَّه قد افترى؛ لأنَّ الافتراء هو الكذب، والكذبُ هو النفاق، وهو أن تقولَ بلسانِكَ بخلافِ ما يكون في قلبِكَ، فإذا قلتَ: اللهُ أكبر، فقد ذكرتَ اللهَ بلسانِك، فإنْ كان في قلبِكَ شيءٌ أكبرَ وأعظمَ من الله، فكانَ ذكرُك لله افتراءً على الله، فهذا معناه، والله أعلم.

والوجه الثالث: يحتملُ أنَّه أرادَ بذلك: أنَّ من ظنَّ أنَّه قد ذكرَ الله، وهو ذاكرٌ لله بالحقيقة، فقد افترى؛ حتّى يعلمَ أنَّ ذكرَ الله له قبلَ ذكرِهِ لله، قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال أهل الفهم: ذكر الله لكم في الأزل بالإيمان به والمعرفة، والذكرُ له أكبرُ من ذكركم.

وقوله: (من صبر اجترى) يحتمل أيضًا وجوهًا:

الوجه الأول: أنَّ طوارقَ محنِهِ وبلواه لا يطيقُ ذلك أحدٌ من خلقه؛ فمن صبرَ في بلواه، واحتملَ ذلك فإنَّما يحملُ بما حمل فيه، قال الله عز وجل: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النّحل: ١٢٧]، فمن صبرَ فليسَ له نسبةٌ في صبره، ومن ظنَّ أنَّه صبرَ أو يقدرُ أن يصبر على ذرَّةٍ من طوارقِ محنه فقد اجترى، والاجتراءُ: الجسارة.

والوجه الثاني: أنَّ الصبرَ على طوارق البلوى داعٍ يدعو صاحبَهُ إلى الجسارة والدعوى، وإلى استدعاءِ المحنِ والبلوى. والعجزُ والجزعُ عن عمل المكاره حادٍ يَحدوُ صاحبَهُ إلى الفاقة واللجأ، وتوفيقه بين الخوف والرجاء. كما قال يحيى بنُ معاذ الرازي: ذنبٌ أتذلَّلُ به بين يديه أحبُّ إليَّ من طاعةٍ أدلُّ بها عليه.

فهذا معنى قوله: (من صبر اجترى).

(*) قوله: (ومنْ شكرَ انبرى) [يحتمل وجوهًا:

وجه منها: يحتمل أنه أراد بذلك أنّ من ظنّ أنّه شكر الله باستحقاقه فقد انبرى][1]؛ لأنّ الشكرَ جزاءُ النعمة.

ومن خطرَ ببالِهِ أنَّه شكرَ لأقلِّ نعمةٍ من نعمه، ولو بذلَ في ذلك مهجتَهُ، وتلفَ بذلك روحُهُ، فقد انبرى، يعني قد انفصلَ من درجةِ المتوجِّهين.

ووجه آخر، وهو: أن كلَّ عملٍ ينقطعُ وله غايةٌ ونهاية إلاَّ الشكر؛ لأن الشكرَ أيضًا نعمة يجب عليها الشكر.

وفي الخبر أنَّ موسى عليه السلام قال: يا ربُّ، كيف أَشكرُك، وشُكري لك نعمةٌ منكَ عليّ، يجبُ عليَّ فيها الشكر؟ قال: فأوحى اللهُ إليه: يا موسى، الآن قد شكرتني.

فكأنَّه يُريد بقوله (انبرى) يعني: انفصلَ عن جميع الأشغال بالشكر؛ لأنَّ الشكرَ نعمة، والشكرُ على الشُكرِ أيضًا نعمةٌ، فلا ينقطع ذلك أبدًا.

وهذا الذي ذكرتُ جوابا وبيانًا: على معنى التفصيل، وأمَّا جوابُه على الجملة فإنَّ جميعَ ما أُضيف إلى العبد من حركاتِهِ، وخطراته، وأفعاله، وأحواله فليسَ فاعلَهُ في الحقيقة غيرَ الله، فمن لم ينظرْ إلى قيامِ الله له، حتَّى يذهبَ عن مشاهدة قيامه بقيام الحقِّ له في جميع حركاته وخطراته، فإن ذكر فقد افترى، وإن صبرَ فقد اجترى، وإن شكرَ فقد انبرى، وبالله التوفيق.

وإنَّما حملني على الزِّيادةِ في الشرح حتى يعلمَ القاصُّ والمُستبحثُ عن هذا العلم أنَّ تحت كلِّ كلمةٍ من كلام هؤلاء الحكماء كنوزًا لا يُظفرُ بها إلاَّ بصدقِ الطلب، ودوامِ النَّصبِ، والكدِّ والتعب، ولا ينبغي لأحد أن يقيسَ ما يسمعُ من هذا العلم برأيه ويزيّنَ ذلك بعبارةٍ؛ فإنَّه يتيهُ ويزلُّ، ويهلك ويضلُّ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

---

(١) ما بين معقوفين إنشاء منّي استنادًا لما تقدّم.

(*) وممّا وجدوا في مجموع كلام الواسطي، وأضافوا إليه كلامًا قد هلكَ به خلقٌ من الناس؛ لأنَّهم لم يفهموا معناه، ولم يعرفوا ما قصدَ به في مقاله، وهو الذي ذُكرَ عنه وعن غيرِه من العراقيين، والله أعلم أنَّه قال: إيَّاك أن تلاحظَ حبيبًا أو كليمًا أو خليلاً، وأنت تجدُ إلى ملاحظةِ الحقِّ سبيلاً. فقيل له: أفلا أُصلّي عليهم؟ فقال: صلِّ عليهم بالأوقار[1]، ولا تجعل لها في قلبك مقدارًا، وكلُّ من قللَّ هذا الفضل فقد أخطأ، ولا معنى لوصفِهِ في الكتب وإفشائه وبثِّه بين الناس؛ لأنَّ هذا كلامٌ هلك به طائفتان من الناس:

فطائفة ظنَّتْ بأنَّ قصدَ القائل فيما قال: هذا أرادَ بذلك وَهْنًا ونقصًا في اعتقاد القلب في معنى تعظيم الأنبياء عليهم السلام وحرمتهم، وما خصَّهُم اللهُ به من الشرف والفضيلة، إذ يقول سيِّدُنا ونبينا محمدٌ ﷺ: «والذي نفسُ محمدٍ بيده، لا يَبلغُ أحدُكم حقيقةَ الإيمان حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفسِهِ وماله» وفي خبرٍ آخر «لا يُؤمنُ عبدٌ» أو كما قال[2].

وطائفة جهلتْ معناها وما فهمت، فبسطَتْ لسانَها على الجمهور بأنَّهم لم يُعطوا الأنبياءَ عليهم السلامَ حقَّهم من التعظيم والتفضيل الذي خصَّهُم اللهُ بذلك.

وبلغني أنَّ بناحية الجبل خلقًا من العامَّةِ افتتنوا بذلك حتى يقولون: إن هؤلاء مُحمّديون، وهؤلاء ليس محمَّديين، وذلك أن رجلاً ممَّن كان يقصُّ على الناس طمعًا في كثرةِ حُطام الدنيا ممّن قد أَشهر نفسَه بعداوة الصوفية، كان يُقال له أبو سعيد البِسطاميُّ وقع إليهم، فقال لهم في قصصِهِ الذي كان يقصُّ عليهم: إنَّ الصوفية لا يقولون: محمد، وذكر لهم هذا الكلامَ الذي ذكرتُ من كلام الواسطي، وغير ذلك حتى هجَّمهم[3] بذلك على صوفيةِ

---

(١) الوِقر: الحمل الثقيل. وفي أصل (ع): بالأوتار.

(٢) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤) من حديث أنس.

(٣) في حاشية (ع): هجّمهم: أي هيجهم وحرّضهم.

نواحيهم ومتنسّكيها وصالحيها، وظنَّ مَنْ سمعَ منه ذلك من العامة أنَّه يُريد بذلك نصحَهم، وكان قصدُهُ في ذلك العداوةَ والبغضاء، والتنفير من الصوفية؛ لأنَّهم كانوا قد طردوه من بلادٍ كثيرة احتسابًا منهم من كثرة ما كان يكذبُ على الله عز وجل، وعلى رسوله ﷺ، وكثرةِ استحلاله، وقلَّةِ مُبالاته، وكان يسترُ قبائحه وفضائحه بالتساتر وكثرةِ الروايات والحكايات، ودقَّة البيان، وفصاحةِ اللِّسان، وادِّعائه مذهبَ أهل الحديث، ومحبَّةِ أصحاب رسول الله.

وقد رُوي عن النبيِّ أنَّه قال: «أخوفُ ما أخافُ عليكم منافقٌ عليمُ اللِّسان»(١).

وقد ذكرتُ بعضَ ما وقعَ بهذه العصابة من المعاندين والمتعنِّتين من وقتِ التابعين إلى يومنا هذا من أمثال هؤلاء، فلا يضرُّهم ذلك.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، و﴿لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

* * *

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ٢٢، وعبد بن حميد (١١)، والبزار (٣٠٥)، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٨٤، والطبراني في الكبير١٨/ ٥٩٣. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٨٧: ورجاله رجال الصحيح.

باب في بيان ما قال الواسطي

أما قول القائل: (**إيّاك أن تلاحظَ حبيبًا، أو كليمًا، أو خليلاً، وأنت تجدُ إلى ملاحظةِ الحقِّ سبيلاً**)، كأنَّه يُشيرُ بذلك إلى التفريد وتجريد التوحيد، وأن تُعطى الوحدانيةُ حقَّها بتركِ المساكنة إلى ما سواه؛ لأنَّ الخلقَ كلَّهم وإنْ كانوا في درجاتِهم مُتفاوتين، وفي دينهم مُتفاضلين فإنَّ الله قد ساوى بينهم في أَشياءَ كثيرةٍ، وذلك أنَّ الجمعَ مخلوقون، مقدورون، مقهورون، مهنوعون[١]، مُحتاجون، محكومون، عاجزون، فاترون، مبتلون، مقهورون بما أرادَهُم الحقُّ كيف شاء، وأنّى شاء، وحيثُ شياء. ليس لأحدِهم عنده يدٌ، وليس لأحدهم نفسٌ منهم بهم وإليهم.

ألا ترى أنَّ سيدَ الأنبياء، وإمامَ الأصفياء، وحبيبَهُ المُرتضى، ورسولَه المُصطفى، يقول له جلَّ ذكره: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ويقول: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

ثم قال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۚ وَسَيَجۡزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦].

وأشباه ذلك كثيرةٌ، لأنَّ الله عز وجل لم يكن له شريكٌ في الملك، وخلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديرًا.

---

(١) مهنوعون: خاضعون. انظر القاموس (هنع).

ثم وصف الله الأصنام، فقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وقال: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦ـ٦٧].

والأنبياءُ عليهم السلام، وغيرُ الأنبياء كلُّهم في مراتبهم ومواقفهم ومقاماتهم التي جُعلت لهم، ووُصفوا بها[١].

فمن لاحظَ الخلقَ فيرى تخصيصَهم وتفضيلَهم وتشريفهم، ومن لاحظَ سطواتِ عظمة الوحدانية، وبوادي سُلطان الرُّبوبية، وقدم الأحدية والفردانية بغيبوبته عن الخلق، وغيبوبةِ الخلق عنه، فأينَ هو والخلق؟ وكيفَ يجدُ السبيلَ إلى ملاحظةِ الخلقِ؟.

ذلك معنى قوله: (إياك أن تلاحظ حبيبًا، أو كليمًا، أو خليلاً، إن وجدتَ[٢] إلى ملاحظةِ الحقِّ سبيلاً)، يعني المشاهدة، والمحاضرة، والرؤية أتمُّ من الملاحظة.

وقال النبيُّ ﷺ: «اعبدِ اللهَ كأنَّك تراه»[٣].

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: رأَتْهُ القلوبُ بحقائقِ الإيمان.

وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «ليس منَّا أحدٌ يُنجِّيه عملُهُ» فقيل له: ولا أنت يا رسول الله؟ فقال: «ولا أنا إلاَّ أن يتغمَّدني اللهُ برحمةٍ منه»[٤].

وقد قالَ ذلك، لأنَّه لم يلاحظْ نفسَه عند ملاحظة الحقِّ.

وقال في وقتٍ آخر: «أنا أوّلُ من تنشقُّ عنه الأرض، والأنبياءُ تحت

---

(١) كذا ولعلها: ووضعوا فيها.

(٢) كذا الأصل، وقد مرّ قوله برواية: وأنت تجدُ

(٣) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (٨، ٨٢، ١٤٦، ٤٧٤).

(٤) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (٥٢٨).

لوائي»[١]، و: «الجنَّةُ حرامٌ على كلِّ أحدٍ حتى أدخلها»[٢]؛ لأنَّه لاحظَ نِعَمَ الله عليه ومَنَّه لديه.

قال الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

وكذلك أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه لمّا ماتَ النبيُّ ﷺ اضطربَتْ قلوبُ المسلمين، وخَشوا على ذهابِ الإسلام بموتِ النبيِّ ﷺ، فصعدَ المنبرَ، وقال: ألا من كان منكم يَعبدُ محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كانَ يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموت[٣].

ألا ترى أنَّه لم يلاحظْ موتَ النبيِّ ﷺ، عند ملاحظته للحقِّ في نصرةِ الدين، وتمكين المسلمين.

وكذلك عائشة رضي الله عنها عند نزولِ براءتها من مقالة أهل الإفك. ألا ترى كيف واجهت رسول الله ﷺ[٤] وقالت: بحمدِ الله لا بحمدك[٥]. وكان شرفُها وفضلُها وفخرها برسول الله ﷺ، إلاَّ أنها لم تلاحظْ رسول الله ﷺ، عند ملاحظة الحقِّ في نزول القرآن ببراءتها، ولم يزدْها ذلك عند رسول الله ﷺ إلاَّ رفعةً ومحبَّةً ودرجةً وفضيلةً.

فقس على هذا المعنى جميعَ ما تسمعُ من نحو ذلك في هذا الباب.

(*) وأما قوله: (صلِّ عليهم بالأوقار[٦]، ولا تجعلْ لها في قلبك مقدارًا): ليس كما ظنَّ المُتَعَنِّتُ: أنَّه لا تجعل للأنبياء عليهم السلام في قلبِكَ مقدارًا، ولكن يُريد بذلك: أي لا تجعل لكثرةِ صلاتِكَ عليهم عندك

---

(١) رواه الترمذي (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨).

(٢) جاء في الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٣٣ عن ابن عباس: الجنة حرام على الأنبياء حتى أدخلها، وحرام على الأمم أن يدخلوها حتى تدخلها أمتي وفيه ٢/ ١١٥ عن أنس بن مالك: . . . حتى أدخلها أنا، ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمتي.

(٣) تقدم الحديث صفحة (١٧٤).

(٤) هنا ينتهي القسم المستدرك من (ع) والذي بدأ صفحة (٥٤٦).

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٦) في (ن) و(ع): بالأوتار.

مقدارًا، أي لا تستكثرْ ذلك؛ فإنَّهم يَستحقُّون أكثرَ من ذلك؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «من صلّى عليَّ مرَّةً واحدةً صلّى اللهُ عليه عشرًا»[١].

يقول: وإنْ كثُرتَ الصلاةَ عليهم، فلا تجعل لها في قلبك مقدارًا باستكثارك لها؛ لأن صلواتِ الله عليك إذا صلَّيْتَ على رسوله، أكثرُ من صلاتِك عليه.

ومن قال: إنَّه أراد بقوله: (لا تجعلْ لها في قلبك مقدارًا)، يعني الأنبياء عليهم السلام، يعني به عند مقدارِ عظمةِ الله تعالى وكبريائه؛ لأنَّه لا يَجوزُ أن يأخذَ مقدارَ شيءٍ من جميعِ ما خلق الله تعالى من الملائكة والأنبياء، والجنة والنار، والعرش والكرسي موضعًا من قلوب المؤمنين عند موضع مقدارِ عظمة الله تعالى وكبريائه، وقدرته وسلطانه ووحدانيته. فهذا في معنى التوحيد وحقيقةِ التفريد.

وأمّا من حيثُ العلمِ والشرعِ، وما ندبَ اللهُ إليه الخلقَ، ودعاهم إلى تعظيم الرُّسلِ، والإيمانِ بما جاؤوا به، وبما خصَّ اللهُ نبينا ﷺ من جميعِ الرُّسلِ، فقد ذكرتُ في هذا المعنى أبوابًا في باب: مُستنبطات أهل الصفوة في تخصيص النبيِّ ﷺ من كتاب الله تعالى، وأخبار رسول الله ﷺ وما فتح من ذلك على قلوب أولياء الله[٢].

وأقربُ ما يقولُ أهلُ الصفوة في الرَّسول ﷺ: إنَّه عبدٌ أوحد، لا يجوزُ لأحدٍ أن يُدركَهُ في جميعِ ما خُصَّ به.

[١٨٢] سُئل/ أبو يزيد البسطامي رحمه الله: هل يزيدُ أحدٌ على النبيِّ ﷺ؟ فقال: وهل يُدركُهُ أحدًا!.

ثم قال أبو يزيد رحمه الله: جميعُ ما يفهمُ الخلقُ وأدركوه من شرفِ رسولِ الله ﷺ فيما لما يفهمه ولم يُدركْه، مَثَلُ ذلك مَثَلُ قربةِ أوزقٍ[٣] ملآن

---

(١) رواه مسلم (٤٠٨)، والترمذي (٤٨٥)، وأبوداود (١٥٣٠)، والنسائي ٣/ ٥٠(١٢٩٦).

(٢) انظر الصفحة (١٥٥).

(٣) في (ن) و(ع): قربة زرقاء ملآى.

من الماء، فما رشحَ وما أدركَ الخلقُ وفهموه من شرفه وفضله، وما سوى ذلك فلم يفهمْه أحدٌ[١]، ولم يُدركه.

وأقربُ ما يصفُ به أهلُ الصفوة رسول الله ﷺ أنَّهم قالوا: لمَّا وعدَ اللهُ تعالى[٢] رسوله، بأن يُعطيَهُ جميعَ ما يسأله بقوله: «يا محمد، سلْ تُعطه»[٣] فلا يجوز أن يسألَهُ شيئًا إلاَّ أن يُعطيَهُ.

وكان من دعائه ﷺ: «اللهم، اجعل من فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شِمالي نورًا، ومن ورائي نورًا، ومن قدّامي[٤] نورًا، ومن خلفي نورًا، اللهم اجعلْ في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي لحمي نورًا، وفي عظمي نورًا»[٥] كما جاء في الحديث.

قالوا: الدليلُ على أنَّ الله تعالى أعطاه ذلك قوله ﷺ: «واللهِ، إنّي لأراكم خلفَ ظهري كما أراكم قدّامي»[٦].

وكلُّ فضيلةٍ وشرفٍ خُصَّ بذلك أحدٌ من أُمَّة محمد ﷺ، فذلك شرفُ رسول الله ﷺ، وفضله، فلا ينبغي لأحدٍ أن يقول ما لا يعلم.

قال بعضُ الحكماء: إذا ألفَ القلبُ الإعراضَ عن الله تعالى، أورثَهُ الوقيعةَ في أولياء الله تعالى.

والمُستبحثُ عن هذا العلم يجدُ في كتب هؤلاء وفي كلامِهم مثلَ ذلك كثيرًا. وإنَّما بيَّنْتُ هاتينِ الكلمتين، وفسَّرتُ على الاختصار حتى يُقاسَ بذلك على ما لم نذكرْهُ، وبالله التوفيق.

* * *

---

(١) هنا يبدأ القسم (١١) من النسخة (ب) والذي ينتهي في الصفحة (٦١٣).
(٢) في الأصل: لمَّا أوعد الله.
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).
(٤) في (ن) و(ع): «وعن شمالي نورًا، ومن ورائي نورًا، ومن قُدَّامي نورًا»
(٥) أخرجه البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣).
(٦) أخرجه البخاري (٧١٨)، ومسلم (٤٣٤).

باب في ذكر من غلط من المترسّمين[1] بالتصوف ومن أين يقع الغلط، وكيف وجوه ذلك

قال الشيخُ رحمه الله: سمعتُ أحمد بنَ علي الكرخي[2] يقول: سمعتُ أبا علي الرُّوذباري رحمه الله يقول: قد بلغنا في هذا الأمر إلى مكانٍ مثلِ حدِّ السيف؛ فإنْ قلنا كذا ففي النار، وإنْ قلنا كذا ففي النار.

يعني: إنَّ غلطنا فيما نحن فيه بدقيقةٍ، فنصير من أهل النار، لأنَّ الغلطَ في كلِّ شيءٍ أهونُ من الغلطِ في التصوف وفي علمه، لأنها مقاماتٌ وأحوال، وإراداتٌ ومراتبُ وإشارات؛ فمن تخطَّى في ذلك إلى ما ليسَ له، فقد اجترأَ على الله، فيكون اللهُ تعالى خصمَهُ، فإن شاء عفا عنه، وإن شاءَ عاقَبَهُ بما شاءَ، كيف شاء.

وكلُّ من ترسَّمَ برسومِ هذه العصابة، أو أشارَ إلى نفسِهِ بأنَّ له قدمًا في هذه القصة، أو توهَّمَ أنَّه مُتمسِّكٌ ببعضِ آداب هذه الطائفة، ولم يُحكمْ أساسَه على ثلاثةِ أشياءِ، فهو مخدوعٌ، ولو مشى في الهواء، ونطقَ بالحكمة، أو وقعَ له قبولٌ عند الخاصَّة أو العامة. وهذه الثلاثة أشياء:

أولها: اجتنابُ جميع المحارم كبيرِها وصغيرِها.

والثاني: أداءُ جميعِ الفرائض عسيرِها ويسيرِها.

والثالث: تركُ الدنيا على أهلِ الدنيا قليلِها وكثيرِها، إلاَّ ما لا بدَّ للمؤمن منها. وهو ما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أربعةٌ في الدنيا، وليستْ هي من الدنيا: كسرةٌ تسدُّ بها جوعَتَك، وثوبٌ تواري عورتَكَ، وبيتٌ

---

(١) في (ب): المتوسمين.
(٢) في (ب): بن علي الكرجي.

تكنّ فيها، وزوجةٌ صالحةٌ تسكُنُ إليها»[١].

فأمَّا ما سوى ذلك من الجمع، والمنع، والإمساك، وحبّ التكاثر، والمباهاة فجميعُ ذلك حجابٌ قاطعٌ يقطع العبدَ عن الله عز وجل.

فكلُّ من ادَّعى حالاً من أحوال أهلِ الخصوص، أو توهَّمَ أنَّه سلكَ منزلاً من منازلِ أهل الصفوة، ولم يَبْنِ أساسَه على هذه الثلاثة، فإنَّه إلى الغلطِ أقربُ منه إلى الإصابة في جميعِ ما يُشيرُ إليه، أو يدَّعيه بنقله[٢]، أو يترسَّمُ برسمه، والعالم مقرٌّ، والجاهل مدّعٍ.

* * *



(١) لم أجده بلفظه في المصادر التي بين يدي، وانظر مسند الإمام أحمد ٥/ ٨١، ومعجم الطبراني الأوسط ٩/ ١٣٦ (٩٣٤٣).

(٢) في (ب): أو يدّعيه أو ينتحله، أو يترسّم.

باب في ذكر الفرقة الذين غلطوا وطبقاتهم، وتفاوتهم في الغلط

قال الشيخُ رحمه الله: ثم إنِّي نظرتُ إلى الفِرقِ الذين غلطوا، فوجدتُهم على ثلاث طبقات:

فطبقة منهم: غلطوا في الأصول من قلّة إحكامهم لأصول الشريعة[١]، وضعفِ دعائمهم في الصدق والإخلاص، وقلّةِ معرفتهم بذلك، كما قال بعضُ المشايخ، حيث يقول: إنَّما حُرموا الوصولَ لتضييع الأُصول. / [١٨٣]

وطبقة ثانية منهم: غلطوا في الفروع، وهي الآدابُ، والأخلاق، والمقامات والأحوال، والأفعال والأقوال فكانَ ذلك من قلّة معرفتهم بالأُصول، ومتابعتهم لحظوظ النفوس[٢]، ومزاج الطبع؛ لأنَّهم لم يدنوا ممَّن يَروضُهم، ويجرِّعُهم المرارات، ويوقفهم على المنهج الذي يؤدّيهم[٣] إلى مطلوبهم، فمثلهم في ذلك كمثلِ من يدخل بيتًا مُظلمًا بلا سراج، فالذي يُفسدُهُ أكثرُ ممَّا يُصلحه، وكلَّما ظنَّ أنَّه قد ظفَر بجوهرٍ نفيسٍ فلم يجدْ معه إلاَّ خزفًا خسيسًا، لأنَّه لم يتَّبعْ أهلَ البصيرة الذين يُميِّزون بين الأشباه والأشكال، والأضداد والأجناس فعند ذلك يقعُ لهم الغلطُ، وتكثرُ منهم الهفوةُ والشطط، فهم مُتحيِّرون ومتفرِّقون[٤]، بين منهزم ومفتون، ومتحيِّرٍ[٥] ومحزون، ومغترٍ بالظنون، ومحترقٍ بالجنون[٦]، ومتلبِّس

(١) في (ب): لأصول الشرعية.
(٢) في (ب): بحظوظ النفوس.
(٣) في الأصل: الذي يؤدي.
(٤) في (ب): فتراهم متحيِّرين ومتفرِّقين.
(٥) في (ن)، و(ع): ومفتون، ومتجبِّرٍ.
(٦) في (ن)، و(ع): ومخترف بالجنون.

بالمجون، ومُكْمَّدٍ بالشجون، ومدّعٍ ومغبون[١]، ومتمنٍّ للمنون، فسبحان من قَسَمَ لهم بذلك وهو العالمُ بدائهم ودوائهم، وسقمِهم وشفائهم.

والطبقة الثالثة: كان غلطُهم فيما غلطوا فيه زلّةً وهفوة، لا علّةً وجفوة، فإذا تبيّن ذلك عادوا إلى مكارمِ الأخلاق، ومعالي الأمور، فسدّوا الخلل، ولمّوا الشّعثَ، وتَركوا العنادَ، وأذعنوا للحقِّ، وأقرُّوا بالعجز، فعادوا إلى الأحوال الرضية، والأفعالِ السَّنية، والدرجات الرفيعة. فلم تُنقصْ مراتبَهم هفوتُهم، ولم تظلم الوقتَ عليهم جفوتُهم، ولم تمتزجْ بالكدورة صفوتُهم.

وكلُّ طبقةٍ من هذه الطبقات الثلاثة على أحوالٍ شتّى من التفاوت والإرادات، والمقاصد والنيات.

قد قال قائل:

مَـنْ تَحلَّـى بغيـرِ مـا هـو فيـه   فَضحتَـهُ لِسـانُ مـا يَـدَّعيـه[٢]

وقد ذهب عليه ما رُوي عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «ليس الإيمان بالتحلّي ولا بالتمنّي، ولكن هو ما وَقَرَ في القلبِ وصدَّقته الأعمال»[٣] كما رُوي في الحديث.

فمن غلطَ في الأُصولِ فلا يسلمُ من الضلالة، ولا يُرجى لدائه دواءً، إلاَّ أن يشاءالله ُذلك، والغلطُ في الفروعِ أقلُّ آفةً، وإن كانت بعيدةً من الإصابة.

* * *

---

(١) في (ن)، و(ع): ومدَّعٍ ومفتون.

(٢) عجز البيت في العقد الفريد ٢/ ٢١٨: شان ما في يديه ما يدّعيه. وفي العمدة لابن رشيق ٢/ ٢٤٠: فضح الامتحان ما يدّعيه.

(٣) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (٤٨٩).

باب في ذكر من غلط في الفروع التي لم تؤدهم إلى الضلالة

ونبتدىء في ذكر الطبقات[١] الذين غلطوا في الفقر والغنى:

قال الشيخ رحمه الله: ثم إنَّ طائفةً من المُترسِّمين بالصوفية تكلَّموا[٢] في تشريف الغنى على الفقر، وكانت إشارتُهم في ذلك إلى الغنى بالله، لا إلى الغِنى بالأعْرَاض الدَّنية من الدنيا، فغلطتْ طائفةٌ[٣] فطلبتِ التأويلات؛ وتعلّقت بالاحتجاجات والاختراعات من الآيات والروايات، أن تجعلَ الغِنى بأَعْراضِ الدنيا حالاً محمودةً، أو مقامًا[٤] من مقاماتِ طلاَّبِ الآخرة، فتاهت في ذلك وغلطت؛ لأنَّ الذي تكلَّم في الفقر والغنى، وعدَّ الغِنى حالاً من أحوال المنقطعين إلى الله تعالى أشارَ إلى الغِنى بالله، لا إلى الغنى بأَعْراض الدنيا التي لا تَزِنُ عند الله جناحَ بعوضة.

وطبقةٌ أخرى: تكلَّمتْ في حقائقِ الفقر والافتقار إلى الله تعالى وما يقارِنُها من الصبر والشكر، والرضا والتفويض، والسكون والاطمأنينة عند العدم.

فظنّتْ[٥] طائفةٌ أُخرى وتوهَّمتْ أنَّ الفقير المحتاجَ الذي يُعْدَمُ الصبرَ والرضا لا فضيلةَ له ولا ثوابَ له على فقره (ومسكنته وحاجته، وقد غلطت في ذلك؛ لأن الفقير الصابر الراضي له درجةٌ وفضيلةٌ على الفقير المحتاج المضطرِّ في فقره)[٦] والفقيرُ المضطرُّ المُعدمُ الرضا والصبر له

---

(١) في (ن) و(ع): ذكر الطائفات.

(٢) في (ب): المتوسمين بالتصوف تكلّمت.

(٣) قوله: (فغلطت طائفة) ليس في (ب).

(٤) في (ب): حالاً محمودًا، ومقامًا.

(٥) في (ن) و(ع): فضلّت طائفة.

(٦) ما بين هلالين من (ب) فقط.

فضلٌ على الغنيِّ الذي يكون غناه بالدنيا.

وخُلقتِ النَّفسُ محتاجةً، وليس من صفات البشرية الاطمأنينةُ[١] والسكونُ عند عدم القوام والقِرى[٢]. والفقرُ تكرهُهُ النَّفسُ ولا يلائمه الطبعُ والهوى، لأنَّه من الحقوقِ، والغنى تحبُّه النَّفسُ[٣] ويلائمه الطبع والهوى، لأنَّه من الحظوظ.

وقد وعد اللهُ تعالى على الحسنةِ الواحدةِ، إذا عملها عشرَ أمثالها، لقوله عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، والحسنةُ من الفقيرِ كائنةٌ في كلِّ نَفَسٍ لصبره على مرارة الفقر؛ وليس لثواب الصبرِ نهايةٌ معدودة. لقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

والفقرُ في ذاته محمودٌ، فإنْ صحبَتْهُ علَّةٌ فالعلَّةُ فيه مذمومة/ لقول [١٨٤] النبيِّ ﷺ: «الفقرُ أزينُ على المؤمنين من العِذارِ الجيِّد على خدِّ الفرس»[٤]. ولم يشترطْ مع الفقرِ غيرَ الفقر شيئًا.

والغِنى بالدُّنيا في ذاته مذمومٌ، فإن صحبتْهُ خصلةٌ محمودةٌ من أعمال البرّ، فهي المحمودةُ لا نفس الغنى. لقول النبيِّ ﷺ: «ليس الغِنى عن كثرةِ العَرَض»[٥] ولم يشترطْ مع الغنى شيئًا غيرَ الغنى.

فشتان بين خصلةٍ محمودةٍ في ذاتها، لا يقعُ اسمُ المذمَّةِ عليها إلاَّ بعلَّةٍ نادرةٍ من أعمال الشرِّ[٦]. وخصلةٍ مذمومةٍ في ذاتها، لا يقعُ اسمُ المحمدة عليها إلاَّ بخصلةٍ نادرةٍ من أعمال الخير.

وطبقة أخرى: زعمتْ أنَّ الفقر والغنى حالان ليس للعبدِ أن يتَّبَعهما، بل

---

(١) في (ن) و(ع): الطمأنينة.
(٢) في (ب): القوام والقوى.
(٣) في (ب): والغنى كلٌّ تستلذه النفس.
(٤) تقد الحديث مع تخريجه صفحة (٧١).
(٥) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (٢٢٤).
(٦) في (ب): من أعمال السرِّ.

يجبُ عليه أن يَعْبُرَهما ولا يقفُ معهما، وهذا عندَ أهلِ الحقائق والمعارف، وأحكام الحقيقة عند النهايات، فظنَّتْ طائفةٌ أُخرى أنَّ الذي قال ذلك فقد ساوى بين الفقر والغنى، وقالوا: لا فرقَ بين الفقرِ والغنى في معنى الحال.

فيقال لهم: قد رأيناكم كارهين للفقر، وما رأيناكم كارهينَ للغنى؛ فإن كانا حالين مستويين، فأين استواؤكم في المساكنة، إليهما؟ والاحتراز منهما؟ والمعانقة لهما؟ فقد تبيّنَ غلطُهم في ذلك.

وغلطتْ طائفةٌ أخرى في الفقر، فتوهَّمتْ أنَّ المرادَ من حال الفقر العدمُ والفقرُ فقط، فاشتغلتْ بذلك، ولم تَسْمُ بهمَّتها إلى آداب الفقر، وخَفيَ عليها أنَّ رؤيةَ الفقرِ في الفقر حجابُ الفقير عن حقيقة الفقر.

وليس للفقير الصادقِ في حالِ الفقر خصلةٌ أقلَّ من الإعدام، والفقر، والصبر، والرضا، والتفويض في معانيها أتمُّ من الفقر الذي لم يكنْ مَقروناً بهذه الخصال، ورؤيةُ الفقر والمساكنة إلى الفقر والإعجاب به علّةٌ في الحال وحجابٌ في المكان. والله أعلم بالصواب، وبالله التوفيق.

* * *

باب في ذكر من غلط في التوسّع وترك التوسّع من الدنيا بالتقشّف والتقلّل ومن غلط في الاكتساب وترك الاكتساب

قال الشيخ رحمه الله: لا يصحُّ الدخولُ في السَّعات إلاَّ لنبيٍّ أو صدّيقٍ. معناه: لأنَّهم يكونون في الأشياء لغيرهم، ويقومون في الأسباب بحقوقها لا بحظوظها؛ لأنَّهم يعرفون الإذن، إذا أَذنَ الله لهم بالإنفاق أنفقوا، وإذا أَذِنَ لهم بالإمساك أمسكوا.

فمن لم يعرفِ الإذن، ولم يكنْ من أهلِ الكمال والنهايات، غلطَ عند دخولِهِ في السعات بالغرور والتأويلات.

ومن زعمَ أنَّه لا يسكن إلى ذلك، فيُقالُ له: من لا يسكنُ إلى ما في يديه من أسبابِ الدنيا ينبغي إلاَّ يُمسكَ ولا يطلب، ويكونَ القليلُ والكثيرُ عنده سواءً. فمن لم يكنِ القليلُ آثرَ عنده من الكثير، ولا يكون الواحدُ آثرَ عنده من الاثنين(١)، ولا يخلو سرُّه من الطلبِ لمفقودٍ(٢) من أسباب الدنيا، والإمساك لموجودها فهو من طلاَّب الدنيا، والمرتبطين باكتسابها(٣) بحظِّها لا بحقِّها.

فمن توهَّم أنَّ له حالاً غير ذلك فهو في غلطٍ.

وطبقة أخرى: تعلَّقوا بالتقشُّف والتقلُّل، واعتادوا الدُّونَ من اللباس؛ والقليلَ من القوت، وظنُّوا أنَّ كلَّ من رفقَ بنفسه، أو تناولَ شيئًا من المباحات، أو أكلَ شيئًا من الطيِّبات: أن ذلك علَّةٌ وسقوطٌ من المنزلة، وكلُّ حالٍ غير الحال الذي هم عليه عندهم زلَّةٌ؛ وقد غلطوا في ذلك، لأنَّ العلَّةَ

---

(١) في الأصل، و(ب): ويكون الاثنين آثر عند من الواحد.

(٢) في (ب): الطلب المفقود.

(٣) في (ب): والمرتبطين بأسبابها.

كائنةٌ في التَّقلُّلِ والتقشُّف[١]؛ كما أنَّ العلَّةَ كائنةٌ في الترفُّع والترفُّه، والتقلُّلُ والتقشُّفُ بالعادة، والتكلُّفُ معلولٌ؛ إلاَّ أن يكونَ العبدُ مُرادًا بذلك وقتًا من الأوقات، أو يكونَ تأديبًا له، أو رياضةً لنفسه، فإذا شاهد آفاتها، واستحلى ملاحظةَ الخلقِ له بذلك، ولم يعملْ في الانقلاعِ عنها بجهده يكون هالكًا ولا يُرجى خيرُه أبدًا.

وطبقة أخرى من المتنسّكين: تعلَّقوا بأخذ القوت من الكسب، وركنوا إلى اكتسابهم، وأنكروا على من لم يكتسبْ مثلهم، وتوهَّموا وظنُّوا أنَّ الحالَ لا يصحُّ إلاَّ بتصفيةِ الغذاء/، وتصفيةُ الغذاء والقوت عندهم لا تصحُّ إلاَّ بالاكتساب. واحتجُّوا بقول النبيِّ ﷺ: «أحلُّ ما يأكلُ المؤمنُ كسبَ يدِهِ»[٢]. [١٨٥]

وقد غلطوا في ذلك؛ لأنَّ الكسبَ رخصةٌ وإباحة لمن لم يُطقْ حالَ التوكُّلِ، لأنَّ التوكُّلَ حالُ الرسول ﷺ، وكان الرسول ﷺ مأمورًا بالتوكُّلِ والثقةِ بالمضمون من الرِّزق؛ وكذلك الخلقُ كلُّهم مأمورون بالتوكُّلِ على الله عز وجل، والثقةِ بما وعدهم الله تعالى، والسكونِ عند عدم الرزق حتَّى يسوقَ اللهُ عز وجل إليهم أرزاقَهم، فمن ضَعُفَ عن ذلك، ولم يُطقْ فقد سنَّ له رسولُ الله ﷺ، الكسبَ المُباح بشروطِهِ حتى لا يهلك.

وشروطُ الكسب: ألاَّ يركنَ إلى كسبِهِ، ولا يرى رزقَهُ من كسبه، ولا يكونَ في كسبهِ مُغتنمًا، بل ينوي بذلك معاونةَ المسلمين، ولا يشغلُهُ كسبٌ عن أوَّلِ أوقاتِ الصلاة المفروضة، ويتعلَّمُ العلم حتى لا يأكلَ الحرام، فمتى ما تركَ خصلةً من هذه الخصال، فقد صارَ كسبُهُ معلولاً بعاهةٍ[٣]، وإن كان له إخوانٌ ممَّن لم يكتسبوا، ويعلمُ أنَّهم مُحتاجون،

---

(١) في (ب): والتقشف أيضًا.

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٦٥) بلفظ: «أطيب»، وفي (ب): ما يأكل المرءُ من كسب.

(٣) في الأصل: معلولاً بعلمه. وفي (ب): معلولاً بعلَّةٍ.

فيجبُ عليه أن يتفقَّدَهم بما فضلَ من قوته.

فمن لم يقمْ بهذه الشروط، فأخشى عليه الغلطَ في إعجابِهِ وتعلّقه باكتسابه.

وطبقة أخرى: طعنوا على المكتسبين، وجلسوا مُعتمدين على حالهم[1]، متشرِّفين إلى من يتفقَّدُهم؛ وعندهم أنَّ هذا هو الحالُ، وقد غلطوا في ذلك؛ لأنَّ الجلوسَ عن المكاسب ينبغي أن يكون من قوَّةِ اليقين والصبر، فمن ضعفَ يقينه وصبرُه، وغلبَ عليه طبعُهُ وطمعُهُ يُؤمرُ بالدُّخول في الطلب، والطلبُ مباحٌ، وتركُ الطلبِ بقوَّة الإيمان أَتمُ وأفضل[2].

* * *



(١) في (ب): على حيلهم.

(٢) جاء في هامش الأصل: . . . سمع من باب. . . عدم الشبلي. . . علي الكوفاني. . . الفراوي. . . منهم أبو طالب الشافعي، وابناه، وأبو منصور البحيري. . . الأكاف، وعبد الواحد الطبيب سوى شيخنا عبد الأول. . . شاهد غير ذلك في شهور سنة خمس وستين. . . مختصرًا نقله. . . الظاهري كما شاهده. . . محمد بن يحيى. . . هنا. وانظر الحاشية (٢) صفحة (٧٣).

باب في ذكر طبقات الذين فتروا في الإرادات وغلطوا في المجاهدات، وسكنوا إلى الراحات

قال الشيخ رحمه الله: ثم إنَّ طبقةً من الصوفية غلطتْ في العبادات والمجاهدات، ورياضات النفوس، والمكابدات فلم تُحكمْ في ذلك أساسَها، ولم تضع الأشياءَ في موضعها؛ فانهزمتْ ونكصت على أعقابها القهقرى؛ وذلك أنَّهم حين سَمعوا بمجاهدات المتقدِّمين، وما نشر اللهُ بذلك أعلامَهم في خلقه بالثناء الجميل، والقبولِ عند الناس، وإظهار الكرامات، فطمعتْ نفوسُهم وتمنّوا، فتكلَّفوا شيئًا من ذلك، فلمَّا طالتِ المدَّةُ ولم يصلوا إلى مرادِهم كسلوا[١]، فإذا دعاهم داعي العلم إلى المجاهدة والعبادة ورياضةِ النفس، فلا يقيم لذلكَ[٢]عندهم وزن. ولو جذبَهُم الحقُّ جذبةً إلى خدمته، وأرادَهم بالمداومةِ على طاعته، وأدركَهَم بلطفِهِ وعنايته؛ لازدادتْ رغباتُهم، وقويت نيَّاتُهم، ودام على ما كانتْ عليه ثَباتُهم[٣]، فلمّا لم يكونوا مُرادين بذلك، لضعفِ دعائمهم، وفساد قصدهم؛ توهَّموا أنَّ ذلك فتورٌ.

وقد غلطوا في ذلك؛ لأنَّ الفتورَما يتروَّحُ به قلوب المجتهدين وقتًا دون وقت، ثم تعود إلى الحال.

فأمَّا ما وقعَ فيه هؤلاء فهو الكَسَلُ والتَّواني والأَماني الكاذبة.

قال: وسمعتُ أحمد بنَ علي الكرخي[٤] يقول: سمعت أبَا علي الرُّوذباريَّ رحمه الله يقول: البداية هي كالنهاية، والنهايةُ فهي كالبداية، فمن

---

(١) في الأصل: وفي النسخة: مرادهم لبسوا.
(٢) في (ب) لا يقيم ذلك عندهم وزنًا. وفي (ن): فلا يُقَم لذلك. وفي (ع): فلا يقام.
(٣) في (ن) و(ع): ودامت على ما كانت عليه نياتُهم.
(٤) في (ب): الكرجي.

تركَ شيئًا في نهايته ممَّا كان يعملُ في بدايته، فهو مخدوع.

وطبقة أخرى: ساحتْ وسافرت، ولقيتِ المشايخ، وجلستْ وتصدَّرت، وتطاولت على أبناء جنسها، لأنَّها قد لقيتْ ما لم يلقَ قُرناؤها، ونظرتْ إلى ما لم ينظرْ إليه جلساؤها، وعدَّتْ نفسَها من المستقلّين.

وقد غلطتْ في ذلك؛ لأنَّ السفرَ سُمِّي سفرًا لأنَّه يُسفرُ عن أخلاق الرجال، وإنَّما يُسافرون حتى يُشاهدوا من أنفسهم خُلقًا مذمومًا، فيعملوا في تبديلها وتغييرها، ويعرفوا أيضًا من أنفسِهم من المُخبّيات ما لم يعرفوا ذلك في حضرهم ومعارفهم.

ولقاءُ المشايخ[1] يحتاجُ إلى الأدب، والحرمة والرغبة والإرادة، وأن ينسى جميعَ ما يعلمُ، ويَقبلَ من الشيخ ما يُوصيه به، ويُشير عليه، ويطالبَ نفسَه بحقِّ الشيخ، ولا يَقتضي لنفسه من الشيخ إقبالاً/ عليه ولا رفقًا، [١٨٦] ويحفظَ قلبَه، ويغتنمَ نظرَهُ إليه، ويخافَ أن تكونَ صحبتُهُ ولقياه للشيخ حجَّةً عليه.

فمن ساحَ أو سافر، أو لقي شيخًا من المشايخ على غيرِ ما ذكرتُ، وتوهَّم أنَّه من المسافرين، أو ممَّن قد صحبَ المشايخ فهو في غلطٍ عظيم.

وطبقة أخرى: أنفقوا الأموال والأملاك، وبذلوا، وتوهَّموا أن المرادَ البذلُ والإنفاق، والتخلُّقُ بالسخاوة والبذل والسماحة.

وقد غلطوا في ذلك؛ لأنَّ مراد القومِ وقصودَهم، فيما أنفقوا وبذلوا لم يكنْ إظهارَ السخاوة، ولا الاشتهار بالسماحة، ولكن رأوا أن التعلُّقَ بالأسباب مع المسبَّب علَّةٌ في المكان، وحجابٌ قاطعٌ عن الحقيقة؛ فكان إنفاقُهم وبذلُهم وخروجهم من الأملاك فرارًا من العلَّةِ، وقطعًا للعلاقة، فمن بذلَ شيئًا من طريق السماحة والسخاوة، وظنَّ أنَّ طريقَهُ طريقُ القومِ فهو في غلط.

---

(١) في (ب): ولقيا المشايخ.

وقوم آخرون: انبسطوا في المباحات، ولم يتكلَّفوا المراعاةَ للأوقات، وقالوا: ليس لنا معلومٌ، أيشٍ ما وجدنا أكلنا ونمنا، فذلك وقتنا.

وقد غلطوا في ذلك، لأنَّ الوقت إذا فاتَ لا يُدرك، وليسَ الوقتُ ما يكونُ معمورًا بالإرفاق، وإنَّما الوقتُ ما يكون مَعمورًا بدوامِ الذِّكر، ومَربوطًا بالإخلاص والشكر، والرضا والصبر. والنفسُ والهوى والشيطان أعداءٌ يطلبون فرصةَ الظفرِ بالعبد، فإذا غفلَ العبدُ عنهم طرفةَ عينٍ فلا يُرجى خيرُه، ولا يُؤمنُ هلاكُه.

فمن توهَّم أنَّه وصلَ إلى حالٍ قد أمن من ذلك، فهو في غلطٍ.

* * *



باب في ذكر طبقات الذين غلطوا في ترك الطعام والعزلة والانفراد وغير ذلك

قال الشيخ رحمه الله: ثم إنَّ جماعةً من المُريدين والمبتدئين سمعوا علمَ مُخالفةِ النفوس، فتوهَّموا أنَّ النفسَ إذا انكسرتْ بتركِ الطعام يُؤمنُ شرُّها وبوائقُها وعوائقها، فتركوا عاداتهم من الطعام والشراب، ولم يَستعملوا الأدبَ في تركِ الطعام، ولم يَستبحثوا عن الأستاذِينَ آدابَها، فعمدوا إلى تركِ الطعام، وواصلوا اللَّيالي والأيام، وظنُّوا أن ذلك حالٌ.

وقد غلطوا في ذلك؛ لأنَّ المُريدَ ينبغي أن يكونَ له مُؤدّبٌ يُوقفُهُ على ما يحتاجُ إليه، حتى لا يتولَّدَ من إرادته بلاءٌ وفتنةٌ لا يقدرُ أن يتلافاها، ولا يتخلَّص من فسادها.

والنفسُ لا يؤمنُ شرُّها، ولا يذهبُ عنها ما جُبلتْ عليه من الشرّ، وهي الأمَّارةُ بالسوء، فمن ظنَّ أنَّ النفسَ إذا انكسرتْ بالجوعِ بقلَّةِ المطعم، فقد زال عنها شرُّها، وآفات بشريَّتها، حتى يأمنها صاحبُها، فقد غلط.

وسمعتُ ابنَ سالم يقول: كانوا إذا أرادوا أن يتقلَّلوا ينقصون من طعامهم في كلِّ جُمعةٍ مثلَ أُذنِ السِّنَّوْرِ.

وسمعتُهُ يقول: كان سهل بنُ عبد الله رحمه الله يأمرُ أصحابَهُ أن يأكلوا اللحمَ في كلِّ جمعةٍ مرةً؛ حتى لا يَضعفوا عن العبادة.

ولقد رأيتُ جماعةً حملوا على أنفسهم في مثل هذه الأشياء من التقلُّلِ وأكل الحشيش، وترك شرب الماء، حتَّى فاتتهم الفريضةُ، لأنَّهم لم يأتوا بها على سِيَتِها، ولم يتأدَّبوا بآداب من سلكَ هذا المسلك من المتقدِّمين.

وطائفة اعتزلتْ ودخلتْ[1] كهوف الجبال وانفردت، وظنُّوا أنَّهم هو ذا

---

(١) في (ب): وطائفة اعتزلوا ودخلوا.

يهربون[١] من الخلق، أو يأمنون في الجبال والفلواتِ من شرِّ نفوسهم، أو يوصلهم اللهُ تعالى بالانفرادِ والخلوة إلى ما أَوصَلَ إليه أولياءَه من الأحوالِ الشريفة، ولا يُوصلُهم إلى ذلك بين الناس.

وقد غلطوا في ذلك؛ لأنَّ الأئمةَ من المشايخ الذين قلَّ مطعمُهُم، ودامتْ خلواتُهم وانفرادهم، واختاروا العزلةَ إنَّما حداهم على ذلك، ودعاهم إليه داعي العلم وقوّةُ الحال، فوردَ على قلوبهم ما أَذهلَهم وشغلهم عن المعارف والأوطان، وأخذهم عن الطعامِ والشراب، وجذبهم الحقُّ إليه جذبةً أغناهم بها عمّن سواه.

فمن لم يكن مصحوبُهُ قوةَ الحال، وغلبةَ الوارد، ثم يتكلَّفُ ويحمِلُ على نفسه ما لا يُطيقه، يظلمُ نفسَه، فيُدخلُ على نفسِهِ الضرر، ولا يُدركُ ما فاته، [١٨٧] ويفوتُهُ ما معه، فمن يعمل[٢] شيئًا/ من ذلك بتكلُّفِهِ، ويتوهَّمُ أنه قد وصلَ إلى شيءٍ من مَراتب المخصوصين فهو في غلط.

قال: ورأيتُ جماعةً من الأحداثِ كانوا يقلّون الطعام، ويسهرونَ الليل، ويذكرون الله تعالى على الدوام، حتى كان أحدُهم ربَّما يُغشى عليه، وكان يحتاجُ بعد ذلك إلى أن يُداوى ويرفقَ به أيامًا حتَّى يقدرَ أن يُصلّي الفريضةَ.

وجماعةٌ جبّوا أنفسَهم، وظنُّوا أنَّهم إذا قطعوا ذلك سَلِموا من آفاتِ الشهوةِ النفسانية.

وقد غلطوا في ذلك؛ لأنَّ الآفاتِ تبدو من الباطن، فإذا قُطعتِ الآلةُ، والعلَّةُ موجودةٌ في الباطن لم ينفع ذلك؛ بل يضرُّ، وتزداد الآفةُ، فمن ظنَّ أن الآفةَ في الآلةِ الظاهرة، ويتخلّصُ بقطعِ ذلك من شرِّها، فهوفي غلط.

وقومٌ هاموا على وجوهم، ودخلوا البراري والبوادي بلا زادٍ ولا ماء،

---

(١) في (ع): وظنوا أنهم بذلك يهربون.
(٢) في (ب): فمن فعلَ.

ولا آلةِ الطريق، وتوهَّموا أنَّهم إذا فعلوا ذلك، نالوا ما نالَ الصادقون من حقيقةِ التوكُّلِ.

وقد غلطوا في ذلك؛ لأنَّ القومَ الذين كان هذا دَأْبَهم كانت لهم بداياتٌ، وتأدَّبوا بآدابٍ، وراضوا أنفسَهم قبل ذلك بالمجاهدات، وكانوا مستقلّين بأحوالهم، لم يُبالوا بالقلَّةِ، ولم يستوحشوا من الوِحدة، فكم من موتةٍ ماتوا! وكم من مرارةٍ ذاقوا! حتى استوتْ أحوالُهم في الخراب والعمران، والسهل والجبل، والجماعة والوِحدة، والعزِّ والذلِّ، والجوعِ والشِّبع، والحياة والموت.

فمن فعل شيئًا من ذلك، وتوهَّم أنَّه قد تعلَّق بشيءٍ[1] من أحوالِ المتوكّلين فهو في غلط.

وجماعةٌ تكلَّفوا لبس الصوف، واتَّخذوا المرقَّعات المعمولة، وحملوا الرُّكا، ولبسوا المصبوغات، وتعلّموا الإشارات، وظنُّوا أنَّهم إذا فعلوا ذلك أنَّهم من الصوفية.

وقد غلطوا في ذلك، لأنَّ التحلّي والتلبّس والتشبُّهَ لا يُورثُ لصاحبه غيرَ الحسرةِ والندامة، والعتب والملامة، والشنار والنار في يوم القيامة.

فمن ظنَّ أو توهَّم أنَّه يصلُ إلى أحوالِ أهل الحقائق بالتلبُّس[2] والتشبُّه بهم فهو في غلط.

وجماعة أخرى جمعوا علومَ القوم، وعرفوا إشاراتهم، وحفظوا حكاياتِهم، وتكلَّفوا ألفاظًا صحيحةً، وعباراتٍ فصيحةً، وظنُّوا أنَّهم إذا فعلوا ذلك فقد صاروا منهم، ووصلوا إلى شيءٍ من أحوالهم، وقد غلطوا في ذلك.

وجماعة أخرى أحرزوا قوتَهم وسكنت نفوسُهم بنفقةٍ معلومة، ودراهم

---

(١) في (ن)، و(ع): قد نطق بشيء

(٢) في الأصل: الحقائق بالنفس.

موضوعةٍ، ثم عمدوا بعد ذلك إلى أورادهم من الصومِ، والصلاة، وقيامِ الليل، والورع، ولباسِ الخشن، والبكاء، والخشية، وظنُّوا أنَّ هذا هو الحالُ المقصود الذي لا يكونُ بعدَهُ حالٌ.

وقد غلطوا في ذلك، وما أَظنُّ أنَّ أحدًا ممَّن أشارَ إلى علم التصوف يُذكرُ عنه أنَّه لم يخرجْ في بدايته من المعلوم، ولم يأمرْ أصحابَهُ في أوَّلِ الأمر بقطعِ العلائق، وأن يجعلوا قوتَهم في الغيب، فمن كان منهم، ورجع إلى سببٍ معلومٍ، أو ادّخارِ قوتٍ، فإن ذلك لم يكنْ من أجل نفسِهِ، ولكن لمن حوله من أصحابه وعياله، ولمن يردُ عليه من إخوانه.

فمن أشارَ إلى التصوّف، وادّعى حالهم، وعدَّ نفسَه منهم، ولم يكن أصلُهُ كذلك على ما ذكرت فهو في غلط.

قال الشيخُ رحمه الله: **وجماعةٌ ظنوا أنَّ التصوف هو السماعُ والرقص**، واتخاذُ الدعوات، وطلبُ الإرفاق، والتكلّفُ للاجتماعات على الطعام، وعند سماعِ القصائد والتواجد والرقص، ومعرفةُ صياغة الألحان بالأصواتِ الطيبة، والنغماتِ الشجية، والاختراعُ من الأشعار الغزلية، بما يُشبه أحوال القوم، على نحو ما رأوا من بعضِ الصادقين، أو بلغهم ذلك عن المتحقّقين.

وقد غلطوا في ذلك، لأنَّ كلَّ قلبٍ ملَّوثٍ بحبِّ الدنيا، وكلَّ نفسٍ معتادةٍ بالبطالة والغفلة، فسماعُهُ ووجوده[1] معلولٌ، وحركتُهُ وقيامُهُ تكلُّفٌ.

فمن ظنَّ أنَّه يصيرُ بتكلُّفِهِ وحيله وتمنّيه من المتحقّقين في وقتِ السماعِ، والحركة، والوجود، وغير ذلك فقد غلط في ذلك.

* * *

---

(١) كذا في (ن) و(ع)، والكلمة مطموسة في الأصل، ولعلّها: ووجده.

باب ذكر من غلط في الأصول وأدّاه ذلك إلى الضلالة

ونبتدىء بذكر القوم الذين غلطوا في الحرية والعبودية : / [١٨٨]

قال الشيخ رحمه الله: تكلَّم قومٌ من المتقدِّمين في معنى الحرية والعبودية، على معنى أنَّ العبدَ لا ينبغي له أن يكونَ في الأحوال والمقامات التي بينه وبين الله تعالى كالأحرار، لأنَّ من عادة الأحرار طلبَ الأُجرةِ(١)، وانتظارَ العِوضِ على ما يعملون من الأعمال، وليس عادةُ العبيد كذلك؛ لأنَّ العبدَ لا ينتظرُ من مولاه أجرةً ولا عِوضًا على ما يَأمرُهُ به مولاه، فمتى طمعَ في شيءٍ من ذلك، فقد تركَ سِمَةَ العبيد؛ لأنَّ العبيدَ إن أعطاهم مولاهم عطيةً، على ما أمرهم به، واستعملهم فيه، كان ذلك من تفضيلِ مولاهم عليهم، لا باستحقاقهم. وليس عادةُ الأحرار كذلك.

وقد صنَّف شيخٌ من المشايخ كتابًا في مقاماتِ الأحرار والعبيد في هذا المعنى.

فظنَّتِ الفرقةُ الضالَّةُ أنَّ اسمَ الحرية أتمُّ من اسم العبودية، للمتعارفِ بين الخلق أنَّ الأحرار أعلى مرتبةً، وأسنى درجةً في أحوال الدنيا من العبيد، فقاسَتْ على ذلك.

فضلَّتْ، وتوهَّمَتْ أنَّ العبدَ ما دام بينه وبين اللهِ تعالى تَعبّدٌ فهو مُسمَّى باسمِ العبودية، فإذا وصلَ إلى اللهِ، فقد صارَ حرًّا، وإذا صارَ حرًّا سقطتْ عنه العبودية.

وإنَّما ضلّتْ هذه الفرقة، لقلَّةِ فهمها، وتضييعها لأُصولِ الدين في أحوال الدنيا من العبيد(٢).

---

(١) في (ب): طلب الآخرة.

(٢) قوله: (في أحوال الدنيا من العبيد) ليس في (ن) ولا في (ع). وفي (ب): لأصول الدين، =

وقد خفيتْ على هذه الفرقة الضالَّةِ أنَّ العبدَ لا يكون في الحقيقة عبدًا، حتى يكونَ قلبُهُ حرًّا من جميع ما سوى الله عز وجل، فعند ذلك يكونُ في الحقيقة عبدًا لله.

وما سمّى اللهُ تعالى المؤمنين باسمٍ أحسن من اسم العبد، إذ يقول: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان:٦٣] ﴿يَٰعِبَادِ﴾[١] [الزمر:١٠] ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ﴾ [الحجر:٤٩]؛ لأنَّه اسمٌ سَمَّى به ملائكته، فقال: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦]. ثم سَمّى به أنبياءه ورسلَه عليهم السلام، فقال: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ﴾ [ص: ٤٥]، ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا﴾ [ص: ١٧]، وقال: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾[ص: ٣٠]، وقال لحبيبِهِ وصفيِّه ﷺ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

فكان يُصلّي حتى ورمتْ قدماه، فقيل له: يا رسول الله، أليسَ قد غفرَ اللهُ لك ما تقدَّمَ من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: «أفلا أكونُ عبدًا شكورًا»[٢].

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «خُيِّرْتُ بين أن أكونَ نبيًّا ملكًا ونبيًّا عبدًا؛ فأشار إليّ جبريل عليه السلام: تواضع، فقلتُ: بلْ نبيًّا عبدًا»[٣].

فلو كان بين الخلقِ وبينَ الله تعالى درجةٌ أعلى من درجة العبودية لم يفت[٤] ذلك رسول الله ﷺ، والله جلَّ وعلا كان يُعطيه ذلك. وبالله التوفيق.

* * *

= وسخافة العقل. وقد خفيت.

(١) وأتى قوله تعالى ﴿يَٰعِبَادِ﴾ في سورة الزخرف: (٦٨).

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٤٢).

(٣) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٣٥).

(٤) في هامش الأصل: وفي نسخة: لم يبعث. وفي هامش (ب): وفي نسخة: لم ينعت.

باب في ذكر من غلط من أهل العراق في الإخلاص

قال الشيخ رحمه الله: وزعمتِ الفرقةُ الضالَّةُ من أهل العراق وغيره أنَّ الإخلاصَ لا يصحُّ للعبد، حتى يخرجَ عن رؤيةِ الخلق، ولا يُوافقهم في جميعِ ما يُريدُ أن يعمله، كان ذلك حقًّا أو باطلاً.

وإنَّما ضلَّتْ هذه الفرقة لأن جماعةً من أهل الفهم والمعرفة تكلَّموا في حقيقة الإخلاص: ألاَّ يَصْفُوَ لهم ذلك حتى لا يبقى على العبد بقيةٌ من رؤية الخلق والكون وكلِّ شيءٍ غير الله تعالى.

فظنَّتْ هذه الفرقةُ، وطمعت أنَّ ذلك يصحُّ لهم بالدعوى والتقليد، والتكلّف قبل سلوك مناهجها، والتأدُّب بآدابها، والابتداء ببدايتها، حتى يؤدّيه ذلك إلى نهاياتها حالاً بعد حالٍ، ومقامًا بعد مقام، فأدَّاهم الدعوى والطَّمعُ الكاذب إلى قلّةِ المبالاة، وتركِ الأدب، ومجاوزة الحدود؛ فأَسرَهُم الشيطانُ، وغلبتهم النفسُ والهوى بما خُيِّلَ إليهم أنّهم برسمِ المخلصين في الإخلاص، وهم في عينِ الضلالة والانتقاص، وأنّى لهم من ذلك الخلاص.

وقد خفيتْ عليهم لشقاوتهم أنَّ العبدَ المطلوب بدرجةِ الإخلاص هو العبدُ المهذَّبُ المؤدَّبُ، الذي هجرَ السّيئاتِ، وجرَّدَ الطاعات، وعملَ في الإرادات، ونازلَ الأحوال والمقامات حتى أدّاه ذلك إلى صفاءِ الإخلاص.

فأمّا من هو أَسيرُ هواه، ورهينُ نفسِهِ وشيطانه، وهو في ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ [النور: ٤٠]. فهو محجوبٌ عن حالِ أهل البدايات، فكيفَ يصلُ إلى ما بعد ذلك؟ فمثلُ هؤلاء كمثلِ مَنْ سمعَ بالجوهرةِ النفيسة أنّها تكونُ صافيةً مدوّرةً، فوقعَ في يده خَرزةٌ من الزجاج،

[١٨٩] فأعجبَتْهُ تلك؛ لأنها مدوّرةٌ صافية، فلمّا احتاج/ إليها حملها إلى من يعرفُ الجواهر، فقال له: هي زجاجةٌ لا قيمةَ لها، فلم يدعْهُ الجهلُ والطّمع الكاذبُ أن يرمى بها من قلّةِ معرفته بالزجاج والجوهر.

فهؤلاء كلَّ يومٍ في ضلالتهم يخسرون، وفي طغيانهم يَعمهون. أعاذنا الله وإياكم.

* * *



باب في ذكر من غلط في النبوة والولاية

قال الشيخ رحمه الله: ثمّ ضلَّتْ فرقةٌ أُخرى في تفضيل الولاية على النبوّةَ، ووقع غلطُهم في قصَّةِ موسى والخضر عليهما السلام، وتفكّرهم في ذلك برأيهم. إذ يقول جلّ وعزّ: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. ثم قال لموسى عليه السلام، مع تخصيصه بالكلامِ والرسالةِ وما كتب الله له ﴿فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] يقول له الخضر عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] فيقول له موسى عليه السلام: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣]. . . إلى آخر القصة.

فظنَّتْ هذه[١] الطائفة الضالَّةِ أنَّ ذلك نقصٌ في نبوّة موسى عليه السلام، وزيادةٌ للخضر عليه السلام على موسى عليه السلام في الفضيلة، فأدّاهم ذلك إلى أن فضّلوا الأولياء على الأنبياء عليهم السلام.

وقد ذهبَ عنهم[٢] أنَّ الله جلّ وعزّ يخصُّ مَنْ يَشاء بما يشاء كيف يشاء، كما خُصَّ آدمُ عليه السلام بسجودِ الملائكة له، وخُصَّ نوحٌ عليه السلام بالسفينة، وصالحٌ عليه السلام بالناقة، وإبراهيمُ عليه السلام بأنْ جعل عليه النارَ بردًا وسلامًا، وخُصَّ موسى عليه السلام بالعصا[٣]، وخُصَّ عيسى عليه السلام بإحياء الموتى، وخُصَّ نبيُّنا ﷺ بانشقاقِ القمر، ونبعِ الماء من بين أصابعه.

فأما غيرُ الأنبياء عليهم السلام فقد ذكر الله تعالى مريمَ حيث يقول:

---

(١) في الأصل: فضلّت هذه.

(٢) في (ب): وقد ذهب عليهم.

(٣) في (ب): وخصّ موسى عليه السلام بانفلاق البحر. وخص.

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]، ولم تكنْ مريمُ نبيّةً، ولم يكن ذلك لغيرها من الأنبياء عليهم السلام، ولا يجوزُ لقائلٍ أن يقول: إنَّها تَزيدُ بالفضلِ على الأنبياء عليهم السلام.

وآصف بن برخيا كان عنده علمٌ من الكتاب حتى أتى بعرشِ بلقيسَ قَبْلَ أن يرتدَّ إليه طرفُه، فكيف يجوز أن نقول: إنَّه أتمُّ من سليمان عليه السلام، مع ما آتاه الله تعالى من النبوّة والفهم والملك؟.

وقد سمعتَ بقصّة الهدهد، وكانَ قد خُصَّ بمعرفة المياه، لم يُخصَّ بذلك غيرُه من الطيور، وغيرها من الجنّ والإنس.

وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أفرضُكم زيدٌ، وأقرؤكم أُبيٌّ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذُ بن جبل»[١] رضي الله عنهم. وقد شهدَ رسولُ الله ﷺ لعشرةٍ من الصحابة بالجنّة[٢]، ليس هؤلاء فيهم، ونحن نعلم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفضلُ منهم. ومثل ذلك كثير!

وكلُّ وليٍّ من الأولياء ينالُ ما يَنالُ من الكرامة بحُسن اتّباعه لنبيّه، فكيفَ يجوزُ أن يَفضلَ التّابعُ على المتبوع، والمُقتدي على المقتدى به؟ وإنَّما يُعطى الأولياءُ رشاشةً ممّا يُعطى الأنبياء عليهم السلام.

والذي قال: إنَّ الأنبياء عليهم السلام يُوحى إليهم بواسطةٍ، والأولياءَ يتلقّفونَ من اللهِ بلا واسطةٍ. فيُقال لهم: غلطتم في ذلك؛ لأنَّ الأنبياءَ عليهم السلام هذا حالُهم على الدوام. يعني الإلهام، والمناجاة، والتلقُّفَ من الله عز وجل بلا واسطةٍ، والأولياءُ وقتًا دونَ وقتٍ.

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة: (١٧٢).

(٢) العشرة رضي الله عنهم هم: أبوبكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، الزبير بن العوام، طلحة بن عبيد الله، عبد الرحمن بن عوف، أبوعبيدة، سعد بن أبي وقاص، سعيد بن زيد. انظر سنن الترمذي (٣٧٤٨)، وأبي داود (٤٦٤٩)، وابن ماجه (١٣٣).

وللأنبياء عليهم السلام الرِّسالةُ، والنبوّة، ووحيٌ بنزول جبريلِ عليه السلام، وليسَ للأولياء ذلك.

ولو بدت ذرَّةٌ على الخَضِرِ عليه السلام من أنوارِ موسى عليه السلام، وتخصيصِهِ بالكلام، لامتحق الخَضِرُ عليه السلام، ولكن حجَبَهُ الحقُّ عن ذلك تهذيبًا، وزيادةً لموسى عليه السلام، فافهم ذلك إنْ شاءَ الله تعالى.

والولاية والصدّيقيةُ منوَّرةٌ بأنوار النبوّة، فلا تلحقُ النبوّةَ أبدًا، فكيف تُفضّلُ عليها؟.

* * *



باب في ذكر الفرقة التي غلطت في الإباحة والحظر والردّ عليهم

قال الشيخ رحمه الله: ثمّ زعمتِ الفرقةُ الضالَّةُ في الحظر والإباحة أنَّ الأشياءَ في الأصل مباحةٌ، وإنَّما وقعَ الحظرُ للتعدِّي، فإذا لم يقعِ التعدِّي
[١٩٠] تكونُ الأشياء على أصلها من الإباحة، وتأوَّلوا قول/ الله عز وجل: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا * وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا * وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا * وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا * وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا * مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [عبس: ٢٧ـ ٣٢].

فقالوا: هذا على الجملة غيرُ مفصَّلٍ، فأدّاهم ذلك بجهلهم، إلى أن طمعتْ نفوسُهم بأنَّ المحظورَ الممنوع منه المسلمون مباحٌ لهم، إذا لم يتعدَّوا في تناوله.

وإنَّما غلطوا في ذلك بدقيقةٍ خفيتْ عليهم، من جهلهم بالأُصول، وقلَّةِ حظِّهم من علم الشريعة، ومتابعتهم شهواتِ النُّفوس في ذلك؛ لأنهم سمعوا بمكارمِ الأخلاق، وحُسْنِ عُشرةٍ ومؤاخاةٍ كانت بين جماعةٍ من المشايخ المتقدِّمين، فجرى بينهم أَحوالٌ من رفع الحشمة والبسط، بعضهم مع بعضٍ، حتى كان أَحدُهم يمرُّ إلى دار أخيه، ويمدُّ يدَهُ، فيأكلُ من طعامه، ويأخذُ من كسبِهِ حاجتَهُ، ويفتقدُ أَحوالَ أخيه، وهو غائبٌ كما يفتقدُ لنفسِهِ.

وهذا، كما حُكي عن فتحِ الموصلي: أنه مرَّ إلى دارِ بعضِ إخوانه، فقال لجاريتِهِ: أَخرجي لي كيسَ أخي. فأخرجَتْه إليه، فأخذَ منه حاجتَهُ، فلمَّا رجعَ أخوه إلى البيت، أَخبرتْهُ الجارية، فقال: إن كنتُ صادقةً، فأنت حرَّةٌ لوجه الله تعالى.

وكما ذكر الحسنُ البصري رحمه الله أنَّه كان يأكلُ من رؤوس زنابيل أخٍ من إخوانه وهو غائبٌ، فسُئل عن ذلك، قال: يا لُكَعُ، وهل كان الناسُ قبلنا

إلاَّ مثلَ هذا؟ كان أحدُهم يَمرُّ إلى بيتِ أخيه، فيأخذُ من طعامه[١]، ويأخذُ من دراهمه، يُريد بذلك إدخالَ السُّرورِ على أخيه، ويعلمُ أنَّ ذلك أحبُّ إليه من حُمرُ النّعم.

وكذلك جماعةٌ كانوا يقولون: ليس بين هذه الطائفة مواساة؛ إنما استَنَّ مذهبُهم على المواساة.

كما قال إبراهيم بن شيبان: كنّا لا نَصحبُ من يقولُ: نعلي. ومثلُ ذلك كثيرٌ.

فظنَتْ هذه الطائفةُ الضالَّةُ بالإباحة أنَّ ذلك كان منهم على حالٍ جازَ لهم تركُ الحدود، أَو أَنْ يجاوزوا حدّ متابعةِ[٢] الأمرِ والنهي؛ فوقعوا من جهلهم في التّيه، وتاهوا، وطلبوا ما مالَتْ إليه نفوسُهم من اتّباعِ الشهوات، وتَناولِ المحظورات تأويلاً وحيلاً، وكذبًا وتمويهًا.

والذي زعمَ أنَّ الأشياءَ في الأصل مُباحةٌ، فهلاَّ قال: إنَّ الأشياءَ في الأصل محظورةٌ، وإنَّما وقعتْ إباحتها بالأمرِ والنهي في التَّوسعة والرُّخص، حتَّى لا يقعَ في الغلط، مع أنَّ الحلال ما حلَّلهُ الله تعالى، والحرامُ ما حرَّمَهُ الله تعالى.

وليس أحدٌ من المؤمنين مُستعبدًا باستعمال الشرائع المتقدِّمة، ولا باستعمالِ ما كان عليه الأوائلُ، بل المؤمنون مُستعبدون بالائتمارِ لما أمرهم الله تعالى به، والانتهاء عمَّا نهاهم الله عنه، واجتناب ما اشتُبه عليهم. لقول النبيِّ ﷺ: «الحلال بيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ، وبينهما أُمورٌ مشتبهاتٌ، وحرامُ اللهِ حمىً، فمن وقعَ حولَ الحِمى يُوشكُ أن يقعَ فيه»[٣].

وليس قول من زعم أنَّ الأشياءَ في الأصل على الإباحةِ بأولى من قولِ من

---

(١) في (ب): فيأكل من طعامه.

(٢) في الأصل: الحدود أو جاوزوا عن حدِّ متابعة. وفي (ب): أو جازوا.

(٣) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة (١٤٦).

يقولُ: إنَّ الأشياءَ في الأصلِ محظورةٌ، وإذا استملك لا يبيح ذلك لأحدٍ إلاَّ بحجَّةٍ.

وليس هذا من قياسِ النجاسة والطهارة؛ لأنَّ الأشياء عند الفقهاءِ وجماعةٍ من أهل العلم في الأصلِ طاهرةٌ، حتَّى يقومَ الدليلُ على نجاستها.

والفرقُ بين هذا وبين ذاك أنَّ النجاساتِ والطهارات تدخلُ في العباداتِ والحظرِ، والإباحةُ تقع على الأملاك، وما وقع عليه الملكُ لا يُبيحُ ذلك لأحدٍ إلاَّ بدليلٍ وحجّة. وبالله التوفيق.

* * *



باب في ذكر غلط الحلولية وأقاويلهم على ما بلغني فلم أعرف منهم أحدًا ولم يصحّ عندي شيءٌ غير البلاغ

قال الشيخ رحمه الله: بلغني أنَّ جماعةً من الحلولية زعموا أنَّ الحقَّ تعالى ذكره اصطفى أجسامًا حلَّ فيها بمعاني الرُّبوبية، وأَزالَ عنها معانيَ البشرية.

فإن صحَّ عن أحدٍ أنَّه قال هذه المقالة، وظنَّ أنَّ التوحيدَ أبدى له صفحته بما أَشار إليه، فقد غلطَ في ذلك، وذهبَ عليه أنَّ الشيءَ في الشيءِ مُجانسٌ للشيءِ الذي حلَّ فيه، واللهُ تعالى بائنٌ من الأشياء، والأشياءُ بائنةٌ منه بصفاتها، والذي أظهر في/ الأشياء فذلك آثارُ صنعته، ودليلُ رُبوبيته؛ لأنَّ [١٩١] المصنوعَ يدلُّ على صانعه، والمؤلَّفِ يدلُّ على مؤلِّفه.

وإنَّما ضلتِ الحلوليةُ ـ إنْ صحَّ عنهم ذلك لأنَّهم لم يميِّزوا بين القدرةِ التي هي صفةُ القادر، وبين الشواهدِ التي تدلُّ على قدرةِ القادر، وصنعةِ الصانع[١]، فتاهتْ عند ذلك.

فبلغني أنَّ منهم من قال بالأنوار.

ومنهم من قال بالنَّظرِ إلى الشواهد المُستحسنات نظرًا بجهلٍ[٢].

ومنهم من قال: حال في المُستحسنات، وغيرِ المستحسنات.

ومنهم من قال: حالٌّ في المُستحسناتِ فقط.

ومنهم من قال: على الدَّوام.

---

(١) في الأصل: وصفة الصانع.

(٢) في (ن) و(ع): نظرًا يجهل.

ومنهم من قال: وقتًا دون وقتٍ، فيما بلغني.

فمن صحّ عنه شيءٌ من هذه المقالات فهو ضالٌّ بإجماعِ الأمة، كافرٌ، يلزمه الكفرُ فيما أشارَ إليه.

والأجسامُ التي اصطفاها[1] الله تعالى أجسامُ أنبيائه وأوليائه وأصفيائه اصطفاها بطاعتِهِ وخدمته، وزيَّنها بهدايته، وبيَّنَ فضلَها على خلقه.

واللهُ تعالى موصوفٌ بما وصفَ به نفسَهُ؛ كما وصفَ به نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والذي غلطَ في الحلولِ غلطَ لأنَّه لم يُحْسنْ أن يُميِّزَ بين أوصافِ الحقِّ سبحانه وبين أوصاف الخَلْقِ؛ لأنَّ الله تعالى لا يحلُّ في القلوب، وإنَّما يحلُّ في القلوبِ الإيمانُ به، والتصديقُ له، والتوحيدُ والمعرفة، وهذه أوصافُ مصنوعاته، من جهةِ صنعِ الله عز وجل بهم، لا هو بذاته، أو بصفاته يحلُّ فيهم. تعالى الله عز وجل عن ذلك علوًا كبيرًا.

* * *

(١) في الأصل: الأجسام الذي اصطفاها.

باب في ذكر من غلط في فناء البشرية

قال الشيخ رحمه الله: أمَّا القومُ الذين غلطوا في فناءِ البشرية سمعوا كلامَ المتحقِّقين في الفناء، فظنُّوا أنَّه فناءُ البشرية، فوقعوا على الوسوسة[١]؛ فمنهم من تركَ الطعامَ والشراب، وتوهَّمَ أنَّ البشرية هي القالب[٢]، والجثَّةُ إذا ضعفتْ زالتْ بشريَّتُها، وإذا زالت بشريَّتُها فيجوز[٣] أن يكونَ موصوفًا بصفاتِ الإلهية.

ولم تُحسنْ هذه الفرقةُ الجاهلةُ الضالَّةُ، أن تُفرِّقَ بينَ البشريةِ وبين أخلاقِ البشريةِ؛ لأنَّ البشريةَ لا تزول عن البشر، كما أنَّ لونَ السوادِ لا يزولُ عن الأسودِ، ولا لونُ البياضِ عن الأبيض؛ وأخلاقُ البشرية تُبدَّلُ وتُغيَّرُ بما يردُ عليها من سلطانِ أنوارِ الحقائق، وصفاتُ البشرية ليستْ هي عين البشرية.

والذي أشارَ إلى الفناء أرادَ به فناءَ رؤيا الأعمالِ والطاعات ببقاءِ رؤيا العبدِ لقيامِ الحقِّ للعبد بذلك.

وكذلك فناءُ الجهلِ بالعلم، وفناءُ الغفلةِ بالذكر، والذي طبع في فناء البشرية فناءُ البشرية طبعٌ في ذلك[٤]، وفناءُ البشريةِ بالبشرية صفةٌ من صفات البشرية.

والذي يتوهَّمُ أنَّ ذهابَ[٥] النفس وزوالَ التلوين عن العبدِ وقتًا دون وقت، وذهابَ البشرية، فقد غلطَ وجهل عن وصفِ البشرية؛ لأن التغييرَ

---

(١) في (ب): فوقعوا في الوسوسة.
(٢) في الأصل: هي الغالب.
(٣) في (ن) و(ع): ضعفت زالت بشريتها، فيجوز أن.
(٤) في (ب): بالذكر الذي... طُبعَ في ذلك.
(٥) في (ن): أنّه ذهاب.

والتلوين من صفةِ البشرية، فإذا زالَ عنها التغييرُ والتلوين فقد تُغُيِّر الآن عن صفتها، وتُلُوِّن عن معناها[١]؛ لأنَّها إذا لم تتغيَّرْ ولم تتلوَّنْ فقد تُغيِّرُ وتُلوِّنُ عن صفاتها. والله أعلم.

* * *



(١) في (ب): فقد تَغَيَّرَ الآن عن صفتها والتلوّن عن معناها.

باب ذكر من غلط في الرؤية بالقلوب

قال الشيخُ رحمه الله: بلغني عن جماعةٍ من أهل الشام أنَّهم يدَّعون الرؤية بالقلوب في دار الدنيا، كالرُّؤيةِ بالعيان في دار الآخرة، ولم أرَ أحدًا منهم، ولا بلغني عن إنسانٍ أنه رأى منهم رجلاً له محصولٌ.

ولكنْ رأيتُ لأبي سعيد الخراز رحمه الله كتابًا كتبَهُ إلى أهلِ دمشق، يقولُ فيه: بلغني أنَّ بناحيتكم جماعةً قالوا كذا وكذا، وذكر قولاً قريبًا من هذا القول، ويشبّه أنَّ في زمانه قومًا غلطوا في ذلك وضلّوا وتاهوا.

والذي قالَ أهلُ الحقِّ والإصابةِ في هذا المعنى، وأَشاروا إلى رؤيةِ القلوب إنَّما أشاروا[1] إلى التصديقِ والمُشاهدة بالإيمان، وحقيقةِ اليقين.

(*) كما رُوي في حديثِ حارثة حيثُ يقول: كأنّي أَنظرُ إلى عرشِ ربِّي بارزًا... كما جاء في الحديث بطوله، حتى قال النبيُّ ﷺ: «عبدٌ نوّرَ اللهُ تعالى قلبَه» أو كما قال كما جاء في الرواية[2].

[١٩٢] والذي تاه وتوسوس/ في هذا المعنى قومٌ من أصحاب الصُّبَيْحي من أهل البصرة، كما بلغني، وقد رأيتُ جماعةً منهم، وذلك أنهم حملوا على أنفسهم في المجاهدة والسهر، وتركِ الطعام والشراب، والانفراد والخلوة، وكثرة التوكُّل، وصحبهم الإعجابُ مع ذلك بما هم فيه، فاصطادهم إبليسُ لعنه الله، فخُيِّلَ إليهم كأنَّه على عرشٍ أو سريرٍ، وله أنوارٌ تتشعشع؛ فمنهم من أَلقى إلى بعضِ الأستاذِينَ الذين يعرفون مكائد العدو، فعرَّفوهم ذلك ودلُّوهم وردُّوهم إلى الاستقامة.

(*) كما حُكي عن سهل بنِ عبد الله رحمه الله: أنَّ بعض تلامذته قال له

---

(١) في (ب): وأشار إلى رؤية القلوب، إنّما أشار إلى.

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة. (١٧، ١٤٦، ٤٥٨).

يومًا: يا أستاذ، أنا في كلِّ ليلةً أرى اللهَ بعين رأسي. فعلم سهلٌ رحمه الله أنَّ ذلك من كيدِ العدو، فقال له: يا حبيبي، إذا رأيتهُ الليلة فابزقْ عليه. قال: فلمَّا رآه من ليلته بزقَ عليه، قال: فطارَ عرشُهُ، وأظلمَتْ أنواره، وتخلَّصَ من ذلك ذاك الرجلُ، ولم يرَ شيئًا بعد ذلك.

ومن لم يقع إلى الأستاذِينَ، فيدفعُ ذلك[1]، ويتكلَّمُ بالهوس، وينسلخُ عن دينه بالظُّنون الكاذبةِ إلى آخر عمره.

(*) وبلغني أيضًا أنَّ جماعةً هربوا من عبد الواحد بن زيد، حيث كان يَأمرُهم بالمجاهدة والعبادة، وأكلِ الحلال والزهد في الدنيا.

وبلغني أنَّ عبد الواحد رحمه الله رأى واحدًا منهم بعد مدَّةٍ، فسأله عن خبرِهِ وخبرِ أصحابه، فقال: يا أستاذ، نحن كلَّ ليلةٍ ندخلُ الجنَّةَ، ونأكل من ثمارِها. قال: فقال له: خذوني الليلةَ معكم. قال: فأخرجوه معهم إلى الصَّحراء، فلمَّا جَنَّهُمُ الليلُ، فإذا بقومٍ عليهم ثيابٌ خضر، وإذا بساتينُ وفواكه، قال: فنظرَ عبدُ الواحد إلى أرجلِ هؤلاء الذين عليهم الثيابُ الخضر، فإذا هو مثلُ حوافرِ الدَّوابُ، فعلمَ أنَّهم شياطينُ، فلمَّا أرادوا أن يتفرَّقوا، قال لهم: إلى أين تذهبون؟ أليس إدريس النبيُّ ﷺ لمَّا دخلَ الجَنَّة لم يخرجْ منها؟ قال: فلمَّا أصبحوا، فإذا هم على مزابلَ بين روثِ الدواب وبعرِ الحمار، فتابوا كلُّهم. ورجعوا إلى صُحبة عبد الواحد بن زيد رحمه الله.

وينبغي أن يعلمَ العبدُ أنَّ كلَّ شيءٍ رأتْهُ العيونُ في دار الدنيا من الأنوار، أن ذلك مخلوقٌ[2]، ليس بينه وبين الله تعالى شبهٌ، وليس ذلك صفةً من صفاته، بل جميعُ ذلك خلقٌ مخلوقٌ.

ورؤيةُ القلوبِ بمشاهدةِ الإيمان، وحقيقة اليقين والتصديق حقٌّ؛ لقول

---

(١) في (ب): فيدفع على ذلك.

(٢) في (ب): الأنوار فذاك مخلوق.

النبيِّ ﷺ: «اعبدِ الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكنْ تَراه، فإنَّه يراك»[١].

والذي قال من التابعين[٢]: لو كُشفَ الغطاء ما ازددْتُ يقينًا. أشارَ إلى حقيقةِ يقينهِ، وصفاءِ وقته، وتكلَّمَ بذلك من غلباتِ وجدِهِ، وليسَ الخبرُ كالمعاينة في جميعِ المعاني في الدنيا والآخرة.

وقد قيل في قول الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النّجم: ١١] يعني: لم تكذبْ عينُهُ ما رآه بقلبه، ولم يكذبْ فؤادُهُ ما رآه بعينه. وهذا خصوصٌ للنبيِّ ﷺ، ليس لأحدٍ غيره.

* * *



(١) تقدم، انظر الصفحة (٨).

(٢) تقدم من قول عامر بن عبد قيس صفحة (١٠٢).

باب ذكر من غلط في الصفاء والطهارة

قال الشيخ رحمه الله: وطائفةٌ ادَّعتِ الصَّفاء والطهارة على الكمالِ والدوام، وأنَّ ذلك لا يزولُ عنهم، وزعموا أنَّ العبدَ يصفو من جميعِ الكُدورات والعلل، بمعنى البينونة منها.

وقد غلطوا في ذلك؛ لأنَّ العبد لا يصفو على الدوام من جميع العلل، وإنْ وقعتْ له الطهارةُ وقتًا فلا يخلوَ من العلل، وإنَّما تصفو له وقتًا[1] دون وقتٍ على مقدار أماكنهم، فيذكرُ اللهَ بنعتِ الصَّفاء، ثم يَبقى عليه الذِّكر مع جريان ادّكارِ الأشياء عليه.

والطَّهارةُ تكون لقلبِ العبد من الغلِّ والحسد، والشِّرك والتّهم، فأمَّا الصفاءُ الذي لا يحتملُ العلَّة، والطهارةُ من جميع أوصاف البشرية على الدوام بلا تلوينٍ ولا تغيير ليس ذلك من صفاتِ الخَلق؛ لأنَّ اللهَ تعالى هو الذي لا تلحقُهُ العِللُ، ولا تقع عليه الأغيارُ، والخلقُ مُرادٌ بالابتلاء، أنَّى يخلون من العلل والأغيار.

وحكمُ العبد، إذا كان كذلك أن يتوبَ إلى الله تعالى، ويستغفرَ الله تعالى في كلِّ وقتٍ. لقوله الله عز وجل: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. كما رُوي عن النبيِّ / ﷺ أنه قال: «إنه لَيُغَانُ [١٩٣] على قلبي، فأستغفر اللهَ في يوم مئة مرة»[2].

* * *

(١) في (ب): وإنما يصفو له وقت بعد وقت على.

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه وشرحه صفحة (٥٠٢).

باب ذكر من غلط في الأنوار

قال الشيخُ رحمه الله: وطائفةٌ غلطتْ في الأنوار، وزعمتْ أنَّها ترى أنوارًا، و[بعضهم] يصفُ قلبَه بأنَّ فيه أنوارًا، ويظنُّ أنَّ ذلك من الأنوارِ التي وصفَ الله تعالى بها نفسه، وهذه الطائفةُ تصفُ ذلك النور بصفةِ أنوارِ الشَّمسِ والقمر، وتزعمُ أنَّ ذلك من أنوارِ المعرفة والتوحيد والعظمة، وتزعمُ أنَّها ليستْ بمخلوقةٍ.

وقد غلطَ هؤلاء[1] في ذلك غلطًا عظيمًا؛ لأنَّ الأنوارَ كلَّها مخلوقةٌ: نورُ العرش، ونورُ الكرسيِّ، ونورُ الشمس، والقمر والكواكب، وليسَ للهِ نورٌ موصوفٌ محدود، والذي وصفَ الله تعالى به نفسَهُ، فليس ذلك بمدركٍ ولا مَحدود، ولا يُحيطُ به علمُ الخلق؛ وكلُّ نورٍ تحيطُ به العلومُ والفهوم فهو مخلوقٌ، وأنوارُ اللهِ تعالى كلُّها هداياتُ الخلق، وأنوارُ المصنوعات دلائلُ وعبرةٌ؛ ليستدلُّوا بها على معرفة التوحيد، يُهْتَدى بها[2] في ظلمات البرِّ والبحر.

ومعنى (أنوار القلب): معرفةُ الفرقان والبيان من الله عز وجل، وذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

قالوا في التفسير: نورًا يُوضع في القلبِ حتى يفرقَ بين الحقِّ والباطل.

هذا معرفة الأنوار كما ذكرتُهُ في الوقت.

* * *

---

(١) في الأصل: وقد غلطوا هؤلاء.

(٢) في (ب): التوحيد، ويهتدوا بها.

باب ذكر من غلط في عين الجمع

قال الشيخ رحمه الله: وجماعةٌ غلطوا في عينِ الجمع، فلم يُضيفوا إلى الخلقِ ما أضَافَ اللهُ تعالى إليهم، ولم يصفوا أنفسهم[١] بالحركة فيما تحرَّكوا فيه، وظنُّوا أنَّ ذلك منهم احترازٌ؛ حتى لا يكونَ مع اللهِ شيءٌ سوى الله عز وجل. فأدّاهم ذلك إلى الخروجِ من الملّة، وتركِ حُدودِ الشريعة؛ لقولهم: إنَّهم مُجبرون على حركاتِهم، حتَّى أَسقطوا اللائمة عن أنفسهم عند مُجاوزة الحدود، ومخالفةِ الاتِّباع.

ومنهم من أَخرجَهُ ذلك إلى الجسارةِ على التعدّي والبطالة، وطمَّعَتْهُ نفسُه على أنَّه معذورٌ فيما هو عليه مجبور.

وإنَّما غلط هؤلاء[٢] لقلَّةِ معرفتهم بالأُصول والفروع، فلم يُفرّقوا بين الأصلِ والفرع، ولم يعرفوا الجمعَ والتفرقة، فأضافوا إلى الأصلِ ما هو مضافٌ إلى الفرعِ، وأَضافوا إلى الجمعِ ما هو مضافٌ إلى التفرقة، فلم يُحسنوا وضعَ الأشياء في مواضعها، فهلكوا.

وقد سُئل سهل بنُ عبد الله رحمه الله عن ذلك، كما بلغني، فقيل له: ما تقولُ في رجل يقول: أنا مثلُ البابِ لا أتحرَّكُ إلاَّ أن يُحرِّكوني؟ فقال سهل بنُ عبد الله: هذا لا يقوله إلاَّ أحَدُ رجلين: إما رجلٌ صدِّيقٌ، أو رجلٌ زِنديق.

والمعنى فيما قالَ سهلٌ رحمه الله: الصدِّيق يرى قوامَ الأشياءِ[٣] بالله، ويَرى كلَّ شيءٍ من الله تعالى، ويرجعُ في كلِّ شيءٍ إلى الله عز وجل، مع

---

(١) في الأصل: ولم يضيفوا أنفسهم.
(٢) في الأصل: وإنما غلطوا هؤلاء.
(٣) في (ب): قيام الأشياء.

معرفةِ[١] ما يحتاجُ إليه من الأُصول والفروع، والحقوق والحظوظ، والمعرفة بين الحقِّ والباطل، ومتابعة الأمرِ والنهي، وحسنِ الطاعات، والقيامِ بشرط الأدب، وسلوكِ المنهج على حدِّ الاستقامة.

وأمَّا معنى قولِ الزنديق بهذه المقالة أيضًا، فإنَّما يقولُ ذلك، حتى لا يَزجُرَهُ شيءٌ من ركوبِ المعاصي، إن أدَّاه جهلُه[٢] إلى الجسارة والاعتداء، بإضافة أفعالِهِ وجميعِ حركاته إلى الله تعالى؛ حتى أزالَ اللائمة عن نفسه في ركوب المآثم بغوايةِ الشيطان وتسويله، وتأويلِ الباطل. أعاذنا الله وإيَّاكم من ذلك.

* * *



(١) في (ب): بعد معرفة.
(٢) في (ن) و(ع): أنه أداه.

باب في ذكر من غلط في الأنس والبسط وترك الخشية

قال الشيخ رحمه الله: وطبقةٌ أشاروا إلى القُربِ والأُنس، وتوهَّموا أنَّ بينهم وبين اللهِ عز وجل حالٌ من القُرْبِ والدُّنوِّ، فأحشمهم، عند ذلك التوهُّمِ الرجوعُ والالتفاتُ إلى الآدابِ[1] التي كانوا يُراعونها، والحدودِ التي كانوا يَحفظونها قبل ذلك، فانبسطوا إلى ما كانوا عنه/ مُحتشمين، وأَنسوا بأشياءَ [١٩٤]
كانوا عنها مُستوحشين من قبلِ ذلك، وتوهَّموا أنَّ ذلك قُرْبُهم ودُنُوُّهم.

وقد غلطوا في ذلك وهلكوا، لأنَّ الآدابَ والأحوال والمقامات خِلَعٌ من الله تعالى على عباده، وكرامةٌ لهم، وهم مُستوجبون الزيادة، إذا صدقوا في قصودهم، فمتى ما تَركَهم وخلاَّهم عن توفيقِهِ وعنايته بهم، حتى جاوزوا الحدود، وخالفوا ما أُمروا به. قد نكصوا على أعقابهم، وسُلبوا الخِلعَ التي أُكرموا بها من الطاعات، وقد طُردوا من الباب، وصارتْ سمتُهُم سمةَ المطرودين، وهم عندهم أنَّهم من المقبولين، وكلَّما توهَّموا أنَّ الذي هم عليه قربٌ ودنوٌّ، ازدادوا بذلك من الله سُحقًا وبعدًا.

وهذا كما حُكي عن ذي النُّون رحمه الله، أنَّه قال: ينبغي للعارفِ ألاَّ يُطفىءَ نورُ معرفته نورَ ورعه، ولا يعتقدَ باطنًا من العلمِ ينقضُ عليه ظاهرًا من الحُكم، ولا تحملُهُ كثرةُ الكرامةِ من الله تعالى على هتكِ أستارِ محارمِ الله تعالى.

كما كان يقولُ بعضُ الحكماء: اللَّهم، لا تَشغلني بك عنك، واشغلني بطلبِكَ، بعدما كنتَ لي من غير طلبي.

فهذا على المعنى، والله أَعلمُ بالصواب.

* * *

---

(١) في (ب): والالتفات والآداب.

باب في ذكر من غلط في فنائهم عن أوصافهم

قال الشيخُ رحمه الله: وقد غلطتْ جماعةٌ من البغداديين في قولهم: إنَّهم عند فنائهم عن أوصافهم، دخلوا في أوصافِ الحقِّ. وقد أضافوا أنفسَهم، بجهلهم، إلى معنًى يؤدِّيهم ذلك إلى الحلول، أو إلى مقالةِ النَّصارى في المسيح عليه السلام، وقد زُعِمَ أنَّه سُمع عن بعض المتقدِّمين، أو وُجِدَ في كلامهم: أنه قال في معنى الفناء عن الأوصاف والدخول في أوصاف الحقِّ.

فالمعنى الصحيحُ من ذلك أنَّ الإرادةَ للعبدِ، وهي من عند الله عطيةٌ، ومعنى خروجِ العبد من أوصافِهِ والدخول في أوصاف الحقِّ خروجُهُ من إرادته، ودخوله في إرادة الحقِّ، وبمعنى أن يعلمَ أنَّ الإرادات لله عز وجل، وإرادة العبد بذلك عطيةٌ[1] من الله تعالى، وبمشيئتِهِ شاءَ، وبفضلِهِ جعل له ما يُعطيه ذلك ويقطعه[2] عن رؤية نفسِهِ حتى ينقطعَ بكلِّيته إلى الله تعالى. وذلك منزلٌ من منازلِ أهلِ التوحيد.

وأمَّا الذين غلطوا في هذا المعنى إنَّما غلطوا بدقيقةٍ خفيتْ عليهم، حتى ظنُّوا أنَّ أوصافَ الحقِّ هي الحقُّ، وهذا كلُّه كفرٌ، لأنَّ الله تعالى لا يحلُّ في القلوب، ولكنْ يحلُّ في القلوبِ الإيمانُ به، والتوحيدُ له، والتعظيمُ لذكره، بمعاني التحقيق[3] والتصديق.

ولا فرقَ في ذلك بين الخاصِّ والعام، غيرَ أنَّ للخاصَّةِ[4] معنىً ينفردون

---

(١) في (ن) و(ع): يعلم أن الإرادات هي عطية من الله تعالى.

(٢) في (ن) و(ع): جعل له ما يعطيّة ذلك قطعه عن رؤية نفسه.

(٣) في (ب): ومعاني التحقيق.

(٤) في الأصل: غير أنَّ الخاصَّ.

به، وهو مُفارقتُهم دواعي الهوى، وإفناءُ حظوظهم من الدار وما فيها، وخلوصِ أسرارهم بمن آمنوا به.

وسائرُ العوامّ مَحجوبون عن هذه الحقائق بانقيادهم للهوى ومطاوعتهم للنفوس. فهذا هو الفرقُ بين الخاصّ والعام في هذا المعنى، وبالله التوفيق.

* * *



باب في ذكر من غلط في فقد الحسوس

قال: وزعمتْ طائفةٌ من أهل العراقِ أنَّهم يفقدون حسَّهم عند المواجيد، حتى لا يَحسُّوا بشيءٍ، ويخرجوا عن أوصافِ المحسوسين.

وقد غلطوا في ذلك، لأنَّ فقدَ الحسِّ لا يعلمُهُ صاحبُهُ إلاَّ بالحسِّ، لأنَّ الحسَّ صفةُ البشرية، وإنْ غلب عليه بادٍ من الواردات التي تردُ على الأسرار وتقهرها بسلطانها، فيطمئنُّ ويمتحقُ، ويكون مثلُ ذلك كمثلِ الكواكب إذا طلعَ عليها سُلطانُ أنوارِ الشمس، تَطمُسُ أنوارَ الكواكب، وهي مُمتحقةٌ في أماكنها.

فكذلك الحسُّ لا يَزولُ ولا يُفقَدُ على البشرِ الحيِّ، ولكنْ ربَّما يغيبُ العبدُ عن حسِّه بحسِّه عند المواجيدِ الحادَّةِ عن الأذكار القوية.

كما حَكى جعفرُ الخُلدي فيما قرأتُ عليه عن الجُنيد رحمه الله أنَّه قال: سألتُ سريَّ السَّقطيَّ رحمه الله عن المواجيدِ الحادَّةِ عند الأذكار القوية، ممّا يقوى على العبد، فقال: نعمْ، يُضربُ وجهُهُ بالسيف ولا يحسُّ.

وإنَّما يعني بقوله، والله أعلم: لا (يحسُّ)، يعني: لا يجدُ ألمًا، وهو بالحسِّ لا يجد ألمًا، كما أنَّه بالحسِّ كان يجدُ ألمًا.

وما دامَ في العبدِ روحٌ، وهو حيٌّ، لا يزولُ عنه الحسُّ/ لأنَّ الحسَّ [١٩٥]
مقرونٌ بالحياة والروح. وبالله التوفيق.

* * *

باب في ذكر من غلط في الروح

قال الشيخ رحمه الله: ثمّ جماعةٌ غلطوا في الأرواح، وهم طبقاتٌ شتّى، كلُّهم تاهوا وغلطوا؛ لأنَّهم تفكَّروا في كيفية ما رفعَ الله عنه الكيفيّة ونزَّهَهُ عن إحاطة العلم في أن يصفه أحدٌ إلاّ بما وصفَهُ اللهُ به.

فقومٌ قالوا: الروحُ نورٌ من نورِ الله. فتوهَّموا أنَّه نور ذاته، فهلكوا.

وقوم قالوا: حياةٌ من حياة الله تعالى.

وقومٌ قالوا: الأرواح مخلوقة، وروحُ القدس من ذات الله تعالى.

وقوم قالوا: أرواحُ العامّة مخلوقة، وأروحُ الخاصَّةِ ليست بمخلوقة.

وقوم قالوا: الأرواحُ قديمةٌ، لأنَّها لا تموتُ، ولا تُعذَّبُ، ولا تبلى.

وقوم قالوا: الأرواحُ تتَناسخُ من جسمٍ إلى جسم.

وقوم قالوا: للكافرِ روحٌ واحدٌ، وللمؤمنِ ثلاثةُ أرواحٍ، وللأنبياء والصدّيقين خمسةُ أرواح.

وقوم قالوا: الرُّوحُ خلقٌ من النور.

وقوم قالوا: الروح روحانية خُلقت من الملكوت، فإذا صَفَتْ رجعتْ إلى الملكوت.

وقال قوم: الروح روحان: روحٌ لاهوتية، وروح ناسوتية.

وهؤلاء كلُّهم قد غلطوا فيما ذهبوا إليه، وضلُّوا ضلالاً مبينًا، وجَهلوا ما يلزمهم في ذلك من الخطأ، وذلك من تعمُّقِهم وتفكُّرهم بآرائهم، فيما منعَ اللهُ تعالى قلوبَ العباد من التفكُّرِ فيه بقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥].

والذي عليه أهلُ الحقّ والإصابةِ عندي، والله أعلم: أنَّ الأرواحَ كلَّها

مخلوقةٌ، وهي أمرٌ من أمر الله تعالى، ليس بينها وبين اللهِ تعالى سببٌ ولا نسبةٌ، غير أنَّها من مُلكه وطَوعه، وفي قبضتِهِ، غير مُتناسخة، ولا تَخرجُ من جسمٍ فتدخلُ في غيره، وتذوقُ الموتَ كما يذوقُ البدن، وتتنعَّم بتنعُّمِ البدن، وتُعذَّبُ بعذابِ البدن، وتُحشَرُ في البدنِ الذي تخرج منه.

وخلقَ اللهُ تعالى روحَ آدمَ عليه السلام من الملكوتِ، وجسمَهُ من التُّراب.

ولكلِّ فرقةٍ من هؤلاء الذي ذكرتُ[1] لهم في غلطهم احتجاجاتٌ، ولأهلِ الحقِّ والإصابةِ ردٌّ عليهم، وبيانٌ واضح لغلطهم.

وقد اختصرتُ[2] ذكرَ ذلك لكراهية التطويل، وفيما ذكرتُ كفايةٌ وبلغةٌ لمن عقلَ من المسترشدين والراغبين في العلم، إن شاء الله تعالى[3].

* * *



---

(١) في (ب): الذين ذكرت.

(٢) في (ب): وقد اقتصرت.

(٣) هنا ينتهي القسم (١١) من نسخة (ب) الذي بدأ صفحة (٥٦٩). وبه تنتهي النسخة.

[خاتمة الكتاب]

تمّ الكتابُ بحمد الله وعونِهِ وتوفيقه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلى اللهُ على سيّدنا محمدٍ وآله ما زهر كوكبٌ، وما أظلم غيهبٌ، وما وضح فجر، وما غبر دهر، وما عرض فكرٌ، وما ذَكرَ ذاكر، وما سار سائر، وما هطلَ هاطل، وما أفل آفل، وما نطقَ قائلٌ، وما امتدَّ الظلُّ، وما درَّ الوبل، وما عُرفَ الكلام، وما بقي الأنام، وما حَسَن الإسلام، وما عسعسَ الدّيجور، وما اختلفَ الظلامُ والنّورُ، وما فُلق الإصباح، وما هبَّتِ الرياح، وما سبَّحَتِ الأملاك، وما جرتِ الأفلاك، وما زال فيء، وما بقي حيٌّ، وما عُدَ عَدَدٌ، وما بقي الأبد، وما نطق لسانٌ، وصدقَ عيانٌ، وما درَّ القطرُ، وما امتدَّ الدهر، وما اضطربتِ الأمواجُ، وما أضاء السراج، وما تلألأتِ الأنوارُ، وما اعلنكستِ[1] الظلماء، صلاةً دائمةً على الأبدِ، مُتَّصلةً بلا نهاية ولا أمد.

فرغته في عاشرِ ربيع الآخر، سنة ثلاثٍ وثمانين وستمئة.

* * *

(١) اعلنكست: اشتد سوادها. انظر القاموس (علكس).

[رجال سماع كتاب اللمع](١)

في أصله: سمع من باب: (ذكر طبقات الذين افتروا في الإرادات(٢) . . .) إلى آخر الكتاب جماعة، منهم أبو طالب الشافعي، وابناه علي وعقيل، وأبو منصور البحتري وابن سمكويه، وعبد الرزاق القلانسي، وعبد الأول بن عيسى بن شعيب السِّجزي، وجماعة كثيرون، أسماؤهم على الأصل، وذلك في شهور سنة خمس وستين وأربعمئة. نقلته مختصرًا في يوم الخميس سابع شعبان سنة ستٍّ وستين وخمسئة. وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين.

نقله أحمد بن محمد الظاهري كما شاهَدَهُ بخط ابن يحيى/ . [١٩٦]

سمع جميع المجلدة من الشيخ الصالح أبي الوقت عبد الأول بن عيسى ابن شعيب السِّجزي الصوفي بسماعِهِ من الكوفاني، عن الخبوشاني بقراءة الشيخ العالم أبي الفتح يوسف بن محمد بن مقلد الدمشقي: الأشياخُ أبو المعالي أحمد بن يحيى بن هبة الله، وعز الدولة أبو المظفر بن محمد بن هبة الله السِّيبي، وجمال الدين أبو الحسن علي بن محمد بن زيد العلوي، وولده أبو عبدالله محمد، وأبو العز يوسف بن محمد بن علي البغدادي، وأخواه سليمان، وعلي، وأبو سعيد فائز بن عياش بن أبي الفتح الصوفي، وإبراهيم بن محمود بن نصير بن الشعار، وأبو الفرج علي بن الحسن بن علي الكرخي، وأبو الحسين علي بن رافع بن يحيى الإسكاف، ومحمد بن

---

(١) جاء في الصفحات الستة التي ذكرتِ سماع الرجال للكتاب طمس كثير، وراودتني النفس عن تجاوز هذه الورقات لكثرة ما فيها من سواد، ومن تصحيف وتحريف، وصعوبة إيجاد المراجع التي بها ذكر أسماء الرجال؛ لكنني آثرت ذكرها على علاَّتها، فإن فيها خيرًا كثيرًا لراغبها.

(٢) أي من الصفحة (٥٨٠).

يوسف الغزنوي، وعمر بن أبي المعالي بن عمر العكبري البزاز، وابنه أحمد، وعمر بن وفاء بن أبي الفضل الهمداني، وعلي بن سالم بن علي المريمي، وعبدالرحمن بن عمر بن أبي نصر المقرىء، والشيخ أبو بكر المبارك بن المبارك بن علي بن نصر بن السرّاج، وأبي عبد الله الحسين بن سهل بن عبد المنعم المُسَيِّبي، وعبد القاهر بن نصر بن سالم بن الحسن العموري، وعلي بن أبي سعيد بن أبي القاسم بن عطاء، وعبد العزيز بن عبد الله عتيق قاضي القضاة الزينبي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأدمي، وابنه محمد، وشافع من أوله إلى: باب آخر في السماع[1]، وفاته مجلسٌ واحد، وهو من هذا الباب إلى شرح الألفاظ المشكلة[2]. وسمع باقي الكتاب وهو يتحدث أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد الشروطي، وعمر بن فارس بن عثمان، وكان يتحدّث وذلك في مجالس آخرها نهار يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة.

نقله عبد العزيز بن محمود بن الأخضر، ولم يسمعْ معهم وفتح وثبت. نقله أحمد بن محمد الظاهري كما شاهده بخط الحافظ ابن الأخضر تغمدّه الله برحمته.

* * *

سُمعَ جميعُ هذا المجلد على الشيخ أبي الوقت الصُّوفي بقراءة أبي الفضل بن شافع رحمهما الله تعالى:

أبو العباس محمد بن علي بن طراد...[3] وأبو الحسن علي بن محمد بن زيد العلوي، ومرجان بن عبد الله الراشدي، وشيخنا أبو علي الحسن بن جعفر بن عبد الصمد، وشيخنا أبوطالب بن خُضير، ومجد

(١) صفحة (٤٠٦).

(٢) صفحة (٤٥٣).

(٣) فراغ قدر كلمة في الأصل.

القضاة أبو القاسم عبيد الله بن علي بن الفداء، وشيخنا أبو الحسن البطائحي، وشيخنا أبو الفرج بن شيخنا عبد الله بن البقور، والزاهد أبو الحسن علي بن أحمد الزهري، والمبارك بن المبارك بن هبة الله، وابنه المبارك، وإسماعيل بن إبراهيم بن سعود بن عباس، ويوسف بن أحمد الشيرازي، وأبو الفضل مسعود بن علي بن عبد الله بن النادر، وإبراهيم بن سعيد بن أحمد بن عياش، وعلي بن حسن بن غزال، وأحمد بن علي بن النصر، والحافظ أبو بكر محمد بن أبي غالب الباقداري، ومحمد بن عبد الملك الإسكافي، و. . .(١) عبد الملك، و. . .(١) ابن الخبازة، وابنه عبدالرحمن، والمبارك بن حسين بن عبد. . .(١) إسحاق، وعثمان، وأبو منصور يونس بن أحمد ابن هبة الله. . .(١) بن عبد الظاهر. . .(١) الحسين بن خضر بن الهسل، وعلي بن محمد ابن عمرو. . .(١) عبد الرحيم، وسنقر بن عبدالله القلانسي، وأبو محمد عبد الله بن أبي عبدالعزيز بن أبي الفرج الجبائي، وأبو المحاسن بن أبي طاهر الحبلي، وعثمان بن أبي محمد بن عثمان. . .(١) وعبدالرحمن بن أبي الكرم الدمشقي، والمبارك بن سعد. . .(١)، ومكي بن سعود الطحان، وإسماعيل بن يحيى بن إبراهيم الخياط، وعمر. . .(١) وفضل الله بن عبد الرحمن بن طاهر الميهني، ومكي بن أبي. . .(١) وشيخنا أبو الفرج يحيى بن عبد الرحمن الباخرزجي، ومحمود بن غنم. . وعبد الرزاق بن شيخنا الإمام عبد القادر الجيلي، وأبو. . . بن أبي سعيد بن عبدالله القطان، وشيخنا. . .(١) وعثمان بن محسن بن إبراهيم السلماسي، وابنه محمد، وأبو جعفر. . .(١) وأبو الكتب/ ابن خليفة السامري، والمبارك بن عبد الله [١٩٧]
ابن محمد البغدادي، وأبو الفتوح بن أحمد بن عبد الكريم البغدادي، وسعيد بن مختار بن حور، وسنمار بن عمر بن العرس النباد، وعبد الله بن مبادر البقايوسي، ويحيى بن الحسين الأواني، وعبدالجبار بن أبي الفضل

(١) فراغ قدر كلمة في الأصل.

الحصري، وعبدالله بن نكراب الداهري، وابنه عبدالسلام، وإسماعيل بن شيخنا سعد الله ابن حمدي، وطعدي بن ختلع الأبيري، وشيخنا أحمد بن لبيدة، وإبراهيم بن محمود بن نصر بن الشعار، وشيخنا أحمد بن الفضل الفرطسي، وعبد العزيز ابن أبي نصر بن الأحمد، ومحمد بن هبة الله الغوريتي، وأحمد وأبو القاسم ابنا أبي بكر بن أبي السعادات البزاز، وصالح بن حسين بن بيتمان، وعلي بن منصور بن مظفر الجوهري، وهبةالله بن علي بن...[(١)] الضرير، وعلي بن معالي السرّاج، وكرم بن أبي العز بن أبي غالب المقرىء، وأبو الحسين، وعلي، وعبد الصمد، وأبو سعد بن علي...[(١)] وأبو القاسم بن رمضان بن أبي العلاء الخياط، وابنه محمد، وعلي بن أبي منصور بن عبد الله...[(١)] ودانيال بن أبي العباس المشكاني، وعبدالرحمن بن هبة الله بن محمد...[(١)] وعبدالله بن أبي المنى بن جامع الأكاف، ومظفر بن أبي البركات بن عمر الصائغ، وأبو محمد بن أحمد الذهبي، ووشاح بن أحمد بن جواد، وعبدالوهاب، وعلي ابنا أبي...[(١)] علي، وسعد الله بن سالم العموري، وموسى بن سلطان البابوني، ومحمد بن أبي عبد الله بن أحمد...[(١)] بن طراد بن جواد، وأبو البقاء بن أبي الفرج بن طلحة الذهبي، وشيخنا...[(١)] عبدالله بن الصمد السُّلمي، وابنه أحمد، وعبد الله بن عمر بن جواد...[(١)] الخباز، وشيخنا أبو بكر أحمد بن المقرّب، وأبو منصور بن علي الجزري، وجعفر بن غريب بن الحسين الموازيني، وخلف بن أبي البركات المشاهد، وابنه عبد القادر، وعلي... القطيعي، ومحفوظ بن بركة بن علي الخباز...[(١)] بن علي النساج، ومحمد بن عثمان بن محمد الصفار، وشيخنا معمر بن عسكر المؤدب، وابنه عبد اللطيف، وعبد العزيز بن عبدالله الزينبي، وأبو المفاخر الجرباذقاني، ومحمد بن النفيس السراج، ويحيى بن علي بن عبد العزيز الرياني، ويحيى بن مظفر بن نعيم،

---

(١) فراغ قدر كلمة في الأصل.

ومسلم بن سليمان الدمشقي، ومحمود بن مهدي بن سالم الضرير، وإبراهيم بن معمر الآلوسي، ودلف بن أبي السعد التستري، وأحمد بن خليفة الجيلي، وأحمد بن عيسى بن علي الضرير، وأبو الفتوح نصر بن علي الحصري، وعلي بن أبي العز بن أبي عبدالله الباجسْرائي، وعبدالله بن أحمد بن...(١) السمين، وعلي بن النفيس...(١) بن الحسام، وعلي بن أبي بكر التوني، وصدقة بن وزير الواسطي، وشيخنا أبو الحسن علي بن أبي سعد الخباز، وأخوه مسرف، ومحمد بن المحسن بن هبة الله الواعظ، ومحفوظ بن جامع بن الحسين الحارثي، ويحيى بن غنيمة بن أحمد الصرصري، ومحمد بن علي السرخسي، ومحمود بن محمد بن يوسف الغزال، وعبد الله بن أبي بكر بن عطاف الحراني، وأبو محمد بن مظفر بن هبة الله الهاشمي، وعثمان بن أبي سعد بن عبد الوهاب الخباز، ودلف بن علي بن عبدالله الخباز، وحيان بن محمد الغزال، وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الغني الطيري وأحمد بن علي بن موسى، وأحمد بن...(١) غنيمة المقرىء، وأبو محمد المبارك بن محمد بن علي...(١) وعبد القادر بن علي البرني، ومنصور بن نصر بن العطار، وعتيق الله صبيح، وآخرون على الأصل بقراءة.. وذلك في مجالس آخرها يوم الجمعة تاسع شعبان سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة.

وسمع هذه المجلدة على الشيخ أبي...(١) الدمشقي أبو النجيب عبد القاهر بن عبدالله السُّهْرَوردي...(١) وعبد العظيم، وعبد اللطيف وفتاه بلال، ومحمد بن محمد بن حمود، وعثمان بن أحمد بن محمد المقرىء، وابنه عبد الملك، وصدقة بن الحسين بن أحمد بن وزير، ومسعود بن أبي بكر البدري، وأبو الفرج بن أبي العز الواسطي، وأحمد بن ميسر بن زيد، وأحمد بن أبي الهياج...(١) ويوسف بن محمد بن علي البغدادي، وأخوه سليمان، وأبو جعفر بن أبي بكر الواسطي...(١) وأبو منصور بن أحمد بن أبي منصور الأصبهاني، ومحمد بن... ويحيى.../ [١٩٨]

(١) فراغ قدر كلمة في الأصل.

ناصر الأنباري، وأبو السعادات إبراهيم بن علي بن إبراهيم المعتصي، وأحمد بن خياط الدمشقي، ومحمد بن محمود بن أحمد المحمودي، وشجاع بن إبراهيم السلامي، وإبراهيم بن جابر بن إبراهيم الحربي، وعمر بن كرم الدينوري، وأخوه علي، ومحمد بن الحسين بن صالح البرهاني، وعمر بن محمد بن هارون الواسطي، وأبو الفرج بن علي بن أبي الغنائم بن المأمون، وشمس الضحى بنت محمد بن عبد الملك الساوي، وسديدة بنت أبي طاهر محمد البغدادي، ومحمد بن حسين بن نازل الزبيدي في مجالس آخرها يوم السبت حادي عشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة.

نقله أحمد بن محمد الظاهري في يوم الأربعاء عاشر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وستمئة، كما شاهده على نسخة أبي المعالي أحمد بن يحيى البيّع بخطّه وصح[1].

* * *



(١) جاء في نهاية النسخة بخطٍّ مغاير ما نصُّه:

أهلُ الكلام وأهلُ الرأي قد عدموا   علم الحديث الذي ينجو به الرجلُ
لو أنهم عرفوا الآثار ما انحرفوا   عنها إلى غيرها لكنّهم جهلوا

قال ابن الجوزي رحمه الله في «تلبيس إبليس» [صفحة ١٣٣ الباب السابع] راويًا عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أنَّ عاملاً له كتب له: إن قومًا خانوا في مال الله تعالى، ولا أقدرُ على استخلاص ما في أيديهم إلاَّ أن أنالهم بعذاب. فكتب إليه: لئن يلقوا الله بخياناتهم أحبُّ إليَّ من أن ألقاه بدمائهم. إنا لله إنا من الله والمؤمنون منّي.

فهرس الفهارس


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ـ فهرس الآيات الكريمة

آل عمران

النساء

المائدة

الأنعام

الأعراف

النحل

الاسراء

الكهف

مريم

طه

النور

الفرقان

الشعراء

* * *

٢ـ فهرس الأحاديث الشريفة

ـ أ ـ



ـ ب ـ

ـ ت ـ

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ل -

-ي-

* * *

٣ـ فهرس الأعلام والألقاب والأنساب والكنى

ـ أ ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

- ح -

ـ و ـ

ـ ي ـ

٤ـ فهرس الأقوام والجماعات والمذاهب

٥ـ فهرس الكتب والرسائل

* * *

٦ـ فهرس الأماكن والبلدان والأنهار والجبال



٧ـ فهرس الأيام والوقائع

* * *



٨ـ فهرس الأوائل

* * *



٩ـ فهرس رجال سماع الحديث

١٠ـ فهرس الأشعار

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
أَنبتَتْ صَبابَتُكُمْ	كبدي	المقتضب	الشبلي	٢	٤١٨
	ـ ر ـ				
زجرتُ فؤادي فلَمْ يَنزجِرْ	يَفِرْ	المتقارب	ـ	٢	٤٩٣
يا مُوقدَ النَّارِ في قلبي بقدرته	النَّارا	البسيط	الجنيد	٢	٣٤٣، ٣٤٤
ثما في النَّهارِ ولا في اللَّيلِ لي فرجٌ	قَصُرا	البسيط	سري	١	٣٤٨
أتذكرُ ساعةً ألعقتَ فيها	وصبرا	الوافر	سهل	٤	٣٥٠
أَمُرُّ على الدِّيارِ ديارِ ليلى	الجدارا	الوافر	المجنون	٢	٥٢٠
ذاتُ هُوِيَّتُهُ تكونُ مُذكَرَه	مُنكَرَهْ	الكامل	الهيكلي	٥	٣٥٣
عبراتٌ خَطَطْنَ في الخدِّ سطرا	يقرا	الخفيف	ـ	٣	٧٥
لَعَمريَ ما استودعْتُ سرِّي وسرَّها	السَّرائرُ	الطويل	النوري	٣	٣٢٤، ٣٤٤، ٥٤٨
فيا حبَّها زدني جوًى كلَّ ليلةٍ	الحَشْرُ	الطويل	المجنون	٢	٣٤٩
وعينانِ قالَ اللهُ: كُونا فكَانتا	الخَمْرُ	الطويل	الشبلي	١	٣٤٩
فحالانِ لي حَالانِ صَحْوٌ وسَكْرَةٌ	وأسكرُ	الطويل	ـ	٤	٤٦٢
تحقَّقَ صَفْوُ الوجدِ منَّا فما لنا	يُخبَرُ	الطويل	ـ	١	٤٦٢
ذَكَرْنا وما كنَّا نَسينا فنَذْكُرُ	فيَبْهرُ	الطويل	ـ	٢	٤٨٧، ٥١٧
أُفتِّشُ سرِّي عن هواكم فلا أرى	أكبَرُ	الطويل	ـ	٢	٥٢٠
فما عندي لَكُم أثَرٌ	خَبَرُ	مج الوافر	ـ	١	٤٨٠
سرٌّ بسرٍّ قد أسرَّ جَميعَها	مسرورُ	الكامل	ـ	٢	٣٢٤
هَبْني وجدتُكَ بالعُلوم وِوَجْدِها	يَظْهَرُ	الكامل	سمنون	٦	٣٤٧
دائراتُ البلا عليَّ تَدورُ	تَثورُ	الخفيف	ـ	٥	٤٧٨
ربَّ يوم كأنَّه يومَ بانُوا	مَطيرُ	الخفيف	ـ	٢	٥١٩
لقد فُضِّلتْ ليلى على النَّاسِ كالتي	القَدْرِ	الطويل	المجنون	٢	٣٤٩
إذا ألْبَسَ الحقُّ المُحقَّ حقيقةً	السَّرائرِ	الطويل	القرشي	٥	٣٥٤
إذا طَلَعتْ شمسٌ عَلَيْكَ بنُورِها	المُباشرِ	الطويل	الواسطي	٢	٤٧٦
لو أنَّ دونَكَ بَحرَ الصِّينِ مُعترضًا	الأثرِ		ـ	١	٤٨١، ٤٩٢
أَموتُ وما ماتَتْ إليك صَبابتي	أَوطاري	الطويل	ذو النون	٢	٤٩٦
تَرَحَّلْتُ يا ليلى ولم أَقضِ أَوطاري	داري	الطويل	ـ	١	٤٩٦

يا مُسْعري أسفًا يا مُتلفي شَغفًا	بمقدارِ	البسيط	ـ	٢	٣٤٤
قلبٌ يُحبُّكَ لا يُومِي إلى أحدِ	بالخَبَرِ	البسيط	الخراز	٥	٣٥٤
إنَّ آثارَنا تَدُلُّ علينا	الآثارِ	الخفيف	ـ	١	٤٨١
أنتَ وإنْ غُيِّبْتَ عَني	كالحاضرِ	مج الخفيف	ـ	١	٤٦٢

- ز -

من اعتزَّ بذي العِزِّ	عزُّ	الهزج	الشبلي	١	٥٤٣

- س -

معارفُ الحقِّ تَحويها إذا نُشِرت	تُختَلَسُ	البسيط	ـ	٦	٤٦٦
نَمَ على سرِّ وجدِهِ النَّفَسُ	يَنْبَجِسُ	المنسرح	ـ	٥	٣٤٥

- ش -

إنَّ مَنْ أهواه قد أدهشَني	الدَّهَشْ	الرمل	ـ	١	٤٦٧
قالَ سُلطانُ حبِّهِ:	الرَّشا	مج الخفيف	الشبلي	٢	٣٤٨
أظلَّتْ علينا منكَ يَومًا غمامةٌ	رِشاشُها	الطويل	الشبلي	٢	٣٤٨، ٥٤١

- ع -

أيا جودَ ربِّي ناجِ ربِّي بحاجتي	شَفيعُ	الطويل	ـ	١	٣٥٨
مكانُكَ من قلبي هو القَلبُ كلُّه	مَوضعُ	الطويل	الحلاج	١	٤٥٦
لو كان حبُّكَ صادقًا لأطَعْتَهُ	مُطيعُ	الكامل	ـ	١	٨٧
فَلا وَصْلٌ ولا فصلُ	طَمَعُ	الهزج	ـ	١	٤٨٢
حدُّ القَناعةِ مَحْوُ الكلِّ منك إذا	مُطَّلعِ	البسيط	الروذباري	٢	٣٤٥

- ف -

ما لي جُفيتُ وكُنتُ لا أُجفى	تَخفى	الكامل	الجنيد	٢	٣٤٥
باللهِ فارْدُدْ فُؤادَ مُكتئبِ	خَلَفُ	منسرح	ـ	١	٤٠٠
نَهاني حَيائي منكَ أنْ أكتُمَ الهوى	الكَشْفِ	الطويل	أبو حمزة	٥	٣٥٢
أَراكَ وبي من هَيبتي لك وَحْشةٌ	وبالعطفِ	الطويل	أبو حمزة	٢	٤٩٤
تلطَّفتَ في أمْري فأبدأتَ شاهدي	باللُّطفِ	الطويل	أبو حمزة	١	٤٩٩

- ق -

أهلُ التّصوُّفِ قد مَضَوْا	مَخْرَقَةْ	مج الكامل	القناد	٦	٤٠

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
أبكي وهل تَدْرِينَ ما يُبكيني	تُفارقيني	الرجز	ـ	٣	٣٣٠
إذا تَغَيَّبْتُ بدا	غيَّبني	مج الرجز	النوري	١	٤٦٢
أَما ترى هَيَّمني	وَطَني	مج الرجز	النوري	٣	٤٩٦
رُبَّ ورقاءَ هَتُوفٍ في الضُّحى	فَنَنِ	الرمل	الشبلي	٤	٤١٨
وتحققتك في سرّي	لساني	مج الرمل	الجنيد	٤	٨٥، ٣٠٠
من تحلّى بغيرِ ما هو فيه	الامتحانِ	الخفيف	ـ	١	٤٨٩
يا مُنيةَ المُتَمَنّي	عنّي	المجتث	الحلاج	٢	٤٨٧

ـ هـ ـ

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
يُعارضني الوَاشونَ قلبي بكلِّ ما	والعلانيَهْ	الطويل	ـ	١	٤٦٥
وأنتَ خَليطُ النَّفْسِ في كلِّ شأنها	مُباينَهْ	البسيط	القرشي	٥	٣٥٣
ذاتُ هُوِيَّتُهُ تكونُ مُذكَّرَه	مُنكرَهْ	الكامل	الهيكلي	٥	٣٥٤
أهلُ التَّصوُّفِ قد مَضَوْا	مَخْرَقَهْ	مج الكامل	القناد	٦	٤٠
مَنْ لاذَ بالله نجا بالله	الله	الرجز	ذو النون	٣	٣٤٣، ٤٧١

ـ ي ـ

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
وما تَنَفَّسْتُ إلاَّ كنتَ مع نَفَسي	مَجاريها	البسيط	الحلاج	١	٤٧١
يا هلالَ السَّما كطَرْفٍ كَليلٍ	طَرْفيه	الخفيف	الشبلي	٢	٣٢٨
إنَّ كَتمي أبا عليٍّ لحبيك	فيهِ	الخفيف	الروذباري	٢	٣٢٩
مَنْ تَحلَّى بغيرِ ما هو فيه	يَدَّعيه	الخفيف	ـ	١	٥٧٣
ولمّا أدّعيتُ الحبَّ قالتْ كذبتني	كَواسيا	الطويل	ـ	٣	٣٤٨
			ـ	١	٤٧٧
أَموتُ بداءٍ لا يُصابُ دَوائيا	بلائيا	الطويل	يحيى بن معاذ	٧	٣٥٠
يا سرَّ سرٍّ يدقُّ حتَّى	حيّ	مخ البسيط	الحلاج	٢	٣٢٤، ٤٧٩

* * *

١١ـ فهرس أنصاف الأبيات

* * *



١٢ـ فهرس الحيوان

١٣ـ فهرس الألفاظ والمصطلحات والأشياء

ـ أ ـ

-م-



فهرس الموضوعات

الأبواب والفصول

كتاب الأحوال والمقامات

كتاب أهل الصفوة في الفهم والاتّباع لكتاب الله عز وجل

كتاب الأسوة والاقتداء برسول الله ﷺ

كتاب المستنبطات

كتاب الصحابة رضوان الله عليهم

كتاب آداب المتصوفة

كتاب المسائل واختلاف أقاويلهم في الأجوبة

كتاب المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل

كتاب السماع

كتاب الوجد

كتاب إثبات الآيات والكرامات

كتاب البيان عن المشكلات